

# المواظبة الحسنة

مواضيع أخلاقية من خطب الجمعة التي نيت

لها سماحة الشيخ محمد عبد المهدى الكربولي

الجزء الأول

## بطاقة فهرسة

|                     |                                                                                                                 |
|---------------------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| مصدر الفهرسة:       | <i>IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda</i>                                                                                |
| رقم تصنيف LC:       | <i>BP ١٠.٥.K ٣٧ ٢٠١٨</i>                                                                                        |
| المؤلف الشخصي:      | الكرلائي، عبد المهدي، ١٩٥٥-.                                                                                    |
| العنوان:            | المواعظ الحسنة: مواضيع اخلاقية من خطب الجمعة الدينية / الجزء الأول.                                             |
| بيان المسؤولية:     | سماحة الشيخ عبد المهدي الكرلائي ؛ اعداد وتنظيم وتحقيق مؤسسة الخلق العظيم، قسم الشؤون الفكرية والثقافية.         |
| بيانات الطبع:       | الطبعة الأولى.                                                                                                  |
| بيانات النشر:       | النجف، العراق: العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، مؤسسة الخلق العظيم، ٢٠١٨ م / ١٤٣٩ للهجرة. |
| الوصف المادي:       | ٤٥٣ صفحة ؛ ٢٤ سم.                                                                                               |
| سلسلة النشر:        | (العتبة الحسينية المقدسة ؛ ٥٠٤).                                                                                |
| سلسلة النشر:        | (مؤسسة الخلق العظيم).                                                                                           |
| تبصرة عامة:         | الكتاب هو ارشفة لخطب الجمعة من تاريخ ١٤٢٤ - ١٤٢٥ للهجرة.                                                        |
| تبصرة بيبليوجرافية: | يتضمن هوامش، لائحة المصادر (الصفحات ٤٢٣-٤٣٢).                                                                   |
| موضوع شخصي:         | الكرلائي، عبد المهدي - ١٩٥٥- .- خطب.                                                                            |
| مصطلح موضوعي:       | الخطب الدينية الإسلامية (الشيعة الإمامية).                                                                      |
| مصطلح موضوعي:       | خطب الجمعة - الجوانب الدينية.                                                                                   |
| مصطلح موضوعي:       | خطب الجمعة - الجوانب الاخلاقية.                                                                                 |
| مصطلح موضوعي:       | خطب الجمعة - العراق - كربلاء.                                                                                   |
| مصطلح موضوعي:       | الوعظ والارشاد (الشيعة الإمامية).                                                                               |
| اسم هيئة اضافي:     | العتبة الحسينية المقدسة (النجف، العراق)، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، مؤسسة الخلق العظيم. جهة مصدرة.           |

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٣٤٠٦) لسنة (٢٠١٨ م)

# أَمْوَالُ عِظَةِ الْحَسَنَةِ

مَوْضِعُ اخْلَاقِيَّةٍ مِنْ خُطْبِ الْجُمُعَةِ الدِّينِيَّةِ

لِسَيِّدِ الشُّيُخِ عَبْدِ الْمَهْدِيِّ الْكُرْبَلَايِيِّ رحمته الله

إعداد وتنظيم وتحقيق

مَوْسِسَةِ الْخُلُقِ الْعَظِيمِ

الجزء الأول

خُطْبُ الْجُمُعَةِ الْعَامِيَّةِ  
(٢٠٠٣-٢٠٠٤ م)

إشراف العالِمِ

الشيخ العلامة في مؤسسه الفقيه العظمى

الإصدار ١



جميع الحقوق محفوظة  
للعتبة الحسينية المقدسة

---

الطبعة الأولى

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

---

إعداد وتنظيم وتحقيق

مؤسسة الخلق العظيم

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا

إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

(الجمعة: آية ٩).

### هوية الكتاب

- عنوان الكتاب المواظ الحسنة، مواضيع أخلاقية من خطب الجمعة الدينية/ ج ١
- المؤلف ساحة الشيخ عبدالمهدي الكربلائي
- إعداد وتنظيم وتحقيق مؤسسة الخلق العظيم
- الإشراف العلمي اللجنة العلمية في مؤسسة الخلق العظيم
- الناشر العتبة الحسينية المقدسة
- الإخراج الفني حسين المالكي
- تنسيق السيد مهدي المعلمي
- الطبعة الأولى
- المطبعة دار المؤمن
- سنة الطبع ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م
- عدد النسخ ١٠٠٠

## كلمة سماحة المتولي الشرعي للعتبة الحسينية المقدسة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على المبعوث رحمة للعالمين  
أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

وبعد، فإنّ هذا الكتاب عبارة عن مواضيع أخلاقية أُلقيت في خطب الجمعة  
الدينية في الصحن الحسيني الشريف، وقد عمل الإخوة في مؤسسة الخلق العظيم  
(جزاهم الله خيراً) على إعدادها وتنظيمها وتحقيقها ضمن موسوعة (المواعظ  
الحسنة) التي اهتمت بجمع المواضيع الأخلاقية من الخطب الدينية. وقد تصفّحت  
بعض المواضيع من الجزء الأول منها فوجدته منسجماً مع ما طُرح في تلك الخطب.

كما اطّلت على أنّ هذا الكتاب - كسائر الكتب الأخرى التي تعمل المؤسسة  
على إصدارها - قد تمّت مراجعته بأكمله من قبل اللجنة العلمية في المؤسسة.

ومن منطلق ثقتي بالإخوة العاملين في المؤسسة واللجنة العلمية فيها، فقد  
أجزت طباعة المجلد الأول من هذه الموسوعة، عسى أن ينتفع منها المؤمنون،  
وعسى أن يكون ذُخراً لنا وللمؤمنين يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله  
بقلبٍ سليم.

والحمد لله رب العالمين



## المقدمة

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين.

وبعد؛ لا يخفى على ذوي الألباب أنَّ من أهم ما جاءت به الرسالات وُبُعِثَتْ به الرسل هو تزكية النفوس وتهذيب الأخلاق، وسوق العباد إلى مدارج الكمال، بتطهيرهم من دنس الرذائل، وتزيينهم بمحاسن الفضائل. قال تعالى - في بيان الهدف من إرسال سيّد رسله ﷺ -: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (الجمعة: آية ٢). فكان المبتغى الأسمى لكل الأنبياء والأوصياء والعلماء الربّانيين هو النهوض بالواقع الأخلاقي لبني الإنسان، وإشادة التربية الأخلاقية على أسس فكرية وعقائدية وسلوكية متينة، تُبَيِّنُ للإنسان مبدأه ومسلكه ومنتهاه، ومسيره ومصيره ومبتغاه، وترسم له منهجاً قوياً، تتكامل فيه روحه في علاقته مع ربّه، ومع نفسه، ومع أخيه الإنسان، ومع بيئته ومجتمعه؛ لِيُغَطِّيَ جميع نشاطاته وحركاته وسكناته، ويوحّدها في مسيرة الكدح والسير إلى الله تعالى، وهذا ما أكّده الآيات بكثرة كاثرة، ونصّت عليه الروايات الشريفة المتواترة.

ونتيجةً لهذا التأكيد الكبير فقد احتلّت الأخلاق مساحة واسعة من جهود علماء الإسلام؛ من مفسّرين ومحدّثين ومتكلّمين وحكّماء وعرفاء وفقهاء في سبيل التأمّل للرؤية الأخلاقية الإسلامية، ومعالجة قضاياها في بعدها: النظري

والعملي، إضافة إلى سعيهم الحثيث في سبيل نشر التعاليم الأخلاقية وترويجها، فتركوا لنا تراثاً فاخراً وإراثاً زاخراً.

إنّ ملاحظة الحجم الضخم للتراث الأخلاقي الإسلامي تجعلنا أمام تحدٍّ كبير يحتم علينا العمل الجادّ والدؤوب على نشره وترويجه، سيّما ونحن نواجه أزمة إنسانية واسعة يمكن الجزم بأنّ المشكلة الأخلاقية أحد أضلاعها المهمة، إن لم تكن هي جوهرها وحقيقتها. ونقولها بمرارة: لقد كان لمجتمعاتنا الإسلامية نصيبها من تلك الأزمة الإنسانية الأخلاقية الشاملة؛ حيث تواجه تياراتٍ جارفة من الثقافات والأفكار والأنماط السلوكية والأخلاقية الواردة، والتي لم يعد يحجبها حجاب في عصر ثورة المعلومات والانفجار المذهل في وسائل الإعلام والتواصل، ما يهدد هذه المجتمعات بالضياع وفقدان الهوية، إن لم تتكاتف الجهود في مواجهة هذه التحديات وفق منهجٍ علمي رصين، وبأساليب وآليات مناسبة لمقتضيات العصر ومتطلباته.

لقد كان هذا الهمّ الكبير حافزاً لأن تتبنّى (مؤسسة الخلق العظيم) - التي تحمل شرف الارتباط بالعتبة الحسينية المقدسة - جزءاً من هذا المشروع الأخلاقي الكبير؛ من خلال العمل على إحياء النهج الأخلاقي الإسلامي القويم فكراً وسلوكاً، ونشره وترويجه بين أبناء المجتمع الإسلامي، وبطرقٍ ونشاطاتٍ مختلفة، مع الإيمان بضخامة هذا المشروع وحاجته إلى تضافر الجهود، وتكاتف الكفاءات، وتراكم الخبرات، عسى أن نوفق لسدّ جزءٍ من الفراغ الملحوظ في المجال الأخلاقي.

ويُعدّ الكتاب الذي بين يديك - عزيزي القارئ - حلقةً من سلسلة نشاطات المؤسسة، وهو جمعٌ وإعدادٌ وتحقيقٌ لمجموعةٍ من الخطب الدينية ذات المحاور الأخلاقية، والتي أُلقيت في الصحن الحسيني الشريف، وصدحت بها حنجرة سماحة حجة الإسلام والمسلمين الشيخ عبد المهدي الكربلائي (دامت بركاته)، وقد لاقت تفاعلاً ملحوظاً من شرائح المجتمع كافة، لما تحمله من كلمات هداية

مستقاة من نور الثقلين، ومعالجات (ميدانيّة) للعديد من المشاكل الأخلاقيّة والاجتماعيّة التي تعيشها الساحة بلغةٍ سهلةٍ ويسيرة، دون أن تُعَدِّم المضمون العالي، والمعنى الغالي. فدعت الحاجة إلى تدوينها وإخراجها بشكل كتابٍ يؤرشف هذه الخطب ويوثّقها، كما من شأنه أن يكون مرجعاً مهمّاً للخطباء ورؤاد المنبر وأئمة الجُمع وبُغاة العلم والمعرفة.

وقد احتوى الجزء الأول من هذه السلسلة ثلاثين خطبة أُلقيت بين شهري شوال عام (١٤٢٤)، وشوال عام (١٤٢٥) للهجرة النبويّة المباركة، أي: في الفترة الممتدة من أواخر عام (٢٠٠٣) إلى أواخر عام (٢٠٠٤) للميلاد.

وقد يصادفك - عزيزي القارئ - في بعض المواضع في الجزء الأول من هذا الكتاب خروجٌ عن المسار الذي اختططناه من خلال استعراض حياة بعض المعصومين عليه السلام وسيرتهم بما يستدعيه زمن الخطبة وتاريخها، فقد أدرجنا تلك الخطب لانطواء معظمها على مضامين أخلاقيّة مستلهمة من حياة أهل البيت عليه السلام، فتكون سهيمة في تحقيق ما نصبو إليه.

### منهجنا في العمل

تلخّص عمل المؤسسة بما يلي:

- ١ - تدوين مادة خطب الجُمع المسموعة وتنضيدها حرفياً بشكلٍ دقيق.
- ٢ - إعادة صياغة عبارات الخطب وتقويمها من خلال الحذف والإضافة، وتحويل الجمل من شكلها الخطابي إلى شكلها الكتابي.
- ٣ - تخرّيج العناوين للخطب والمطالب التفصيليّة في كل خطبة بما يتناسب مع مضامينها.

٤ - تحقيق المطالب الواردة في الخطب؛ من خلال:

أ) تخريج الآيات والروايات والأدعية والنصوص الواردة في الخطب وذكر مصادرها.

ب) توثيق المعلومات الواردة في الخطب من أقوال العلماء وبياناتهم بإرجاعها إلى المصادر المعتبرة.

ج) توضيح بعض المصطلحات العلميّة والمفردات الغامضة، وتعريف بعض الأعلام بما يُسهم في بيان المعنى المقصود وإيضاحه.

د) إضافة العديد من التعليقات في هامش الكتاب، والتي تتضمن شواهد نقلية من آياتٍ ورواياتٍ وأقوالٍ للعلماء في تأييد ما ورد في متن الخطبة، وزيادة إيضاحه.

هـ- إدراج بعض الإضافات الضرورية على متن الخطبة، لملء الفراغ الذي أوجبه الظروف التي أُلقيت فيها الخطب، وقد حاولنا تقليص هذه الإضافات قدر الإمكان؛ للحفاظ على مضامين الخطب ومستواها.

وقد كانت للشيخ يوسف العلي، والأستاذ نجم الويس، جهودٌ كبيرةٌ في إعداد مطالب هذه الخطب وصياغتها وتحقيقها وإخراجها، فشكر الله مساعيها وبارك في جهودهما.

كما نتقدم بالشكر والامتنان لساحة المتولي الشرعي للعتبة الحسينية المقدسة الشيخ عبد المهدي الكربلائي (دامت بركاته)، إذ بعد أن وقفنا على الإفادات القيمة والنكات الأخلاقية المهمة سعينا إلى تحصيل موافقته في طباعة هذا الأثر القيم في موسوعة أخلاقية مستقاة من خطب الجمعة لسماحته، وقد أسمىها بـ: (المواعظ الحسنة)؛ لئلا تقتصر الاستفادة منها على من سمع ذلك الصوت الصادح بالحق، ممن كان حاضراً تلك الأجواء العبادية فقط، بل لكي تعم الفائدة لطلابها أين ما كانوا وفي أي زمان وجدوا. فكان نظره الصائب متمشياً مع ما طرحناه على

سماحته، وحصلنا على موافقته حول ذلك، فنسأل الله تعالى أن يمدّ في عمره ويجعل هذا المشروع المبارك ذخراً له ولنا.

ولا يفوتنا أيضاً أن نثمن الجهود المضنية التي قام بها الأساتذة الكرام أعضاء اللجنة العلمية في مؤسسة الخلق العظيم من متابعة للعمل وإشرافٍ علمي متواصل، وإبداء الملاحظات القيّمة التي أسهمت في خروجه بهذا الأسلوب العلمي، فشكر الله سعيهم وجزاهم خير جزاء المحسنين.

وختاماً: نرجو أن يساهم هذا العمل المتواضع في التعريف بشيء يسير من معارف القرآن الكريم والعرة الطاهرة ﷺ، وأن يشارك في نشر الفضيلة والخلق الرفيع في مجتمعاتنا الإسلامية، ونسأل الله تعالى أن يتقبل منا ومن القائمين على هذا العمل والمنجزين له بأحسن القبول، وأن يجعله ذخراً لنا ولهم جميعاً يوم نلقاه؛ ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿١﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء: آية ٨٨).

والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً

مؤسسة الخلق العظيم

١٥/ شعبان المعظم / ١٤٣٩ هـ. ق.



**الخطبة الأولى**  
**دور الصلاة في بناء الشخصية الإيمانية**  
**القسم الأول**

بتاريخ: ١٢ / ١٢ / ٢٠٠٣ م

وفيها المحاور التالية:

- ◀ الوعد الإلهي للشخصية الإيمانية
- ◀ مقومات الشخصية الإيمانية:
  - للأول: المقوم العبادي
  - للثاني: المقوم الأخلاقي
  - لثالث: المقوم الاقتصادي
- ◀ موقع الصلاة بالنسبة للشخصية الإيمانية



## مقدمة الخطبة

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ بِقُوَّتِهِ، وَمَيَّزَ بَيْنَهُمَا بِقُدْرَتِهِ، وَجَعَلَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدًّا مَحْدُودًا، وَأَمَدًا مَمْدُودًا، يُوَلِّجُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي صَاحِبِهِ، وَيُوَلِّجُ صَاحِبَهُ فِيهِ بِتَقْدِيرٍ مِنْهُ لِلْعِبَادِ فِيمَا يَغْذُوهُمْ بِهِ، وَيُنْشِئُهُمْ عَلَيْهِ، فَخَلَقَ لَهُمْ، ﴿الْيَلَّ لَيْسَكُنُوا فِيهِ﴾<sup>(١)</sup> مِنْ حَرَكَاتِ التَّعَبِ وَنَهَضَاتِ النَّصَبِ، وَجَعَلَ لِبَاسًا لِيَلْبَسُوا مِنْ رَاحَتِهِ وَمَنَامِهِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ لَهُمْ جَمَامًا وَقُوَّةً، وَلِيَنَالُوا بِهِ لَذَّةَ وَشَهْوَةً، وَخَلَقَ لَهُمْ ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصَرًا﴾<sup>(٢)</sup> لِيَتَبَغَّوْا فِيهِ مِنْ فَضْلِهِ، وَلِيَتَسَبَّبُوا إِلَى رِزْقِهِ، وَيَسْرَحُوا فِي أَرْضِهِ، طَلَبًا لِمَا فِيهِ نَيْلُ الْعَاجِلِ مِنْ دُنْيَاهُمْ، وَدَرَكُ الْآجِلِ فِي آخِرَاهُمْ، بِكُلِّ ذَلِكَ يُصْلِحُ شَأْنَهُمْ، وَيَبْلُو أَخْبَارَهُمْ، وَيَنْظُرُ كَيْفَ هُمْ فِي أَوْقَاتِ طَاعَتِهِ، وَمَنَازِلِ فُرُوضِهِ، وَمَوَاقِعِ أَحْكَامِهِ، ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمَلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَسَنِ﴾<sup>(٣)</sup>. اللَّهُمَّ فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا فَلَقْتَ لَنَا مِنَ الْإِصْبَاحِ، وَمَتَّعْتَنَا بِهِ مِنْ ضَوْءِ النَّهَارِ<sup>(٤)</sup>.

أوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله تعالى، وخافته، والامثال لأوامره، والاجتناب عن نواهيه، والسعي لنيل مرضاته.

(١) و(٢) النمل: آية ٨٦.

(٢) النمل: ٨٦.

(٣) النجم: آية ٣١.

(٤) الصحيفة السجادية: ص ٤٨.

## الوعد الإلهي للشخصية الإيمانية

لقد وعد الله سبحانه وتعالى الشخصية الإيمانية، بالجزاء الأوفى، وبوراثه جنة الفردوس خالدين فيها أبداً؛ وذلك في موارد من كتابه العزيز:

المورد الأول: في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾.

فإن هذه الآيات الكريمة بصدد بسط مواصفات الشخصية المؤمنة المتكاملة التي تستحق أن ترث من ربها جنة الفردوس، وجمال هذا الاسم ينبئ عن جمال المسمى وروعته.

المورد الثاني: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٣﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٦﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّمَ الَّذِينَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ ﴿٩﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿١٠﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿١١﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿١٢﴾﴾.

## مقومات الشخصية الإيمانية

من خلال الملاحظة الإجمالية لمجموعتي الآيات المتقدمة؛ يتبين أن الشخصية الإيمانية المتكاملة تبني على ثلاثة مقومات أساسية وجوهرية:

(١) المؤمنون: آية ١-١١.

(٢) المعارج: آية ١٩-٣٠.

### الأول: المقوم العبادي

من أهم مقومات الشخصية الإيمانية هو العنصر العبادي، المشار إليه في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾، وقوله تعالى: ﴿... وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣﴾﴾.

### الثاني: المقوم الأخلاقي

وقد أشار القرآن إلى هذا المقوم بقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٤﴾﴾، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾﴾، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٦﴾﴾، فالإعراض عن اللغو، وحفظ الفروج، وأداء الأمانة، ومراعاة العهد وغيرها من مفردات أخلاقية أخرى هي شروط جوهرية للكيان العام للشخصية الإيمانية.

### الثالث: المقوم الاقتصادي

يُعدّ الشعور بالمسؤولية تجاه الشريحة الاجتماعية التي ينتمي إليها الإنسان، خصوصاً في بعدها الاقتصادي، المتمثل بمساعدة الفقراء، ومراعاة حقوقهم، ومدد يد العون للمحتاجين، من مقومات الشخصية الإيمانية، فالؤمن الحقيقي هو الشخص الذي يعيش المسؤولية تجاه الواقع الاجتماعي الذي ينتمي إليه، وتكون له مساهمات واقعية في رفع المستوى المعاشي والاقتصادي للطبقة المحرومة.

فتلخص: من الملاحظة الإجمالية - المتقدمة - أنّ الشخصية الإيمانية المتفانية، هي الشخصية التي تلتزم العناصر الثلاثة المتقدمة، بحيث يحصل منها مركّب

(١) المؤمنون: آية ١-٢.

(٢) المؤمنون: آية ٩.

(٣) المؤمنون: آية ٣.

(٤) المؤمنون: آية ٥.

(٥) المؤمنون: آية ٨.

عبادي أخلاقي يتعذر الفصل بين عناصره.

فالمؤمن الصادق هو صاحب الأخلاق الحميدة؛ لأن حقيقة العبادة على ضوء هذه الآيات القرآنية هي نوع من الأحكام؛ لأنها وفاء لله تعالى، وشكر لآلائه، واعتراف بجميله، وتوقير وتعظيم لمن هو أهل للتوقير والتعظيم، وكل هذه المعاني والسلوكيات هي في طليعة مكارم الأخلاق.

وإذا كانت العبادة عند المؤمن لونهاً من الأخلاق الحميدة، فإن الأخلاق ذاتها عند المؤمن الصادق لون من العبادة المفروضة؛ لأنّ الباعث عليها هو الإيمان بالله تعالى، والغاية منها رضوان الله تعالى، فالمؤمن يصدق في حديثه، ويؤدّي الأمانة، ويفي بوعوده، ويرحم الضعيف، ويصبر في البأساء وعلى الضراء، كلّ ذلك ابتغاء لوجه الله تعالى، والتزاماً بأوامره، وخوفاً من غضبه.

#### موقع الصلاة بالنسبة للشخصية الإيمانية

تُعَدُّ الصلاة الركن الأساسي في بناء الشخصية في بعدها الإيماني؛ العبادي والأخلاقي والمعنوي بشكل عام، إذ بها يعرج المؤمن إلى عالم الملكوت. فإننا نعلم أنّ المجموعة الأولى من الآيات، أعني: آيات سورة المؤمنون، ابتدأت بالصلاة، وكذلك المجموعة الثانية، ممّا يعني مدى أهميّة الصلاة المعراجية في بناء الشخصية الإيمانية.

توضيح ذلك: إنّ القانون الإسلامي يهدف - فيما يهدف إليه - إلى تربية الإنسان، وتكامله، وقد ناقش الإسلام كلّ الواقعيات التي تمس وجود الإنسان، وبيّن أنّ حياة البشر لا تنقطع بالموت، بل هي حياة خالدة ومستمرّة.

وحيث إنّ الجانب الدنيوي الفاني لا ينفصل عن الجانب الآخروي الباقي، لذا نجد أنّ الإسلام يطرح برنامجاً مشرقاً للعالمين؛ عالم الدنيا وعالم الآخرة، فهو يُريد أن

يربّي الإنسان الأبدي والخالد في حياته الفانية، من خلال المدرسة الإسلامية الغنيّة في العقائد والأحكام والأخلاق، مضافاً إلى فتحه لباب التعقّل والتفكير والاجتهاد للمسائل المستحدثة، لكي يتمكنّ الإنسان من التوفيق بين الحياة والشريعة.

إنّ الإسلام يلاحظ سعادة الإنسان بالنظر إلى جميع الجوانب؛ المادّية والمعنوية، لذا وقف موقفاً وسطاً بين سلسلة من العقائد والأنظمة الموضوعية - في سبيل تهذيب الغرائز الإنسانية - وبين أفكار تنادي بالحرية الحيوانية المطلقة، والتي يقف إلى جانبها جمعٌ من علماء النفس، الذين يفكّرون بأسلوب التفكير المادّي الصرف.

إنّ الإسلام لا يعترف بأنّ الأولوية تكون للمادّة وأنّ ملاك السعادة هو الاقتصاد وأصالة اللذة، ولا يحصر سعادة الإنسان في إطار الإصلاحات الاقتصادية فقط، ولا يغفل عن النواحي الأخرى للحياة وللإنسان.

إنّ التربية الإسلامية تبني وتقوم على أساس تصفية العواطف الإنسانية، وتهذيب الميول الفطرية، كي لا تتمكّن الغرائز من سجن العقل، وفي الوقت نفسه يُبيح لكلّ طرف بحظ معقول من المتّع المادّية.

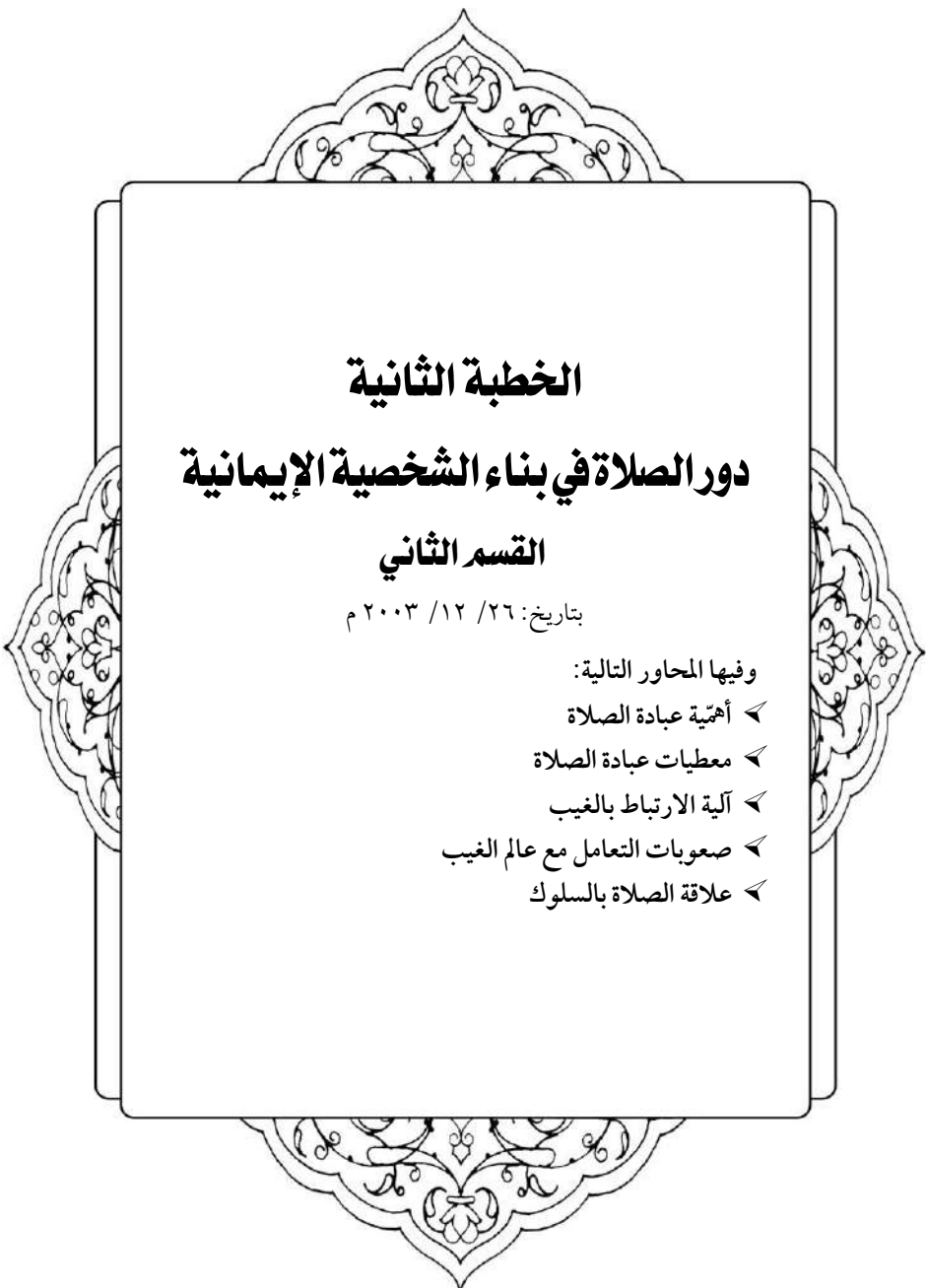
ويرى الإسلام أنّ أحكام هذه التربية لا بدّ أن تكون إلهيّة، فأزمت التشريع فيه منوطة بإرادة ربّ العالمين وبمقام الألوهية، وإصدار الأوامر من شؤونه وحده.

ولتقريب الفكرة نضرب المثال التالي: إنّ مستند القانون في النظام الديمقراطي - اليوم - هي إرادة الأكثرية المعبر عنها بالنصف زائد واحد، ولا تعترف الديمقراطية بأيّ مصدر آخر لتقرير مصير المجتمع سوى الإرادة العامة، وفي هكذا أنظمة لا يقيمون وزناً لإرادة الأقلية، بل يسلبون منهم حرّيتهم في أعمالهم؛ ولو كانت نظرية الأقلية صحيحة تتفق مع الواقع. وهذا يعني أنّ العالم المتحضّر - اليوم - يرى أنّ سيادة إرادة الإنسان من الأصول الاجتماعية، بل من أقدسها. بينما يرى الإسلام أنّ التشريع أمرٌ لا يمكن أن ينفك عن مقام الألوهية.

ومن جانب آخر نلاحظ أنّ كيفية وجود الإنسان كيفية معقدة مليئة بالأسرار، وكذلك القوانين التي ترتبط بحياة الإنسان، وليس لأحد - مهما كان - أن يدّعي أنّه مطلع على جميع أسرار وجود الإنسان وحالاته الاجتماعية الناتجة عن الأوضاع الروحية والجسمية الخاصّة، وعلاقات بني الإنسان ببعضهم البعض بصورة تامة وبشكل كامل ودقيق وتفصيلي، ومصون عن الزلل أو الخطأ والاشتباه، فالبشر بالنظر إلى محدودية علمه مع كل ما بذله العلماء منهم من جهود لاكتشاف أسرار وجود الإنسان، فقد بقي العلم بالإنسان كطلسم أو لغز أو سر.

إذا عرفت هذا نقول: إنّ تشريع الصلاة جاء في إطار تربية الإنسان، وجعله على الطريقة القويمة؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى هو أعرف به، وأعرف بما يُصلحه ويربّيه؛ فلو امتثل الإنسان هذا التشريع بالشروط التي يُريدها الله فإنّها سوف تساهم في بناء شخصيته الإيمانية.

وسياتي تفصيل الكلام في هذه النقطة في الخطبة اللاحقة إن شاء الله تعالى.



# الخطبة الثانية

## دور الصلاة في بناء الشخصية الإيمانية

### القسم الثاني

بتاريخ: ٢٦ / ١٢ / ٢٠٠٣ م

وفيها المحاور التالية:

- أهمية عبادة الصلاة
- معطيات عبادة الصلاة
- آلية الارتباط بالغيب
- صعوبات التعامل مع عالم الغيب
- علاقة الصلاة بالسلوك



## مقدمة الخطبة

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي لا من شيء كان، ولا من شيء كَوْن ما قد كان، المستشهد بحدوث الأشياء على أزليّته، وبما وسمها به من العجز على قدرته، وبما اضطرها إليه من الفناء على دوامه، لم يخل منه مكان فيدرك بأينية، ولا له شبه مثال فيوصف بكيفية، ولم يغب عن علمه شيء فيعلم بحيثية، مباين لجميع ما أحدث في الصفات، وممتنع عن الإدراك بما ابتدع من تصريف الذوات، وخارج بالكبرياء والعظمة من جميع تصرّف الحالات، محرّم على بوارع ثاقبات الفطن تحديده، وعلى عوامق ناقبات الفكر تكييفه، وعلى غوائل سابحات الفطر تصويره، لا تحويه الأماكن لعظمته، ولا تذرعه المقادير لجلاله، ولا تقطعه المقاييس لكبريائه، ممتنع عن الأوهام أن تكتننه، وعن الأفهام أن تستغرقه، وعن الأذهان أن تمثله، قد يئست من استنباط الإحاطة به طوامح العقول، ونضبت عن الإشارة إليه بالاكتناه بحار العلوم، ورجعت بالصغر عن السمو إلى وصف قدرته لطائف الخوصوم، واحد لا من عدد، ودائم لا بآمد، وقائم لا بعمد، ليس بجنس فتعادلّه الأجناس، ولا بشبح فتضارعه الأشباح، ولا كالأشياء فتقع عليه الصفات، قد ضلّت العقول في أمواج تيار إدراكه، وتحيرت الأوهام عن إحاطة ذكر أزليّته، وحصرت الأفهام عن استشعار وصف قدرته، وغرقت الأذهان في لجج أفلاك ملكوته، مقتدر بالآلاء، وممتنع بالكبرياء ومتملّك على الأشياء، فلا دهر يخلقه، ولا وصف يحيط به، قد خضعت له ثوابت الصعاب في محل تحوم قرارها، وأذعنت له رواصن الأسباب في متهى

شواهي أقطارها، مستشهد بكلية الأجناس على ربوبيته، وبعجزها على قدرته، وبفطورها على قدمته، وبزوالها على بقاءه، فلا لها محيص عن إدراكه إيّاها، ولا خروج من إحاطته بها، ولا احتجاب عن إحصائه لها، ولا امتناع من قدرته عليها<sup>(١)</sup>.

اللّهم صلّ على محمد وآل محمد، الذين أمرت بطاعتهم، وأذهب عنهم الرجس وطهرتهم تطهيراً.

أوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله تعالى، والامثال لتعاليمه، والابتعاد عن معاصيه، فإنّ التقوى هي الملاذ الآمن، والاستقرار الدائم للنفوس المضطربة، وبانتهاجها تُدرك السعادة الدائمة الأبدية، والراحة المتصلة السرمدية.

ها هو الإسلام اليوم يتصارع مع الفكر المادّي ومع السيطرة الكافرة على بلدان المسلمين؛ ومنها: بلادنا، والأمة الإسلامية اليوم - بما تحمل من هدي إلهي - تخوض صراعاً يُعتبر الأخطر من بين الصراعات التي خاضتها عبر العصور التاريخية مع الضلال البشري.

ولئن كانت التضحيات في معارك الصراع المبدئية تُعدُّ ضرورة مهمّة، فإنّ الكلمة المضيئة والقويّة - بما تحمل من ترجمة سلوكية - هي الأخرى ضرورة في نظر الإسلام، فالكلمة إلى جنب التضحية يمثلان ثنائية تشكّل سداً منيعاً، وحصناً حصيناً بوجه الطغيان البشري والاستكبار العالمي.

ومن هنا كان علينا أن نقدّم الإسلام إلى أمة الإسلام، وإلى العالم كافة، كجوهرة في جميع جوانبه لا سيّما الجانب العقدي والعبادي؛ باعتبارهما الأقوى في دفع الفرد نحو التضحية والفداء، ومقارعة الظالم والمستكبر.

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١، ص ١١٢، باب ما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار في التوحيد.

## أهمية عبادة الصلاة

بعد إيماننا بأن الإسلام يملك نظاماً تربوياً واجتماعياً متكاملًا، نؤمن - كذلك - بأن الصلاة جاءت جزءاً من نظام الإسلام التربوي الاجتماعي، وقد بيّنت الآيات والروايات أهمية الصلاة، ومعطياتها<sup>(١)</sup>، وموقعها في الدين؛ فهي عموده<sup>(٢)</sup>، وأهم أركان بنائه<sup>(٣)</sup>، ومن أهم صفات المؤمنين، الذين وعدهم المولى سبحانه تعالى بوراثته الفردوس، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥﴾﴾. فالصلاة يمكن أن تكون إنموذجاً يُحقّق فلاح الفرد وسعادة المجتمع معاً؛ بشرط أن يُقيمها الفرد المسلم بالكيفية المطلوبة والمذكورة في النصوص الشريفة.

وأسفًا أقول: إنّ الصلاة - التي جاءت في الدين الإسلامي كمفردة من نظامه الإلهي الذي جاء لينظّم الحياة الاجتماعية - تحوّلت إلى ممارسة لا حياة فيها ولا

(١) عن علي عليه السلام أنّه قال: «الصلاة عمود الدين، وهي أوّل ما ينظر الله فيه من عمل ابن آدم، فإن صحّت نظر في باقي عمله، وإن لم تصح لم ينظر له في عمل، ولاحظ في الإسلام لمن ترك الصلاة». دعائم الإسلام: ج ١، ص ١٣٣.

وعن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام أنّه قال: «أقرب ما يكون العبد من الله إذا كان في الصلاة». دعائم الإسلام: ج ١، ص ١٣٣.

(٢) عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام، قال: «الصلاة عمود الدين، مثلها كمثل عمود الفسطاط، إذا ثبت العمود ثبت الأوتاد والأطناب، وإذا مال العمود وانكسر لم يثبت وتد ولا طنب». المحاسن: ج ١، ص ٤٥.

(٣) عن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «... إن أوّل ما يحاسب به العبد الصلاة إن قبلت قبل ما سواها». الكافي: ج ٣، ص ٢٦٨، باب من حافظ على صلاته، ح ٤.

(٤) المؤمنون: آية ١-٢.

(٥) المؤمنون: آية ٩-١١.

عطاء، بل إلى طقوس فارغة، وفاقة للمحتوى والمضمون والأهداف، لا تختلف كثيراً عن الطقوس التي تُمارسها بعض شعوب العالم المتخلفة، وتتشبّث بها، وهي عاجزة عن بيان أهدافها، وتفسيرها للآخرين.

والقرآن الكريم إنّما اعتبر الخشوع في الصلاة صفة المؤمنين<sup>(١)</sup>، وليس إقامة الصلاة، إشارة منه إلى أنّ الصلاة ليست مجرد ألفاظ وحركات لا روح فيها ولا معنى، وإنّما تظهر في المؤمن حين إقامة الصلاة حالة توجّه إلى الله تفصله عن الغير وتلحقه بالخالق، ويغوص في ارتباط مع الله، ويدعوه بتضرّع في حالة تسود جسمه كَلَه، فيرى نفسه ذرّة إزاء الوجود المطلق لذات الله، وقطرة في محيط لا نهاية له. لحظات هذه الصلاة تشكّل درساً للمؤمن في بناء ذاته وتربيتها، ووسيلة لتهديب نفسه وسمو روحه.

وقد جاء في حديث عن الرسول الأكرم ﷺ - حين شاهد رجلاً يلهو بلحيته وهو يصلي - قوله: «أما لو خشع قلبه لخشعت جوارحه»<sup>(٢)</sup>.

### معطيات عبادة الصلاة

إنّ الموضوعية في البحث توجب علينا أن نعي الإسلام وتشريعاته وعياً كاملاً؛ كي نصوّره ديناً عالمياً اجتماعياً، قادراً على مواكبة العصر، إنّ الذين يخاصمون الدين بفرائض الإسلام، ويدّعون أنّها مفصولة عن الكلّ الإسلامي، ويعجزون عن وعي هذه التشريعات، فإنّهم بطريقتهم هذه يحرفون الأجزاء عن مواقعها في البناء الإسلامي.

وفي موضوع الصلاة ينبغي للمتصدّين للتبليغ والإرشاد الديني أن يُبرزوا

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢١﴾. المؤمنون: آية ٢١-٢٢.

(٢) دعائم الإسلام: ج ١، ص ١٧٤.

معطيات الصلاة، ودورها في تهذيب سلوك الإنسان؛ لذلك نرى أن هناك من يترك الصلاة بحجة أنها مجرد طقس ديني، ومحاولة لجمع الناس على ماضٍ موحد من الطقوس، وأن الطقوس والعادات لا تعني له شيئاً؛ لأنها ممارسات تُجهد الإنسان، وتستنزف وقته دونما عطاء أو أثرٍ مهم على مستوى بناء الذات أو تقدّم المجتمعات وتطورها!

إنّ هكذا شخص لا يعي أهمية الصلاة، وأبعادها، وأهدافها؛ لأنها لا تعني - في أفقه الديني - أكثر من أن يقف ويتمتم بتلاوة آيات وأذكار هي - بنظره - عديمة الأثر في حياته ويوميّاته!

لذا لا بدّ أن نقدّم له الصلاة باعتبارها ممارسة تُلبّي حاجة ضرورية في النفس البشرية، وعبادة لها انعكاساتها الإيجابية ومعطياتها على الفرد وعلى الواقع الاجتماعي؛ ومن معطياتها:

### العطاء الأول: بلورة الإنسان مع العالم الغيبي

تُقسّم الكائنات من وجهة النظر الإسلامية - باعتبار ما - إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول: كائنات طبيعية مشهودة تُدرّكها الحواس؛ وهي كائنات عالم الشهادة.

القسم الثاني: كائنات طبيعية غير مشهودة؛ وهي كائنات عالم الغيب. القسم الثالث: الكائن غير الطبيعي؛ وهو الكائن بذاته، الموجب للكائن الطبيعي المشهود وغير المشهود.

وعالم الغيب يمثل القسم الأكبر من الوجود؛ إذ من البديهي لدى كلّ إنسان أنّه إذا قاس ما يشهده من الوجود إلى ما يقدره من الغائب عنه يكون ما يشهده هو الأقل، وما هو غائب عنه هو الأكثر.

ويجب النظر إلى الطبيعة المشهوددة المحسوسة، والطبيعة الغائبة غير المحسوسة على أنّهما مركّب كليّ، ترابط كافة أجزائه بعضها ببعض، وتتفاعل في ظل قوانين موحّدة وشاملة، فمثل القسم المشهود والقسم الغائب من العالم الإمكانى، مثل الجسد المنظور<sup>(١)</sup> والنفس غير المنظورة، فكما أنّهما كيان واحد مترابط تتبادل أجزاؤه التفاعل في ظل قوانين موحّدة، كذلك ترابط المنظور وغير المنظور من العالم الإمكانى يمثلان كلاً موحّداً.

ولقد أوضح الإسلام جوانب كثيرة من علاقة عالم الشهادة بعالم الغيب؛ منها علاقة سلوك الفرد في نشأة الدنيا وأثره على فلاحه في نشأة الآخرة ودخوله الجنة، أو تعاسته فيها ودخوله النار. من هنا كان التعامل مع عالم الغيب وأخذه بنظر الاعتبار من الضرورات الحياتية التي لا يمكن للفرد أن يتجاوزها<sup>(٢)</sup>.

#### آلية الارتباط بالغيب

وقد يتساءل البعض حينما يسمع وصف المتقين وكيفية ارتباطهم بعالم الغيب، ويتساءل في أعماق نفسه - بعد أن يتمنى الوصول إلى مرتبتهم -: لماذا لا أتمكّن من الوصول إلى مرتبة هؤلاء الذين وصفهم أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا فَهُمْ فِيهَا مُنْعَمُونَ، وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ»<sup>(٣)</sup>؟

وجواباً على هذا التساؤل نقول: لا شك أنّ هناك صعوبات ومعوقات تمنع الإنسان من الوصول إلى ما وصل إليه المتقون من الارتباط بالغيب، ومشاهدته، وبنفس الوقت هناك مقتضيات ينبغي على الإنسان أن يحققها حتى يتسنى له

(١) المقصود بالمنظور هنا: ما يُنظر ويُشاهد بالعين.

(٢) المقصود من التعامل مع الغيب في حياتنا اليومية هو أن تكون سلوكياتنا وتصرفاتنا بما يتفق مع إيماننا بالغيب.

(٣) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام: ص ٣٠٣.

الارتباط بالغيب ومشاهدته، وسوف نبدأ بذكر الموانع والمصاعب والعوائق التي تقف دون انسجام البشر في علاقتهم مع الغيب، ثم نثني بذكر دور الصلاة في تذليل هذه المصاعب وتحقيق المقتضي للارتباط بالغيب؛ ومشاهدته.

### **صعوبات التعامل مع عالم الغيب**

هناك صعوبات كثيرة وكبيرة تقف مانعاً من تعامل الإنسان مع الغيب؛ منها:

#### **الأولى: صعوبة ناشئة من طبيعة النفس البشرية**

إنَّ من طبيعة أنفسنا أنَّ إحساسها بالأشياء يتفاوت شدةً وضعفاً تفاوتاً كبيراً، فمن كان من السهل عليه أن يحس بمن حوله من الناس والأشياء، وبما يخص ذاته من حاجاته اليومية، فإنَّ من الصعب عليه أن يرتقي بنفسه إلى مستوى أوسع، فيعيش في أيام حياته وهو يستشعر أنَّه جزء من هذا البلد الإسلامي الكبير، فالناس يتفاوتون في إحساسهم وتعاملهم مع المحيط والخارج، بين ما هو أقرب إليهم حساً وألصق بأمورهم الشخصية، وحاجاتهم الآنية، وبين ما هو أبعد من ذلك.

فإذا أُريد لهذا الشخص أن يتعامل ويتفاعل مع عالم هو غيبٌ بالنسبة له؛ لا يراه، ولا يشعر به، فإنَّ المسألة تكون أصعب، وأكثر تعقيداً؛ إذ كيف يمكن لمن يعيش في نشأة المادّة أن يستشعر - أثناء حركته الفردية والاجتماعية - أنَّه جزء من عالمين؛ عالم الغيب، وعالم الشهادة؟!

#### **الثانية: صعوبة ناشئة من عالم الشهادة**

إنَّ من طبع الحياة الدنيا إشغال الناس وصرفهم عن الإحساس بالغيب؛ لأنَّ الإنسان يشتغل في نشأة الدنيا في تأمين حاجاته المادّية، وهذا الاشتغال والانشغال بأمور الدنيا يُلْهيهِ ويصرفه عن بناء العلاقة المطلوبة مع عالم الغيب.

### الثالثة : صعوبة ناشئة من عالم الغيب نفسه

لا شك أنّ عالم الغيب هو عالم خفيّ في وضوحه، وتتضح لنا صحّة هذه الحقيقة حينما نتأمّل في أحوالنا وتعاملنا مع هذا العالم، ونتأمّل في الوصف المتقدّم الذي ذكره أمير المؤمنين عليه السلام للمتقين.

وفي القرآن الكريم نقراً طلب قوم موسى عليه السلام من رسولهم أن يروا الله جهرةً: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ۖ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ۖ﴾<sup>(١)</sup>؛ لأنّ التعامل مع الغيب ليس بالأمر السهل.

إنّ الله سبحانه غيب؛ لا يُرى بالعين، ولكنه سبحانه زوّد الإنسان بما يستطيع أن يُدركه به، أعني: العقل<sup>(٢)</sup>، فالعقل يدلّ الإنسان على أنّ وراء عالم المادّة ودنيا الطبيعة خالقاً، تأتيهم رسله وآياته مخبرة إيّاهم بوجود عالم الغيب، وأنّ حياتهم تمتد إلى أبعد من عالم المادّة؛ بل إنّ عالم الغيب هو العالم الحقيقي الذي خلق الإنسان لأجله، وعلى الإنسان أن يقدّم حاجات عالم الغيب على حاجات عالم الدنيا.

وعلى ضوء ما ذكرنا يكفي أن يكشف الله تعالى - ضمن الإطار الفكري فقط - للناس عن علاقتهم الباطنية مع عالم الغيب، ويضع تشريعاً لخدمة هذه العلاقة، فوضع تشريعاً تربوياً يومياً من شأنه أن يعمّق العلاقة بين عالم الشهادة وعالم الغيب، ألا وهو تشريع الصلاة.

وموضوعنا - إضافة إلى أهميّة الصلاة في إشعار الإنسان بمسؤوليته في الأرض ومسيرته - هو إشعار الإنسان بواسطة العملية التربوية (الصلاة) بعلاقته بعالم الغيب.

(١) البقرة: آية ٥٥.

(٢) إنّ العقول يمكنها أن تدرك وجود الخالق سبحانه وتعالى، ولكنها عاجزة عن الوصول إلى كنه ذاته.

## العطاء الثاني: توفير الدوافع النفسية الداعية للاستقامة

إنَّ الصلاة تساهم - وبشكل كبير - في توفير الدوافع النفسية للانتهاء عن الفحشاء والمنكر<sup>(١)</sup>، أو بتعبيرٍ آخر: تهذيب الجانب الغريزي عند الإنسان. وتوضيح ذلك يبتني على بيان أمرين:

الأمر الأوّل: من خلال ملاحظة الاستعمالات القرآنية لكلمة الفحشاء، نجد أنَّ لها معنًى واسعاً يشمل المحرّمات الجنسية الظاهرة والباطنة<sup>(٢)</sup>، وبذاءة اللسان، ونحو ذلك من أنواع المنكرات التي نهى عنها الله سبحانه تعالى<sup>(٣)</sup>.

الأمر الثاني: هناك فرق بين العلاقات السلوكية والعلاقات الفسيولوجية النفسية؛ فإنَّ العلاقات النفسية تقوم بتفاعلاتها، وتؤدي دورها، في حقل لا يقع تحت إرادة الإنسان، أمّا السلوكية - التي توفرها الصلاة - فإنَّ دورها يتمثل بتقديم دوافع معيّنة توفر للإنسان - وبارادته - لوناً من السلوك، وتجنّبه لوناً آخر. فإذا عرفت الأمرين؛ نقول: إنَّ الصلاة، وبسبب غناها بالمعاني التربوية

(١) قال الشيخ الطوسي: «الفحشاء: هو العظيم القبح في الفعل، وكذلك الفاحشة. وقيل المراد به: الزنا من الفجور، عن السدي. والفحشاء: مصدر فحش فحشا، كقولك: ضربه ضرا وصره سراء وصرأ. والفحشاء، والفاحشة، والقييحة، والسيئة نظائر، ونقيضها الحسنة.

تقول: فحش فحشا، وأفحش إفحاشاً، وتفاحش تفاحشاً، وفحش تفحيشاً، واستفحش استفحاشاً، وكل من تجاوز قدره فهو فاحش. وأفحش الرجل: إذا قال فحشاً، وكل شيء لم يكن موافقاً

للحق، فهو فاحشة». التبيان في تفسير القرآن: ج ٢، ص ٧٣.

(٢) قال تعالى: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِابْنِ الصَّلَاةِ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ العنكبوت: آية ٤٥.

(٣) قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ الأنعام: آية ١٥١. واعتبر القرآن (الزنا) من الفواحش، قال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ الإسراء: آية ٣٢. و(اللوواط)، قال تعالى: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ أَيْتَكُمْ لَأَتَاوُنَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ الْمَسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّجْهَلُونَ﴾ النحل: آية ٥٤ - ٥٥.

والمعنوية، تحقّق الدوافع النفسية الصالحة التي تعين الإنسان على فعل المعروف، وتُبَعِّده عن الفحشاء والمنكر.

هذا مضافاً إلى أنّ الصلاة توجّه مَن ليس له إلاّ الفقر والذلّة إلى ساحة العظمة والكبرياء ومنبع العزّة والبهاء، ولازمه أن يتأثّر الإنسان الشاعر بالمقام، فيستغرق في الذلّة والهوان، ويتنزّع قلبه عن كلّ ما يلهمه ويشغله عمّا يهّمّه ويواجهه، فلو كان إيمانه إيماناً صادقاً جعل همّه - حين التوجّه إلى ربّه - همّاً واحداً، وشغله الاشتغال به عن الالتفات إلى غيره، فماذا يفعل الفقير المحض إذا لقي غنى لا يقدر بقدر؟ والذليل إذا واجه عزّة مطلقة لا يشوبها ذلّة وهوان؟!

#### علاقة الصلاة بالسلوك

السلوك الإنساني هو ذلك النشاط البشري بألوانه الواسعة من الرضا والغضب، والإحسان والإجرام، والحرب والسلام، والإيمان والكفر. والصلاة - بما تشتمل على أقوال وأفعال - هي في حقيقتها تجسيد لأحاسيس نفسية، قادرة على أن تخلّق في النفس الإنسانية الحركة نحو الفضيلة وتبعده عن الرذيلة، فهذه الأحاسيس تدفع الأعصاب والعضلات نحو الحركة والسلوك. وإذا تفحصنا هذه الأحاسيس، لوجدناها أوضاعاً نفسية معيّنة نافذة إلى المفاهيم والغرائز.

وما دامت النفس الإنسانية تشتمل على الغرائز والميول؛ الخيرة والشريرة، وما دام دأبها وشأنها يؤدّي إلى غلبة الغرائز الجنسية والشهوية، فمعنى ذلك أنّ هذه الغرائز سوف تأخذ طريقها لتتجسّد إحساساً ثم سلوكاً؛ الأمر الذي يجعل من أبناء الإنسان ﴿كَأَنَّا نَعْمُ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾<sup>(١)</sup>.

من هنا برزت الحاجة الإنسانية إلى الدين السماوي، الذي يقدم للإنسان المفاهيم التي تُنمّي في نفسه الغرائز الخيرة، وتهدّي وتهذب الغرائز الشريرة، ولا يكتفي الإسلام بهذه المفاهيم لوحدها، بل يقدم له المنهج التربوي - بما يحمل من خطوات عملية - لتحويل كافّة الغرائز والمفاهيم الخيرة إلى أحاسيس، لتحوّل تلك الأحاسيس إلى سلوك، ومن تلك الخطوات العملية: الصلاة.

### خاتمة الخطبة

إنّ الصلاة أهمّ رابطة بين الخالق والمخلوق، وأغنى مدرسة للتربية الإنسانية؛ فهي وسيلة ليقظة الإنسان، وخير وقاية من الذنوب؛ إن أقيمت على وفق آدابها اللازمة، أصبحت أرضية آمنة لأعمال الخير جميعاً<sup>(١)</sup>.

---

(١) سيأتي مزيد بيان عن الصلاة ودورها في تهذيب سلوك الإنسان في الخطبة اللاحقة، إن شاء الله تعالى.



# الخطبة الثالثة

## دور الصلاة في بناء الشخصية الإيمانية

### القسم الثالث

بتاريخ: ٩ / ١ / ٢٠٠٤ م

وفيها المحاور التالية:

- ◀ الصلاة المعراجية مفتاح السعادة الأبدية
- ◀ دور الخشوع في تحصيل معيطات الصلاة
- ◀ الإقبال في الصلاة
- ◀ الأمور التي يتقوّم بها الإقبال في الصلاة
- رحم الله الأول: الإخلاص والقرية
- رحم الله الثاني: حضور القلب أثناء الصلاة
- رحم الله الثالث: التفكير في ألفاظ الصلاة
- رحم الله الرابع: استشعار تعظيم الله أثناء الصلاة
- رحم الله الخامس: استشعار الحياء من الله أثناء الصلاة



## مقدمة الخطبة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ لك الحمد حمداً خالداً مع خلودك، ولك الحمد حمداً لا ينتهي له دون علمك، ولك الحمد حمداً لا أمد له دون مشيئتك، ولك الحمد حمداً لا جزاء لقائله إلا رضاك.

اللَّهُمَّ لك الحمد كله، ولك المنّ كله، ولك الفخر كله، ولك البهاء كله، ولك النور كله، ولك العزة كلها، ولك الجبروت كلها، ولك العظمة كلها، ولك الدنيا كلها، ولك الآخرة كلها، ولك الليل والنهار كله، ولك الخلق كله، وبيدك الخير كله، وإليك يرجع الأمر كله، علانيته وسره.

اللَّهُمَّ لك الحمد حمداً أبداً، أنت حسنُ البلاء، جليلُ الشاء، سابغُ النعماء، عدلُ القضاء، جزيلُ العطاء، حسنُ الآلاء، إله [مَنْ] في الأرض، وإله [مَنْ] في السماء.

اللَّهُمَّ لك الحمد في السبع الشداد، ولك الحمد في الأرض المهاد، ولك الحمد طاقة العباد، ولك الحمد سعة البلاد، ولك الحمد في الجبال الأوتاد، ولك الحمد في الليل إذا يغشى، ولك الحمد في النهار إذا تجلّى، ولك الحمد في الآخرة والأولى، ولك الحمد في المثاني والقرآن العظيم، وسبحان الله وبحمده والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة، والسموات مطويات بيمينه، سبحانه وتعالى عما يشركون، سبحان الله وبحمده، كلّ شيء هالك إلا وجهه، سبحانه ربنا وتعاليت، وتباركت وتقدّست، خلقت كلّ شيء بقدرتك، وطهرت كلّ شيء بعزّتك، وعلوت فوق كلّ شيء بارتفاعك، وغلبت كلّ

شيء بقوتك، وابتدعت كل شيء بحكمتك وعلمك، وبعثت الرسل بكتبك، وهديت الصالحين بإذنك، وأيدت المؤمنين بنصرك، وقهرت الخلق بسلطانك، لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، لا نعبد غيرك ولا نسأل إلا إياك، ولا نرغب إلا إليك، أنت موضع شكوانا، ومنتهى رغبتنا، وإلهنا ومليكننا<sup>(١)</sup>.

أوصيكم إخواني وأخواتي، ونفسي بتقوى الله تعالى، والخوف منه، فإن: «رأس الحكمة مخافة الله تعالى»<sup>(٢)</sup>، وأوصيكم بالمسارعة إلى الخيرات والمكرمات، حتى نرث جنّة ما أعذب اسمها، وأطيب ريحها، وأطول مقامها.

### الصلاة المعراجية مفتاح السعادة الأبدية

قال الله تعالى في محكم بيانه وفصل خطابه: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ \* الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٣﴾، ثم في آخر هذه الآيات يقول عزّ شأنه وجلّ اسمه: ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

تقدّم في خطب صلاة الجمعة السابقة أنّ المفتاح الأساسي لهذه السعادة والجنّة الخالدة هي الصلاة المعراجية، حيث ذكرنا فيما تقدّم أنّ الصلاة عمل تربوي، يتنزّه به المصلّي عن الفحشاء والمنكر، وينمي بها غرائزه الخير، ويمنع غرائز الشر والشهوات من التأثير في سلوكه، وأنّها ذات مداليل ومعطيات نفسية وصحيّة وعقلية واجتماعية ذات أثر فعّال في رفد الفرد والمجتمع بنظام تربوي يساهم في تحقيق رصيد وافر من السعادة التي هي هدف للفرد والمجتمع البشري.

(١) الكافي: ج ٢، ص ٥٨١ - ٥٨٢، باب دعوات موجزة لجميع الحوائج للعالم والآخرة، ح ١٦.

(٢) مستدرك الوسائل: ج ١١، ص ٢٢٩، ح ١٢٨٢٣.

(٣) المؤمنون: آية ١-٢.

(٤) المؤمنون: آية ١١.

## دور الخشوع في تحصيل معطيات الصلاة

وقد يتساءل الفرد المسلم قائلاً: إذا كانت الصلاة بهذه المعطيات المهمة في تحقيق أهداف الفرد والمجتمع، فلماذا لم نستطع اكتساب تلك المعطيات واجتناء ثمرتها من شجرة الصلاة؟!

وجوابه: إنَّ مثل الصلاة - بهذه المداليل - مثل الشجرة التي لا تثمر إلاَّ بعد أن تُحرث أرضها وتُسقى ويُعتنى بها، وهكذا الصلاة، لا تعطي ثمارها، إلاَّ بعد أن يُوفَّر المصلِّي شرطها وشرطها، ومن شروطها خشوع القلب، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وفقدان هذا الشرط، وعدم سعي المصلِّي لتحصيله، هو السبب في حرمانه من معطيات الصلاة وآثارها التربوية والنفسية والسلوكية والعقلية، وحتى يُحصِّل المصلِّي خشوع القلب في الصلاة عليه أن يهيئ جملة من المقدمات؛ والتي منها الإقبال في الصلاة.

## الإقبال في الصلاة

يُعَدُّ الإقبال في الصلاة من مقدمات تحصيل خشوع القلب، وإلى أهميته أشار النبي الأعظم ﷺ، بقوله: «لا يقبل الله صلاة امرئ، لا يحضر فيها قلبه مع بدنه»<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام محمد الباقر عليه السلام: «إنَّ العبد ليُرفع له من صلاته نصفها وثلثها وربعها وخمسها، فما يرفع إلاَّ ما أقبل عليه منها بقلبه، وإنَّما أمروا بالنوافل ليتِمَّ لهم بها ما نقصوا من الفريضة»<sup>(٣)</sup>.

وحقيقه الإقبال المطلوب أن يؤدِّي المصلِّي صلاته بأفعالها وأقوالها وتلاوة آياتها

(١) المؤمنون: آية ٢.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ٤، ص ١٠٩، ح ٤٢٥٥.

(٣) تهذيب الأحكام: ج ٢، ص ٣٤١، ح ١٤١٣.

عن وعي ومعرفة بما يفعل ويقول، مع طمأنينة واستكانة وتوسل وتضرع، بحيث تكون له حالات شعورية نحو الصلاة ونحو الله سبحانه وتعالى، ويشعر أن صلاته تترك أثرها على قلبه، وتملي ثارها عقله وشعوره وعواطفه وأحاسيسه.

### الأمور التي يتقوّم بها الإقبال في الصلاة

ويتوقّف الإقبال المطلوب في الصلاة على أمرين مهمّين:

#### الأمر الأول: الجدّية في السلوك

ونقصد بها الانتباه والتركيز عند ممارسة الأفعال اليومية، فإنّ حالة الناس الفكرية والنفسيّة تختلف من شخص إلى آخر عند ممارستهم أعمالهم اليومية، فمنهم من يمارس أعماله بتركيز ضعيف؛ وذلك بسبب انشداد أفكاره ومشاعره إلى أمر آخر غير الأمر الذي يقوم به، أو بسبب تشتت أفكاره ومشاعره وتشوّشها، ومنهم من يركّز ذهنه ومشاعره على كلّ عمل يقوم به.

ولما كانت الصلاة من الأعمال التي يقوم بها الإنسان بشكل يومي، كان الإقبال عليها خاضعاً لمدى التركيز والانتباه القلبّي الذي يتمتّع به المصلّي في شخصيّته وسلوكه العام، فالأنبياء والأئمّة عليهم السلام لما كانوا على درجة عالية من التركيز في سلوكياتهم اليومية بشكل عام؛ انعكس ذلك على إقبالهم في الصلاة، فكانوا من أكثر الناس إقبالاً على الخالق في صلاتهم.

فقد ورد في الأثر أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان إذا أخذ في الوضوء والصلاة تغيّر وجهه، فقيل له: ما لك يا أمير المؤمنين؟ قال عليه السلام: «جاء وقت أمانة عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها، وأشفقن منها وحملها الإنسان»<sup>(١)</sup>.

(١) مناقب آل أبي طالب: ج ١، ص ٣٨٩.

وروي أنّ نصلاً وقع في رجل أمير المؤمنين عليه السلام، فلم يتمكّن أحدٌ من إخراجه، فقالت فاطمة عليها السلام: «أخرجوه في حال صلاته، فإنّه لا يحسّ حيثنّذ بها يجري عليه، فأخرج وهو في صلاته فلم يحسّ به أصلاً»<sup>(١)</sup>.

### الأمر الثاني: فهم الصلاة

ونقصد به فهم المحتوى الداخلي والحقائق المتعلقة بالصلاة، فبمقدار ما يملك الإنسان من وعي لذات الصلاة، ولأفعالها وأذكارها، ولموقع الصلاة في حياته، سوف يزداد إقباله عليها.

فإذا حصّل الإنسان الجديّة في سلوكه العام، ووعى الصلاة وما يقوله فيها من أذكار، ووعى موقعها في حياته، لم يبقَ عليه إلّا استحضار أنّه في الصلاة.

### الأمر التي تشكّل روح الصلاة

هناك أمور يمكن للمصلي تعزيز صلاته بها، وهي عبارة عن مجموعة من المعاني الباطنة التي تشكّل روح الصلاة وجوهرها ومعينها الدائم، والتي إذا انعدمت أزالَت معطياتها، وهذه المعاني ليست ظاهرة؛ بل تتفاعل داخل روح المصلي، ويستطيع أن يتحقّق منها المصلي بمراقبة نفسه، ثم ترويضها على تحقيق هذه المعاني يومياً وبصورة مستمرة؛ وهي أمورٌ سبعة:

### الأول: الإخلاص والقربة

الإخلاص هو سبيل الوصول وعلامات القبول؛ فإنّ أعمالك اليومية، سواء أكانت عادات أم حرّف أم أعمال ترتزق منها، إذا كانت في الأصل مشروعة وفق

---

(١) جامع السعادات: ج ٣، ص ٢٦٣.

منهج الله سبحانه، وسلكت بها الطرق المشروعة، وابتغيت منها كفاية نفسك وأهلك، وخدمة المسلمين وغير المسلمين، ولم تشغلك عن فريضة، ولا عن واجب، ولا عن طاعة، انقلبت إلى عبادة بالإخلاص؛ وأنت في محلك التجاري، وأنت في مكتبك الهندسي، وأنت في الحقل، وأنت في الصف، إذا ابتغيت بها كفاية نفسك، وأهلك، وخدمة الآخرين، وما شغلتك عن واجب، ولا عن فريضة، ونويت بها القربة، وكنت مخلصاً لله، انقلبت إلى عبادة؛ لذلك قالوا: عادات المؤمن عبادات.

وإذا أخذت أهلك إلى مكانٍ جميل بنيةٍ تتمين العلاقة بينك وبين أهلك وأولادك، وتفريج شدة الحياة عنهم، فأنت في عبادة. وإذا اشتريت ثياباً جديدة كي يكون مظهرك لائقاً بك كمؤمن فأنت في عبادة. وإذا زرت قريبك ووصلت رحمك، فأنت في عبادة.

ولا أبالغ إن قلت: إنك بالإخلاص لله تستطيع أن تجعل كل أعمالك عبادات؛ لأن العبادات على نوعين: عبادات تعاملية، وعبادات شعائرية، وبالإخلاص تغدو الأعمال والعادات عبادات تعاملية وحسنات، ومن دون الإخلاص تغدو العبادات كالصلاة والصوم والحج والزكاة، سيئات.

والإخلاص في الصلاة هو عبارة عن قصد المصلي التقرب إلى الله تعالى بصلاته؛ وهذا القصد يمكن للإنسان أن يتحقق من وجوده أو عدم وجوده - في قرارة نفسه - من خلال سؤال نفسه: هل أن خشوعه في صلاته إذا كان بين الناس هو نفس خشوعه إذا كان يصلي وحده؟

وهل أن قيامه لصلاة الصبح - في أول وقتها - برغبة أم بتكاسل وتثاقل؟

وهل يؤنب نفسه ويوبخها إذا نسي أو سها عند الصلوات؟

فإذا كان الجواب بالإيجاب؛ كان ذلك مؤشراً على أنه كان مخلصاً لله تعالى في

صلاته، لا يبتغي من ورائها إلاّ رضاه جلّ في علاه.  
أمّا إذا كان الجواب بالسلب؛ فذاك مؤثّر على دخول الرياء في قلبه، وحبّه  
للتعظيم في قلوب الناس من خلال أدائه لفريضة الصلاة.  
والحالة الثانية تعتبر أمراً خطيراً؛ لأنّه سينسحب إلى بقيّة أعماله، فلربّما يطلب ببقية  
أعمال الخير والعبادات التي يقوم بها وجاهةً أو تعظيماً أو رئاسةً؛ وهذا من أخطر  
الأمراض، التي تغدو معها العبادات والطاعات وأعمال الخيرات سيئات وموبقات.  
وأسفاً أقول: هناك الكثير من المصلّين لو دقّقنا في كثير من أعمالهم وعواطفهم  
ومشاعرهم وردود أفعالهم، لوجدناها تنطوي على هذا التوجّه النفساني الذي يؤدّي إلى  
بطلان أعمالهم وجهود الخير التي يقومون بها، إضافةً إلى عدم رضا الله تعالى عنهم.

#### الثاني: حضور القلب أثناء الصلاة

ورد عن رسول الله ﷺ في بيان كلام يحيى بن زكرياء عليه السلام لبني إسرائيل: «إن الله  
أمركم بالصلاة، فإذا صليتم، فلا تلتفتوا؛ فإنّ الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته  
ما لم يلتفت»<sup>(١)</sup>. والالتفات المنهي عنه في الصلاة قسمان:

الأوّل: التفات البصر.

والثاني: التفات القلب<sup>(٢)</sup>.

وكلاهما منهي عنه، ولا يزال الله مقبلاً على عبده ما دام العبد مقبلاً على  
صلاته، فإذا التفت بقلبه أو بصره، أعرض الله تعالى عنه. ومثل من يلتفت في  
صلاته ببصره أو بقلبه، مثل رجل قد استدعاه السلطان، فأوقفه بين يديه، وأقبل  
يناديه ويخاطبه، وهو خلال ذلك يلتفت عن السلطان يميناً وشمالاً، وقد انصرف

(١) سنن الترمذي: ج ٤، ص ٢٢٦. السنن الكبرى: ج ٢، ص ٢٨٢.

(٢) أي: التفات القلب عن الله إلى غيره.

قلبه عن السلطان، فلا يفهم ما يخاطبه به؛ لأنّ قلبه ليس حاضراً معه، فما ظن هذا الرجل أن يفعل به السلطان؟! أفليس أقلّ المراتب في حقّه أن ينصرف من بين يديه ممقوتاً مبعداً قد سقط من عينه؟ فلا يستوي هذا المصلي الحاضر القلب المقبل على وجه الله تعالى في صلاته والذي قد أشعر قلبه عظمة مَنْ هو واقف بين يديه، فامتلاً قلبه من هيئته، وذلت عنقه له، واستحيى من ربّه تعالى أن يقبل على غيره، أو يلتفت عنه، وبين صلاتيهما، وقد قيل: إنّ الرجلين ليكونا في الصلاة الواحدة، وإن ما بينهما في الفضل كما بين السماء والأرض؛ وذلك أنّ أحدهما مقبل بقلبه على الله ، والآخر ساهٍ غافل .

والعبد إذا قام في الصلاة غار الشيطان منه، فإنّه قد قام في أعظم مقام، وأقربه وأعظمه للشيطان، وأشدّه عليه، فهو يحرص ويجتهد كلّ الاجتهاد أن لا يقيمه فيه، بل لا يزال به يعده ويمنّيه ويُنسيه، ويجلب عليه بخيله ورجاله حتى يهوّن عليه شأن الصلاة، فيتهاون بها فيتركها. فإن عجز عن ذلك منه، وعصاه العبد، وقام في ذلك المقام، أقبل عدو الله تعالى حتى يخطر بينه وبين نفسه، ويحول بينه وبين قلبه، فيذكره في الصلاة ما لم يكن يذكر قبل دخوله فيها، حتى ربّما كان قد نسي الشيء والحاجة، وآيس منها، فيذكره إيّاها في الصلاة ليشغل قلبه بها، ويأخذه عن الله ، فيقوم فيها بلا قلب، فلا ينال من إقبال الله تعالى وكرامته وقربه ما يناله المقبل على ربّه الحاضر بقلبه في صلاته، فينصرف من صلاته مثل ما دخل فيها بخطايا وذنوبه وأثقاله، لم تخفف عنه بالصلاة، فإنّ الصلاة إنّما تكفّر سيئات مَنْ أدّى حقّها، وأكمل خشوعها، ووقف بين يدي الله تعالى بقلبه وقاله .

من هنا ينبغي على المصلي أن يعيش حضور القلب في الصلاة، فيقف بين يدي معبوده بقلبه وقلبه، ويستشعر أنّه بين يدي سيّده، وخالقه، ومالك أمره، وبمحضر ربّ الأرباب، ومالك الملوك تباركت أسماؤه .

على المصلي أن يستحضر ويستشعر معاني ومداليل أفعال الصلاة وتلاواتها وأذكارها؛ بل لا بد أن تبدأ مرحلة حضور القلب واستشعار المعاني من أول مقدمة من مقدمات الصلاة ألا وهي الطهور، وقد قرأنا في الرواية - التي تقدّم ذكرها - أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يتغيّر وجهه إذا شرع بالوضوء.

وقد أكد الرسول الأعظم عليه السلام والأئمة الأطهار تأكيداً شديداً على أهمية استحضار القلب من حين مباشرة المصلي بالوضوء<sup>(١)</sup>، وقد التزموا بذلك بشكل عملي؛ لتتطابق أفعالهم مع أعمالهم، ويكونوا أسوة وقدوة لأتباعهم ومحبيهم.

وإذا عُدّ الإنسان استحضار القلب في صلاته، تحوّلت صلاته إلى طقوس فارغة، وأفعال وممارسات خالية من المحتوى، فعن النبي الأعظم عليه السلام أنه قال: «كم من صائم ليس له من صيامه إلاّ الظمأ والجوع، وكم من قائم ليس له من قيامه إلاّ العناء»<sup>(٢)</sup>.

وعنه أيضاً: «إنّ من الصلاة لما يقبل نصفها وثلاثها وربعها وخمسها إلى العشر، وإنّ منها لما يلفّ كما يلفّ الثوب الخلق، يضرب بها وجه صاحبها، وإنّما لك من صلاتك ما أقبلت عليه بقلبك»<sup>(٣)</sup>.

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «والله، إنّه ليأتي على الرجل خمسون سنة

(١) عن جابر الجعفي، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «ما من عبد يقوم إلى الصلاة، فيقبل بوجهه إلى الله، إلّا أقبل الله عليه بوجهه، فإن التفت صرف الله وجهه عنه، ولا يحسب من صلاته إلّا ما أقبل بقلبه إلى الله، ولقد صلّى أبو جعفر عليه السلام ذات يوم فوق على رأسه شيء فلم ينزعه من رأسه حتى قام إليه جعفر فنزعه من رأسه تعظيماً لله وإقبالاً على صلاته، وهو قول الله: ﴿أَقْرَبَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ [يونس: ١٠٥]. بحار الأنوار: ج ٨١، ص ٢٥٢، ح ٤٨.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١، ص ٧٢، ح ١٦١.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ٣، ص ٥٩، ح ٣٠١٦.

وما قبل الله تعالى منه صلاةً واحدة»<sup>(١)</sup>، وهذه خسارة ما بعدها خسارة! ولكن الشيطان يخادع الإنسان، ونفسه تسوّل له، بأنّ صلاته كاملة وصحيحة، ولكن في الواقع ربّما تكون ناقصة وباطلة إن هي فقدت حضور القلب.

بعبارة أخرى: ذكر العلماء للصلاة نحوين من الشروط:

النحو الأول: الشروط التي تعتبر في صحّة الصلاة؛ كالطهارة والاستقبال، وأفعال الصلاة، وأذكارها، ونحو ذلك، فلو توفّرت هذه الشروط في الصلاة، فلا تجب إعادتها في الوقت أو قضاؤها خارجه، وتوجب سقوط الحساب والعقوبة، وهو المعبر عنه في لسان الفقهاء بالإجزاء، وبدون حصول هذه الشروط تبطل الصلاة.

النحو الثاني: الشروط التي لها دخالة في قبول الصلاة وكمالها، وتكون ذخيرة للآخرة، من قبيل حضور القلب الذي لا تكون الصلاة دونة نافعة؛ وإن كانت صحيحة، ولا يحصل المصلّي على الثواب العظيم وينال درجة القرب ومقام المقرّبين والمتقين بدونه.

فإن قلت: إذا كان لحضور القلب هذه الأهمية الكبيرة، فلماذا لم يُعتبر شرطاً في صحّة الصلاة؛ ليلزم المصلون بمراعاته؟

قلت: إنّ حضور القلب لو كان واجباً في جميع حالات الصلاة، وكان من شروط الصحّة، للزم العسر والخرج على أكثر الناس؛ لأنّه أمر شاقٌّ لا يتيسّر لكلّ أحد، فيكون تكليفاً بما لا يُطاق.

إنّ من كان طالباً للسعادة والكمال واقعاً، يوجب على نفسه أن يقوّي عزمته، ويسعى لتحصيل حضور القلب، لينال فوائده الكبيرة وآثاره الكثيرة، فكلّ إنسان

(١) الكافي: ج ٣، ص ٢٦٩، ح ٤٨٢٥.

استعداد وقابلية على تحصيل الكمال، وعليه الرغبة الجادة، والهمة العالية، والعزيمة؛ لإخراج هذا الاستعداد من القوة إلى الفعل.

### الطريق لتحصيل حضور القلب

يتوقف الطريق إلى تحصيل حضور القلب على تحصيل المقتضي ورفع المانع؛ بمعنى أنه ينبغي تهيئة الأمور الموجبة لحضور القلب، ورفع وإزالة الأمور والعقبات التي تؤدي إلى الغفلة.

أما بالنسبة إلى المقتضي، فيجب أن تكون الصلاة في نظر المصلي أهم من كل شيء، فإن النفس الإنسانية بطبعها تتوجه إلى ما هو أهم في نظرها، ولا يمكنه إدراك أهمية الصلاة إلا بعد إدراك كونها عملاً تربوياً تطهيرياً ذا مدلول اجتماعي وعقلي ونفسي ومعنوي، يساهم بنسبة كبيرة في تحقيق أهداف الإنسان المرتبطة بسعادته في الدارين، وأنها أفضل وسيلة للحصول على النعيم في الممر والمقر.

وأما رفع المانع، فيتحقق بتفريغ القلب من حب الدنيا، والانشغال بهومها ومشاغليها.

وطريق التخلص من حب الدنيا والغفلة عن ذكر الله تعالى يكون من خلال:

١ - ذكر الموت.

٢ - الانصراف عن الآثار الدنيوية المبعدة عن الحضور بين يدي الله تعالى.

٣ - استذكّار أنّ الدنيا دار ممر، متصرّمة، وزائلة.

بعبارة أخرى: على الإنسان أن يعتبر بحالات الماضين، وكيف أنّهم غفلوا عن الموت، وانغمسوا في الدنيا، ثم لم يستطيعوا أن يحققوا آمالهم وأمنيّتهم! وكيف أنّهم عملوا ليعيشوا في هذه الدنيا أياماً معدودات، وبنوا من القصور والرياض والبساتين، ثم خلّفوها لمن وراءهم يتنعمون بها، ويكون وزرها عليهم! ولو أنّ الإنسان التفت إلى آخرته، واهتمّ بها، ولو بأقل من اهتمامه في الحياة الدنيا، فعمل

لها، وهياً متاع السفر إليها، لوصل إلى مقامات شائخة ودرجات سامية.

### الثالث: التفكير في ألفاظ الصلاة

إنّ استحضار معاني ألفاظ الصلاة أثناء أدائها، يُساعد المصلّي كثيراً على إمساك طائر الخيال، ويُعينه على حضور القلب. والملاحظ أنّ الكثير من المصلّين إذا ما دخلوا في الصلاة، فإنّهم يبدؤون بالتفكير في مشكلاتهم الحياتية وهمومهم الدنيوية، بل إنّ البعض منهم ينصرف بقلبه كلياً عن الصلاة ويظلّ مشغولاً بسفاسف الدنيا إلى آخر صلاته؛ وهذه الحالة هي من وسوسة الشيطان الذي لا يريد للإنسان إلاّ الشر، وبالتالي يصرفه عن عبادة الله تعالى.

فمثلاً: التاجر والكاسب يشغل ذهنه في أثناء الصلاة بالتفكير بآلية وطريقة يحصل من خلالها على مزيد من الأرباح في تجارته - متناسياً أنّه سيترك عوائدها في النهاية إلى مَنْ يخلفه - ولكنه لا يشغل تفكيره بالتجارة الربحية التي لن تبور، ولا تهلك، وهي التقرب إلى الله تعالى بالصلاة الصادقة الصحيحة.

وهكذا الطالب فهو يفكر - في أثناء الصلاة - بالمادة الامتحانية، وبأسئلتها، ونتائجها، فيعيش الهموم، وسيطر عليه القلق النفسي، وقد يُصاب بالأرق، لمجرد أنّ موعد إعلان نتائج الامتحان قد اقترب، وهذه الحالة تسلب منه حضور القلب، والتفكير بمعاني ما يتلفّظ به أثناء الصلاة. وكان الأجدر به أن يفكر بحسابه، وكتابه، فهل سيُعطي كتابه بيمينه ليكون من المفلحين الناجحين، أم بشماله فيكون من التعساء الفاشلين؟

### الرابع: استشعار عظمة الله أثناء الصلاة

من الأمور التي ينبغي استحضارها في الصلاة المعراجية هو تعظيم النعم جلّ في علاه، ومن يقف الإنسان بين يديه أثناء الصلاة، وهذا يتحقّق بمعرفتين:

**الأولى:** معرفة الله تعالى وعظمته وكبريائه، ويمكن تعميق معرفة الخالق، من خلال معرفة إبداعاته سبحانه وتعالى في خلقه وعجيب صنعته ودقة خلقه.

**الثانية:** معرفة النفس الإنسانية وضعفها، وعجزها، وفقرها، وحاجتها إلى الغني المطلق سبحانه وتعالى.

إنَّ تحصيل المعرفتين يُكسبان المصلّي الخوف من المعبود، وهيبته، واستشعار عظمته وكبريائه، والخشية من عذابه وناره، وإذا اكتسب الإنسان هذه المعاني فسوف يستشعر أنّه في محضر المعبود العظيم، والمالك، والسلطان القوي المتين، وبالتالي سوف يعيش حضور القلب، ولا يسمح لقلبه أن يميل عنه؛ لأنّ الإنسان - عادة - يهاب الشخص الذي يملك السطوة والسلطة والقوّة، ويقبل عليه بكلّيته؛ بل لا يعصي له أمراً، ويطيعه في كلّ شيء.

فإذا وقف الإنسان بين يدي الحاكم الظالم أخذه الخوف والهلع، بحيث لا يستحضر أيّ شيء إلّا ما سيفعله هذا الحاكم الظالم به، وإذا وقف الموظف أمام مسؤوله فإنّه - عادةً ما - يهابه، ويحذر من الوقوع فيما يخالف أوامر هذا المسؤول حتى لا يعاقبه، والطالب يهاب معلمه ومديره فيحذره كلّ الحذر، ويؤدّي ما عليه من واجبات، ويلتزم بساعات الدوام.

ومع أنّ جميع المصايق والعناوين المذكورة هي دون قوّة وعظمة وسلطة وكبرياء الخالق جلّ وعلا، فإنّ الإنسان يخشاهم، ويحذر منهم، ويطيعهم، ويهابهم، ويقبل عليهم بكلّيته، ولكنّه لا يخشى ربّه العظيم، ومالكه ومالك أمره، ولا يهاب من سلطان السلاطين، فيقف بين يديه وهو معرض عنه بقلبه، منصرف إلى مخيلاته! بل يعصيه ولا يمثل أمره، ويرتكب الموبقات بمحضه!!

ثم إنّّه قد يكون في أوامر هؤلاء الأشخاص ما يضر الآخرين ولا ينفعهم، ولكن أوامر الله تعالى كلّها - بدون استثناء - منفعة للإنسان.

إذاً فالخوف من الله ومهابته تُعين الإنسان على استحضار القلب في صلاته، وهكذا كان حال الأنبياء والأوصياء والأولياء، حتى ورد في بعض الروايات أنّ الإمام عليه السلام كان يصفرّ لونه إذا أخذ في الصلاة.

#### الخامس: استشعار الحياء من الله أثناء الصلاة

الحياء هو استشعار المصليّ التقصير والذنب بحقّ الله تعالى، وكذلك معرفة الإنسان عيوب نفسه وخبث باطنه وسريره وميله إلى الدنيا الفانية وحظّها العاجل اليسير، والإيمان بأنّ الله سبحانه وتعالى مطلع على صلاته وطهارة قلبه وإنّ دقّت وخفيت.

ومن العجب أنّ الإنسان لا يرتكب الكثير من المعاصي أمام الغير، وأنّه يستشعر الخجل والحياء إذا ما كشف أحد الأشخاص عيباً من عيوبه التي يرتكبها في الخلوة، ولكنّه لا يستشعر ذلك الحياء فيما لو ارتكب معصية بمحضر الخالق وأمام المعبود سبحانه وتعالى الذي يعلم كلّ شيء، حتى دقائق تفكيرنا وبواطننا وأسرارنا وما نكتّم من الأقوال والأفعال!

إنّ استشعار الحياء من الله سبحانه وتعالى دائماً، وفي الصلاة، يُعين الإنسان على حضور القلب وخشوعه، وهو يؤدّي أهمّ عباده في محضر ربّ الأرباب ومالك الملوك.

# الخطبة الرابعة

## معنى الإعراض عن اللغو ومصاديقه

### القسم الأول

بتاريخ: ١٦ / ١ / ٢٠٠٤م

وفيها المحاور التالية:

- المدرسة الأخلاقية الإسلامية وفرقها عن المدارس الأخلاقية الأخرى
- العلاقة بين الأخلاق والتربية
- الإعراض عن اللغو
  - ❧ معنى اللغو
  - ❧ مصاديق اللغو
  - الكذب
    - ❧ معنى الكذب
    - ❧ ذم الكذب
    - ❧ أنواع الكذب
    - ❧ أضرار اليمين الكاذبة وشهادة الزور



## مقدمة الخطبة

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والحمد لله على حلمه وأناته، والحمد لله على علمي بأنّ ذنبي وإن كبر صغير في جنب عفوه، وجرمي وإن عظم حقير عند رحمته، وسبحان الله الذي رفع السماوات بغير عمد، وأنشأ جنّات المأوى بلا أمد، وخلق الخلائق بلا ظهر ولا سند، ولا إله إلاّ الله المنذر من عند طاعته وعنا عن أمره، والمحذّر من لجّ في معصيته واستكبر عن عبادته، والمعذر إلى من تمادى في غيّه وضلالته لتثبّت حجّته عليه وعلمه بسوء عاقبته، والله أكبر الجواد الكريم، الذي ليس لقديم إحسانه وعظيم امتنانه على جميع خلقه نهاية، ولا لقدرته وسلطانه على بريّته غاية... أنت مولاي الذي جدت بالنعيم قبل استحقاقها، وأهلّتها بتطوّلك غير مؤهّليها، ولم يعزك منع، ولا أكداك إعطاء<sup>(١)</sup>، ولا أنفذ سعتك سؤال ملحّ، بل أدّرت أرزاق عبادك تطوّلاً منك عليهم وتفضّلاً منك لديهم.

اللّهم كلّت العبارة عن بلوغ مدحتك، وهفا اللسان عن نشر محامدك وتفضّلك، وقد تعمّدتك بقصدي إليك، وإن أحاطت بي الذنوب، وأنت أرحم الراحمين، وأكرم الأكرمين، وأجود الأجودين، وأنعم الرازقين، وأحسن الخالقين<sup>(٢)</sup>.

---

(١) قوله: «ولا أكداك إعطاء» أي: منعك وردّك، وأكديت الرجل من كذا منعه ورددته، «وأكدى الرجل قلّ خير، وقوله تعالى: ﴿وَأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْثَى﴾ [النجم: ٣٤]؛ أي: قطع عطيته ويثس من خير، مأخوذة من كدية الركية، وهو أن يحفر الحافر فيبلغ إلى الكدية، وهي الصلابة من حجر أو غيره، فلا يعمل معوله فيه، فيأس فيقطع الحفر». بحار الأنوار: ج ٨٧، ص ٢٤٧.

(٢) البلد الأمين: ص ١٠٥ - ١٠٦، دعاء يوم الأحد لعلي عليه السلام.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ وَبَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مُجِيدٌ.

عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، واكتساب هديه، واتباع سنته، والاستقامة على جادته، والتزود ليوم الفاقة والحسرة والندامة، يوم ينادي المنادي: أَلَمْ تَأْتِكُمْ رِسَالُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالْحُجَجِ <sup>(١)</sup>. يوم يعصّ الظالم على يديه، يقول: يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ نَهْجَ الرَّسُولِ وَآلَهُ سَبِيلًا <sup>(٢)</sup>.

عباد الله، ها هي جنّة الفردوس قد فتّحت أبوابها، وأينعت ثمارها، وأزهرت أورادها، وهاج الحنين بحور عينها، واشتأقت إلى روادها، تقول: هَلُمُّوا هَلُمُّوا إِلَيَّ. قال تعالى في محكم كتابه وفصل خطابه وواضح بيانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾، ثم في آخر الآيات المبيّنة لتفاصيل الشخصية الإيمانية الفردوسية: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥﴾﴾.

سبق أن تحدّثنا في خطبٍ سابقة، وبينّا أنّ مفتاح الشخصية الإيمانية هو الصلاة المعراجية، وهذه الصلاة تضمن للمصلي التربية الإسلامية التي ترفعه من عالم الدنيا والشهوات والغرائز إلى عالم الملكوت والطهر الروحي والسمو النفسي، كما ورد في بعض الأحاديث: «الصلاة معراج المؤمن» <sup>(٥)</sup>، و «الصلاة قربان كلّ تقي» <sup>(٦)</sup>.

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمُ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ دُفَعُوا إِلَىٰ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾. غافر: آية ٥٠.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَصُ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾. الفرقان: آية ٢٧.

(٣) المؤمنون: آية ١-٣.

(٤) المؤمنون: آية ١٠-١١.

(٥) مستدرک سفينة البحار: ج ٦، ص ٣٤٣.

## المدرسة الأخلاقية الإسلامية وفرقها عن المدارس الأخلاقية الأخرى

في هذه الخطبة نتعرض إلى بيان مقوم مهم من مقومات الشخصية المؤمنة الفردوسية، ألا وهو العنصر الأخلاقي الذي تضمّنته الآية القرآنية: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾. ولا بدّ - هنا - من مقدّمة نتحدّث فيها عن التفسير الإسلامي لمفهوم الأخلاق.

فنبول: إنّ الأخلاق تشكّل ركناً أساسياً في نداء الدين الإسلامي، وتساهم مساهمة فعّالة في تكوين الشخصية الإسلامية؛ لذلك اعتنى الباحثون الإسلاميون عناية خاصّة بدراسة الأخلاق، وقد طُرحت - منذ نشأة المذاهب الأخلاقية وحتى الآن - دراسات أخلاقية متعدّدة، اتجه بعضها باتجاهات متطرّفة نحو المادّية المفرطة، فجردت الإنسان عن الأخلاق، ونادت بالسلوك الغريزي، واعتبرت الأخلاق قيوداً تكبت إرادة الإنسان، وتحول بينه وبين التعبير عن ذاته.

فهذه المدارس؛ كـ (الوجودية، والفرانكية، والماركسية، والماسونية)<sup>(١)</sup>

(١) الخصال: ج ٢، ص ١٠.

(٢) الوجودية: هو تيار فلسفي يميل إلى الحرّية التامّة في التفكير بدون قيود، ويؤكّد على تفرد الإنسان، وأنّه صاحب تفكير وحرية وإرادة واختيار ولا يحتاج إلى موجه. وهي جملة من الاتجاهات والأفكار المتباينة، وليست نظرية فلسفية واضحة المعالم، ونظراً لهذا الاضطراب والتذبذب لم تستطع إلى الآن أن تأخذ مكانها بين العقائد والأفكار. وتكرّس الوجودية في التركيز على مفهوم أنّ الإنسان كفرد يقوم بتكوين جوهر ومعنى لحياته. ولقد ظهرت كحركة أدبية وفلسفية في القرن العشرين، على الرغم من وجود من كتب عنها في حقبة سابقة. فالوجودية توضح أنّ غياب التأثير المباشر لقوّة خارجية (الإله) يعني بأنّ الفرد حرٌّ بالكامل؛ ولهذا السبب هو مسؤول عن أفعاله الحرّة. والإنسان هو من يختار ويقوم بتكوين معتقداته الفردية خارجاً عن أيّ نظام مسبق.

والفرانكية: هي حركة دينية يهودية ظهرت في الفترة ما بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وتمحورت حول قيادة جاكوب فرانك، الذي عاش في الفترة ما بين (١٧٢٦م) (١٧٩١م) ادعى فرانك أنّ (جميع القوانين والتعاليم سوف تسقط)، وأكّد على أنّ أهمّ التزام يجب على المرء

تؤكد على عدم وجود قيم إنسانية ثابتة وكلية تنطبق على جميع الأفراد وفي جميع الظروف والأحوال، بل ترى الأخلاق قضايا نسبية وجزئية أنتجتها تجربة إنسانية فردية أو ظروف اقتصادية واجتماعية معينة، وتنادي هذه المذاهب بالغائها والتحول نحو السلوك الغريزي الذي لا يعترف بقيم الأخلاق ولا يلتزم بقوانينها.

فالماركسية - مثلاً - ترى الأخلاق مجموعة من القيود التي تضعها الطبقات

التمسك به هو تجاوز كافة الحدود.

والماركسية: هي ممارسة سياسية ونظرية اجتماعية مبنية على أعمال كارل ماركس الفكرية؛ و كارل ماركس (١٨١٨ - ١٨٨٣) هو فيلسوف من أصول ألمانية يهودية وعالم اقتصاد، وفيلسوف وصحفي وثوري شاركه رفيقه فردريك إنجلز (١٨٢٠ - ١٨٩٥) في وضع الأسس واللبات الأولى للنظرية الشيوعية. ومن بعدهم بدأ المفكرون الماركسيون في الإضافة وتطوير النظرية بالاستناد إلى الأسس التي أرسى دعائمها ماركس. سُميت بالماركسية نسبة إلى مؤسسها الأول كارل ماركس، الذي أسس نظرية الشيوعية العلمية بالاشتراك مع فردريك إنجلز؛ فقد كان الاثنان اشتراكيين بالتفكير، لكن مع وجود الكثير من الأحزاب الاشتراكية، تفرد ماركس وإنجلز بالتوصل إلى فكرة الاشتراكية كتطور حتمي للبشرية وفق المنطق الجدلي وبأدوات ثورية، فكانت مجمل أعمالهما تحت اسم واحد وهو الماركسية أو الشيوعية العالمية، وكانت تهتم في المقام الأول في تحسين أوضاع العمال المهضومة حقوقهم من قبل رأس المال، والقضاء على استغلال رأس المال للإنسان العامل. أنظر: الموسوعة الحرة الإلكترونية.

والماسونية: هي جمعية سرّية سياسية تهدف إلى القضاء على الأديان والأخلاق الفاضلة وإحلال القوانين الوضعية والنظم غير الدينية محلّها، وتسعى جهدها في إحداث انقلابات مستمرة وإحلال سلطة مكان أخرى بدعوى حرية الفكر والرأي والعقيدة.

وعقيدتها: يجب أن يتغلب الإنسان على الإله، وأن يعلن الحرب عليه، وأن يخرق السجاوات ويمزّقها كالأوراق.

وأفكارها: تقوية حرية الضمير في الأفراد بكل ما أوتيت من طاقة، وتعلنها حرباً شعواء على العدو الحقيقي للبشرية الذي هو الدين.

ويؤيده أيضاً قول الماسونيين: إن الماسونية تتخذ من النفس الإنسانية معبوداً لها، وقولهم: إنّنا لا نكتفي بالانتصار على المتدينين ومعابدهم، إنّما غايتنا الأساسية إبادتهم من الوجود. (مضابط المؤتمر الماسوني العالمي سنة ١٩٠٣ م، ص ١٠٢).

المتحكمة لشلّ حركة الفنانين المتعاطفة ضد التسلط الطبقي، فهي ترى الأخلاق بدعةً برجوازية لتضليل الجماهير الغفيرة الكادحة، وصرف نظرها عن النضال ضد التسلط الطبقي بتخديرها بمفاهيم الحقّ والعدل والرحمة والواجب والصبر، إلى آخر ذلك من القيم الإنسانية.

وفي الجانب الآخر، تجد الاتجاه المادّي الغربي يتهاذى في الاستجابة إلى الدوافع المادّية والغرائزية الحيوانية المجردة عن أيّ التزام أخلاقي.

فكان نتاج هذه المذاهب هو (الحضارة) المادّية والرأسمالية<sup>(١)</sup> والماركسية والنازية<sup>(٢)</sup> والفاشية وغير ذلك، والتي عانى الإنسان من ويلاتها شتى صنوف الظلم والاضطهاد والعذاب، وقاسى ألوان القلق والخوف والجوع والإرهاب. وإلى جانب هذا الاتجاه المادّي، نجد اتجاهًا معاكسًا آخر يبالغ في التطرّف

---

(١) الرأسمالية: نظام اقتصادي ذو فلسفة اجتماعية وسياسية تقوم على أساس تنمية الملكية الفردية والمحافظة عليها، متوسّعاً في مفهوم الحرية. تزداد أهميّة مفهوم الملكية الفردية في الموارد النادرة حيث يفتح السوق المنافسة الصربية بين الأفراد لاستغلالها بكفاءة. بما أنّ الرأسمالية تعزز الملكية الفردية، فإنّها تقلّص الملكية العامة، ويوصف دور الحكومة فيه على أنّه دور رقابي فقط. بيد أنّ الاقتصادي البريطاني جون كينياس قد جاء بنظريته الاقتصادية المنسوبة إليه في منتصف الثلاثينات اقترح فيها أنّ الاقتصاد الرأسمالي غير قادر على حل مشاكله بنفسه كما في النظرية الكلاسيكية، بل إنّ هناك أوقات كساد اقتصادي تحتمّ على الحكومة بأن تحفز الاقتصاد. توصف نظريته - التي يتبعها كبار الرأسماليين كأمریکا - بأنّها جعلت الرأسمالية أقرب إلى الاشتراكية. أنظر: الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

(٢) النازية: هي حركة سياسيّة تأسست فيألمانيا بعدالحرب العالمية الأولى، حيث تمكن المتممون للحزب القومي الاشتراكي العرّالي الألماني تحت زعامة (أدولف هتلر) عام (١٩٣٣م) من الهيمنة على السلطة في ألمانيا وإنشاء ما سمي بدولة الزعيم والمملكة الثالثة. أصبح مصطلح النازية وصفاً للأيديولوجية التي اتخذها ذلك الحزب في سنوات الـ (٢٠) والـ (٣٠) من القرن العشرين. والمبنية على العنصرية والتشدد ضد الأعراق الأخرى، وكذلك على علو أجناس بشرية معيّنة على أجناس أخرى. وآمنت بقمع وإبادة الأعراق الدنيا، وبالمقابل الحفاظ على (طهر) الأعراق العُليا. أنظر: الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

الأخلاقي إلى درجة يدعو معها إلى الاستهانة بالجانب المادي من الإنسان، وإسقاط حقّه في الحياة، كما هو الحال في الرهينة المسيحية<sup>(١)</sup> التي اتبعها القساوسة والرهبان، أو كما في الدعوة الصوفية التي ظهرت في المجتمع الإسلامي بشكل اتجاه أخلاقي متطرّف لا يتطابق ومفهوم الإسلام ومنهجه الأخلاقي والتنظيمي الذي يستوعب الجانب الأخلاقي المعنوي والجانب الغريزي المادي.

فالمفهوم الأخلاقي في الإسلام قائم على أساس أنّ الحسّ الأخلاقي حسّ فطري في الإنسان، فالضمير الأخلاقي والإحساس بالذنب، والرغبة في الكمال، والسعي للتخلّص من مظاهر النقص والردائل النفسية حقائق فطرية يشترك فيها جميع أفراد الجنس البشري، والإسلام يستهدف بالتربية الأخلاقية بناء قوّة ذاتية للإنسان تعينه على البناء والعطاء الإيجابي المثمر بشكل يجعل في نفسه قوّة خير إيجابية، وفي نفس الوقت يحاول هذا المنهج إبعاد النفس الإنسانية عن كلّ ما يحطم كيانها الأخلاقي، ويساهم في تحطيم الشخصية الاجتماعية لباقي أفراد المجتمع.

## العلاقة بين الأخلاق والتربية

يشكّل البعد الأخلاقي ركناً أساسياً من أركان العملية التربوية، ونسقاً حيوياً في نسيج وجودها، وإنّه لمن الصعوبة بمكان الفصل ما بين الأخلاق والتربية حيث لا يكون أحدهما من غير الآخر أبداً، فالتربية فعل أخلاقي في جوهرها كما أنّ الأخلاق فعّالية تربوية بطبيعتها.

---

(١) الرهينة هي: نظام ديني، المقصود منه الابتعاد عن ملذات الحياة الدنيوية واعتزال الناس والتقيد بنذور معينة، والتفرد في الأديرة طلباً للعبادة والتقرب من الله. وقد تعني الرهينة أيضاً رتبة دينية. ولها أسس عدة أهمها التبتل (عدم الزواج) والتقشف والفقر الحرمان وترويض الأبدان بالجوع والعطش وخشن اللباس، والزهد والطاعة واحتمال الآلام. أنظر: الموسوعة العربية على الإنترنت: <http://www.arab-ency.com/detail/٥٥٠٠>

ونستطيع القول: إنّ الغرض الجزئي والكلي من التربية يتمثل في فكرة واحدة هي (الفضيلة).

وتأسيساً على هذه الرؤية، لا يمكن للأخلاق أن تنفصل عن جوهرها التربوي في الوقت الذي لا يمكن فيه للتربية أن تنقطع عن كونها رسالة أخلاقية في أشمل تجلياتها الإنسانية وأعمقها على الإطلاق. وعلى هذا النحو يصعب تماماً إيجاد الحدود الفاصلة بين التربية والأخلاق، أو بين الأخلاق والتربية؛ لأنّ كلاّ منهما مرتين بالآخر ويتكامل معه في عملية بناء الفرد والتأثير في سلوكه والنهوض به إلى مستوى السمو الإنساني والأخلاقي.

فالأخلاق نظام من القيم يوجّه حياة الفرد ويرتقي بها إلى مستوياتها الإنسانية؛ حيث لا يمكن للإنسان أن يكون إنساناً إلاّ في صورته الأخلاقية. والإنسان هو الكائن الوحيد في مملكة الكائنات الذي يرتقي إلى مستوى الفضيلة مضحياً برغباته وميوله على مذبح السمو الأخلاقي؛ سعياً إلى تجسيد قيم الحقّ والخير والجمال والفضيلة والشرف والكرامة والتضحية والإيثار والتسامح والشجاعة والنبل الإنساني، وتلك هي القيم والفضائل التي تشكّل جوهر الحياة الأخلاقية والتربوية في آنٍ واحد.

الأخلاق منظومة من القيم والمعايير السلوكية التي يرتضيها المجتمع لنفسه وأفراده نشداناً لفضائل الحقّ والخير والجمال، وهي من حيث وظيفتها توجّه الأفراد إلى ما يجب عليهم القيام به، وتنهى عمّا يجب تجنبه في مختلف المواقف الحياتية والإنسانية، وهي تركز في وظيفتها تلك إلى مجموعة من القيم الأخلاقية التي توجّه السلوك الإنساني توجيهاً غائياً يتسم بالحكمة ويتشع بالفضيلة.

## الإعراض عن اللغو

نشير إلى بعض تلك القيم التي ذكرتها الآيات أعلاه التي تحدثت عن مقومات الشخصية الإيمانية التي تراث جنة الفردوس؛ ونبدأ بالإعراض عن اللغو<sup>(١)</sup>.  
لقد جاءت الآية الثالثة من المقطع القرآني الذي أشار إلى وراثه الشخصية الإيمانية لجنة الفردوس ناهية الإنسان عن الخوض في اللغو، جاعلة من الإعراض عنه من مقومات الشخصية الإيمانية الفردوسية، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾.

### معنى اللغو

اللغو في اللغة وعند علماء الأخلاق بمعنى: «السقط، وما لا يُعتدّ به من كلام وغيره، ولا يحصل منه فائدة ولا نفع»<sup>(٢)</sup>.

وقد ورد ذكر اللغو في القرآن الكريم في عدة آيات؛ منها هذه الآية من سورة المؤمنون: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾، وقد فُسر اللغو في الآية: بالباطل<sup>(٣)</sup>،

(١) إن ساحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي (دامت بركاته) كان بصدد الحديث عن مقومات الشخصية الإيمانية، انطلاقاً من آيات سورة المؤمنون، وحيث إن تلك الآيات تحدثت عن مقومات عديدة؛ لذا وزّع الحديث عن تلك المقومات على عدة خطب، ففي الخطب السابقة تعرّض إلى المقوم العبادي، وبدأ - من هذه الخطبة - بالحديث عن المقوم الأخلاقي. ولما كان هذا المقوم فيه بحث طويل جعل الحديث فيه موزعاً على خطب عدة، في هذه الخطبة سوف يتناول الإعراض عن اللهو ويقف عند بعض مصاديقه، وسوف يكمل الحديث عن المصاديق الأخرى للغو، وعن المقوم الأخلاقي بشكل عام في الخطب اللاحقة إن شاء الله تعالى.

(٢) أنظر: القاموس الفقهي: ص ٣٣٠. تاج العروس: ج ٢٠، ص ١٥٤.

(٣) اللغو في الحقيقة هو: كل قول أو فعل لا فائدة فيه يعتد بها، فذلك قبيح محظور، يجب الإعراض عنه. وقال ابن عباس: اللغو الباطل. وقال الحسن: هو جميع المعاصي. وقال السدي: هو الكذب. وقال مقاتل: هو الشتم، فإن كفار مكة كانوا يشتمون النبي ﷺ وأصحابه، فنهوا عن إجابتهم. وروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: هو أن يقول الرجل عليك بالباطل، أو يأتيك بما ليس فيك، فتعرض عنه الله. وفي رواية أخرى أنه الغناء والملاهي. مجمع البيان: ج ٧، ص ١٧٦-١٧٧.

وهو يشمل الشرك، والمعاصي، وما لا فائدة فيه من الأقوال والأفعال.  
ومّا تقدّم يتبيّن معنا أنّ لِلْغَو ثلاثة معانٍ؛ وهي على النحو التالي: الباطل،  
والمعاصي والآثام، وما لا فائدة فيه من الأقوال والأفعال. وكلّ هذه المعاني  
صحيحة، فالواجب على كلّ مسلم الحذر من اللغو والإعراض عنه، حتى يكون  
مؤمناً بحق، ويفوز برضوان الله تعالى وجنانه. فينبغي له أن يتعد عن الباطل، وعن  
المعاصي والآثام، وأن يُعْرِض عن كلّ ما لا فائدة فيه من الأقوال والأفعال؛ لأنّ  
المسلم إذا انشغل بالأمور التي لا فائدة منها، سيضيع على نفسه الأمور التي فيها  
فائدة ومصلحة له.

والآية - محل البحث - تدعو المؤمن أن يعرض عن اللغو، فيترفع بنفسه عنه،  
ويترفع بنفسه عن الإتيان بكلّ ما يتنافى وشرافة الغاية وكرامتها التي خلق الإنسان  
من أجلها؛ لأنّ حقّ هذه الغاية أن يصرف الإنسان نفسه إلى عظام الأمور وجلائل  
المقاصد.

### مصاديق اللغو

من خلال ما ذكرنا من معنى اللغو اتضح أنّ دائرته واسعة، تشمل جملة من  
الردائل الأخلاقية؛ منها:

الكذب، الغيبة، النميمة، الغناء، كثرة الكلام بلا فائدة، الاستهزاء والسخرية  
بالآخرين، المراء والجدال والخصومة، سبّ المؤمن، الفحش وبذاءة اللسان، تعيير  
المؤمن، اللعب بالقمار، شرب الخمر، فعل الملاهي، الخوض في الباطل.  
ويدخل في معنى اللغو بهذه الدائرة الوسيعة ما استحدثه الناس من صنوف  
اللهو واللعب التي تساهم في إفساد الخلق الإنساني وإثارة الشهوات، وتصرف  
الإنسان عن الاشتغال بما يرفع من إنسانيته وكرامته.

ولا يسع الوقت للتعرّض إلى جميع هذه المفردات، ولكن سنحاول - بتوفيق من الله تعالى - في هذه الخطبة وبعض الخطب القادمة التعرّض بشكل تفصيلي إلى بعض تلك الرذائل التي كثر الابتلاء بها، وتشكّل خطراً على بناء المجتمع الإسلامي.

## الكذب

من جملة الرذائل التي تدخل في دائرة اللغو - كما بيّنا - والتي شاعت وانتشرت بين أفراد مجتمعاتنا هي: رذيلة الكذب والافتراء والبهتان، وعدم الثبّت بما ينسب إلى الآخرين من أفعال وأقوال وتصرفات، ولا بدّ - هنا - أولاً من بيان معنى الكذب وتحديد مفهومه، لكي يكون ميزاناً ومعيّاراً نعرض عليه الأقوال التي تصدر منّا، حتى نستبين أنّها داخلّة في هذه الرذيلة فنجنّبها، أو غير داخلّة حتى نأمن الحساب والعقاب.

## معنى الكذب

الكذب هو الإخبار على خلاف الواقع، فالمؤمن حينما يتحدّث إلى الآخرين، سواء أكان بلسانه أم بقلمه، ويخبره أنّ فلاناً قال كذا، أو فعل كذا، وهو في الواقع لم يأت بشيء من تلك الأقوال أو الأفعال، يكون قد كذب عليه. والبائع والتاجر المؤمن، حينما يُخبر المشتري أنّ بضاعته قد اشتراها بألف دينار، وهو في الواقع قد اشتراها بأقل من ذلك أو أكثر فقد كذب.

وأنت - أيضاً - حينما تكتب وصلاً بثمان بضاعة اشتراها أحد الموظفين منك بسعر أعلى من السعر الذي اشتراه بها تكون قد كذبت. وأنت أيّها الطالب، وأيّها الموظف المؤمن، وأيّها الطالبة المؤمنة، وأيّها الموظفة المؤمنة، حينما تسجّلون في دفتر الحضور اليومي للدوام الوظيفي أنّك حاضر وأنك حاضرة، ولم تكن حاضراً، بل كنت غائباً وكنت غائبةً ذلك اليوم، تكون قد كذبت.

وللكذب ضابط عامّ يمكن من خلاله معرفة ما صدر من الإنسان أنّه كذب أو لا؛ حاصله: ما ذكرناه من كونه إخباراً على خلاف الواقع، سواء أكان هذا الإخبار باللسان أم بالكتابة.

### ذم الكذب

بعد تعريف الكذب وبيان معناه، وضابطه، نبين رأي الشريعة الإسلامية في ذمّه، والتحذير منه، ونذكر لذلك بعض النصوص الشريفة، عسى أن تكون رادعاً وزاجراً عن هذه الرذيلة الأخلاقية:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾<sup>(١)</sup>، فالكاذب مسلوب الإيمان، ولا يحقّ له أن يدّعي أنّه مؤمن بالله وبرسوله.

وفي نصوص أخرى أنّ الكاذب ملعون، ويكون مورداً لغضب الله تعالى، والبعد عن رحمته ولطفه، قال تعالى في سورة النور: ﴿أَنْ لَعَنَتَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، ولا تصوّر أنّ هذه الآية مقصورة على المورد الذي تتحدث عنه؛ وهو اللعان بين الزوجين، فيما لو رمى الزوج زوجته بإتيان الفاحشة، بل موردها عامّ شاملٌ لكلّ كاذب، لا سيما من يفترى على الناس ويمسّ أعراضهم وعفتهم وشرفهم.

وعن رسول الله ﷺ: «إِيَّاكَ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَسْوَدُّ الْوَجْهَ»<sup>(٣)</sup>.

(١) النحل: آية ١٠٥.

(٢) النور: آية ٧.

(٣) تحف العقول: ص ١٤.

وعن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام، أنه قال: «إن الله جعل للشّر أقفالاً وجعل مفاتيح تلك الأقفال الشراب، والكذب شر من الشراب»<sup>(١)</sup>، والوجه في ذلك هو أنّ المفاصد المترتبة على الكذب أكثر من المفاصد المترتبة على الشراب؛ إذ قد تتسبب الكذبة الواحدة بإهراق الدماء بغير حقّ، ونهب الأموال، ولأنّ الغالب في الكذب وروده في حقّ الناس، والشراب حقّ الله سبحانه وتعالى، وهو بالعفو أولى وأحرى. وفي بعض النصوص: يسلب الإيمان<sup>(٢)</sup>، ويمنعه من الاستقرار في القلب<sup>(٣)</sup>، والكاذب مورد لعنة الملائكة له، وفرار الملائكة منه، ففي الحديث النبوي: «إنّ العبد إذا كذب تباعد عنه الملك من نتن ما جاء منه»<sup>(٤)</sup>، ولا عجب من ذلك، إذ إنّ هناك الكثير من الأشياء لا نحسّها بحواسنا الظاهرة، وهي موجودة واقعاً.

وفي نصوصٍ أخرى أنّ الكذب مفتاحٌ بيتٍ تجتمع فيه كلّ الخبائث، فعن الإمام العسكري عليه السلام، أنه قال: «جُعِلَت الخبائث كلّها في بيت، وجُعِلَ مفتاحها الكذب»<sup>(٥)</sup>، والكاذب فيه خصلة من خصال المنافقين، فعن رسول الله ﷺ أنه قال: «ثلاث خصال من علامات المنافق: إذا حدّث كذب، وإذا أؤتمن خان، وإذا وعد أخلف»<sup>(٦)</sup>.

(١) الكافي: ج ٢، ص ٣٣٩، ح ٣، باب الكذب، ح ٣.

(٢) في رواية الأصمعي بن نباتة قال: قال علي عليه السلام: «لا يجد عبد حقيقة الإيمان حتى يدع الكذب جدّه وهزله». المحاسن: ج ١، ص ١١٨، ح ١٢٦.

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنّ الكذب هو خراب الإيمان». الكافي: ج ٢، ص ٣٣٩، باب الكذب، ح ٤.

(٣) عن أبي إسحاق الخراساني قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «يُتَاكَم والكذب؛ فإنّ كلّ راجٍ طالب، وكلّ خائف هارب». الكافي: ج ٢، ص ٣٤٣، باب الكذب، ح ٢١.

(٤) جامع أحاديث الشيعة: ج ١٣، ص ٥٦٨، ح ١٢٧٩.

(٥) موسوعة الإمام العسكري: ج ٣، ص ٢٧٧، ح ٦٤٨.

(٦) مستدرک الوسائل: ج ٩، ص ٨٥، ح ١٠٢٨٥.

## أنواع الكذب

للكذب أنواع وصور تتفاوت بشاعتها باختلاف أضرارها وآثارها السيئة؛ وهي أربع:

### النوع الأول: الكذب على الله ورسوله والإمام

ومعناه نسبة أمر كذبٍ لهم؛ سواء أكان في أمور الدين أم في أمور الدنيا، كما لو قال: إن الله تعالى أوحى إلى النبي كذا، أو ينسب جملةً إلى القرآن وهي ليست منه، أو يترجم آيةً على خلافها. أو ينسب إليهم فعلاً أو قولاً، ثم ينكشف أن ذلك القول أو الفعل ليس لهم، وإنّما هو لغيرهم. وحينها - بسبب ما يشعر به من إحراج - يحاول نفيه عن طريقة إحالة علم عدم فعله إلى الله تعالى، ويُشهد الله تعالى على ذلك فيقول: الله تعالى يعلم ورسوله أنّي ما فعلت ذلك الأمر، أو ما قلت ذلك الشيء. وهو كذب يحيله إلى علم الله تعالى، أو يقول: الله أعلم بما يقول. فيكذب، ثم يُشهد الله تعالى على ما يقول من الكذب.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إذا قال العبد: علم الله. وكان كاذباً قال الله: أما وجدت أحداً تكذب عليه غيري؟!»،<sup>(١)</sup> ولا فرق هنا في حرمة الكذب بين أن يكذب الإنسان بلسانه، أو بقلمه عن طريق الكتابة.

أمّا الكذب على الرسول ﷺ أو الإمام عليه السلام، فهو أن يخترع حديثاً من عنده ثم ينسبه إليهم، أو يسمع حديثاً من شخص أو يراه في كتاب، وهو يعلم بأنّه كذب، ومع ذلك ينسبه إلى الرسول ﷺ أو الإمام عليه السلام، وأنّ الأحاديث الموجودة في الكتب التي لا يُعلم أنّها صادقة أم كاذبة، أي لا يعلم أنّها من قول الإمام عليه السلام أم لا، ففي صورة ما إذا لم تكن مخالفة لضرورة من ضرورات الدين والمذهب، وغير موجبة

(١) وسائل الشيعة: ج ٨، ص ٢٨٣، ح ١٠٣٩ / ٣١.

لهتك مقام الإمام عليه السلام، وليست مريبة بحيث توجب هتك الأخبار، وذلك بأن تكون في صياغتها بنحو لا يأبأها العقل السليم، ففي مثل هذه الصورة يجوز نقل تلك الأخبار مع إسنادها إلى الكتاب الذي وجدها فيه؛ بمعنى أن يقول: روي في الكتاب الفلاني كذا خبر عن الإمام عليه السلام، ومع ذلك لقد ذكر بعض العلماء أنَّ الأحوط أن لا ينقل من كل كتاب، بل ينقل من الكتب التي يعتد بمؤلفها، ويكون معروفاً بالتقوى والورع والوثاقة، فقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «لا تحدث إلا عن ثقة، فتكون كذاباً، والكذب ذل»<sup>(١)</sup>.

مضافاً إلى ما ذكر، فإنه يجب أن ينقل ما ورد من الحديث بشكل دقيق ومطابق من دون أن يضيف عليه كلمة أو يحذف منه كلمة، توجب نقص المعنى أو تغييره.

#### النوع الثاني: اليمين الكاذبة

ومعناها أن يحلف الإنسان بالله تعالى كذباً وزوراً؛ وهي من أبشع صور الكذب وأشدّها خطراً وإثمًا، فإنّها جنائية مزدوجة؛ لأنّها جرأة صارخة على المولى بالحلف به كذباً وبهتاناً، وجريمة نكراء تمحق الحقوق وتهدر الكرامات، فمن أجل ذلك جاءت النصوص تحذّر منها.

فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: «إنّ التجار هم الفجار»<sup>(٢)</sup>، وهنا يتعجب أصحاب النبي صلى الله عليه وآله أنّه عدّ التجار من الفجار، فإنّ التجارة والكسب من أجل توفير متطلبات الحياة للنفس والعائلة قد يكون واجباً، وهو جهادٌ، فلماذا هؤلاء التجار من الفجار؟ فقليل: يا رسول الله، أليس الله قد أحلّ البيع؟ فقال: «بلى، ولكنهم يحدّثون فيكذبون، ويحلفون فيأثمون»<sup>(٣)</sup>.

(١) جامع أحاديث الشيعة: ج ١٣، ص ٥٧٦.

(٢) ميزان الحكمة: ج ١، ص ٣٣٨، باب ٤٤٠، فجور التجار.

(٣) ميزان الحكمة: ج ١، ص ٣٣٨، باب ٤٤٠، فجور التجار.

كم من البائعين يحلفون بالله تعالى كذباً وزوراً وبهتاناً في كل يوم؟ ومع ذلك هم يحضرون صلاة الجماعة، وربّما يؤدّون صلاة الليل!!  
وهنا قد يسأل كل كاسبٍ وبائعٍ وتاجر نفسه: كم مرة يكذب في تعامله مع الناس ويحلف لهم كذباً أنّه اشترى السلعة الفلانية بكذا وهو كاذب؟ وكم من المصلّين الذين يحضرون الجماعة وربّما يؤدّون صلاة الليل، وهم ينفقون سلعتهم، ويربحون الربح اليسير بالحلف كذباً، وبذلك يشملهم قول النبي ﷺ: «ثلاث نفر لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكّيهم: المنان بعطيته، والمنفق سلعته بالأيمان الفاجرة، والمسبل إزاره»<sup>(١)</sup>.

#### النوع الثالث: شهادة الزور

وهو من أنواع الكذب الذي شاع وانتشر في الآونة الأخيرة، وهي جريمة خطيرة، وظلم سافر، هدام، تبعث على ضياع الحقوق واستلاب الأموال، وإشاعة الفوضى في المجتمع لمساعدة المجرمين على جرائم التدليس والابتزاز، وقد حدّرت النصوص شاهد الزور، وأنذرته بالعقاب الأليم.  
فعن رسول الله ﷺ أنّه قال: «لا ينقض كلام شاهد الزور من بين يدي الحاكم حتى يتبوأ مقعده من النار، وكذلك من كتم الشهادة»<sup>(٢)</sup>.

#### أضرار اليمين الكاذبة وشهادة الزور

من أضرار اليمين الكاذبة وشهادة الزور:  
أولاً: إنّ مقترف اليمين الكاذبة وشهادة الزور يسيء إلى نفسه إساءة كبرى بتعريضها إلى سخط الله تعالى وعقوباته.

(١) تنبيه الخواطر: ج ١، ص ١٢٢، باب الكذب.

(٢) الكافي: ج ٧، ص ٣٧٣، باب من شهد بالزور، ح ٣.

ثانياً: إنّ شاهد الزور والكذب يسيءُ كذلك إلى مَنْ ساندَه وباعه بالحلف له كذباً والشهادة له زوراً، حيث يشجّعه على بخس حقوق الناس وابتزاز أموالهم وهتك حرّمتهم.

ثالثاً: يسيءُ إلى مَنْ اختلق عليه اليمين والشهادة المزوّرتين بخذلانه وإضاعة حقوقه وإسقاط معنوياته.

رابعاً: يسيءُ إلى المجتمع عامّة بإشاعة الفوضى والفساد فيه، وتخطيم قيمه الدينية والأخلاقية.

خامساً: يسيءُ إلى الشريعة الإسلامية بتحدّيها ومخالفة دستورها المقدّس الذي يجب اتباعه وتطبيقه على كل مسلم.

## الخطبة الخامسة

### أخلاقيات النقد والتعبير عن الرأي

بتاريخ: ٢٣ / ١ / ٢٠٠٤م

وفيها المحاور التالية:

- حرية التعبير عن الرأي
- ضوابط التعبير عن الرأي
- ضوابط حسن الاستعمال لحق النقد
- عودة إلى أنواع الكذب
- ❦ النوع الرابع: خلف الوعد
- ❦ النوع الخامس: ما كان بدافع المزاح والهزل
- مساوئ الكذب



## مقدمة الخطبة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ لك الحمد حمداً كما أنت أهله، حمداً تضع له السماء كنفها، وتسبح لك الأرض ومن عليها، اللَّهُمَّ لك الحمد حمداً يزيد ولا يبيد، اللَّهُمَّ لك الحمد حمداً سرمداً دائماً أبداً، لا انقطاع له ولا نفاد، ولك ينبغي وإليك ينتهي، حمداً يصعد أوله ولا ينفد آخره...

ولك الحمد صادق الوعد، وفي العهد عزيز الجند قائم المجد، ولك الحمد رفيع الدرجات، مجيب الدعوات، منزل الآيات، من فوق سبع سماوات، عظيم البركات، مخرج النور من الظلمات، ومخرج من في الظلمات إلى النور، مبدل السيئات حسنات، وجاعل الحسنات درجات.

اللَّهُمَّ لك الحمد غافر الذنب، وقابل التوب، شديد العقاب، ذا الطول، لا إله إلا أنت إليك المصير.

اللَّهُمَّ لك الحمد في الليل إذا يغشى، ولك الحمد في النهار إذا تجلّى، ولك الحمد في الآخرة والأولى.

اللَّهُمَّ لك الحمد عدد كل نجم في السماء، ولك الحمد عدد كل ملك في السماء، ولك الحمد عدد كل قطرة نزلت من السماء، ولك الحمد عدد كل قطرة في البحار، ولك الحمد عدد ما في جوف الأرضين، وأوزان مياه البحار، ولك الحمد على عدد ما على وجه الأرض، ولك الحمد عدد ما أحصى كتابك، ولك الحمد عدد ما أحاط

به علمك<sup>(١)</sup>.

عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى ومخافته، فإنّ الدنيا وحطامها قد أدبرا، والآخرة وبقائها ونعيمها قد أقبلا، وها هي الجنان قد فتحت أبوابها، تنتظر وراثتها.

قال تعالى في محكم كتابه الكريم وفصل خطابه وواضح بيانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، إلى آخر الآيات التي تقول: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ<sup>(٣)</sup>.

بيناً في خطبة الجمعة السابقة أنّ من مقومات الشخصية الإيمانية المتكاملة الوارثة للجنان هو الترفع والتنزه عن اللغو الذي هو دائرة واسعة من الرذائل ومذامم الصفات، ومنها الكذب. وذكرنا أنّ له أنواعاً؛ منها: البهتان، والافتراء على الآخرين، بأن يُنسب لهم قولٌ أو فعلٌ أو سلوكٌ لم يصدر من الشخص. وذكرنا - أيضاً - خطورة هذه الرذيلة على مستوى الفرد والمجتمع؛ حيث اعتبرت بعض الأحاديث الكذب مفتاحاً للشر، وهو أشّر من الشراب<sup>(٤)</sup>.

وحيث إنّ البلد يعيش الآن أجواء الحرية في التعبير وإبداء الرأي، مع تعدّد الوسائل المتيسّرة بهذه القضية؛ ومنها استعمال المطبوعات والمنشورات التي تصل إلى يد الجميع من أفراد المجتمع، وحيث إنّنا نجد أنّ ممّا يُكتب وينشر فيها بعيداً عن

(١) جمال الأسبوع: ص ٢٨٢-٢٨٤.

(٢) المؤمنون: آية ١-٣.

(٣) المؤمنون: آية ١٠-١١.

(٤) «إنّ الله جعل للشر أقفالاً، وجعل مفاتيح تلك الأقفال الشراب، والكذب شر من الشراب». الكافي: ج ٢، ص ٣٣٩، باب الكذب، ح ٣.

الحقيقة والصواب، ولم يُعتمد فيه على التثبّت والتروّي والتدقيق فيما يكتب فيه، إضافة إلى أنّ نشره من خلال المطبوع يصل إلى أعداد كبيرة؛ الأمر الذي يشكّل خطورة على الواقع الاجتماعي، خاصّة إذا كانت الجهة التي يُنسب لها القول أو الفعل جهةً دينية؛ لذا فقد اقتضى ذلك البحث في هذا الأمر.

### حرية التعبير عن الرأي

بعد سقوط النظام البائد، عاش أبناء هذا الشعب أجواء الحرية في التعبير عن آرائهم ومعتقداتهم، ونجد كثرة المطبوعات والمنشورات التي تحمل إمّا رأياً أو انتقاداً وتقييماً لفعل أو قول، ونرى في بعض منها عدم التثبّت من الأفعال أو الأقوال المنسوبة إلى الآخرين، بحيث نجد فيها الكذب والافتراء والبهتان على نطاق واسع وبصورة ظاهرة.

وقد تكون نسبة القول أو الفعل المفترى إلى جهة دينية، ممّا يشكّل خطورةً اجتماعية وفكرية كبيرة؛ وذلك لأنّ هذه النسبة الكاذبة لا تمسّ الشخص المفترى عليه فقط، بل تمسّ الدين والمذهب. ومثل هذا النوع من الإعلام والنشر يحمل في طيّاته المخاطر الكثيرة على المجتمع؛ لأنّه - غالباً - لا يكون مبنياً على الحقيقة، بل على البهتان والافتراء، وعدم التثبّت من الحدث أو القول المنسوب إلى شخصٍ معيّن أو جهةٍ معيّنة.

إنّ البعض يستغل حالة الأجواء التي يمر بها البلد، فيمرّر أفكاره ومتبنّياته، ومقاصده وأهدافه؛ بحجّة التعبير عن الرأي، فيقول وينشر كلّ ما يُريد، ويتهجم ويطعن بالآخرين من دون رويّة وثبّت؛ الأمر الذي يفرز إشكالات سلبية على الواقع الاجتماعي بشكل عام، وعلى الواقع الديني بشكل خاص.

## ضوابط النقد والتعبير عن الرأي

حتى نتمكن من تقنين الضوابط الشرعية لحق التعبير عن الرأي ونقد الآخرين بما يحقق المصلحة التي من أجلها شرع هذا الحق، وحتى لا يُساء استخدامه، لا بدّ من الرجوع إلى نصوص القرآن الكريم والسنة الشريفة؛ فمن خلالها نعرف الخطوط الحمراء التي لا يجوز لأحد أن يتجاوزها، فلا يحصل انتهاك لحرمان الآخرين. وقد ذكرت النصوص الشريفة جملة من تلك الضوابط:

الضابط الأول: الثبّت من صحّة القول أو الفعل أو التصرف المنسوب إلى شخص معيّن أو جهة معيّنة، وقد وضعت الآية القرآنية التالية مبدأ اجتماعياً، وضابطاً مهماً في حياتنا الاجتماعية، لا بدّ من التقيّد به في كلّ لحظة من وجودنا الدنيوي، لكي يكون الصدق والحقيقة هما الرائدان في هذه الحياة، قال تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾<sup>(١)</sup>، فهذه الآية تبيّن أنه ينبغي على المؤمن أن يلتزم الدقة في كلّ الأمور، ويجعل العلم أو ما هو بمنزلة العلم رائده في الشؤون الشخصية وفي القضاة بين الناس، وفي إعطاء الشهادة وحتى في الأعمال الشخصية، وأن لا يعتمد على الظنّ والتخمين والشك والإشاعات.

فأنت - أيها المؤمن - حينما يأتيك شخص وينقل لك عن شخص آخر أنّه قال كذا أو فعل كذا من أمورٍ شائنة غير مقبولة، عليك بالثبّت والتحري عن الحقيقة، لكي لا تشترك مع هذا الشخص - فيما لو كان كاذباً - بجريمة الافتراء على الآخرين، والذي قد يؤدي أحياناً إلى القتل أو تحطيم الشخصية الاجتماعية للآخرين على الأقل.

(١) الإسراء: آية ٣٦.

إنّ الآية القرآنية - أعلاه - تبيّن أنّ سمعك مسؤول عمّا يصل إليه من الكلام، فتحترّ الدقّة وأمعن النظر فيه؛ لكي لا تكون ضحية الوهم والشك والظنون الباطلة.

وهذه الآية تشير إلى أحد المبادئ والأصول المهمّة في الحياة الاجتماعية الذي لو طبّق في المجتمع البشري بشكل دقيق، لأمكن اجتثاث جذور الفساد من الشائعات والأحكام القضائية المتسرّعة والظنون والأكاذيب وأمثال ذلك.

وفي غير هذه الصورة، فإنّ حالة من الفوضى ستطمس العلاقات الاجتماعية، بل سوف لا يبقى أيّ شخص بمنأى عن الشك والريبة وبمأمن عن سوء الظن، وستنعدم الثقة بين الأفراد، وتكون مكانة الفرد في المجتمع في خطر دائم. ويمكن أن نلاحظ لهذه الآية القرآنية جملة من الآثار الخطيرة لاعتماد ما هو دون العلم من الظن، والشك والوهم في الحكم على الآخرين، يمكن أن نلخصها بما يلي:

أولاً: إنّ الاعتماد على الظن أو الوهم أو الشك، يؤدّي إلى تعريض كرامة الإنسان المؤمن للخطر، وهتك شخصيته الاجتماعية، ممّا يقلّل من مكانته في المجتمع، ويعطل مسيرته فيه، بل يُميت كل طاقة وإبداع يحاول أن يفجّره داخل المجتمع؛ لأنّه يشعر أنّ شخصيته الاجتماعية قد حُطّمت، وبالتالي يحرم المجتمع من عطائه.

ثانياً: إنّ عدم الثبّت بنسبة الأقوال والأفعال إلى الآخرين يجعل الإنسان ساذجاً سريع التصديق بكلّ شيء، ويقضي على ملاك الدقّة والتحقيق الذي أكّدت عليه الشريعة الإسلامية.

ثالثاً: إنّ اعتماد ما هو دون العلم من الشك والوهم والظن - والذي يوقع كثيراً في نسبة أشياء غير صحيحة وكاذبة - يؤدّي إلى نقض العلاقة الوديّة الحميمة والقائمة بين المؤمنين، ويجعل بعضهم يسيء الظن بالآخر.

رابعاً: إنَّ عدم التثبت قد يوقع الإنسان في نسبة فعل شنيع ومرفوض اجتماعياً ودينياً كالزنا ونحوه، وقد يؤدي إلى قتل إنسان بريء، ويتحمل تبعه هذه الجناية أولئك الأشخاص الذين لم يتحققوا ويتثبتوا من تلك النسبة.

خامساً: إنَّ الكذب والافتراء قد يكون موجهاً أحياناً إلى جهة دينية، وهذا في الواقع سيؤدي إلى تشويه سمعة تلك الجهة، ونفور الناس عنها، وبالتالي حرمان الناس من العطاء الفكري والعقائدي والاجتماعي والروحي لتلك الجهة.

ومن هنا فقد شدد القرآن الكريم على الكفار الذين كانوا يفترون على النبي ﷺ أموراً ليست صحيحة وبعيدة عن الواقع، مما أدى إلى حرمان جملة من شرائع المجتمع من هدي النبوة وعطائها<sup>(١)</sup>.

ومن الأمور المهمة في هذا المجال هو أنَّ على المؤمن - حينما يصل إلى سمعه أو نظره نسبة فعل أو قول إلى شخص أو جهة معينة - التروي والتثبت من صحة ذلك، ولا يُعذر يوم القيامة إذا علل تصديقه بتلك النسبة أنَّ فلاناً من المصلين قد ذكر ذلك له.

قال تعالى في سورة النور، وهو يحكي قصة الإفك: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّنِّكِمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>، وهذه الآية القرآنية تبين أحد نقاط الخلل الخطيرة في حياة الإنسان المسلم، وهو تلقيه للخبر الكاذب من دون السؤال عن مدى صحته وحقيقته، ثم نشره بين الناس مما يساعد على تفشي الإشاعات والأكاذيب، والخطورة تكمن فيما لو كان الكذب يمس شخصية مهمة كالشخصيات الدينية، أو يكون مورد الكذب مما يشكل خطراً على حياة

(١) قال تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَرَّهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون ﴿المائدة: ١٠٣ - ١٠٤.

(٢) النور: آية ١٥.

الشخص المكذوب عليه، هذا هو الضابط الأول.

ومن ضوابط حسن الاستعمال لحق النقد للآخرين وتقييم أعمالهم وتصرفاتهم هو (حسن النية)، وسلامة القصد الباعث على النقد والتقييم أو الطعن، بحيث يكون الدافع على النقد هو: بيان الحق، أو عدم صحة تصرف ما، أو بطلان معتقد ما وتنبية الناس على أوجه بطلان هذا الرأي، وعدم السماح لأهل الباطل بنشر وترويج أكاذيبهم وأباطيلهم بين الناس، وأن لا يكون الدافع هو الحقد أو الانتقام أو التنكيل والتعبير بالمؤمن والانتقاص منه، أو حب التشهير والحسد والعداوة.

الضابط الثاني: الخلو من العبارات المشتملة على السب والشتم والإهانة والكلام البذيء الذي يطال الشخصية الاجتماعية، وهذا مما قد يؤدي إلى محق الشخصية الاجتماعية للمؤمن وتوهينها أمام الناس، وقد حرص المشرع الإسلامي على حفظ كرامة الإنسان المؤمن وصيانة شخصيته وعدم التعدي عليه بالافتراء والكذب والبهتان.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «مَنْ رَوَى عَلَى مُؤْمِنٍ رَايَةً يُرِيدُ بِهَا شَيْنَهُ وَهَدَمَ مَرُوتَهُ لِيَسْقُطَ مِنْ أَعْيُنِ النَّاسِ، أَخْرَجَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ وِلَايَتِهِ إِلَى وِلَايَةِ الشَّيْطَانِ»<sup>(١)</sup>.

وعلى ضوء هذين الضابطين، فعلى الإنسان المؤمن حينما يسمع كلاماً يتعلّق بأحد إخوانه بأن يُنسب له قول أو فعل - خاصّة إذا كان هذا الفعل المنسوب أو التصرف أو السلوك من الأمور الشائنة اجتماعياً - أن يتحقّق ويتثبت من ذلك، ولا يتسرّع في الحكم، خاصّة إذا كان الشخص يمثل جهةً دينيةً أو اجتماعية مهمة في حياة الناس؛ لأنّ ذلك لا يمثل فقط تحطيماً للشخصية الاجتماعية لذلك المؤمن، بل هتكاً وانتقاصاً وتحطيماً للكيان الاجتماعي لتلك الجهة الدينية أو الاجتماعية، ممّا

(١) المحاسن: ج ١، ص ١٠٣، باب ٣٩، ح ٧٩.

يعني إيجاد هوة عميقة بينها وبين الناس، وبالتالي حرمان المجتمع من عطاءات تلك الجهة.

### عودة إلى أنواع الكذب<sup>(١)</sup>

بقي قسمان للكذب لم نتعرض لهما في الخطبة السابقة، ونشير إليهما - هنا - تمييزاً للبحث:

#### النوع الرابع: خلف الوعد

و ضد خلف الوعد الوفاء به، الذي يُعدّ من الصفات الكريمة التي يزدان بها العقلاء، ويتحلّى بها النبلاء، وقد نوّه القرآن الكريم على أهميّة هذه الصفة وبيان فضلها، قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾<sup>(٢)</sup>، وقد روي أنّ إسماعيل عليه السلام وعد رجلاً بأن يبقى في مكان معين حتى يرجع إليه، فبقي في ذلك المكان ثلاثة أيام بلياليها، حتى رجع إليه ذلك الرجل، فاستحق النبي إسماعيل من أجل ذلك أن يُذكر في كتابه تعالى بالذكر الجميل والكريم، فوصفه بصدق الوعد<sup>(٣)</sup>.

وإنّه لمن المؤسف أن يشيع خلف الوعد بين المسلمين اليوم، متجاهلين نتائجه السيئة في إضعاف الثقة المتبادلة بينهم، وإفساد العلاقات الاجتماعية والإضرار بالمصالح العامة، قال الإمام الصادق عليه السلام فيما روي عنه: «عدة المؤمن أخاه نذر لا كفارة له، فمن أخلف فبخلف الله بدأ، ولمقته تعرّض، وذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

---

(١) كان سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي قد تطرّق إلى أنواع الكذب في الخطبة السابقة، وأشار إلى ثلاثة من أقسامه وأنواعه، وهنا يُشير إلى الأقسام الأخرى لهذه الرذيلة الأخلاقية.

(٢) مريم: آية ٥٤.

(٣) أنظر: الكافي: ج ٢، ص ١٠٥، باب الصدق وأداء الأمانة، ح ٧.

ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿١١﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ .

وقال رسول الله ﷺ: «أربع من كنّ فيه فهو منافق، وإن كانت فيه واحدة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: من إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»<sup>(٣)</sup>، فمن وعد وكان عند الوعد عازماً على عدم الوفاء، أو كان عازماً على الوفاء وتركه من دون عذر فهو منافق.

وأما إن عمل له عذراً عن عدم الوفاء لم يكن منافقاً وآثماً وإن جرت عليه صورة النفاق، فالأولى أن يحترز عن صورة النفاق أيضاً كما يحترز عن حقيقته وذلك بأن لا يجزم في الوعد، بل يعلّقه على المشيئة الإلهية.

#### النوع الخامس: ما كان بدافع المزاح والهزل

وذلك بغرض الترفيه عن النفس والضحك والمفاكهة مع الآخرين ونحو ذلك، وقد يحلو للبعض تلفيق الأكاذيب الساخرة للتهجّم على الناس والسخرية منهم، قال الإمام السجاد عليه السلام: «اتقوا الكذب، الصغير منه والكبير في كل جدّ وهزل، فإنّ الرجل إذا كذب في الصغير اجترأ على الكبير»<sup>(٤)</sup>.

وعن أبي ذرّ في وصيّة النبي ﷺ له: «يا أبا ذر، من ملك ما بين فخذه (أي فرجه) وما بين لحيه (أي لسانه)، دخل الجنة... إنّ الرجل ليتكلّم بالكلمة في المجلس ليضحكهم بها، فيهوي في جهنّم ما بين السماء والأرض... يا أبا ذر، ويلّ للذي يحدث ويكذب ليضحك به القوم، ويلّ له! ويلّ له!»<sup>(٥)</sup>.

(١) الصف: آية ٢-٣.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٣٦٤، باب خلف الوعد، ح ١.

(٣) الخصال: ص ٢٥٤، ح ١٢٩.

(٤) الكافي: ج ٢، ص ٣٣٨، باب الكذب، ح ٢.

(٥) وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ٢٥١، باب تحريم الكذب بالصغير والكبير، ح ١٦٢٢٨ / ٤.

## مساوئ الكذب

ونحن نذكر مساوئ الكذب وآثاره السلبية - في ختام هذا البحث - عسى أن يكون ذلك رادعاً عن هذه الرذيلة:

الأول: أنه باعث على سوء السمعة وسقوط الكرامة وانعدام الوثاقة، فلا يُصدّق الكذاب وإن نطق بالصدق، ولا تقبل شهادته، ولا يؤخذ بمواعيده وعهوده، ومن خصائص الكذاب أنه ينسى أكاذيبه، ويخترع ما يخالفها، وربما لفق الأكاذيب العديدة المتناقضة دعماً لكذبه افترأها، فتغدو أحاديثه هذراً مقيئاً ولغوفاً فاضحاً، وبالنتيجة سوف يواجه الفضيحة والانكسار والخلج والفشل.

الثاني: أنه يُضعف ثقة الناس بعضهم ببعض، ويشيع فيهم أحاسيس التوجّس والريبة والتناقض.

الثالث: أنه باعث على تضييع الوقت والجهد الثمينين لتمييز الواقع من المزيف والصدق من الكذب.

الرابع: أنه يقطع أواصر الوحدة والوفاق، ويوجب شيوع النفاق، وإن قسطاً كبيراً من الضلال إنما هو نتيجة الدعاوى الجوفاء والكلمات الفارغة، فإن أهل السوء إنما يصلون بالكذب إلى تطبيق مقاصدهم الانتهازية بما يغطّون به الحقائق بالكلام المغري الجميل والمعسول؛ فهم يأسرون البسطاء السذج بتلقيناتهم المسمومة الكاذبة.

**الخطبة السادسة**  
**الغيبة.. أكل لحوم الأحياء**  
**القسم الأول**

بتاريخ: ٣٠ / ١ / ٢٠٠٤م

وفيها المحاور التالية:

- الإعراض عن اللغو
- مفردة الغيبة
- معنى الغيبة وذمها
- موارد الغيبة



## مقدمة الخطبة

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ لك الحمد بديع السماوات والأرض، ذا الجلال والإكرام، ربّ الأرباب، وإله كلّ مألوه، وخالق كلّ مخلوق، ووارث كلّ شيء، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾<sup>(١)</sup>، ولا يعزب عنه علم شيء، وهو ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾<sup>(٢)</sup>، بكلّ شيء محيط، وهو على كلّ شيء رقيب.

أنت الله لا إله إلاّ أنت، الأحد المتوحد، الفرد المتفرد، وأنت الله لا إله إلاّ أنت، الكريم المتكرم، العظيم المتعظم، الكبير المتكبر، وأنت الله لا إله إلاّ أنت، العليّ المتعال، الشديد المحال، وأنت الله لا إله إلاّ أنت الرحمن الرحيم، العليم الحكيم، وأنت الله لا إله إلاّ أنت، السميع البصير، القديم الخبير، وأنت الله لا إله إلاّ أنت، الكريم الأكرم، الدائم الأديم، وأنت الله لا إله إلاّ أنت، الأوّل قبل كلّ أحد، والآخر بعد كلّ عدد، وأنت الله لا إله إلاّ أنت الداني في علوه، والعالي في دنوّه، وأنت الله لا إله إلاّ أنت، ذو البهاء والمجد والكبرياء والحمد، وأنت الله لا إله إلاّ أنت الذي أنشأت الأشياء من غير سنخ، وصوّرت ما صوّرت من غير مثال، وابتدعت المبتدعات بلا احتذاء، أنت الذي قدّرت كل شيء تقديرًا، ويسّرت كل شيء تيسيرًا، ودبّرت ما دونك تدبيرًا.

وأنت الذي لم يعنك على خلقك شريك، ولم يؤازرك في أمرك وزير، ولم يكن

---

(١) الشورى: آية ١١.

(٢) فصلت: آية ٥٤.

لك مشاهد ولا نظير، أنت الذي أردت فكان حتماً ما أردت، وقضيت فكان عدلاً ما قضيت، وحكمت فكان نصفاً ما حكمت<sup>(١)</sup>.

اللّهم صلّ وسلّم وبارك على خير خلقك وأحبّهم إليك أبي القاسم محمّد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

### الإعراض عن اللغو

قال تعالى في محكم كتابه وفصل خطابه وواضح بيانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>، إلى آخر الآيات، ووعد الشخصية الإيمانية بوراة الجنة: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿<sup>(٣)</sup>.

سبق أن بيّنا في الخطب السابقة<sup>(٤)</sup> أنّ كمال الفرد الإنساني وسعادة مجتمعه واستقراره وانتظام أمره مبني على تنزه الإنسان وترفعه عن كلّ ما يدخل في دائرة العبث واللغو والكلام المحرّم، وهي دائرة واسعة جداً قد تعرّضنا في الخطبة الماضية إلى مفردة واحدة من مفردات تلك الدائرة الواسعة، ألا وهي مفردة الكذب، واليوم نتابع الحديث عن المفردة الثانية، ألا وهي مفردة الغيبة.

### مفردة الغيبة

نتعرّض في هذه الصفحات - بتوفيق من الله تعالى - إلى بيان مفردة ثانية مهمّة

(١) الصحيفة السجادية: ص ٢١٠.

(٢) المؤمنون: آية ١-٣.

(٣) المؤمنون: آية ١٠-١١.

(٤) أنظر: الخطبة الرابعة.

دينياً واجتماعياً ونفسياً، ألا وهي: مفردة الغيبة. ولا بدّ هنا من مقدّمة قبل الخوض في تفاصيل البحث.

إنّ من أهمّ الأهداف والغايات التي حقّقها الإسلام، وعني بها عناية كبيرة هو اتحاد المسلمين وتآزرهم وتآخيههم؛ ليكونوا المثل الأعلى للقوّة والمنعة وسمو الكرامة والمجد، وعزّز تلك الغاية السامية بما شرّعه من نظم وآداب، لتكون دستوراً خالداً للمسلمين، فحثّهم على ما ينمي الألفة والمودّة، ويوثّق العلاقة الاجتماعية، ويحقّق التآخي والتآزر، وحسن الخلق، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، والاهتمام بشؤون المسلمين، ورعاية مصالحهم العامّة، وفي نفس الوقت نهاهم عن كلّ ما يُعكّر صفو القلوب، ويشير الأحقاد والضغائن الموجبة لتنافر المسلمين وتقاطعهم؛ كالكذب، والخبث، والخيانة، والسخرية، هذا من جهة.

ومن جهةٍ أخرى، فقد لاحظت الشريعة الإسلامية في قانونها ما يوجب حفظ الشخصية المعنوية والاجتماعية للمؤمن، بإيجاد ما من شأنه دفع ذلك ومنعه من خلال العقوبات التي وضعتها لمن يحاول تحطيم شخصية المؤمن الاجتماعية، وهتك حرمة، وهدر كرامته، فعن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام، أنّه قال: «مَنْ رَوَى على مؤمن روايةً، يريد بها شينه، وهدم مروّته؛ ليسقط من أعين الناس، أخرجّه الله تعالى من ولايته إلى ولاية الشيطان»<sup>(١)</sup>، ومعلوم أنّ ولاية الله تعالى هي: ولاية الهداية، والرحمة، والتوفيق للخير والصلاح، وولاية الشيطان هي: ولاية الضلال، والخذلان، والإغراء بالشر والانحراف.

ولمّا كانت الغيبة من أكثر الذنوب انتشاراً بين الناس، ومن أخسّ السجايا وأقبح الصفات وأخطر الجرائم والآثام، بل هي العامل الخطير والمعول الهدّام الذي

(١) المحاسن: ج ١، ١٠٣، ب ٣٩، عقاب مَنْ رَوَى على مؤمن رواية يريد بها شينه.

يدمر ويقوّض صرح المجتمع ويفسد علاقاته الوثيقة؛ فقد حرّمها الشرع الإسلامي وعدّها من كبائر الآثام، وكفّرها ذمّاً أن الله تعالى شبه المغتاب بأكل لحم الميتة، فقال في سورة الحجرات: ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾<sup>(١)</sup>.

### معنى الغيبة وذمها

لا يختلف معنى الغيبة في المصطلح الشرعي كثيراً عن المعنى اللغوي؛ فمعنى الغيبة شرعاً هو: ذكرُ المؤمن حال غيابه بما فيه ومما يكرهه من الأوصاف الموجودة في خلّقه أو خلقه، أو ذكرُ ما يتعلّق به من القوم والعشيرة واللون واللباس والمهنة، وغيرها من الأمور لدى غيره من الناس، ممّا يُعدّ تنقيصاً له ولشأنه ومكانته. وقد ورد عن الرسول الأعظم ﷺ أنّه قال: «الغيبة ذكرك أخاك بما يكرهه»<sup>(٢)</sup>، وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ من الغيبة أن تقول في أخيك ما ستره الله عليه»<sup>(٣)</sup>، وقال الإمام موسى الكاظم عليه السلام: «مَنْ ذكر رجلاً من خلفه بما هو فيه ممّا عرفه الناس لم يغبه، ومَنْ ذكره من خلفه بما هو فيه ممّا لم يعرفه الناس فقد اغتابه، ومن ذكره بما ليس فيه فقد بهته»<sup>(٤)</sup>.

### لفت نظر

نودّ لفت النظر إلى مسألة مهمّة، بعد ملاحظة صدر الحديث الأخير، فإنّ البعض من الناس حينما يذكر إنساناً مؤمناً بغيب موجود فيه وظاهر، ويُنهي عن

(١) الحجرات: آية ١٢.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ٢٨١، ح ١٦٣٠٩ / ٩.

(٣) معاني الأخبار: ص ١٨٤، باب معنى الغيبة والبهتان.

(٤) الكافي: ج ٢، ص ٣٥٨، باب الغيبة والبهتان، ح ٦.

ذلك، يحيب بأنني لم أفعل محرّماً، وأنّ ما قلته ليس بغيبة.

ف نقول جواباً عن ذلك: إنّ العنوان المحرّم غير مقصور على الغيبة وحدها؛ صحيح أنّه بموجب هذا الحديث فإنّ ذكر العيب الظاهر ليس بغيبة، ولكن هناك عناوين محرّمة أخرى يدخل تحتها مثل هذا الكلام - وهو ذكر عيب المؤمن غير الخفيّ على السامع وغيره - وهو عنوان المذمّة والانتقاص والإيذاء والاستخفاف بالمؤمن، وهذه العناوين بأجمعها محرّمة.

### موارد الغيبة

تفيد الأحاديث الواردة في الغيبة - من حيث إطلاقها - أنّ ذكر مطلق العيب موجب للوقوع في الغيبة ولا اختصاص لها بعيوب معيّنة، فسواء أكان العيب في الدين كقولك: فلان سارق أو زاني، أو كان يسرق فيها مضي من أيامه، أو خائن للأمانة، أو ظالم لعياله، أو متهاون بصلاته، أو ليس بارّاً بوالديه، أو لا يضع الحقوق الشرعية في مواضعها، أو لا يجتنب الغيبة وما شاكل ذلك، كلّ هذه العناوين تدخل تحت مسمّى الغيبة - نعم، هناك موارد مخصوصة يجوز فيها ذكر العيوب لمصالح ملزمة ومهمّة، سنتعرّض لها إن شاء الله تعالى في مبحث مسوّغات الغيبة - أو كان العيب في البدن؛ كقولك: فلانٌ أعمى، أو أعرج، أو قصير، أو طويل، أو أسود. أو كان العيب في الخلق، بأن تقول: فلان متكبر، أو بخيل، أو لا يسلم على أحد. أو كان العيب في الفعل؛ كقولك: فلانٌ عجول، أو كثير الأكل. أو في القول؛ كقولك: فلان لا ينطق إلّا بالكلام البذيء، أو كثير الكلام. أو كان العيب في النسب؛ كقولك: فلانٌ فاسقٌ أبوه، أو خسيسٌ نسبه. أو كان العيب في اللباس؛ كقولك: لباس فلان وسخ، عتيقٌ، خرّق. أو كان العيب في بيته؛ كقولك: بيت فلان غير مرتّب، أو وسخ وما شاكل ذلك. أو كان العيب في زوجته؛ كقولك: زوجة فلان

سيئة الخلق ونحو ذلك.

كما أنه لا فرق في حكم الغيبة بين كشف عيب الآخرين في اللسان أو بالفعل، أو التصريح، أو التعريض أو غير ذلك، كما تقدّم.

قال العالم المتأله صاحب الكمالات النفسانية الشيخ النراقي رحمته الله، صاحب كتاب (جامع السعادات): «اعلم أنّ الغيبة لا تنحصر في اللسان، بل كلّ ما يفهم نقصان الغير ويعرّف ما يكرهه فهو غيبة، سواء أكان بالقول أو بالفعل، أو التصريح أو التعريض، أو بالإشارة والإيحاء، أو بالغمز والرمز، أو بالكتابة والحركة، ولا ريب في أنّ الذكر باللسان غيبة محرّمة؛ لتفهمه الغير نقصان أخيه، وتعريفه بما يكرهه، لا لكون المفهم والمعرّف لساناً، فكلّ ما كان مفهوماً ومعرّفاً فهو مثله، الغيبة تتحقّق بإظهار النقص بالفعل والمحاكاة، كما لو كنت تمشي كمشية الأعرج، بل هو أشدّ من الغيبة باللسان؛ لأنّه أعظم في التصوير والتفهم منه، وكذلك بالإيحاء والإشارة»<sup>(١)</sup>.

وقد روي أنّ امرأة دخلت على عائشة زوج النبي صلى الله عليه وآله، فلما ولّت أومأت بيدها أنّها قصيرة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «قد اغتبتها»<sup>(٢)</sup>.

وكذلك تتحقّق الغيبة بالكتابة؛ لأنّها أحد اللسانين، وكذلك بالتعريض، كأن يقول أحدهم: الحمد لله الذي لم يبتلنا بحب المال والدنيا ومجالسة الظلمة، أو يقول: أعوذ بالله من الحرص والبخل. وغرضه من جميع هذه العبارات التعريض بشخصٍ معيّن يحمل هذه المواصفات، فكلّ ذلك غيبة.

وكثيراً ما يقوم بعض الأشخاص المحتالين - حين يريدون استغابة أحدٍ - بمدحه أولاً، فيقول: نعم الرجل فلان، ولكن مع الأسف الشديد أنّه مبتلى بالشيطان والوساوس وكذا وكذا. فهذه تدخل في الغيبة؛ لأنّه يصدق عليه عنوان

(١) جامع السعادات: ج ٢، ص ٢٢٨.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٢٢٤.

ذكر عيوب الآخرين.

ومن المغتابين من يُظهر الغصّة والتأثر على الشخص الذي يغتابه، ويظهر الاهتمام والحزن من سوء حاله، كأن يقول أحدهم: لقد ساءني ما جرى على صديقنا فلان من الإهانة والاستخفاف أو ارتكاب المعصية الكذائية. وأمثال هؤلاء لو كانوا صادقين في محبتهم لأخيهم المؤمن وتأثرهم لأجله، كان يلزمهم ألا يفضحوا سرّه ويذكروه بسوء.

هكذا يلعب الشيطان بمن ليس له قوّة البصيرة بمكائده وتدليساته، فيسخر بهم ويضحك عليهم، ويحبط أعمالهم بمكائده<sup>(١)</sup>.

---

(١) في هذه الخطبة تحدّث سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي (دامت بركاتة) عن بعض محاور الغيبة، وتابع الموضوع - نفسه - في الخطبة اللاحقة.



# الخطبة السابعة

## الغيبة.. أكل لحوم الأحياء

### القسم الثاني

بتاريخ: ٦ / ٢ / ٢٠٠٤م

وفيها المحاور التالية:

➤ مناقش الغيبة ودوافعها

❧ الدافع الأول: الحقد والحسد والعداء

❧ الدافع الثاني: السخرية والاستهزاء

❧ الدافع الثالث: المزاح

❧ الدافع الرابع: الافتخار

❧ الدافع الخامس: المجارة للآخرين

➤ آثار الغيبة ومساوؤها

➤ علاج الغيبة

➤ مستثنيات الغيبة



## مقدمة الخطبة

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، سبحان الله آناء الليل وأطراف النهار، سبحان الله بالغدو والآصال، سبحان الله بالعشي والإبكار، سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون، وله الحمد في السماوات والأرض وعشياً وحين تظهرون... ولك الحمد، رفيع الدرجات، مجيب الدعوات، منزل الآيات من فوق سبع سماوات، مخرج النور من الظلمات، مبدل السيئات حسنات، وجاعل الحسنات درجات... اللهم لك الحمد في الليل إذا يغشى، ولك الحمد في النهار إذا تجلى، ولك الحمد في الآخرة والأولى، ولك الحمد عدد كل نجم وملك في السماء، ولك الحمد عدد الثرى والحصى والنوى، ولك الحمد عدد ما في جوف الأرض، ولك الحمد عدد أوزان مياه البحار، ولك الحمد عدد أوراق الأشجار، ولك الحمد عدد ما على وجه الأرض، ولك الحمد عدد ما أحصى كتابك، ولك الحمد عدد ما أحاط به علمك، ولك الحمد عدد الإنس والجن والهوام والطير والبهائم، والسباع، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما تحب ربنا وترضى، وكما ينبغي لكرم وجهك وعز جلالك<sup>(١)</sup>.

اللهم إني أصبحت منك في نعمة وعافية، فصلّ اللهم على محمد وآل محمد، وتمم علي نعمتك وعافيتك وارزقني شكرك.

---

(١) بحار الأنوار: ج ٨٣، ص ٢٧٣، من دعاء العشرات.

### تتمة الحديث في مفردة الغيبة<sup>(١)</sup>

عباد الله اتقوا الله تعالى، واحفظوا جوارحكم عما يؤدي إلى شقوتكم في الدنيا وهلاككم في الآخرة.

فقد ورد عن النبي ﷺ في وصيته لأبي ذرٍّ أنه قال: «يا أبا ذر، مَنْ ملك ما بين فخذيه وما بين لحييه دخل الجنة»<sup>(٢)</sup>. والمراد من: «مَنْ ملك ما بين فخذيه» أي: ملك فرجه، «وما بين لحييه» أي: ملك لسانه، ومن هذا الحديث نعلم أنّ سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة مرتبطة بأن يملك الإنسان شهوات فرجه عن الحرام، ويملك لسانه عن الخوض في الحرام.

ومن آفات اللسان المهلكة لبني آدم في الدنيا والآخرة هي الغيبة، وهي من أكثر الذنوب انتشاراً بين الناس، حتى لا يسلم منها إلا القليل؛ وما ذلك إلا لأنّ أغلب الناس لا يملكون زمام السيطرة على ألسنتهم. ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «وهل يكبّ الناس في النار إلاّ حصائد ألسنتهم»<sup>(٣)</sup>.

وفي حديث آخر قيل لرسول الله ﷺ: ما النجاة؟ قال ﷺ: «املك عليك لسانك»<sup>(٤)</sup>، وفي حديث آخر عنه ﷺ: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه»<sup>(٥)</sup>.

(١) تحدّث ساحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي (دامت بركاته) في الخطبة السابقة عن بعض المحاور المرتبطة بمفردة الغيبة، وفي هذه الخطبة يُكمل المحاور الأخرى.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ٢٥١، ب ١٤٠، باب تحريم الكذب في الصغير والكبير، ح ١٦٢٢٨/٤.

(٣) أصول الكافي: ج ٢، ص ١١٥، باب الصمت وحفظ اللسان، ح ١٤.

(٤) جامع السعادات: ج ٢، ص ٢٦٣.

(٥) عوالي اللئالي: ج ١، ص ٢٧٨-٢٧٩، ح ١١١.

## مناشئ الغيبة ودوافعها

بحثنا في الخطبة الماضية عن الصورة التي رسمتها الشريعة الإسلامية عن أخطر أمراض اللسان، ألا وهو الغيبة. وفي هذه الخطبة نكمل البحث عن هذه الرذيلة، فنقول: إنَّ الغيبة وإن كانت من الذنوب الجوارحية العمدية، ولكنها ترتبط بروح الإنسان ونفسه ارتباطاً مباشراً، فهي علامة على اضطراب نفسي خطير، علينا أن نفتش عن منشئه في زوايا الروح والنفس.

ولا شكَّ أنَّ جميع الأعمال التي تصدر من الإنسان هي مسببة عن حالات مختلفة متحققة في باطن الإنسان وبحيلة نفسه، وعلى أثر تحقق إحدى هذه الأوصاف المذكورة التي تكمن في النفس الإنسانية، كالنار تحت الرماد ينطق الإنسان بالغيبة، فإنَّ اللسان ترجمان حال النفس الإنسانية. وقد ذكر علماء الأخلاق للغيبة أسباباً ودوافع؛ منها:

### الدافع الأول: الحقد والحسد والعداء

يُعدُّ الحقد على الآخرين، وأمثاله من العداء والحسد، من أقوى دواعي الاغتياب والتشهير بالشخص المعادي أو المحسود أو المحقود عليه، نكايةً به، وتشفيًا منه.

وهذه الأمور الثلاثة قد تكون أحياناً كامنة في داخل النفس، ويظهرها الوضع الخارجي، كما إذا احتقن الرجل بغیظه على أخيه لحصول اختلاف بينهما أو تنافس أو نحو ذلك، فيزيد غضبه، ويتشقى بذكر مساوئ أخيه وعيوبه.

وفي مثل هذه الحالات على الشخص أن يتذكر الثواب العظيم الذي أعدَّ الله تعالى لمن يكظم غيظه، فقد ورد في الحديث عن النبي الخاتم ﷺ، أنه قال: «مَنْ كَظَمَ غِيظاً وَهُوَ يَقْدِرُ أَنْ يَمْضِيَهُ دَعَا اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيَّرَ مِنْ أَيِّ

الخور شاء»<sup>(١)</sup>. فكما أنّ مهر الزوجة في نشأة الدنيا هو المال - مثلاً - فإنّ مهر الخور العين في الآخرة هو كظم الغيظ.

### الدافع الثاني: السخرية والاستهزاء

تتمثل السخرية في محاكاة أقوال الناس أو أفعالهم أو صفاتهم، والسخرية والاستهزاء لا ينفكّان عن الإيذاء والتحقير والتنبية على العيوب والنقائص، وقد اعتبر الشارع الحكيم السخرية والاستهزاء من المحرّمات في حقّ من يتأدّى به لما فيه من التحقير والاستصغار للمؤمن، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ﴾<sup>(٢)</sup>.

إذاً، فالسخرية والاستهزاء بالآخرين يُعدّان من البواعث والدوافع اللذين يدفعان الشخص إلى الغيبة وذكر مساوئ الغير وعيوبه ونقائصه<sup>(٣)</sup>.

### الدافع الثالث: المزاح

المزاح والهزل مع الآخرين قد يكون - في بعض الأحيان - سبباً لوقوع الإنسان في غيبة الغير، وذكر عيوب الآخرين القولية أو الفعلية؛ فالبعض من الناس لكي يُضحك الغير، تراه يخوض في الكشف عن معائب الأشخاص في غيبتهم، ويُعدّ

(١) روضة الواعظين: ص ٣٨٠.

(٢) الحجرات: آية ١١.

(٣) إنّ السخرية والاستهزاء بالآخرين من الخصال الذميمة التي نهى الله عنها ورسوله ﷺ وهي لا تصدر إلّا من ضعف الإيمان وضعاف النفوس، ومَن لا أخلاق له، أولئك الذين يشعرون بالكمال من أنفسهم تكبراً وغروراً، وتصل في غالب حالاتها إلى الغيبة، والسب؛ لأنّ المستهزأ به لا يرضى بما يقال عنه، ولا يخفى خطر ذلك على الفرد والمجتمع، فالغيبة كبيرة من الكبائر، وسباب المسلم فسوق، وهذه الخصلة ليست من خصال المؤمنين، وقد ورد النهي للرجال والنساء عن هذه الخصلة الذميمة في الآية الحادية عشرة من الحجرات بما يشفي ويكفي، ووصف الله من لم يتب منها بالظلم، وسماه فاسقاً بعد أن كان مؤمناً.

ذلك نوعاً من المفاكهة والمطايبة في الحديث، والحال أنّ هذه ممارسة محرّمة؛ لأنّها من أوضح مصاديق الغيبة.

#### **الدافع الرابع: الافتخار**

إرادة الافتخار والمباهاة على الغير قد توقع الإنسان في ارتكاب الغيبة؛ فالبعض يريد أن يرفع من نفسه، ولكن من خلال الانتقاص والنيل من الغير، فيقول مثلاً: فلان لا يفهم شيئاً، أو لا يعلم بهذا الاختصاص، وغرضه من ذلك أن يثبت فضل نفسه وأنّه أفضل من ذلك الشخص.

#### **الدافع الخامس: المجارة للآخرين**

من أسباب وقوع الكثير في محذور الغيبة هو المجارة للآخرين في حديثهم؛ فكثيراً ما يندفع المرء إلى الاغتياب مجاراةً للأصدقاء والرفقاء في الكلام، وموافقة الأقران عند مجالستهم في حديثهم المتضمّن للغيبة، ويرى ذلك من حسن المعاشرة، ولكي لا يستشعروا ثقله عليهم، يبدأ يجاريهم في حديثهم، فيخوض معهم في ذكر عيوب الآخرين ومساوئهم. وهو بذلك يطلب رضا المخلوق بسخط الخالق، وكان عليه أن يطلب رضا خالقه ومنعمه ولو على حساب سخط المخلوق من رفقاء السوء.

#### **آثار الغيبة ومساوؤها**

إنّ الغيبة تساهم في بذر سموم البغض والتفرقة في صفوف المسلمين، وهي في نفس الوقت تعكّر صفو المحبة، وتفصم عُرى الصداقة، وتقطع وشائج القرابة؛ فهي تؤدّي إلى الفتن والفساد والتخاصم، بل وحتى سفك الدماء، ولا أقل من أنّها تباعد بين القلوب، وتفرّق بين أفراد المجتمع، فلو تتبعت - أيّها الأخ المؤمن - عيوب أحد من الناس وعثراته، وجعلت تنشرها بين الناس فبلغه ذلك، فيا ترى هل إنّ

يصبر ويتغاضى عما سمعه؟! وهل ستبقى مكانتك في قلبه على ما هي عليه؟! إنها ستزول، وسوف يُبغضك وربما يُعاديك، ويبدأ يعاملك بالمثل، فيظهر عيوبك، ويكشفها إلى الآخرين؛ وقل أن يخلو إنسان من عيوب.

وقد ذكر في المثل العربي: «من غربل الناس نخلوه»<sup>(١)</sup>؛ بمعنى أنه لو ذكرت عيباً، فإن الآخرين سيذكرون عيوباً، وإن ذكرت عيباً خفياً ذكروا ما هو أخفى.

ويقول الشاعر في هذا المعنى:

إذا شئت أن تحيا سليماً من الأذى      وعيشك موفوراً وعرضك صيئ  
لسانك لا تذكر به عورة امرئ      فكلّك عورات وللناس ألسن  
وعينك إن أبدت إليك معاييأ      فصنها وقل يا عين للناس أعين<sup>(٢)</sup>.

ثم لو بلغك جوابه، فجعلت تسبه وتشتمه، وجعل يسبك ويشتمك، فحينها ستشتعل نيران الفتن بينكما، ألم يكن المغتاب هو السبب في كل ذلك وهو المسؤول عنه أمام الله تعالى؟!!

ورد في الكافي للشيخ الكليني عليه السلام عن الإمام أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام في رجلين يتسابان، قال: «البادئ منهما أظلم، ووزره ووزر صاحبه عليه ما لم يعتذر إلى المظلوم»<sup>(٣)</sup>.

## علاج الغيبة

كما أن المجتمع بحاجة إلى أدوات العيش لإدامة الحياة، كذلك وبنفس المقدار

(١) أي: من فتش عن أمور الناس وأصولهم جعلوه نخالة. أنظر: مجمع الأمثال: ج ٢، ص ٢٧٩.

(٢) شرح رسالة الحقوق: ص ١٠٨. والأبيات للإمام الشافعي.

(٣) أصول الكافي: ج ٢، ص ٣٦٠، باب السباب، ح ٤.

بحاجة إلى الصفاء لدوام الروابط الروحية بين أفراد المجتمع، ويجب علينا جميعاً أمام انتشار المفاسد في المجتمع أن نوجد في الناس نهضةً نفسية وروحية نحيي بها روح رعاية حقوق الآخرين، وأن نخطو في سبيل تحكيم الأسس الأخلاقية التي هي رمز بقاء المجتمع، نخطو خطوات أساسية حسب المستطاع والقدرة، وقد ذكر العلماء بعض الخطوات لمعالجة هذا المرض؛ منها مطالعة الروايات الدائمة والمحدثة. توضيح ذلك: أن يتذكر العبد الأخبار الواردة في ذم الغيبة، وأن يجعل نصب عينيه ما عرضناه من مساوئ الغيبة وأعراضها الجسيمة في دنيا الإنسان وأخراه، ونذكر هنا حديثاً مهماً: يؤتى بالعبد يوم القيامة، فيوقف بين يدي الربّ، ويُقرأ إليه كتابه، فينكر أن هذا المقروء بين يديه هو كتابه؛ لأنّه لا يرى فيه حسناته وطاعاته الكثيرة التي عمل بها في الدنيا، فيقول: يا إلهي، ما هذا كتابي! لماذا لم أر فيه حسناتي؟! فيقال له: إنّ ربك لا يضل ولا ينسى، لا يفوته شيء ممّا عملته من الحسنات والطاعات! فإذا أين ذهبت هذه الطاعات وهذه الحسنات الكثيرة؟! فيقال له: إنّ عملك قد ذهب باغتيال الناس؛ لأنّ حسنات المغتاب تنقل إلى المستغاب<sup>(١)</sup>.

وقد نُقل أنّ أحد العلماء استغابه شخص، فبعث العالم إليه طبقاً من التمر، وجازاه بالإحسان؛ وذلك تجسيداً لما ذكرنا من أنّ المغتاب قد أهدى إلى هذا العالم جزءاً من حسناته. من هنا على الإنسان - حينما يهّم بغيبة الغير - أن يتذكر أنّ الكثير

---

(١) عن النبي ﷺ أنه قال: «يؤتى بأحد يوم القيامة يوقف بين يدي الله ويدفع إليه كتابه فلا يرى حسناته، فيقول: إلهي، ليس هذا كتابي فإنّي لا أرى فيها طاعتي. فيقال له: إنّ ربك لا يضل ولا ينسى، ذهب عملك باغتيال الناس، ثم تؤتى [يؤتى] بآخر ويدفع إليه كتابه فيرى فيها طاعات كثيرة فيقول: إلهي ما هذا كتابي، فإنّي ما عملت هذه الطاعات. فيقال: لأنّ فلاناً اغتابك فدُفعت حسناته إليك». بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٢٥٩، العلة التي من أجلها كانت الغيبة أشد من الزنا، ح ٥٣.

من حسناته ستذهب إلى الشخص الذي يغتابه. كما ينبغي عليه أن يطالع ويتأمل ويتدبر الأخبار الواردة في ذم الغيبة.

وقد أشار إلى هذا المعنى أحد علماء النفس، بقوله: «إننا حينما نريد أن نفارق عادة سيئة يجب أن نجسد في أنفسنا عواقبها الوخيمة، ثم نتصور المنافع والمصالح التي تعود إلينا على إثر ترك تلك العادة، ثم نجسد في أذهاننا نصائح الحياة والمواقع المختلفة التي أصبحنا نحن فيها ضحية لتلك العادة السيئة»<sup>(١)</sup>.

ثم ننظر في المفاهيم التي كانت سائدة في السلف الصالح، هل كان الاعتبار والميزان عندهم في إيمان المؤمن بكثرة الصلاة والصوم وأداء صلاة الليل وأداء المستحبات وكثرة الزيارات، أم أن المناط والاعتبار والميزان لإيمان المؤمن هو الجانب الاجتماعي؟

الذي يظهر من عباراتهم هو الثاني؛ فقد ذكر أحد علماء الأخلاق ذلك بقوله: «وقد كان السلف لا يرون العبادة في الصوم والصلاة فقط، بل في الكف عن أعراض الناس؛ لأنه كان عندهم أفضل الأعمال، ويرون خلافه صفة المنافقين، ويعتقدون أن الوصول إلى المراتب العالية في الجنة يتوقف على ترك الغيبة»<sup>(٢)</sup>.

وهذا المعنى نجده أيضاً في الأحاديث الشريفة، فعن رسول الله ﷺ، أنه قال: «من حسنت صلاته، وكثرت عياله، وقلّ ماله ولم يغتب المسلمين كان معي في الجنة كهاتين»<sup>(٣)</sup>.

---

(١) الكلام للدكتور زاگو في كتابه: (قدرة الإرادة)، نقلاً عن كتاب دراسة في المشاكل الأخلاقية: ص ٥.

(٢) جامع السعادات: ج ٢، ص ٢٣٥.

(٣) مسند أبي يعلى: ج ٢، ص ٢٧٧، ح ١٧ / ٩٩٠. جامع السعادات: ج ٢، ص ٢٣٥. المحجة البيضاء: ج ٣، ص ٧٠.

ومن الأحاديث التي بيّنت اهتمام المشرّع الإسلامي بالجانب الاجتماعي والسلوكي للإنسان، وأنّ الجانب العبادي لوحده غير كافٍ، هو ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «لا تنظروا إلى طول ركوع الرجل وسجوده، فإن ذلك شيء اعتاده، ولو تركه لاستوحش لذلك، ولكن انظروا إلى صدق حديثه وأداء أمانته»<sup>(١)</sup>، فإنّ هذه الأمور الاجتماعية الأخلاقية هي الميزان والمعيّار في تمام إيمان العبد.

وليتيقّن الإنسان أنّه لن يصيب حقيقة الإيمان حتى لا يعيب إنسان بعيب هو فيه، وحتى يبدأ بإصلاح عيوب نفسه، فالأجدر أن ينظر الإنسان إلى عيوب نفسه ويبدأ بها فيصلحها، لا أن يتجاهلها وينظر إلى عيوب غيره ويظهرها بين الناس، فلربّما كانت عيوبه أكثر وأعظم من عيوب ذلك الشخص.

قيل لأحد العلماء: ما نراك تعيب أحداً من الناس، فقال: «لست عن نفسي راضياً فأتفرّغ لذنم الناس»<sup>(٢)</sup>.

وقد نظم بعض الشعراء أبياتاً في هذا المعنى فقال:

|                          |                                        |
|--------------------------|----------------------------------------|
| تعتب نفسك من لا يعاب     | وفي جنبك العيب لا تنكره                |
| وتبصر في العين مني القذى | وفي عينك الجذع لا تبصره                |
| وتعذر نفسك من غير عذر    | وغيرك بالعذر لا تعذره                  |
| فما أنصف المرء من نفسه   | إذا كان يأتي الذي ينكره <sup>(٣)</sup> |

على الإنسان المستغيب أن يتذكّر أنّه كما يكره أن يُذكر بسوء، فليكره لغيره أن يذكر بسوء أيضاً.

(١) أصول الكافي: ج ٢، ص ١٠٥، باب الصدق وأداء الأمانة، ح ١٢.

(٢) ربيع الأبرار: ج ٢، ص ٣٢٢، والقائل هو: الربيع بن خثيم، وأنشد يقول:

لنفسى أبكى لست أبكى لغيرها      لنفسى في نفسى عن الناس شاغل  
(٣) روضة الواعظين: ص ٤٧١.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لولده الحسن عليه السلام: «يا بني، اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك، فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك، واکره له ما تکره لها، ولا تظلم كما لا تحب أن تُظلم، وأحسن كما تحب أن يُحسن إليك، واستقبج من نفسك ما تستقبجه من غيرك، وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك، ولا تقل ما لا تعلم وإن قلّ ما تعلم، ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك»<sup>(١)</sup>.

على الإنسان أن يهتمّ بتزكية نفسه وتجميلها بالخلق الكريم وصونها عن معائب الناس ومساوئهم بدلاً من اغتيالهم واستنقاصهم، ولو كنت تريد إصلاح فاسدٍ في مؤمن كان عليك إعلامه ونصحه سرّاً فيما بينك وبينه، لا أن تبادر إلى اغتيابه، وقد ورد أن أحب الإخوان من يعرفك عيبك نصحاً.

في هذا المعنى يقول أمير المؤمنين عليه السلام: المسلم مرآة أخيه، ومن الواضح أنه لا يكون مرآة له باغتيابه وذكر معايبه ونقائصه من وراء ظهره، بل بأن يبين له عيوبه ونقائصه وسوء أفعاله نصحاً ومشافهةً معه، يقول الإمام عليه السلام: «المسلم مرآة أخيه، فإذا رأيتم من أخيكم هفوةً فلا تكونوا عليه إلباً، وكونوا له كنفسه، وارشدوه وانصحوه وترفقوا به»<sup>(٢)</sup>.

## مستثنيات الغيبة

هناك موارد تجوز فيها الغيبة، وقد عبّر عن تلك الموارد في لسان العلماء بمسوّغات الغيبة، أو مستثنياتها؛ بمعنى أنّ في الغيبة مفاصد للفرد والمجتمع، ولكن في بعض الموارد تفوت على الفرد وعلى المجتمع مصلحة عظيمة لا يمكن تداركها إلاّ بغيبة الغير. فعلى ضوء ترجيح المصلحة العليا على المفسدة، فقد جوّز المشرّع

(١) نهج البلاغة: ص ٣٩٧.

(٢) تحف العقول: ص ١٠٨، باب آدابه عليه السلام لأصحابه.

الإسلامي الغيبة في موارد معينة ومحددة، لا بدّ من معرفتها حتى نعرف الحد الفاصل والدقيق بين ما هو محرّم وما هو جائز منها.

فنعول: تقدّم أنّ الغيبة هي ذكر الغير بما يكرهه؛ وذلك إنّما يحرم إذا قصد به هتك عرضه والفتك به، أو إضحاك الناس منه. أمّا إذا لم يكن شيء من ذلك، وكانت هناك مصالح مهمّة للفرد والمجتمع تقتضي إظهار بعض العيوب وكشفها، بحيث لولا إظهار تلك العيوب لفاتت على الفرد والمجتمع تلك المصالح، فحينئذ يسوّغ للشخص إظهار تلك العيوب.

إذا عرفت هذا، فسوف نذكر بعض الموارد التي سوّغ الشارع فيها الغيبة:

### المورد الأول: التظلم

يُعَدّ التظلم عند من له رتبة الحكم، وإحقاق الحقوق وإعادتها إلى أصحابها، من مسوّغات ذكر عيوب الغير، قال تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾<sup>(١)</sup>، فلو ظلم زوج زوجته، ولا يعطيها النفقة اللازمة لها، ففي هذه الصورة لا يجوز لها أن تشهر بهذه المنقصة للزوج أمام الآخرين، ويجوز لها ذلك عند من تريد أن تستفتيه، إذا كان يملك القدرة على الإفتاء وبيان الحكم الشرعي.

فقد روي أنّ هنداً زوجة أبي سفيان جاءت إلى النبي ﷺ، وقالت له: إنّ أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني أنا وولدي، أفأخذ من غير علمه؟ فقال ﷺ: «خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف»<sup>(٢)</sup>، فهذه المرأة ذكرت أنّ زوجها كان شحيحاً، والشح عيب، ومع ذلك لم يزجرها النبي ﷺ ولم ينهها عن هذا الذكر؛ لأنّ قصدها كان الاستفتاء.

(١) النساء: آية ١٤٨.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٢٣٢.

## المورد الثاني: الفسق

من مسوَّغات الغيبة هو غيبة المتجاهر بالفسق في مورد فسقه؛ كمن يشرب المسكر علناً في الطرقات، ويلعب القمار جهراً في المقاهي والحانات، وأمّا إذا كان في مكان يستتر نفسه فيه، فلا يجوز، فعن النبي ﷺ أنّه قال: «إذا جاهر الفاسق بنفسه فلا حرمة له ولا غيبة»<sup>(١)</sup>.

ويجب أن يُعلم - هنا - أنّ القدر المتيقّن من جواز الغيبة في هذا المورد هو ذكر الغير فيما يتجاهر به من الفسق، أمّا جواز غيبته في الذنوب الأخرى المستورة فلا. ويجب أن يعلم أنّ جواز غيبة المتجاهر بالفسق إنّما هو في صورة ما لو كان المتجاهر يعترف بأنّ عمله ذنب ومعصية، أمّا لو أظهر لعمله عذراً صحيحاً فإنّ غيبته غير جائزة؛ كما لو ادّعى أنّه يقلّد مرجعاً يرى جواز هذا الفعل الذي يرفضه الغير.

## المورد الثالث: نصح المستشير

من استشاره إنسان آخر في معاملة يريد إجراءها مع شخص أو مشاركة تجارية، وكان في ذلك الشخص عيب بحيث لو لم يذكره للمستشير لأجرى المعاملة وتورّط بضرر ومشقة، فحيثُ يجوز له في هذه الصورة أن يذكر العيب لمن استشاره، بأن يقول له مثلاً: إنّهُ يخون الأمانة أو غير ذلك، وكذلك في نصح المستشير للتزويج وإيداع الأمانة، وأيضاً إذا رأيت فاجراً وتخاف من مقاربة الناس له، فيجوز ذكر عيبه حتى يحذره الناس.

ومن الموارد المهمّة خوف سراية البدعة، أو فسق من شخص مبتدع أو صاحب أفكار منحرفة، ففي كلّ ذلك يجب أن يكون القول صحيحاً غير مبالغ فيه، وبشرط

(١) الأُمالي (الشيخ لصدوق): ص ٩٢، ح ٦٨ / ٨.

أن يكون القصد صحيحاً، فالشريعة إنّما أجازت مثل هذا المورد من أجل تحذير المسلمين من الوقوع في الخطر والشر.

#### **المورد الرابع: القدح في مرافعة باطلة**

من الأمور المسوّغة للغيبة القدح في مرافعة باطلة، أو دعوى باطلة، أو ادعاء مقام ديني شامخ من غير استحقاق، ففي مثل هذه الصورة يجوز ذكر صاحب الدعوة الباطلة بما يكشف بطلانه للناس.

#### **تبصرة**

ورد في الأحاديث أنّه يجب على سامع الغيبة، أن يتتصر لأخيه المستغاب، ويدافع عن عرضه ومروءته، فإذا لم يتمكّن من إنكار الغيبة بلسانه فعليه أن يغير مجرى الحديث إلى حديث آخر، فإن لم يتمكّن من ذلك ترك مجلس الحديث، وإن لم يتمكّن من ذلك فليذكر حديث الغيبة بقلبه يأمن جريرة المشاركة في الاغتيال.



# الخطبة الثامنة

## مخاطر اللسان

### على دنيا الإنسان وآخرته

بتاريخ: ١٣ / ٢ / ٢٠٠٤ م

وفيها المحاور التالية:

➤ رذيلة النميمة

تعريف النميمة

الوشاية

بواعث النميمة

الآثار السيئة للنميمة

النميمة في الآيات والروايات

كيف نتعامل مع التّام؟



## مقدمة الخطبة

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ لك الحمد على ما تأخذ وتعطي، وعلى ما تعافي وتبلي، حمداً يكون أَرْضَى  
الحمد لك، وأحبَّ الحمد إليك، وأفضل الحمد عندك، حمداً يملأ ما خلقت، ويبلغ ما  
أردت، حمداً لا يحجب عنك ولا يقصر دونك، حمداً لا ينقطع عدده، ولا يفنى مدده،  
فلسنا نعلم كنه عظمتك إلاَّ أَنَا نعلم أَنَّكَ حيٌّ قيومٌ، لا تأخذك سنةٌ ولا نومٌ، لم يَتَّهِ  
إليك نظرٌ، ولم يدركك بصرٌ، أدركت الأبصار، وأحصيت الأعمال، وأخذت بالنواصي  
والأقدام، وما الذي نرى من خلقك ونعجب له من قدرتك ونصفه من عظيم  
سلطانك، وما تغيب عنا منه، وقصرت أبصارنا عنه، والتهت عقولنا دونه، وحالت  
سواثر الغيوب بيننا وبينه أعظم، فمن فرغ قلبه وأعمل فكره ليعلم كيف أقمت  
عرشك، وكيف ذرأت خلقك، وكيف علقت في الهواء سماواتك، وكيف مددت على  
مور<sup>(١)</sup> الماء أرضك، رجع طرفه حسيراً، وعقله مبهوراً، وسمعه والهاً، وفكره حائراً<sup>(٢)</sup>.

اللَّهُمَّ صلِّ على سيِّد أنبيائك وخلقك محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين.  
أوصيكم عباد الله تعالى ونفسي بتقواه، وحفظ ألسنتكم عما يؤدِّي إلى شقوتكم

---

(١) «مار الشيء يمور موراً: ترهياً، أي تحرك وجاء وذهب، كما تكفأ النخلة العيدانة. والتمور مثله. وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ [الطور: ٩]. قال الضحاك: تموج موجاً. وقال أبو عبيدة: تكفأ.. والأخفش مثله. ويقال: مار الدم على وجه الأرض. وأماره غيره.. والمائرات: الدماء.. والمور: الطريق. والمور: الموج. وناقاة مواراة اليد، أي: سريعة». الصحاح: ج ٢، ص ٨٢٠ - مادة (مور).

(٢) نهج البلاغة: ج ٢، ص ٥٦.

في الدنيا وهلاككم في الآخرة. أوصيكم بالقول السديد، واتباع أحسن القول، فإنّ مفتاح الكمال والسعادة في الدنيا والآخرة هو حفظ اللسان عمّا حرّم الله تعالى، وجعله منقاداً لموازين الشرع والعقل.

### مخاطر اللسان على دنيا الإنسان وآخرته

لو تأملنا في الأحاديث الواردة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام فسوف نجد هذا المعنى واضحاً، فقد ورد في وصيّة النبي صلى الله عليه وآله لأبي ذرّ أنّه قال: «يا أبا ذر، من ملك ما بين فخذه وما بين لحييه دخل الجنة» أي: من ملك شهوات فرجه، وحبس لسانه عن الخوض في الحرام، كانت له السعادة في الدار الآخرة. ومن أطلق لسانه العنان، انتهى به إلى النيران، فعنه عليه السلام أنّه قال: «وهل يكبّ الناس في النار إلاّ حصائد ألسنتهم»<sup>(١)</sup>.

وأما في الدنيا، فالأمر أوضح من أن يحتاج إلى بيان، إذ يشهد لمخاطر اللسان الخارج والعيان، فكم من كلمة خرجت من لسان صاحبها أعقبتها ندم، وربّما كانت سبباً لهتك عرض، أو تسقيط سمعة، أو سفك دم؟!!

### رذيلة النميمة

بيّنا في الخطب السابقة أنّ من مقوّمات الشخصية الإيمانية المتكاملة هو حفظ اللسان، والإعراض عن آفاته ومهلكاته؛ من قبيح: الكذب، والغيبة، واللغو، وذكرنا أنّ الإعراض عنه يُعدّ إحدى الموصفات التي تهبّي الإنسان لوراثه جنة الفردوس.

---

(١) وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ٢٥١، ح ١٦٢٢٨/٤.

وفي هذه الخطبة نريد أن نتحدّث عن رذيلة أخلاقية أخرى تعدّ من أبشع الرذائل الأخلاقية وأخطرها على حياة الفرد والمجتمع، ألا وهي: (النميمة).

### تعريف النميمة

إنّ الغرض من تعريف النميمة هو بيان حدودها؛ ليكون ذلك الحد ميزاناً ومعياراً شرعياً، يقف عنده الإنسان ولا يدخله، حتى لا يقع في المحذور المهلك. قال بعض علماء اللغة: التّأم؛ مأخوذ من نمم الرجل الحديث، أي: أظهره ورفع على وجه الإشاعة والإفساد، وسعى به ليوقع فتنة أو وحشة<sup>(١)</sup>.

وأما علماء الأخلاق فيعرفون النميمة: بأنّها نقل الأحاديث التي يكره الناس إفشاءها ونقلها من شخص إلى آخر، أو من قوم إلى آخرين على وجه الإفساد أو السعاية<sup>(٢)</sup>. إن كان المحكي له من يُخاف جانبه وجانب أوليائه.

توضيح ذلك: أيها المؤمن، حينما تنقل حديثاً أو كلاماً سمعته من شخص في حق شخص آخر، فإنّ هذا الحديث الذي لو نقلته إلى الشخص الثالث، وقلت له الكلام الذي سمعته، أدّى إلى إفساد العلاقة وقطع الروابط بين الشخص المحكي له، والشخص الحاكي، فإنّ هذا يسمّى نميمة عند علماء الأخلاق.

بعبارة أخرى: إنّ بعض الأشخاص حينما يتبيّن لهم أنّ ما نقلوه من كلام هو نميمة محرّمة، يقول: لم يكن قصدي الإفساد بين هذين الشخصين! وهنا يجب

(١) أنظر: الوافي: ج ٥، ص ٩٨١. وفي الصحاح قال: «نَمَّ الحديث ينمّه نَمّاً، أي: قَتّه. والاسم: النميمة. والرجل نَمّ وتَمَّ، أي: قَتَّات...». ج ٥، ص ٢٠٤٥ - مادة: (نم). وفي مجمع البحرين: «قوله تعالى: ﴿مَسَلَمٌ بَنِيْمٍ﴾ [القلم: ١١] أي: قَتَّاتُ نَقَال للحديث من قوم إلى قوم على وجه السعاية والإفساد. يُقال: نَمَّ الحديث ينمه وينمّه من بابي ضرب وقتل: سعى به ليوقع فتنة أو وحشة. فالرجل: نَمّ بالمصدر، وتَمَّ مبالغة، والاسم النميمة والنميم. ونَمَّ الحديث: إذا ظهر، وهو متعدّ ولازم». مجمع البحرين: ج ٦، ص ١٨٠ - مادة: (نم).

(٢) أنظر: أخلاق أهل البيت عليه السلام: ص ١٥٥.

الالتفات إلى أن مثل هذا النقل وإن كان خالياً من قصد الإفساد بين الحاكي والمحكي له، لكنه إذا أدّى إلى الإفساد بينهما فهو يُعدّ نميمة.

وهذا يدعونا إلى التأمل في كلّ ما ننقله إلى الآخرين ممّا نسمعه عنهم من أشخاص آخرين، هل أنّ ما ننقله من كلام يؤدّي إلى الإفساد والفتنة والتباغض والشحناء، فإن كان كذلك، فلا بدّ من التوقف، وإلاّ وقعنا في النميمة، والكلام المحرّم.

### الوشاية

تُعدّ الوشاية بالآخرين إلى السلطان الجائر والحاكم الظالم نوعاً من أنواع النميمة، بل إنّ هذا النوع منها هو أخطر من الأوّل؛ لأنّه يؤدّي إلى سلب الأموال، وانتهاك الأعراض، و سفك الدماء، وقد يُعبّر عنه - في الكتابات المعاصرة - بوكيل مخبرات، أو عميل لجهة أمنية أو سياسية.

وقد جاء في مضمون حديث مروي عن الأئمة الأطهار عليهم السلام: يؤتى للشخص يوم القيامة بكأس صغير وفيه دم إنسان، فيقال له: إنّ هذا الدم هو دم فلان، وأنت من كنت سبباً في قتله أو إعدامه! فيقول: أنا لم أقتله. فيقال له: إنّك وشيت به في اليوم الكذائي إلى الحاكم، أو وشيت به إلى الكافر، فسجنه ثم أعدمه<sup>(١)</sup>.  
إذاً، هذا النوع الثاني من النميمة - وهو الوشاية - هو الأخطر من النوع الأوّل،

(١) روى الكليني بسنده، عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «يُحشر العبد يوم القيامة وما نَدَى دماً، فيدفع إليه شبه المحجمة أو فوق ذلك، فيقال له: هذا سهمك من دم فلان. فيقول: يا رب، إنّك لتعلم أنّك قبضتني وما سفكت دماً. فيقول: بلى سمعت من فلان رواية كذا وكذا، فرويتها عليه، فنُقلت حتى صارت إلى فلان الجبار، فقتله عليها، هذا سهمك من دمه». الكافي: ج ٢، ص ٣٧١، باب الإذاعة، ح ٥.  
(ما نَدَى دماً؟ أي: ما ابتلّ بدم، ولا نالته نداوة الدم. وهو مجاز شائع بين العرب، يُراد منه أنّه لم يشترك في سفك دم.

وهنا أودّ أن أتوجّه بهذه الكلمة إلى الوشاة الذين يعملون لصالح قوات الاحتلال، ويقبضون مقابل ما يرفعونه من تقارير عشرة دولارات أو عشرين دولاراً أو خمس وعشرين دولاراً. أقول لهم: تأملوا في عاقبة فعلكم، تأملوا في عاقبة الوشاة الذين كانوا يعملون لصالح نظام صدام، كيف كانت عاقبتهم؟! وكيف يعيشون الآن في ذلّ وهوانٍ وخسارةٍ للدنيا وللآخرة؟! وقد يتصوّر البعض أنّه حينما يعمل هذا العمل فهو إنّما يعمل لصالح بلده وشعبه! ولو تأمل لوجد أنّ عمله هذا يؤدّي إلى إزهاق الأنفس وهتك الأعراض، وإلى الكثير من الموبقات التي حرمها الشرع الإسلامي.

ووفقاً لما ذكرنا من تعريف للنميمة وقسميها، تكون النميمة مساوية لإفشاء السر وهتكه؛ وهذا يعني أنّ كلّ ما يُنقل من أحوال الناس ويذاع، ولم يرضوا بذلك، فهو نميمة محرّمة.

فاللزام على كل مسلم السكوت عن كل ما يطلع عليه من أحوال الغير، والغير لا يرضى بإفشائه وإذاعته. نعم، يُستثنى من ذلك فيما لو كان في حكايته نفع لمسلم أو دفع لمعصية، كما إذا رأى أحداً يتناول مال غيره، فعليه أن يشهد به مراعاةً لحق المشهود له.

### بواعث النميمة

إنّ إرادة السوء بالمحكيّ عنه - غالباً - هي الباعث على النميمة، فتكون داخلة تحت الإيذاء، وربّما كان الباعث هو إظهار المحبة للمحكيّ له، وربّما كان الفضول والخوض فيما لا يعنيه.

توضيح ذلك: هناك شخصٌ - مثلاً - يريد أن يُظهر المحبة لزيد، فيقول له: إنّ فلاناً تكلم عنك بكذا وكذا! ولو كان هذا الشخص يريد النصح والمحبة للمحكي

له فعلاً لما تكلم بما تكلم؛ ولما نقل له ما نقل؛ لأنه بذلك يتسبب في إيذائه، وفي تدمير العلاقة القائمة بينه وبين الشخص الحاكي. فعلى الإنسان أن يتأمل في حقيقة ما ذكرنا من دوافع وبواعث.

مضافاً إلى ذلك فقد تكون الدوافع للوقوع في النميمة ناشئة من أعماق النفس، وما تحمل من حقد وبغض للحاكي.

### الأثار السيئة للنميمة

تعدّ النميمة من أخطر الخلال الذميمة، وتدّل على نفس عقيمة، وطبيعة ليثمة، مشغوفة بهتك الأستار، وإفشاء الأسرار، وربما أدت إلى سفك الدماء وانتهاك المحارم، واستباحة الأعراض، كما في الوشاية والسعاية لدى السلطان الجائر وكلّ من يخاف جانبه، والنّام من ألام الناس وأخبثهم، لاتصافه بالغيبة؛ لأنّ المنقول إن كان عيباً أو نقصاً في المنقول عنه، فقد جمع النّام بين الغيبة والنميمة. وقد يجمع النّام - إضافةً إلى ما ذكرنا - صفة الغدر والنفاق والإفساد بين الناس والتفريق بين الأحبة.

إنّ الملاحظ في الواقع والعيان، أنّ الكثير من بني الإنسان لا يتورّع عن ممارسة هذه الرذيلة، كمّ منّا ينقل كلاماً سمعه عن شخص على آخر، إلى الآخر، وقد يؤدي هذا الكلام إلى إفساد العلاقة والبغض والشحناء بين الحاكي والمحكي عنه؟! وكم من حوادث سُفكت فيها الدماء وفُرق فيها بين الأحبة كان السبب فيها النميمة؟! وكم فسخت النميمة من روابط أسرية، وأحدثت التباغض والشحناء والعداوة والمقاطعة والهجران بين أفراد الأسرة الواحدة؟!

نُقل أنّ رجلاً زار بعض الحكماء، وأخبره بخبر عن غيره، قال: إنّ فلاناً تكلم بكذا وكذا. فقال له الحكيم: قد أبطأت عني الزيارة، فلم تزرني من قبل، ولما زرتني

بَغَضْتُ إِلَيَّ أَخِي، وشغلت قلبي الفارغ، واهتمت نفسك الأمانة<sup>(١)</sup>. إِنَّ الْحَكِيمَ فِي هَذَا الْكَلِمَاتِ الْقَصَارِ أَشَارَ إِلَى بَعْضِ الْأَثَارِ السَّيِّئَةِ لِلنَّمِيمَةِ، مِنْهَا:

الأوّل: حينما ينقل شخص كلام شخص إلى آخر، فإنّه يزرع البغض والعداوة والشحناء في نفس الشخص المنقول له على المنقول عنه.

الثاني: إِنَّ الْإِنْسَانَ الْعَاقِلَ هُوَ الَّذِي يَصْرِفُ عَقْلَهُ وَمَجْهُودَهُ الْفِكْرِي فِي أُمُورٍ تَنْفَعُهُ وَتَنْفَعُ الْمَجْتَمَعَ، وَهَذَا يَحْتَاجُ إِلَى قَلْبٍ فَارِغٍ، وَالنَّهْمُ يَشْغُلُ قَلْبَ الْمُنْقُولِ إِلَيْهِ. مِنْ هُنَا تَرَوْنَ حِينَئِذٍ يُنْقَلُ لَكُمْ كَلَامُ شَخْصٍ آخَرَ، فِيهِ إِيْذَاءٌ لَكُمْ، فَسَوْفَ تَنْشَغُلُ قُلُوبُكُمْ بِأُمُورٍ تَصْرِفُهَا عَنِ التَّفَكِيرِ فِيهَا هُوَ نَافِعٌ.

### قصة وعبرة

هناك رجلٌ باع عبداً، فقال للمشتري: ما فيه عيبٌ إلاّ النَمِيمَةُ، قال: لا عليّ من نَمِيمَتِهِ، هذه لا تُضَرُّنِي، رَضِيتُ بِهِ، فَاشْتَرَاهُ، فَمَكَثَ الْغُلَامُ أَيَّاماً، ثُمَّ قَالَ: لَزُوجَةِ مَوْلَاهُ: إِنَّ زَوْجَكَ لَا يُحِبُّكَ، وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يَتَسَرَّى عَلَيْكَ (وَالتَّسَرَّى هُوَ وَطءُ الْأُمَةِ)، ثُمَّ قَالَ لَهَا: وَأَنَا أَسْحَرُهُ لَكَ فِي شَعْرِهِ، فَقَالَتْ: كَيْفَ أَقْدِرُ عَلَى أَخْذِ شَعْرِهِ؟ فَقَالَ: إِذَا نَامَ فَخُذِي الْمَوْسَى وَاحْلِقِي مِنْ قَفَاهُ شَعْرَهُ. ثُمَّ جَاءَ إِلَى الزَّوْجِ، قَالَ لَهُ: إِنَّ امْرَأَتَكَ اتَّخَذَتْ خَلِيلاً وَتَرِيدُ أَنْ تَقْتُلَكَ، فَتَنَاوَمُ لَهَا حَتَّى تَعْرِفَ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ مِنْ أَنَّهَا تَرِيدُ قَتْلَكَ. فَتَنَاوَمَ هَذَا الزَّوْجُ، فَجَاءَتْهُ الْمَرْأَةُ بِالْمَوْسَى، فَظَنَّتْ أَنَّهَا تَقْتُلُهُ، فَقامَ وَقَتْلَهَا، فَجَاءَ أَهْلُهَا وَقَتَلُوا الزَّوْجَ، ثُمَّ جَاءَتِ عَشِيرَةُ الزَّوْجِ وَتَقَاتَلُوا مَعَ عَشِيرَةِ الزَّوْجَةِ، فَوَقَعَ الْقِتَالُ بَيْنَ الْقَبِيلَتَيْنِ، وَطَالَ الْأَمْرُ بَيْنَهُمَا<sup>(٢)</sup>.

وهذا يعزّز ما ذكرنا من أنّ النَمِيمَةَ ربّما تُؤدِّي إلى سفك الدماء، ومن حوادثها

(١) أنظر: جامع السعادات: ج ٢، ص ٢١٥.

(٢) كشف الريبة عن أحكام الغيبة: ص ٤٧-٤٨.

الكثيرة والكبيرة والمتكررة يتضح عظيم شرّها وكبير خطرها في المجتمع، وأنها شرّ من الغيبة والبهتان، وأنّ صاحبها أخبث الخلق، فإن من يسعى بالنائم ويفسد بين الناس، ولا يحب في الحياة إلاّ التباغض والتفريق والتنازع والتخاصم، هو شرّ الناس وأرذلهم، ووجوده يضرّ بالمجتمع.

### النميمة في الآيات والروايات

إنّ الإسلام - وهو الحريص على وحدة المجتمع وتماسكه - يشدّد النهي عن النميمة، بل يتوعّد مرتكبها بأشدّ العقاب؛ وذلك لغرض رده وإصلاحه. بعبارة أخرى: إنّ الحديث عن ملامح الصورة التي رسمتها الشريعة المقدّسة عن النميمة من خلال الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، يمثل رادعاً قوياً، يردع الإنسان المؤمن عن الخوض في مثل هذه الرذيلة.

### الآيات

- ١ - قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطْعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ ﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ ﴿مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>؛ فالآية تبين أنّ النميمة من صفات الكافر.
- ٢ - قوله تعالى: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ ﴿فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾<sup>(٢)</sup>؛ فمن مصاديق هذه الآية النّمام الذي ينقل كلاماً سمعه من شخص حول شخص آخر إلى الشخص الآخر؛ لأنّه يقطع ما أمر الله به أن يوصل، ويفسد في الأرض، فهو بدل أن يحقق الأهداف التي أرادها المشرّع الإسلامي من إيجاد العلاقة الطيّبة والألفة والمحبة بين المؤمنين ويقوّي وحدتهم، يوجد الفرقة والنفرة والعداوة بينهم، فجزاؤه اللعنة وعذاب الآخرة.

(١) القلم: آية ١٠-١٢.

(٢) الرعد: آية ٢٥.

٣ - قوله تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾<sup>(٢)</sup>؛ والنِّمَامُ مصداقٌ لهذه الآية؛ لأنه يشعل نار الفتنة بكلامه.

### الروايات

١ - روي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، أنه قال: «...وَأَنْ مِنْ أَكْبَرِ السَّحَرِ النِّمِيمَةُ، يَفَرِّقُ بَهَا بَيْنَ الْمُتَحَابِّينَ، وَيَجْلِبُ بِهَا الْعَدَاوَةَ عَلَى الْمُتَصَافِينَ، وَيَسْفِكُ بِهَا الدِّمَاءَ، وَيَهْدِمُ بِهَا الدُّورَ، وَيَكْشِفُ بِهَا السُّتُورَ، وَالنِّمَامُ أَشَرُّ مَنْ وَطَأَ الْأَرْضَ»<sup>(٣)</sup>.

٢ - روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله، أنه قال: «مَنْ مَشَى فِي نَمِيمَةٍ بَيْنَ اثْنَيْنِ، سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي قَبْرِه نَارًا تَحْرَقُهُ، وَإِذَا خَرَجَ مِنْ قَبْرِه سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ نَيْيًّا أَسْوَدَ يَنْهَشُ لَحْمَهُ حَتَّى يَدْخُلَ النَّارَ»<sup>(٤)</sup>.

٣ - في حديث - آخر - عنه صلى الله عليه وآله، أنه قال: «أَحَبُّكُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا، الْمُوْطَّئُونَ أَكْنَافًا، الَّذِينَ يَأْلِفُونَ وَيُؤْلَفُونَ، وَإِنْ أَبْغَضَكُمْ إِلَى اللَّهِ الْمُشَاوِرُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمَفْرُقُونَ بَيْنَ الْأَحْبَةِ، الْمُتَمَسِّكُونَ لِلْبِرِّاءِ الْعَثَرَاتِ»<sup>(٥)</sup>. وفي هذا الحديث يبيِّن النبي صلى الله عليه وآله معيار المحبة عند الله تعالى، ومعيار البغض عنده سبحانه وتعالى.

٤ - في حديث آخر يصوِّر رسول الله صلى الله عليه وآله من خلاله بشاعة وعظمة عقوبة النِّمَامِ، فيقول: «لَمَّا أُسْرِي بِي رَأَيْتُ امْرَأَةً رَأْسُهَا رَأْسُ خَنْزِيرٍ، وَبَدْنُهَا بَدْنُ حِمَارٍ، وَعَلَيْهَا أَلْفُ أَلْفِ لَوْنٍ مِنَ الْعَذَابِ»، فسُئِلَ صلى الله عليه وآله: مَا كَانَ عَمَلُهَا حَتَّى اسْتَحَقَّتْ هَذَا الْعَذَابَ؟

(١) البقرة: آية ١٩١.

(٢) البقرة: آية ٢١٧.

(٣) الاحتجاج: ج ٢، ص ٨٢.

(٤) وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ٣٠٨، ح ١٦٣٧٤ / ٧.

(٥) مستدرک الوسائل: ج ٩، ص ١٥٠، ح ١٠٥٢١ / ٦.

فقال ﷺ: «إنَّها كانت تامة كذابة»<sup>(١)</sup>.

٥ - في حديث للإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال فيه: «أربعة لا يدخلون الجنة: الكاهن، والمنافق، ومدمن الخمر، والقَتَات»<sup>(٢)</sup>، في هذا الحديث نرى أنَّ النَّام جعل في عرض مدمن الخمر والمنافق.

فالأحاديث أعلاه كانت تشير إلى مخاطر النسيمة من جهة العذاب الآخروي، أمَّا الآثار الدنيوية لها فكثيرة؛ منها: سلب البركة في الدنيا، وعدم استجابة الدعاء، «فقد روي أنَّ موسى عليه السلام استسقى لبني إسرائيل حين أصابهم قحط في إحدى السنين، فأوحى الله تعالى إليه: لا أستجيب لك ولا لمن معك، وفيكم تمام قد أصرَّ على النسيمة. فقال موسى عليه السلام: مَنْ هو يا ربي حتى نخرجه من بيننا حتى تستجيب دعاءنا؟ فقال الله تعالى: يا موسى، أنهاكم عن النسيمة وأكون تامةً، فتابوا بأجمعهم، فسقوا»<sup>(٣)</sup>.

أليس بيننا الكثير من النَّامين ونحن بأمس الحاجة إلى استجابة الدعاء؟! حينما ندعو الله تعالى، ما علينا - على ضوء هذه الرواية - إلَّا أن نتوجَّه إليه بالتوبة، ونقول: ربَّنَا تب علينا واغفر لنا وارحمنا إنَّكَ أنت التَّوَّاب الرحيم. نتوب من النسيمة ومن كلِّ خطيئة يمكن أن تحجب دعواتنا التي نحن بأمس الحاجة إلى استجابتها من قِبَل المولى سبحانه وتعالى.

## كيف نتعامل مع النمام؟

كيف ينبغي أن يكون التعامل مع النَّمام؟ حينما يأتينا إنسان، ناقلاً حديث الغير عنَّا، كيف ينبغي أن نتعامل معه على ضوء الأحاديث الشريفة والآيات القرآنية؟

(١) بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٢٦٤، ب ٦٧ النسيمة والسعاية، ح ٧.

(٢) الأمالي (الشيخ الصدوق): ص ٤٨٩، ح ٦٦٣ / ٥. والمراد بالقَتَات: النَّمام.

(٣) كشف الرية: ص ٤٢.

في مقام الجواب نقول: لما كان النّام من أخطر المفسدين وأشدّهم إساءة وشرّاً للناس؛ لذا يلزم الحذر منه، والتوقّي من كيده وإفساده، وذلك باتّباع النصائح الآتية:

### أولاً: أن تكذب النّام ولا تصدّقه

الملاحظ هو أنّ الكثير من الناس عندما يأتيهم النّام فإنّهم يصدّقونه فيما ينقل إليهم من حديث الغير السيئ فيهم، بل ويرتّبون الأثر على ما سمعوا، فتدخل حينئذٍ العداوة والشحناء والبغضاء، وربّما ردّوا لمن نقل عنه الصاع صاعين! ينبغي للإنسان أن يتعامل مع النّام وفقاً للخطوات التي رسمتها الشريعة؛ وهي: أن نكذّبه ولا نصدّقه، ونردّ شهادته؛ لفسقه وعدم وثاقته، قال تعالى: ﴿إِنْ جَاءَكَ فَاسِقٌ بِنِیَا فْتَعَيْنُوْا أَنْ تُصِیْبُوْا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصِحُّوْا عَلٰی مَا فَعَلْتُمْ نَنِیْمٍ﴾<sup>(١)</sup>.

وقد نهى الإسلام عن إطاعة مثل هذا الإنسان وقبول حديثه، والركون إلى حديثه ونقله، قال تعالى: ﴿وَلَا تَطْعَمْ كُلَّ حَلَاْفٍ مَّهِنٍ﴾ ﴿هَمَزٍ مَشَاءٍ بَنِیْمٍ﴾<sup>(٢)</sup>، وعدم الإطاعة تتمثّل في المصداق الأقل، هو عدم القبول والركون إلى حديثه، فعلى من تُحمّل إليه النميمة أن لا يصدّق النّام ولا يصغي إلى كلامه؛ لأنّ قبول النميمة لا يقل شرّاً عن النميمة، بل هو أشر منها.

وخطر قبول حديث النّام إنّما لا يقلّ عن خطر النميمة نفسها؛ لأنّ النّام إمّا أن يكون كاذباً في نقله أو صادقاً، وفي كلتا الحالتين فهو لئيم؛ لأنّه لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة، وقد استدلل الإمام الصادق عليه السلام بأية نأ الفاسق على عدم قبول قول النّام، حيث قال للمنصور الدوانيقي في حديث له عليه السلام: «لا تقبل قول من حرّم الله

(١) الحجرات: آية ٦.

(٢) القلم: آية ١٠-١١.

عليه الجنة<sup>(١)</sup> ومأواه النار، فإن التَّامَّ شاهد زور وشريك إبليس في الإغراء بين الناس، وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَلَةٍ فَتُصْحِرُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

### ثانياً: أن لا تظنَّ بأخيك السوء

ينبغي بالمؤمن أن لا يظن بأخيه سوءاً لمجرد أن الآخر قد نمَّ عليه، قال تعالى: ﴿أَجْنَبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال أيضاً: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾<sup>(٤)</sup>.

وقال أيضاً: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾<sup>(٥)</sup>.

إنَّ هذه الآيات تأسس لقاعدة اجتماعية لا بدَّ من تطبيقها، وهي التثبت، فالآيات تدعو الإنسان المؤمن إذا سمع القدح في أخيه المؤمن، أن يتثبت فيما سمعه.

### تبصرة

من الأحاديث التي تؤكد على أهمية توثيق الأواصر بين المؤمنين وابتعاد المجتمع الإيماني عن كل ما يؤدي إلى تعكير صفو هذه العلاقات، ما عن محمد بن فضيل عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك؛ الرجل من إخواني يبلغني عنه الشيء الذي أكره له، فأسأله عنه فينكر ذلك، وقد أخبرني عنه قوم ثقات [كما يحصل كثيراً، يأتي شخص ثقة يقول: فلان فعل كذا. أو قال كذا، إذا كان

(١) إشارة إلى الأحاديث الناطقة بأنَّ أصنافاً أربعة لا يدخلون الجنة؛ الكاهن، والمنافق، ومدمن الخمر، والقتات، وقد تقدم ذكرها قبل قليل.

(٢) الأمالي، (الشيخ الصدوق): ص ٧١٠.

(٣) الحجرات: آية ١٢.

(٤) الحجرات: آية ٦.

(٥) الإسراء: آية ٣٦.

ثقة فعليه أن يصدقه؟ ماذا يجب الإمام عليه السلام؟ قال، فقال لي: «يا محمد، كذب سمعك وبصرك عن أخيك، فإن شهد عندك خمسون قسامة وقال لك، فصدقه وكذبهم». أي: صدق هذا الإنسان المؤمن وكذب هؤلاء الخمسين قسامة. «ولا يذيعن عليه شيئاً يشينه وتهدم به مروته» وهدم المروة نعبر عنه الآن في الوقت الحاضر تحطيم الشخصية الاجتماعية، حينما يصل إلي حديث أو فعل فعله الأخ المؤمن، ينبغي أن لا أنشره بين الناس؛ لأن ذلك - كما قال الإمام - يؤدي إلى تهديم المروة وتحطيم الشخصية الاجتماعية لهذا الإنسان المؤمن، «فتكون من الذين قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾»<sup>(١)(٢)</sup>.

### ثالثاً: أن لا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه

فلا تحكي نميمته، فتقول: فلان قد قال لي كذا وكذا، وقد حكى لي كذا وكذا. فتكون به نماماً أيضاً، وتكون قد أتيت بما نهيت النمام عنه.

### رابعاً: أن تنهاه عن النميمة

ينبغي على المؤمن الرسالي أن ينهى النمام عن النميمة، وعن نقل الكلام للآخرين، وينصحه ويقبح له فعله، قال الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾<sup>(٣)</sup>، والنميمة منكرة، فالذي ينبغي فعله هو أن تنهاه عن هذا الفعل. روي أن رجلاً رفع إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كتاباً فيه سعاية، فنظر إليه أمير المؤمنين ثم قال عليه السلام: «يا هذا، إن كنت صادقاً مقتناً، وإن كنت كاذباً

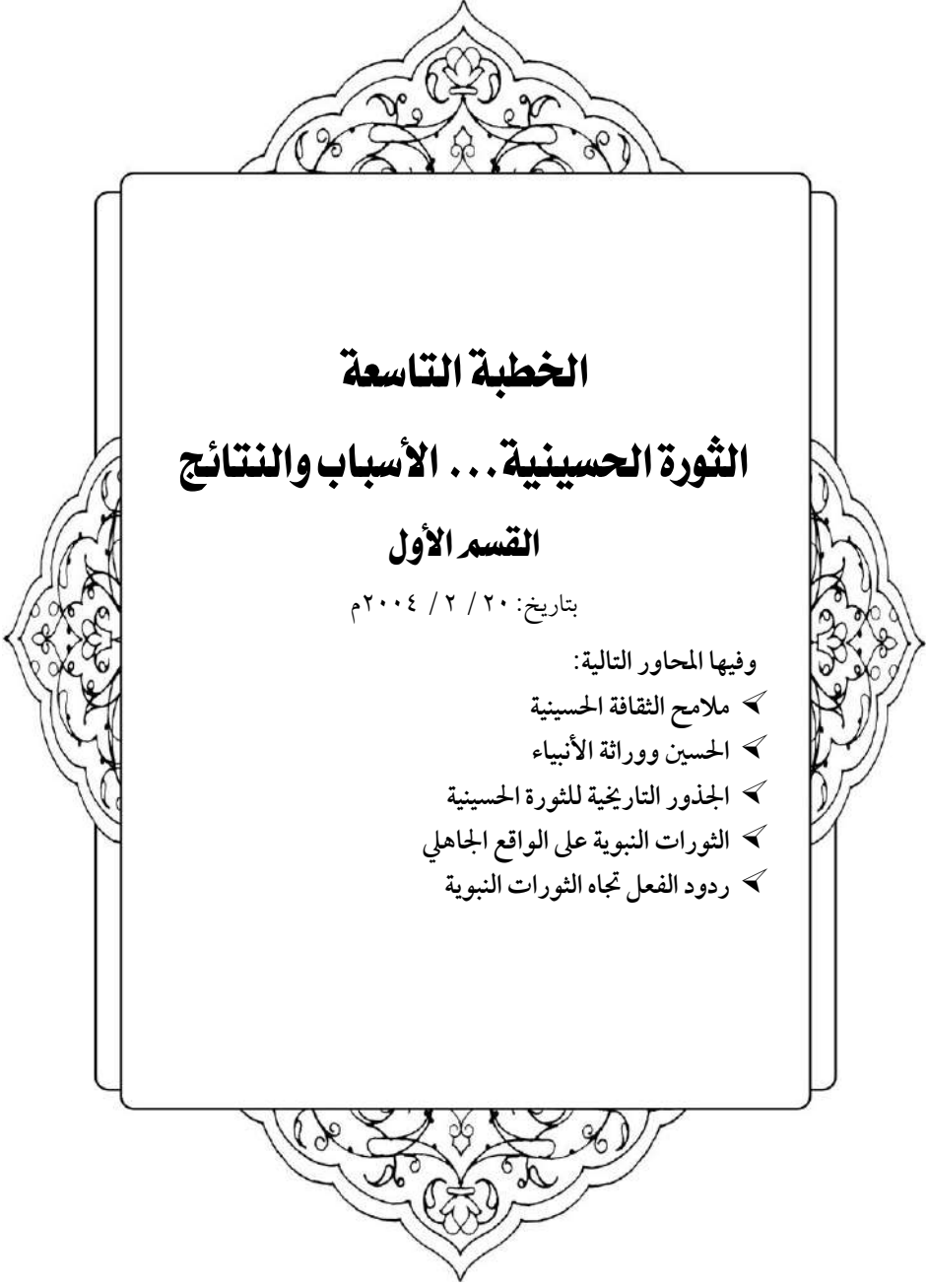
(١) النور: آية ١٩.

(٢) روضة المتقين: ج ٩، ص ٣٨٧، باب حرمة إفشاء الفاحشة.

(٣) لقمان: آية ١٧.

عاقبتك، وإن أحببت القيلة أقلناك»، قال: بل تقيلني يا أمير المؤمنين<sup>(١)</sup>. أي: تطلب الإقالة من هذه العثرة والزلة.

وبما ذكرنا اتضح كيف أنّ الإسلام أراد من المسلمين أن يتعايشوا بالألفة والمودة والمحبة التي هي الأساس المتين لخيرهم وتقدمهم، لا للفرقة والعداء، وأن لا يصدّق المؤمن على أخيه قولاً في شيء هو ينكره، مهما كان الناقلون في العدد والكثرة وفي الوثاقة والعدالة.



# الخطبة التاسعة

## الثورة الحسينية... الأسباب والنتائج

### القسم الأول

بتاريخ: ٢٠ / ٢ / ٢٠٠٤م

وفيها المحاور التالية:

- ملامح الثقافة الحسينية
- الحسين وورثة الأنبياء
- الجذور التاريخية للثورة الحسينية
- الثورات النبوية على الواقع الجاهلي
- ردود الفعل تجاه الثورات النبوية



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين، إلى قيام يوم الدين.

الحمد لله على ما عرّفنا من نفسه، وألهمنا من شكره، وفتح لنا من أبواب العلم بربوبيته، ودلنا عليه من الإخلاص له في توحيده، وجنبنا من الإلحاد والشك في أمره.

حمداً نعمّر به فيمن حمده من خلقه، ونسبق به من سبق إلى رضاه وعفوه، حمداً يضيء لنا به ظلمات البرزخ، ويسهل علينا به سبيل المبعث، ويُسّرّف به منازلنا عند مواقف الأَشْهاد، يوم ﴿تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾<sup>(١)</sup> ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلَى شَيْئاً وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، حمداً يرتفع منا إلى أعلى عليين في ﴿كِتَابٍ مَرْقُومٍ﴾ ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، حمداً تقرّ به عيوننا إذا برقت الأبصار، وتبيّض به وجوهنا إذا اسودّت الأبصار، حمداً نعتق به من أليم نار الله إلى كريم جوار الله، حمداً نزاحم به ملائكته المقربين، ونضامّ به أنبياء المرسلين، في دار المقامة التي لا تزول، ومحل كرامته التي لا تحول<sup>(٥)</sup>، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطاهرين.

(١) غافر: آية ١٧.

(٢) البقرة: آية ٢٨١.

(٣) الدخان: آية ٤١.

(٤) المطففين: آية ٢٠-٢١.

(٥) الصحيفة السجادية: ص ٣٠.

أوصيكم إخواني ونفسي بمخافة الله تعالى والحذر من مخالفته وعصيانته، فإنّ رأس الحكمة مخافة الله تعالى، وأوصيكم بالاهتداء بهدي حججه على خلقه، وأمنائه على رسالته، أئمة الهدى ومعادن الرحمة.

إخواني في المحبة لمبادي الثورة الحسينية وقيمها، أخواتي في السير على درب فاطمة الزهراء وزينب الكبرى عليهما السلام، ها هو عاشوراء الحسين عليه السلام قد حطّ رحله، ونزل بساحتنا من جديد، وفي عاشوراء حدث له أصول وجذور يمتدّ إليها، وعلل يرتبط بها كما لكلّ حدث في التاريخ، وحدث الحركة الحسينية بقيادة سبط نبي الرحمة بعد منتصف القرن الأوّل للهجرة هو من أكثر الأحداث جذوراً، وأوفرها أصولاً، وأعماقها عللاً وأسباباً، وكذلك هو أشدها إشعاعاً وأغناها ثماراً عند النظر إلى نتائجها.

### ملامح الثقافة الحسينية

من المسائل التي ينبغي أن تُبحث - ونحن نعيش أجواء شهر محرّم الحرام - ملامح الثقافة الحسينية التي أراد الإمام الحسين عليه السلام أن يقدمها للأمة من خلال يوم عاشوراء. وهذه الثقافة هي الثقافة التي ينبغي أن نقدمها كي تبقى مبادئ وقيم سيد الشهداء عليه السلام حيّة في الأمة.

ويمكن أن نقف على شيء من ملامح الثقافة الحسينية من خلال التدبّر في فقرات زيارة وارث التي يردّها الشيعة على ألسنتهم، وتتجدّد في ذاكرتهم في أوقات كثيرة، والتي أراد أهل البيت عليهم السلام من خلالها أن نعمّق الارتباط بثقافة الإمام الحسين عليه السلام: «السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله، السلام عليك يا وارث نوح نبي الله، السلام عليك يا وارث إبراهيم خليل الله، السلام عليك يا وارث موسى كليم الله، السلام عليك يا وارث عيسى روح الله، السلام عليك يا وارث محمد حبيب الله،

السلام عليك يا وارث أمير المؤمنين عليه السلام ولي الله...<sup>(١)</sup>.

من خلال التأمل في فقرات الزيارة - أعلاه - واستنطاقها تتضح لنا أبرز ملامح ثقافة عاشوراء الحسين عليه السلام متمثلة بالتالي:

أولاً: ثقافة التحدي.

ثانياً: ثقافة مواجهة الظالمين والمتجبرين.

ثالثاً: ثقافة رفض الواقع الاجتماعي الفاسد والمنحرف.

### الإمام الحسين عليه السلام ووراثته للأنبيا

حتى يتضح السر الذي اقتضى تخصيص الإمام الحسين عليه السلام بصفة الوارث للأنبيا من دون سائر الأئمة عليهم السلام مع أن كل الأئمة والصالحين من عباد الله، هم حملة الدعوة إلى الله تعالى، وهم ورثة الأنبياء من دون فرق، لا بدّ من الوقوف على الأسباب التي أدت إلى تفجّر الثورة الحسينية.

### الجدور التاريخية للثورة الحسينية

للقوف على جذور الثورة الحسينية، وجذور العداء الأموي لأهل البيت، والذي تجلّى بأجلى صوره في يوم الطفوف، لا بدّ من الرجوع إلى بدايات النهضة الإسلامية وما صاحبها من انقلابات نبوية على الواقع القائم في الجزيرة العربية.

### الثورات النبوية على الواقع الجاهلي

يمكن أن نسجّل عدّة أنواع للثورات النبوية على الواقع الجاهلي الذي كان سائداً ورائداً في مجتمع الجزيرة العربية في تلك الفترة.

---

(١) كامل الزيارات: ص ٣٧٦.

### النوع الأول: الثورة على العادات الجاهلية

من المعروف - لكل أحد - حجم التغيير والانقلاب الشامل الذي أحدثه النبي ﷺ في حياة الناس، فهو تغيير شمل كل القيم والأفكار والأعراف والأخلاق والعلاقات الجاهلية التي كانت سائدة ورائدة في مجتمع الجزيرة العربية في تلك الفترة:

لقد هدم النبي ﷺ البناء الجاهلي بما يحمل من تصورات للحياة والأحكام والأخلاق، ثم قام ببناء كامل لصرح الحياة الإنسانية بكل ما فيها من الأفكار والأخلاق والعادات وغير ذلك، فأعاد إلى الحياة الإنسانية تراث الأنبياء الذي طمسته الحياة الجاهلية.

وهذا ما أشار إليه النبي ﷺ في خطبة حجة الوداع، حيث قال: «إِنَّ الزمان والسموات قد استدارا كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض»<sup>(١)</sup>. فكانه ﷺ يريد أن يخبر الناس أن الزمان قد استدار دورة كاملة، وأن الإسلام قد أعاد للناس حياة الفطرة النقية الصافية.

### النوع الثاني: ثورة النبي ﷺ على المواقع القيادية لأعيان الجاهلية

كان لا بدّ للانقلاب النبوي الشامل في القيم والأفكار والأخلاق من قيادات سياسية واجتماعية تحميه وتدعمه، وتنفذه وتحوله إلى واقع متحرك ملموس في الحياة الاجتماعية، من هنا كانت وظيفة النبي ﷺ الثانية - والتي تلقاها من السماء - إحداث انقلاب من نوع آخر، يتمثل بتبديل أشخاص المواقع القيادية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تتحكم بالمجتمع بآخرين كفؤين، ثقات، وتحجيم

---

(١) بحار الأنوار: ج ٢١، ص ٣٨١، خطبته ﷺ في حجة الوداع. وحجة الوداع هي آخر حجة يحجها الرسول الأعظم ﷺ، وكانت في السنة العاشرة من الهجرة.

طواغيت قريش ورموز الجاهلية الذين كانوا يحتلون مراكز القيادة والسيادة في المجتمع وإلغاء مواقعهم وامتيازاتهم؛ لأنهم أناس ترسّخت في نفوسهم قيم الجاهلية وعاداتهم. وقد سلّم هذه المواقع للطبقة التي تأصّلت وترسّخت في نفوسهم قيم الإسلام وتعاليمه.

وهذا إجراء طبيعي للنبي القائد؛ الذي كان جلّ تفكيره واهتمامه في ترسيخ الثورة الربانية في حياة الناس، ولا يتمّ ذلك ما لم يعهد أمرها إلى أيدي أمينة؛ آمنت بالإسلام حقّ الإيمان، وتفاعلت معه.

وكانت المقاييس التي اعتمدها النبي ﷺ في اختيار الشخصيات القيادية تختلف تماماً عن المقاييس التي اعتمدت في الجاهلية، ولا بدّ من لفت النظر إلى مسألة مهمة؛ وهي: أنّ تلقّي بعض أفراد المجتمع للاختيارات النبوية كان متّسماً بطابع الإنكار والاستغراب، وكان يبلغ الأمر أحياناً حدّ التمردّ والعصيان! ويشهد لذلك الكثير من الأحداث التاريخية؛ منها: ما رواه المؤرخون وأصحاب السيّر من أنّ رسول الله ﷺ عندما استعمل أسامة بن زيد<sup>(١)</sup> على الجيش الزاحف لقتال الروم - وكان ذلك في أخريات حياته - وكان زيد صغير السن، وفي جيش المسلمين كبار الصحابة وشيوخهم ووجوههم، إذ لم يبقَ أحدٌ من وجوه المهاجرين والأنصار إلاّ انتدب لتلك الحملة العسكرية؛ فقد كان فيهم أبو بكر، وعمر بن الخطاب، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وقتادة بن النعمان، وغيرهم<sup>(٢)</sup>، فتكلّم قومٌ، وقالوا:

---

(١) أسامة بن زيد بن شراحيل الكلبي: مولى رسول الله ﷺ، أمّه: أم أيمن، اسمها بركة، وكنيته: أبو محمد، عدّه الشيخ الطوسي في رجاله، من أصحاب رسول الله ﷺ، وفي أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام. وعن البحار: أنّ المكّن لأسامة كان هو الحسين عليه السلام. وقد قال النبي ﷺ، قال: «جهّزوا جيش أسامة، لعن الله من تخلف عنه». معجم رجال الحديث: ج ٣، ص ١٨٣، رقم ١٠٩١.

(٢) أنظر: المراجعات: ص ٣٦٥، مراجعة ٩٠.

يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين؟! مستنكرين على النبي ﷺ اختياره لهذا الشاب الصغير قائداً على جيش المسلمين وفيهم كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار. وحينما سمع رسول الله ﷺ بذلك، غضب غضباً شديداً، وخرج وقد عصب رأسه بعصابة، فصعد المنبر، وحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد، أيها الناس، فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة، ولئن طعنتم في تأميري أسامة فقد طعنتم في تأميري أباه قبله، وأيم الله إنه كان للإمارة خليفاً، وإن ابنه من بعده لخليق بالإمارة»<sup>(١)</sup>.

وهذا يكشف أن بعض وجوه الصحابة لم يكن لديهم الوعي الفكري الكافي فيما يخص اختيارات النبي ﷺ بالنسبة لتعيين الأشخاص الكفوئين في مواقع القيادة، وأن هذه الاختيارات لم تكن عن عاطفة أو عدم رؤية ثاقبة ودقيقة لكفاءات من يختارهم، ويكشف - أيضاً - عن عدم تأصل روح الخضوع والانقياد للنبي ﷺ؛ وهذا يمثل رداً لمن يستبعد أن يكون كبار الصحابة قد تمرّدوا على رسول الله ﷺ في تعيينه للإمام عليّ عليه السلام في منصب القيادة من بعده.

### النوع الثالث: الثورة على تركيبة الهرم الاجتماعي السائد

من الانقلابات التي أحدثها النبي ﷺ في نهضته الإسلامية الإنسانية هو الانقلاب على تركيبة الهرم الاجتماعي السائد لدى الناس في الجزيرة العربية فترة الجاهلية.

فمن كان يستحق - وفقاً للمعايير الإسلامية والإنسانية - أن يكون عالياً في المجتمع، وتكون له العزة والرفعة، جعله عالياً عزيزاً. ومن كان يستحق أن يكون دنياً ذليلاً في المجتمع، جعله كذلك. لقد رفع النبي ﷺ من كان قوي الإيمان، ومن

(١) بحار الأنوار: ج ٢١، ص ٤١٠، ح ٤١.

تأصل الإسلام في روحه ودمه وفي كل كيانه، وإن كان مستضعفاً محروماً فقيراً، وبوَّاه مواقع الشرف والسيادة في المجتمع؛ لكي يكون حامياً للشرعية، مرسخاً لتعاليمها في أفراد المجتمع.

### ردود الفعل تجاه الثورات النبوية

لابدّ من دراسة ردود الفعل تجاه هذه التغيرات التي أحدثها النبي ﷺ في التركيبة الاجتماعية.

يقول الطبرسي في تفسيره (مجمع البيان) في ذيل قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾<sup>(١)</sup>، إن هذه الآية نزلت في سلمان وأبي ذر وصهيب وعمار وغيرهم من فقراء أصحاب النبي ﷺ؛ وذلك أنّ المؤلفة قلوبهم جاؤوا إلى رسول الله ﷺ من أمثال عيينة بن الحصين والأقرع بن حابس ونحوهما، فقالوا: يا رسول الله، إن جلست في صدر المجلس ونحيت عنا هؤلاء (أي: سلمان وأبا ذر وصهيب وعمار)، وروائح صنائبهم (وكانت عليهم جبات الصوف)، جلسنا نحن إليك وأخذنا عنك، فلا يمنعنا من الدخول عليك إلّا هؤلاء. فلما نزلت الآية قام النبي ﷺ يلتمسهم فأصابهم في آخر المسجد يذكرون الله، فقال: «الحمد لله الذي لم يمّتنني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من أمتي، معكم المحيا ومعكم الممات»<sup>(٢)</sup>.

وهذا الانقلاب الإلهي في تغيير السلم الاجتماعي للناس بحسب موازين التقوى والإيمان هو الذي جرت عليه سيرة الأنبياء، وتحدث عنه الآيات القرآنية

(١) الكهف: آية ٢٨.

(٢) تفسير مجمع البيان: ج ٦، ص ٣٣٧.

في أوائل سورة القصص، قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ  
وَنَجْعَلَهُمْ آيَةً وَيَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۖ وَنَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ  
وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

من هنا حرص الإسلام على إزالة طواغيت قريش عن عروشهم وعن المواقع  
الحساسة في المجتمع الإسلامي، ومنهم طواغيت بني أمية؛ هؤلاء الذي أعلنوا  
الحرب على النبي ﷺ وعلى دعوته، وألبوا الناس عليه سنين طويلة.

لقد بذل النبي ﷺ جهده في إلغاء دورهم في الحياة الاجتماعية والسياسية في  
المجتمع الإسلامي الجديد، فلا يمكن أن يأتمن هذا الدين أناساً عادوا هذه الدعوة  
وحاربوها، ووقفوا في وجهها، وألبوا الناس في الأمس القريب على قيم الدعوة  
وأفكارها وقواعدها.

ولكن ماذا جرى - بعد كل الذي فعله رسول الله ﷺ من تلك التغيرات المهمة  
والانقلابات الجذرية في حياة المجتمع الإسلامي - بعد أن رحل رسول الله ﷺ عن  
حياة الناس؟

هذا ما سنجيب عنه في الخطب اللاحقة إن شاء الله تعالى.

**الخطبة العاشرة**  
**الثورة الحسينية... الأسباب والنتائج**  
**القسم الثاني**

بتاريخ: ٥ / ٣ / ٢٠٠٤ م

وفيها المحاور التالية:

- ◀ ملامح الثقافة الحسينية
- ◀ الحسين ووراثة الأنبياء
- ◀ الجذور التاريخية للثورة الحسينية
- ◀ الثورات النبوية على الواقع الجاهلي
- ◀ ردود الفعل تجاه الثورات النبوية



## مقدمة الخطبة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على سيّدنا ونبينا أبي القاسم محمّد وآل بيته الطيبين الطاهرين... واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

الحمد لله على حلمه وأناته، والحمد لله على علمي بأنّ ذنبي وإن كبر صغير في جنب عفوه، وجرمي وإن عظم حقيرٌ عند رحمته، وسبحان الله الذي رفع السماوات بغير عمد، وأنشأ جنّات المأوى بلا أمد، وخلق الخلائق بلا ظهر ولا سند. ولا إله إلاّ الله المنذر من عنت عن طاعته، وعتى عن أمره، والمحذّر من لَجّ في معصيته، واستكبر عن عبادته، والمعذر إلى مَنْ تهادى في غيّه وضلالته لتثبيت حجّته عليه وعلمه بسوء عاقبته.

والله أكبر الجواد الكريم، الذي ليس لقديم إحسانه وعظيم امتنانه على جميع خلقه نهاية، ولا لقدرته وسلطانه على بريّته غاية.. أنت مولاي الذي جدت بالنعم قبل استحقاقها، وأهلّتها بتطوّلك غير مؤهّليها، فلم يعزك منع ولا تكأذك إعطاء<sup>(١)</sup>، ولا أنفد سعتك سؤال ملح، بل أدررت أرزاق عبادك تطولاً منك عليهم، وتفضلاً منك لديهم.

اللّهم كلّت العبارة عن بلوغ مدحتك، وهفا اللسان عن نشر محامدك وتفضلك، وقد تعمّدتك بقصدي إليك وإن أحاطت بي الذنوب، وأنت أرحم

---

(١) تكأذك: شقّ عليك.

الراحمين، وأكرم الأكرمين، وأجود الأجودين، وأنعم الرازقين، وأحسن الخالقين<sup>(١)</sup>.  
 اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، كَأَفْضَلِ  
 مَا صَلَّيْتَ وَبَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مُجِيدٌ.  
 عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، واقتفاء هديه، واتباع سنته،  
 والاستقامة على جادته، والتزوّد ليوم الفاقة والحسرة والندامة، يوم ينادي المنادي:  
 أَلَمْ تَأْتِكُمْ رُسُلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَالْحَجَجِ<sup>(٢)</sup>، يوم يعصّ الظالم على يديه، يقول: يَا لَيْتَنِي  
 اتَّخَذْتُ نَهْجَ الرَّسُولِ وَآلَهُ سَبِيلًا<sup>(٣)</sup>.

### تتمة البحث في ملامح الثورة الحسينية

بيّنا في الجمعة السابقة<sup>(٤)</sup>، أنّ الثقافة الحسينية التي أراد بطل كربلاء الإمام  
 الحسين عليه السلام أن يقدمها للأمة من خلال يوم عاشوراء هي ثقافة التحدي، وثقافة  
 المواجهة مع الظالمين والمتجبرين والمستكبرين، وثقافة رفض الواقع الفاسد  
 والمنحرف.

وحين يمارس أتباع أهل البيت عليه السلام وعشّاق الإمام الحسين عليه السلام الشعائر  
 الحسينية في كلّ عام، ويدفون الدموع ويلطمون الصدور؛ فإنّهم يريدون بذلك  
 تعميق ارتباطهم وترسيخ جذور الولاء لمبادئ الثورة الحسينية وقيمها ومواقفها.  
 وحينما نكثر من زيارة الإمام الحسين عليه السلام والأئمة الأطهار، ونجدد مواعب

(١) البلد الأمين: ص ١٠٥-١٠٦.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَوَلَمْ نَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا إِنَّهُمْ كَاذِبُونَ وَمَا دُعُوا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ غافر: آية ٥٠.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعِصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَكْفُورُ يَلْتَمِسُ نَحْنُ أَن نَّخَذُكَ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ الفرقان: آية ٢٧.

(٤) خطبة الجمعة بتاريخ ١٣-٢-٢٠٠٤.

العزاء؛ فلائنا نريد أن نجدد العهد مع قادتنا، ونقول لهم: إننا مستمرّون في السير على دربكم ونهجكم، ولا نبالي بما يحلّ بنا، وإن تطلّب ذلك منّا قطع الرؤوس، وحرّق الأجساد، وبتر الأيدي والأرجل، وتقطيعنا إرباً إرباً.

### خلاصة التغيرات النبوية للمجتمع الجاهلي

بيّنا في الخطبة السابقة بعض خلفيات الثورة الحسينية، وذكرنا أنّ النبي الأعظم ﷺ أحدث ثلاثة أنواع من التغيرات الشاملة في المجتمع في ذلك الحين؛ وهي:

النوع الأوّل: تغيير شامل على مستوى الفكر والقيم والعادات والتقاليد والأعراف والأخلاق والأحكام.

النوع الثاني: تغيير شامل على مستوى المواقع القيادية للمجتمع، بما يضمن سلامة المسيرة الربّانية الكبرى، وضمان تطبيقها وتحويلها إلى واقع ملموس على أرض الواقع.

النوع الثالث: تغيير شامل على مستوى تركيبة الهرم الاجتماعي في ذلك الحين.

### انقلاب الأمة على الأعقاب بعد وفاة النبي ﷺ

إنّ ما حصل بعد رحيل رسول الله ﷺ إلى عالم الملكوت من انقلاب على الشرعية من قبل بعض الجماعات؛ يمثل انتكاسة مريّة لمسيرة الدعوة الإسلامية. فبعد أن ائتمنت السماء أهل البيت ﷺ لقيادة المجتمع الإسلامي وحراسة الدعوة الإلهيّة، نُحُوا عن مواقعهم، وعادت تلك الفئة المستكبرة من بني أمية ومن سبقهم إلى المواقع السيادية والقيادية، بعد أن جرّدهم الإسلام منها، وحدّ من نفوذهم وسلطانهم، وألغى دورهم السياسي والاجتماعي إلغاءً كاملاً.

وإذا علمنا أنّ هذه الانتكاسة إنّما كانت في الأدوار الأولى من حياة الدعوة الإسلامية، إذ لم تترسّخ بعدُ قيم الإسلام ومفاهيمه رسوخاً كاملاً لدى أغلب طبقات المجتمع؛ نعرف مدى الخطر في عودة الحزب الأموي وأتباعه إلى قمّة الموقع الاجتماعي والسياسي في المجتمع الإسلامي.

وبمجرّد وصول هذه الجماعة إلى المواقع الرائدة في الدولة الإسلامية قاموا بعزل الطبقة التي تكوّنت في فترة نشأة الدعوة الإسلامية ومعاناتها، بل عملوا على تصفيتها والقضاء عليها، وإحلال أناس آخرين كانوا يحاربون دين الله، ويكيدون لرسول الله ﷺ محلّها.

لقد قامت هذه الجماعة بتحريف وتغيير الكثير من الأعراف والتصورات والمفاهيم والأفكار التي جاءت بها الدعوة الإسلامية، ومورست كلّ هذه العملية من خلال موقع الخلافة الإسلامية، وبلغت هذه الرزية أقصاها في عهد يزيد بن معاوية؛ هذا الحاكم الأموي المعروف بمباشرة المنكرات من السكر واللغو المحرّم، والاستهانة بحرمات الله تعالى، وقتل النفوس البريئة، وتحريف الإسلام بشكل علني.

لم يكن يزيد وبقية بني أمية يشكّلون خطراً على الرسالة الإسلامية لو كانوا يقدمون على كلّ ما أقدموا عليه وهم في غير هذه المواقع القيادية الحساسة؛ فما أكثر الذين حاربوا الإسلام أو حاولوا تحريفه دون أن يتمكّنوا من أن يفعلوا شيئاً، أمّا يزيد بن معاوية وبقية ملوك بني أمية كانوا يرتكبون هذه المنكرات، ويشيعون الفساد في البر والبحر، ويعبثون في دين الله من موقع خلافة رسول الله ﷺ.

ولقد كان الإمام الحسين عليه السلام يشعر بهذا الخطر وينذر به، وقد قال للوليد بن عتبة بن أبي سفيان عامل بني أمية على المدينة لما دعاه إلى مبايعة يزيد: «أيها الأمير، إنّ أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، بنا فتح الله، وبنا ختم الله، ويزيد

رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحترمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله»<sup>(١)</sup>.

لقد كان الإمام الحسين عليه السلام يشعر أنه الوارث للمسيرة الربانية الكبرى المتمثلة بالإسلام العظيم على وجه الأرض، وأن يزيد بن معاوية ومن خلال موقع الخلافة يعمل على تحريف هذه المسيرة ومصادرة موارث الأنبياء والمرسلين، ولا بد أن يعمل الإمام الحسين عليه السلام لإنقاذ هذه المسيرة الإلهية، وأن يتحمل ثقل مسؤولية الحفاظ على ميراث الأنبياء من الضياع والانحراف، والمحافظة على الأمة التي جعلها الله تعالى أمةً وسطاً؛ شاهدة على سائر الأمم<sup>(٢)</sup>.

### ملاح سياسة حكام بني أمية

إذا أردنا أن نقف على حجم الخطر الحقيقي والكبير الذي كان يهدد المسيرة الإسلامية والمجتمع الإسلامي في فترة الحكم الأموي، فعلينا أن نلاحظ ذلك من خلال ما سجّله التاريخ من مواقف وصفات لبني أمية؛ والتي منها:

#### أولاً: النزعة الإلحادية

إنّ نزعة الإلحاد عند بني أمية هي نزعة قديمة وراسخة فيهم، لم يستأصلها الإسلام من نفوسهم؛ لأنهم لم يسمحوا بدخول نور الإسلام وحقائق الإيمان إلى قلوبهم.

وعلى الرغم من أنّ أجهزة الإعلام الأموي كانت تضيفي على أعضاء هذه

---

(١) بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٢٥. لواعج الأشجان: ص ٢٥.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾. البقرة: آية ١٤٣.

الأسرة الكثير من الهيبة والقدسية، وتعفي الكثير من سقطاتهم وفتلات ألسنتهم، فقد نقلت كتب التاريخ شواهد كثيرة على عمق هذه النزعة، وترسخها في نفوس بني أمية.

ومن نتائج الإلحاد الأموي شيوع الإلحاد في المدن والبلدان الإسلامية بدلاً من شيوع التوحيد والقيم الدينية وتوجيه المجتمع نحو الصلاح والاستقامة. وخطورة هذه النزعة كانت عميقة؛ لكونها تنطلق من موقع حساس ومهم، وهو موقع الخلافة أي: القيادة للأمة الإسلامية، فكان لا بدّ من تجريد هذه الخلافة من الشرعية؛ لكي لا تحسب معاييبهم وانحرافاتهم على الإسلام.

### ثانياً: الخلاعة والمجون

من سمات بني أمية الواضحة الخلاعة والمجون<sup>(١)</sup> والغناء والطرب والشرب للخمور، والاستهتار بمقدّرات الأمة.

لقد دأب البيت الأموي وأتباعه على الترويج لسياسة الإفساد ونشر المجون في المدن المقدّسة، كمكة المكرمة والمدينة المنورة، اللتين كانتا تحتلان موقعاً روحياً رفيعاً في نفوس المسلمين.

ولو كانت هذه الموبقات تمارس من قِبَل آحاد الأمة، والأشخاص العاديين في المجتمع الإسلامي لكان الخطر قليلاً على المسيرة الإسلامية والمجتمع الإسلامي، فيمكن تحجيمه وتطويره، ولكنها كانت تمارس من قِبَل الحكّام والقادة ومن هو على رأس الهرم، وبمرأى ومسمع من المسلمين! وهذا يعني فتح باب واسع لتفشي هذه الرذائل في المجتمع وانتشارها بين الرعية؛ لأنّ الناس على دين ملوكهم.

---

(١) المجون: أن لا يبالي الإنسان ما صنع. وقد مجن بالفتح يمجن مجوناً ومجانة، فهو ماجن؛ والجمع: المُجَّان. الصحاح: ج ٦، ص ٢٢٠ - (مجن).

### ثالثاً: سياسة الإذلال

نقرأ في صفحات التاريخ أن بني أمية استعملوا سياسة إذلال الخصوم والمعارضين، بل والناهين عن المنكر، حتى سلكوا مسالك عجيبة في تحطيم الشخصية المعنوية لأعيان أمة محمد ﷺ. ويترجم الوليد بن يزيد - وهو أحد خلفاء البيت الأموي - العنف السياسي الذي كان يباشره الجهاز الأموي ضد رجالات المسلمين بقوله:

فدع عنك ادكارك آل سعدى      فنحن الأكثرون حصى ومالا  
ونحن المالكون الناس قسراً      نسوهم المذلّة والنكالا  
ونوردهم حياض الخسف ذلاً      وما نألوهم إلاّ خبالاً<sup>(١)</sup>.  
إنّ هذه الأبيات تكشف بدقة عن توجه بني أمية السياسي في قهر الأمة الإسلامية وإذلالها.

### رابعاً: إحياء النزعة القومية

من سمات النهج الأموي ومعاله البارزة إحياء النزعات القومية الجاهلية في المجتمع الإسلامي، فقد كان معاوية وعمّاله يحسنون إثارة الفتن بين المسلمين، ويعرفون جيداً مواقع الفتنة والاختلاف فيما بين العرب والقبائل، فيستغلّون ذلك في وقت الحاجة.

كان بنو أمية يشجّعون - وبشكل واضح - على النزعة القومية والعنصرية التي قضى عليها الإسلام، ويحاولون إعادة الحواجز التي أزالها الإسلام بين العرب وغيرهم؛ وقد تأصّلت النزعة الجاهلية القومية في عهد بني أمية حتى عادت أصلاً من أصول الحكم في أيامهم، ويكفي أن نذكر شاهداً على ذلك ما نقلته لنا كتب

التاريخ، من أن معاوية دعا الأحنف بن قيس<sup>(١)</sup> وسمرة بن جندب<sup>(٢)</sup> وقال لهم: إني رأيت هذه الحمراء<sup>(٣)</sup> قد كثرت، وأراها قد طعنت على السلف، وكأني أنظر إلى وثبة منهم على العرب والسلطان، فقد رأيت أن أقتل شطراً، وأدع شطراً لإقامة السوق وعمارة الطريق<sup>(٤)</sup>.

### خامساً: اتخاذهم مال الله دولاً

لقد استولى الحزب الأموي على أموال المسلمين؛ فاستأثروا بها، وبشكل واسع، ومن دون حدود؛ لأجل تحقيق أهدافهم السياسية، فقد كان معاوية يبذل المال لكسب وُدّ الناس وجذبهم واستقطابهم إليه.

ومعاوية كان يعلم بأنه لن يستطيع أن يكسب قلوب الناس بالأموال ولا يستطيع أن يزرع في قلوبهم حب بني أمية، ولكنه كان يعلم بأنه يستطيع أن يشتري

(١) الأحنف بن قيس التميمي، أبو بحر، سكن البصرة، اسمه الضحّاك، ذكره الشيخ في رجاله من أصحاب رسول الله ﷺ. وعده من أصحاب أمير المؤمنين ﷺ ومن أصحاب الحسن ﷺ. وقال الكشي: «قيل للأحنف: إنك تطيل الصوم، فقال أعده لشّر يوم عظيم. ثم قرأ: ﴿يُؤْتُونَ بِالْذِّكْرِ وَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧].» معجم رجال الحديث: ج ٣، ص ١٦٦، رقم ١٠٤٣.

(٢) سمرة بن جندب: ممن أصاب رسول الله ﷺ... وقيل: إنه عاش حتى حضر مقتل الحسين ﷺ، وكان من شرطة ابن زياد، وكان أيام مسير الحسين ﷺ إلى العراق يحرّض الناس على الخروج إلى قتاله... والمتحصّل من هذه الروايات: أنّه كان رجلاً معانداً وغير خاضع للحق ولا مراعيّاً لرسول الله ﷺ كرامة!! ويؤيد خبثه وشقائه ما حكاه ابن أبي الحديد عن شيخه أبي جعفر، قال: وروي أن معاوية بذل له مائة ألف درهم على أن يروي أن آية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ نزلت في علي ﷺ، وأن آية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ نزلت في ابن ملجم، فلم يقبل، فبذل له مائتي ألف، فلم يقبل، فبذل له ثلاثمائة ألف، فلم يقبل، فبذل أربعمائة ألف، فقبل. معجم رجال الحديث: ج ٩، ص ٣٢٠-٣٢٢، رقم ٥٥٦٧.

(٣) الحمراء: لقب يطلق على غير العرب.

(٤) العقد الفريد: ج ٣، ص ٣٦١؛ عنه جواهر التاريخ: ج ٥، ص ١٤٣.

بهذه الأموال الضمائر، ويُسكت طائفة من الوجوه الإسلامية الساخطين عليه.  
إنّ الأموال التي وظّفها الإسلام لرفع المستوى المعاشي لجماهير الأمة المسلمة،  
وتقوية أركان الدولة الإسلامية، حتى تستطيع مؤسساتها توفير عناصر التكافل  
الاجتماعي للمجتمع، استخدمها حكام بني أمية لتمرير سياستهم الظالمة.

#### سادساً: وضع الأحاديث

من معالم النهج الأموي هو تعمّد وضع الحديث؛ فقد أوعزوا إلى جماعة ممن  
يدينوا بالولاء إلى البيت الأموي أن يضعوا لهم الأحاديث الكاذبة والمزوّرة على  
لسان النبي ﷺ، بعضها يرتبط باصطناع فضائل لبني أمية، وبعضها الآخر يرتبط  
بافتعال مثالب لخصومهم السياسيين من أهل البيت وغيرهم، وبعضها يرتبط  
بطريقة إدارة الدولة بحسب ما تشتهيهِ أهواؤهم، وتُمليه عليهم أهدافهم  
وطموحاتهم ورغباتهم.

#### سابعاً: نصب العداء لأهل بيت النبوة

من السياسات التي اعتمدها الحزب الأموي هو نصب العداء لأهل بيت  
النبوة؛ لأنّهم كانوا يدركون أن لا استقرار لحكمهم إلّا بالقضاء التام على نفوذ أهل  
البيت الروحي وتصفية شيعتهم، وملاحقة أتباعهم ومطاردتهم ليصفو لهم الجو  
السياسي في العالم الإسلامي.

#### دور الثورة الحسينية في تحجيم العنجهية الأموية

بعد استعراض ملامح سياسة حكام بني أمية؛ نقول: لو قدّر لهذه السياسات  
والأحوال والظروف التي نشأت في ظل حكم بني أمية أن تستمر، لانقلب الإسلام  
إلى شيء آخر غير ما أنزله الله تعالى على رسوله، وهذا ما أحسّ به ريجانتا

رسول الله ﷺ وولده الحسن والحسين عليهما السلام، اللذان قدر الله تعالى لهما أن يعايشا مرارة ظروف هذه الردّة.

وقد قدر الإمامان الحسنان عليهما السلام ضخامة هذا الانحراف وخطورته، وعرفا ما سيؤول إليه الوضع من انحرافات أخرى أعمق في كلّ شؤون الحياة، ومدى انعكاسها على الإسلام وتشويه معالمه وأصوله وتصوّراته؛ لذا تشاطرا القيام بالمواجهة، وكان هذا العمل التغييري على مرحلتين وفي دورين مختلفين، والذي يهمنّا هنا هو دور سبط رسول الله ﷺ الإمام الشهيد أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وهذا ما سنتعرّض له في الخطبة القادمة إن شاء الله تعالى.

# الخطبة الحادية عشرة

## الثورة الحسينية... الأسباب والنتائج

### القسم الثالث

بتاريخ: ١٩ / ٣ / ٢٠٠٤م

وفيها المحاور التالية:

- ◀ تنمية البحث في ملامح الثورة الحسينية
- ◀ خلفيات الثورة الحسينية
- ◀ مراحل المواجهة الحسينية للطغيان الأموي
- ◀ أسباب الثورة الحسينية



## مقدمة الخطبة

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، اللهم لك الحمد بديع السماوات والأرض، ذا الجلال والإكرام، ربّ الأرباب، وإله كلّ مألوه، وخالق كلّ مخلوق، ووارث كلّ شيء، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾<sup>(١)</sup>، ولا يعزب عنه علم شيء، وهو ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾<sup>(٢)</sup>، بكلّ شيء محيط، وهو على كلّ شيء رقيب.

أنت الله لا إله إلا أنت، الأحد المتوحد، الفرد المتفرد، وأنت الله لا إله إلا أنت، الكريم المتكرم، العظيم المتعظم، الكبير المتكبر، وأنت الله لا إله إلا أنت، العليّ المتعال، الشديد المحال، وأنت الله لا إله إلا أنت الرحمن الرحيم، العليم الحكيم، وأنت الله لا إله إلا أنت، السميع البصير، القديم الخبير، وأنت الله لا إله إلا أنت، الكريم الأكرم، الدائم الأدوم، وأنت الله لا إله إلا أنت، الأوّل قبل كلّ أحد، والآخر بعد كلّ عدد، وأنت الله لا إله إلا أنت الداني في علوه، والعالى في دنوّه، وأنت الله لا إله إلا أنت، ذو البهاء والمجد والكبرياء والحمد، وأنت الله لا إله إلا أنت الذي أنشأت الأشياء من غير سنخ، وصوّرت ما صوّرت من غير مثال، وابتدعت المبتدعات بلا احتذاء، أنت الذي قدّرت كل شيء تقديرًا، وسيّرت كل شيء تيسيرًا، ودبّرت ما دونك تدبيرًا.

---

(١) الشورى: آية ١١.

(٢) فصلت: آية ٥٤.

وأنت الذي لم يعنك على خلقك شريك، ولم يؤازرك في أمرك وزير، ولم يكن لك مشاهد ولا نظير، أنت الذي أردت فكان حتماً ما أردت، وقضيت فكان عدلاً ما قضيت، وحكمت فكان نصفاً ما حكمت<sup>(١)</sup>.

اللهم صلّ وسلّم وبارك على خير خلقك، وأحبهم إليك، أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

### تتمّة البحث في ملامح الثورة الحسينية

اتضح من خلال الخطبتين السابقتين حجم الخطر والتهديد الذي أخذ يصيب الفكر الإسلامي بكلّ أبعاده؛ من فقهه، وسياسته، واقتصاده، وأخلاقه وقيمه، وعاداته، وأعرافه، حين آلت الأمور إلى اعتلاء معاوية وبنو أمية أخطر موقع قيادي وأقدسّه في المجتمع الإسلامي؛ ألا وهو موقع الخلافة الإسلامية، ويتجلّى ذلك من خلال السياسات التي اتبعتها هؤلاء الحكّام، وكانت منهجاً ثابتاً لهم، ألا وهي سياسة الإرهاب والتصفية والبطش بمن يعارض الخط الأموي السياسي، بسبب انحرافه وبعده عن الإسلام، والإفساد المالي والإفساد الأخلاقي، وسياسة اختلاق الأحاديث، والنيل من الرموز المقدّسة، وغير ذلك من السياسات التي ذكرنا بعضاً منها في الخطبة السابقة.

ولقد كان مكمّن الخطورة من خلال انطلاق هذه الانحرافات والفساد من موقع الخلافة والقيادة للمجتمع الإسلامي، والذي يعني فتح باب واسع إلى الوسط الإسلامي لكي يتسرّب إليه الانحراف.

وكما ذكرنا سابقاً لو كانت هذه الانحرافات تصدر من شخص عادي لكان الأمر، ولكنها صدرت من أشخاص تربّعوا على كرسي الخلافة الإسلامية وقيادتها،

(١) الصحيفة السجادية: ص ٢١٠.

والتي أُريدَ منها أن تكون حامية للفكر الإسلامي وضامنة لتطبيقه وتحويله إلى واقع معاش في وسط الأمة الإسلامية، فحينئذٍ سيكون الخطر كبيراً ومؤثراً في صميم الفكر والمجتمع الإسلامي.

والمسألة الأخطر أن بني أمية حاولوا إسباغ الشرعية على خلافتهم من خلال بعض الصحابة وعلماء السوء، والذين باعوا ضمائرهم ودينهم بالدينار والدرهم الأموي؛ وهذا يعني أن أيّ انحراف وسلوك ينافي الخط الإسلامي سوف تضافى عليه الصبغة الشرعية، بحيث سيعدّ أمراً مقبولاً، بل أمراً شرعياً في صفوف المجتمع الإسلامي.

وكانت النتيجة - من كلّ ذلك - عودة الخط الفكري والسياسي الجاهلي إلى المجتمع الإسلامي في أخطر موقع وهو موقع الخلافة، وهذا يعني إنهاء الفكر الإسلامي السليم، وعودة بالمجتمع الإسلامي إلى المجتمع الجاهلي، ولعلّ في مظاهر المجون والخلاعة والفجور التي كانت رائجة وطاغية في قصور حكام بني أمية دليلاً كافياً للحكم بصحة ما ذكرناه.

### خلفيات الثورة الحسينية

لقد تحسّس الإمامان الحسنان عليهما السلام خطورة ما سيؤول إليه وضع المجتمع الإسلامي؛ لذا أخذوا يوجّهان الخطّ الرسالي الصحيح للتهيؤ لعمل تغييرى وجذري في المجتمع الإسلامي لأجل تصحيح مسيرة المجتمع، وسلب الشرعية عن النظام الأموي، ولم تكن الظروف السياسية والاجتماعية مؤاتية للقيام بهذا العمل التغييرى في زمن معاوية.

بعد أن ارتحل الإمام الحسن المجتبى عليه السلام إلى الرفيق الأعلى، تولى الإمام الحسين عليه السلام منصب الإمامة، واستمرّ على نفس المنهج الذي كان عليه الإمام الحسن عليه السلام من ضرورة الصبر لحين نضج الوضع الاجتماعى وتغيير القيادة الأموية؛

لكي تكون الظروف مؤاتية لتحقيق النتائج الإيجابية التي يريجوها الأئمة من وراء العمل الاستشهادي.

بعد هلاك معاوية تولى ابنه يزيد (لعنه الله تعالى) قيادة المجتمع الإسلامي، واعتلى كرسي الخلافة الإسلامية، وقد كان يتجاهر بفسقه وفجوره وارتكابه للمنكرات<sup>(١)</sup>، وظهر للجميع ابتعاده عن العقيدة الإسلامية.

وسرّ ذلك هو نشأته في أجواء تربوية بعيدة عن الإسلام، وهي أجواء التربية والتنشئة المسيحية التي عاشها خلال فترة صباه ومراهقته بين أخواله من بني كلاب، هذه العشيرة التي كانت مسيحية زمن الجاهلية، ولم تتخلص - على الرغم من دخولها في الإسلام - من رواسب دينها القديم، فنشأ فيها على يد سرجون النصراني<sup>(٢)</sup>. فهو يختلف عن أبيه من هذه الجهة، فالأب تظاهر بمسلك المحافظ على

---

(١) عن لقيط بن نصر المحاربي، قال: كان يزيد بن معاوية أول من سنّ الملاحى في الإسلام من الخلفاء، وأوى المغنّين، وأظهر الفتك وشرب الخمر، وكان ينادم عليها سرجون النصراني مولاه والأخطل، وكان يأتيه من المغنّين: سائب خاثر، فيقيم عنده، فيخلع عليه ويصله، فغنّاه يوماً: يا للرجال لمظلوم بضاعته ببطن مكّة نائي الأهل والنفر

فاعترته أريحيّة، فرقص حتى سقط، ثم قال: اخلعوا عليه خلعاً يغيب فيها حتى لا يرى منه شيء، فطرحته عليه الثياب والجباب والمطارف والخزّ حتى غاب فيها. الأغاني: ج ١٧، ص ١٩٢.

(٢) سرجون بن منصور الرومي: كاتب معاوية وابنه يزيد وكان نصرانياً. (تاريخ دمشق: ج ٢٠، ص ١٦١، رقم ٢٤٠٢). دعا يزيد بن معاوية سرجون مولى معاوية، فقال: ما رأيك فإن حسناً قد توجّه نحو الكوفة، ومسلم بن عقيل بالكوفة يبيع للحسين، وقد بلغني عن النعمان ضعف وقول سيئ، وأقرأه كتبهم، وقال: فما ترى من أستعمل على الكوفة؟ وكان يزيد عاتباً على عبيد الله بن زياد. فقال سرجون: أرايت معاوية لو نُشِر لك أكنت آخذاً برأيه؟ قال: نعم. فأخرج عهد عبيد الله على الكوفة، فقال: هذا رأي معاوية، ومات وقد أمر بهذا الكتاب، فأخذ برأيه وضمّ المصرين إلى عبيد الله، وبعث إليه بعهدته على الكوفة. تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٢٦٥. أنساب الأشراف: ج ٥، ص ٣٧٩، رقم ١٠٠٦.

الدين وتعاليمه على الرغم من نزعته الإلحادية التي كانت تظهر على فلتات لسانه بين آونة وأخرى.

وعلى ضوء ذلك، فقد ظهر للمجتمع الإسلامي مدى بعد الحاكم الجديد؛ يزيد، عن روح الإسلام وقيمه، إضافة إلى انكشاف واقع الحكم الأموي لهم من خلال سياسة الجور والإرهاب والبطش والتجويع والتشريد التي اتبعها معاوية خلال فترة حكمه التي امتدت عشرين عاماً أو تزيد.

وحينئذٍ فإنَّ الظروف السياسية والاجتماعية مؤاتية للنهوض بالعمل الاستشهادي؛ لأنَّ الحاكم كان متجاهراً بالفسق والفجور، والمجتمع الإسلامي وصل إلى حالة لا يطيق معها سياسات بني أمية، مضافاً إلى أنَّ الجهاز الإعلامي لبني أمية عاجز عن أن يلوِّث ثورة الإمام الحسين عليه السلام، ويتهمها بأنها ثورة في سبيل الملك؛ لأنَّ عامة الناس ترى أنَّ مبررات الثورة كانت موجودة، ومن تلك المبررات هو السلوك المنحرف للحاكم الأموي، والسياسة البعيدة عن روح الدين الإسلامي، وبالتالي فإنَّ المسلمين سوف يقبلون المبررات التي سيذكرها أنصار الإمام الحسين عليه السلام وأصحاب الخط الأمامي، من أنَّ هذه الثورة جاءت لحماية الدين وإنقاذ المسلمين من الحاكمية الظالمة لبني أمية.

أمام تلك الانحرافات الواضحة والفاضحة، وتهئية الظروف لإعلان الثورة، ما كان يسع سيّد الشهداء عليه السلام إلا أن يُعلن رفضه للحكم الأموي، ومواجهته له، فقام بدوره الإصلاحية التاريخي الذي أملاه عليه الواقع والموقع.

### مراحل المواجهة الحسينية للطغيان الأموي

بدأ الإمام الحسين عليه السلام مواجهته للحكومة الأموية من خلال رفض مبايعة يزيد ابن معاوية؛ لأنَّ حكام بني أمية كانوا - في أوّل عهدهم بالقيادة للمجتمع -

يأخذون البيعة من الناس لهم، ليضيفوا الشرعية على خلافتهم وقيادتهم. وكانت البيعة تؤخذ من عامة الناس، ولكن التأكيد كان على أخذها من أعيان المجتمع، وعلية القوم، خصوصاً ممن له موقع ديني في المجتمع؛ لهذا جاء الأمر إلى والي المدينة أن يأخذ البيعة من الناس عامة، ومن الإمام الحسين عليه السلام خاصة.

كان الإمام الحسين عليه السلام يعتقد أنه بيعته ليزيد سوف يضفي الشرعية على قيادته الفاسدة والمنحرفة، وبالتالي سيكون ذلك تثبيتاً لقيادته وخلافته، وهذا شيء لا يفعله الإمام الحسين عليه السلام.

كما أن الإمام الحسين عليه السلام كان يرى أن ثمة فرقاً عظيماً بين أن تكون الأمة راضخة لحكم ظالم، ولكنها تعلم أنه قد حكمَ بغير حق، لكونه ليس شرعي، وأن حكمه يجب أن يزول، وبين أن تخضع الأمة لحكم ظالم وترى أنه حكم شرعي لا بد منه ولا يجوز تغييره. ففي هذه الحالة سوف يُفقد أي أمل في التغيير، وأمّا في الحالة الأولى فإنّ الأمل يبقى حياً نابضاً.

### أسباب الثورة الحسينية

ومن هنا فقد أعلن الإمام الحسين عليه السلام البيان الأول لثورته، والذي أوضح فيه مبررات هذه الثورة، والعمل الاستشهادي الذي عزم على القيام به؛ وذلك من خلال كلمته التي قالها للوليد بن عتبة<sup>(١)</sup> والي الأمويين على المدينة المنورة حينما طلب منه البيعة ليزيد، فأبى الإمام الحسين عليه السلام ذلك، وقال: «أيها الأمير، إنّ أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، بنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد فاسق فاجر،

(١) الوليد بن عتبة بن أبي سفيان: هو عامل معاوية على المدينة. كتب إليه يزيد أن يأخذ البيعة له من مولانا المظلوم الشهيد أبي عبد الله الحسين عليه السلام. مستدركات علم رجال الحديث: ج ٨، ص ١٠٨، رقم ١٥٧٢٣.

شارب للخمر، قاتل للنفس المحترمة، معلن بالفسق والفجور، ومثلي لا يبايع مثله»<sup>(١)</sup>.  
في هذه الكلمات التي تُعدُّ البيان الأوّل للنهضة الحسينية، يبيّن الإمام الحسين عليه السلام بواعث عمله التضحيوي، وحركته الاستشهادية. كما نرى الإمام عليه السلام يبيّن أسباباً أخرى لثورته في بيانه الثاني، حيث قال: «إني لم أخرج بطراً ولا أشراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت أطلب الصلاح في أمة جدي محمد أريد أمر بالمعروف وأنهاى عن المنكر أسير بسيرة جدي وسيرة أبي علي بن أبي طالب فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق وهو أحكم الحاكمين»<sup>(٢)</sup>. ويمكن أن نلخص الأسباب الواردة في البيانين في النقاط التالية:

أولاً: تجاهر الحاكم - الذي اعتلى موقع الخلافة المقدس - بالفسق والفجور وارتكاب المنكرات، وشرب الخمر، وقتل النفس المحترمة.

ثانياً: الحاكم الذي يسوس الناس بسياسة الظلم والبطش والجور، وتجويع الشعب، وسرقة أمواله، وينفقها في ملذاته وفجوره.

ثالثاً: عودة خط الجاهلية بفكره وحكمه من جديد ومن موقع أخطر، وهو موقع الخلافة؛ لكي يعيد الجاهلية التي حرص رسول الله صلى الله عليه وآله على تطهير المجتمع منها. فالمجتمع الذي حرص رسول الله صلى الله عليه وآله على بنائه موحداً متآزرًا لا تسوده النعرة القومية والعصبيّة الجاهلية، قد حرص يزيد بن معاوية على تمزيقه وتفرقة قوميّاته التي جمعها الإسلام.

رابعاً: بطش الحاكم الأموي بأصحاب الخط الإسلامي الأصيل، وقتلهم، وتشريدهم، حيث كان يعتقل كل صاحب خطّ لا ينسجم مع الخط الأموي الجاهلي، ويصادر أمواله.

(١) بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٢٥. حياة الإمام الحسين عليه السلام: ج ١، ص ١٢٠.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢٤١.

خامساً: سعي الحاكم إلى إماتة روح الشعور بالمسؤولية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وروح الرفض للظلم والخنوع للحاكم الجائر في نفوس أبناء الأمة الإسلامية؛ هذه الروح التي أرسى دعائمها وثبتتها رسول الله ﷺ في نفوس أبناء الأمة.

كأن الإمام الحسين عليه السلام يقول: أرى مجتمعاً رباه الإسلام على محاربة الظلم، قد تحوّل إلى مجتمع آخر، حيث صار أداة طيعة وسهلة بيد الظالمين، يستخدمونه في تطبيق السياسات الظالمة والجائرة.

سادساً: لقد كان الإمام الحسين عليه السلام يرى المجتمع راضياً بحياة ذليلة مضطهدة، بعد أن حملته سياسة الاضطهاد والتجويع على القبول بذلك خشية أن يصير إلى لون من الحياة أقسى وأنكد؛ لذا خرج عليه السلام لكي يعيد الوضع الإصلاحي الذي تحقق للمجتمع الإسلامي زمن النبي ﷺ - بعد أن ضحّى بالكثير في سبيل تطبيق تلك الرسالة الإصلاحية - إلى مجتمع يتصف بالعزة والكرامة.

سابعاً: يقول الإمام الحسين عليه السلام - في بيانه الثاني -: إني أرى مجتمعاً قد آل أمره إلى الازدواجية في الشخصية، فقد حملته سياسة هؤلاء الحكّام على الدجل والنفاق والسكوت عن الحق، والتظاهر بخلاف ما يعتقدون، حرصاً على دنيا معاوية ويزيد أن تذهب منهم، هذه الازدواجية التي يرجع إليها سر المأساة التي عاشها المصلحون والثائرون.

ثامناً: يقول الإمام الحسين عليه السلام أيضاً: أرى مجتمعاً أخذت تنطلي عليه الأكاذيب والخذع والتزييف لأجل الحفاظ على دنيا تافهة؛ مجتمعاً أوكل إليه الإسلام مسؤولية نشر المبادئ والكفاح لإعلاء كلمة الإسلام ومسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فتحوّل إلى مجتمع يحارب المصلحين والثائرين.

تاسعاً: يقول الإمام الحسين عليه السلام أيضاً: أرى مجتمعاً قد ضللتها السياسة الأموية بافتعالها الأحاديث التي تصب في خدمة سياساتها المجافية لروح الإسلام، ومع هذا لا أحد يرد ويرفض، وقد أخذ هذا التحريف مأخذه في الفكر الإسلامي، ومع هذا فالمجتمع يتقبل كل ذلك ويسلم به؛ لكي لا يفقد أفراد دنياهم التافهة.

عاشراً: يقول الإمام الحسين عليه السلام أيضاً: أرى مجتمعاً يخشى الثورة على الظلم والاضطهاد والتجويع والتحريف، خشية الحرمان والتشريد، ولأن لا تفوته هذه الحياة التي يحياها مع ما فيها من الانحطاط والهوان.

كل هذه الأسباب - وغيرها - كانت السبب في نهضة الإمام الحسين عليه السلام على أرض الطفوف، وفي يوم عاشوراء<sup>(١)</sup>.

---

(١) لا بدّ بعد ذلك من الحديث عن نتائج هذه الثورة، وهل آتت أكلها في كل حين وأوان؟ وهل غيرت ثورة الإمام الحسين عليه السلام شيئاً من واقع مجتمعها الذي انفجرت فيه؟ وهل حققت نصراً لصانعيها؟ وهل حطمت أعداءها؟ هذا ما سنجيب عنه في الخطبة القادمة إن شاء الله تعالى. منه (دامت بركاته).





**الخطبة الثانية عشرة**  
**الثورة الحسينية... الأسباب والنتائج**  
**القسم الرابع**

بتاريخ: ٢ / ٤ / ٢٠٠٤ م

وفيها محوران:

◀ استذكار مضامين الخطبة السابقة

◀ نتائج ثورة الإمام الحسين عليه السلام



## مقدمة الخطبة

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ لك الحمد على ما تأخذ وتعطي، وعلى ما تعافي وتبلي، حمداً يكون أَرْضِي  
الحمد لك، وأحب الحمد إليك، وأفضل الحمد عندك، حمداً يملأ ما خلقت، ويبلغ  
ما أردت، حمداً لا يحجب عنك ولا يقصر دونك، حمداً لا ينقطع عدده، ولا يفنى  
مدده، فلسنا نعلم كنه عظمتك إلاّ أَنَّا نعلم أَنَّكَ حيٌّ قيُّومٌ، لا تأخذك سنة ولا نوم،  
لم ينته إليك نظر، ولم يدركك بصر، أدركت الأبصار، وأحصيت الأعمال، وأخذت  
بالنواصي والأقدام، وما الذي نرى من خلقك، ونعجب له من قدرتك، ونصفه من  
عظيم سلطانتك، وما تغيب عنا منه، وقصرت أبصارنا عنه، وانتهت عقولنا دونه،  
وحالت ستور الغيوب بيننا وبينه أعظم.

فمن فرَّغ قلبه، وأعمل فكره، ليعلم كيف أقمت عرشك، وكيف ذرأت  
خلقك، وكيف علّقت في الهواء سماءاتك، وكيف مددت على مور الماء أرضك،  
رجع طرفه حسيراً، وعقله مبهوراً، وسمعه والهأ، وفكره حائراً<sup>(١)</sup>.

اللَّهُمَّ صلّ على سيّد رسلك وأنبيائك، وحبّيك من خلقك، أبي القاسم محمّد  
وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أوصيكم عباد الله تعالى ونفسي بتقواه، والسير على نهجه القويم، فإنّ التقوى  
مفتاح الفلاح في الآخرة، والكمال في الأولى.

---

(١) نهج البلاغة: ج ٢، ص ٥٦.

## استذكّار مضامين الخطبة السابقة

بيّنا في الخطب السابقة حجم الخطر الذي كان يهدّد الفكر الإسلامي بكلّ أبعاده؛ من فقهه وسياسته واقتصاده وأخلاقه، وقيمه وعاداته وأعرافه حين آلت الأمور إلى اعتلاء بني أمية أخطر موقع قياديّ وأقدسّه في المجتمع الإسلامي؛ ألا وهو موقع الخلافة الإسلامية.

وكانت النتيجة - من كلّ ذلك - عودة الخط الفكري والسياسي الجاهلي إلى المجتمع الإسلامي، ومن أخطر موقع في الدائرة الإسلامية؛ ألا وهو موقع الخلافة، وهذا يعني إنهاءً للفكر الإسلامي الأصيل، وعودة بالمجتمع الإسلامي إلى المجتمع الجاهلي، هذا السبب وأسباب أخرى ذكرناها في الخطبة السابقة دفعت بالإمام الحسين عليه السلام أن يعلن المواجهة ضد الحكم الأموي وجهاً لوجه، وينطلق بثورته الإصلاحية.

## نتائج ثورة الإمام الحسين عليه السلام

نريد أن نتحدّث عن بعض نتائج الثورة الحسينية وما تعطيه من ثمار في كلّ حين وأوان. وكلّ ثورة يحكم عليها بالنجاح أو الفشل من خلال الأجوبة عن مجموعة من الأسئلة:

السؤال الأوّل: هل غيّرت الثورة الحسينية شيئاً من واقع مجتمعهما الذي انفجرت فيه؟

السؤال الثاني: هل حقّقت الثورة الحسينية نصراً لصانعيها؟

السؤال الثالث: هل حطّمت الثورة الحسينية أعداءها؟

قد يُقال: إنّ ثورة الإمام الحسين عليه السلام لم تحقّق نصراً عسكرياً أو سياسياً آنياً، حتى يمكن - من خلاله - أن يطرّوّر الواقع الإسلامي، ويحوّل حاله إلى أحسن ممّا كان عليه

قبل الثورة، فالمسلمون ظلّوا بعد الثورة كما كانوا قبلها؛ جماعات تساق بالقوّة إلى حيث يريد لها الحكّام الظلمة. وما زال المجتمع - بعد الثورة - يساس بالتجويع والإرهاب والبطش، بل إنّ أعداء الثورة من بني أمية ازدادوا قوّة بعد نصرهم العسكري، ولم تستطع الثورة - ظاهراً - أن تنال من قوّتهم شيئاً. وأمّا صانعو الثورة فقد أكلتهم نارها، وشملت أعقابهم إلى مئات السنين، فحملت إليهم الموت والهوان والتشريد والحرمان؛ فهي فاشلة على الصعيد الاجتماعي وعلى الصعيد الفردي أيضاً!!

لكن الحق هو: أن نبحت عن أهداف ونتائج ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) في غير النصر الآني الحاسم، وفي غير الاستيلاء على مقاليد السلطة والحكم؛ لأنّ الإمام الحسين (عليه السلام) كان مدركاً استحالة الحصول على نصر آني سريع، ويعلم أن مصيره ومصير أصحابه هو الموت.

لقد أراد الإمام الحسين (عليه السلام) من عمله الاستشهادي أموراً كانت وما زالت تمثّل عطاءً كبيراً لا ينضب للفرد والمجتمع الإسلامي على حدّ سواء؛ حيث استمرّت هذه الثورة تؤتي أكلها كلّ حين بإذن ربّها، حتى صار ديمومة الخط الإسلامي المحمدي الأصيل يدين لهذه الثورة بالشيء الكثير، ولولاها لكانت ثقافة الإسلام وفكره هي ثقافة بني أمية وفكر أبي سفيان وأخلاق يزيد ومروان.

ويمكن أن نُجمل نتائج ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) في نقاط، نبتغي من ذكرها إحياءها في نفوسنا ومجتمعاتنا، بحيث تبقى هذه الثورة حيّة نابضةً بالعطاء على مرّ العصور:

أولاً: من أهمّ عطاءات ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) أنّها أجيّت روح الثورة والرفض للظلم، وأهبت الروح الكفاحية والنضالية في المجتمع الإسلامي؛ وذلك من خلال تقديم الإمام (عليه السلام) وأبنائه وأصحابه لأسمى مراتب التضحية ونكران

الذات في سبيل المبدأ، فكانوا بذلك مناراً لجميع الثائرين.

لقد أراد الإمام الثائر عليه السلام أن ينتفض الفرد والمجتمع على الروح المستسلمة والانهازمية، التي تمنعه من القيام بأي عمل إيجابي لتغيير واقعه الفاسد والمنحرف. إنَّ النفوس في زمن الإمام الحسين عليه السلام، استسلمت، وخنعت، وخذلت قادتها الإصلاحيين والثائرين في اللحظة الأخيرة؛ لأنها ترى أنَّ السلطة الحاكمة تقدّم لها بعض المنافع التافهة لأجل تغيير موقفها الراض للظلم والانحراف والفساد، حتى أضحى الوالد يُخدّل ولده، والأخ يُخدّل أخاه، والزوجة تُخدّل زوجها، حينما رأوا عصا الظالم والمستكبر تهدّدهم، فانكمشوا على أنفسهم وانقلبوا من أنصارٍ للحقّ إلى أداة بيد الظالم والجلاد لمحاربة أهل الحقّ.

إنَّ ثورة الإمام الحسين عليه السلام حطّمت كلّ الحواجز النفسية والاجتماعية التي كانت تمنع الإنسان المسلم من أن يتخذ الموقف الذي يمليه عليه دينه وضميره وإنسانيته؛ هذه الحواجز التي كانت تقول له: حافظ على ذاتك، حافظ على عطائك، حافظ على منزلتك الاجتماعية، حافظ على دنياك.

لقد جاءت ثورة الإمام الحسين عليه السلام لكي تُفجّر في نفس الإنسان أخلاقاً جديدة وروحاً جديدة، وتقول له: لا تستسلم ولا تساوم على إنسانيتك ولا على دينك؛ واجه قوى الشرّ والبغي والاستكبار ما وسعك ذلك؛ ضحّ بكلّ شيء في سبيل مبدئك.

ثانياً: إنَّ ثورة الإمام الحسين عليه السلام بعثت أخلاقاً جديدة في المجتمع الإسلامي، فقد صار من الواضح للجميع أنَّ هناك أخلاقاً صارت واقعاً معاشاً في المجتمع الإسلامي، بعيدة كلّ البعد عن الأخلاق التي حرص النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام على زرعها في نفوس الأمة الإسلامية، والتي أضحت خامدة هامدة في المجتمع الذي عاصره الإمام الحسين عليه السلام، ولكن في نفس الوقت كانت هناك نخبة لم تفعل

السياسات الأموية فعلها في توجهاتهم وسلوكهم وأخلاقهم، وكان لا بدّ لهذه النخبة من أن تقوم بدورها لتَهْزَّ المجتمع هزّاً عنيفاً، وتدعوه إلى الأخلاق الفاضلة من أجل إصلاحه وتقويمه.

أراد الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه في ثورتهم على الحكم الأموي أن يقدّموا تلك الأخلاق الإسلامية بكلّ صفاتها ونقاها، أرادوا أن يقدّموها بدمائهم وحياتهم لا بالسنتهم، فقد بلغ المجتمع حدّاً من الانحطاط والفساد والهوان، يقتضي الأمر فيه أن تُقدّم الأخلاق الفاضلة عن طريق بذل الدم.

لقد اعتاد الفرد العادي في المجتمع أن يرى وجوه المجتمع ورؤوس القوم والزعماء السياسيين ورؤساء القبائل يخضعون ويخشعون لطاغية كيزيد بن معاوية، مع علمهم بأصله الحقير وانحطاطه، وأن يرى تزلفهم وتملّقهم لطاغية آخر كعبيد الله بن زياد، مع علمهم بمنبته الوضع، وخضعوا لغير هذا وذاك من الطغاة؛ لأنّ هؤلاء الطغاة يملكون الجاه والنفوذ والمال، ولأنّ التقرب منهم والتودّد إليهم كفيلاً بأن يجعلهم ذوي نفوذ في المجتمع، وذوي نعمة ورخاء، وكان هؤلاء على استعداد لارتكاب كلّ شيء من أجل نيل هذه الخطوة.

كانوا يخونون مجتمعهم، فيتملّقون هؤلاء الطغاة على حساب إذلال هذا المجتمع وسحقه وإهانته، وكانوا يخونون ضمائرهم فيبتدعون من ألوان الكذب ما يدعم هذه العروش، وكانوا يخونون دينهم الذي يأمرهم بتحطيم الطغاة بدل عبادتهم.

لقد أصبح مثل هذا الخلق من زعماء المجتمع أمراً عادياً مألوفاً، بحيث غدا الرجل العادي يرى عملهم هذا طبيعياً لا يثير التساؤل والاستهجان؛ ولذلك فقد كان غريباً جداً على كثير من المسلمين آنذاك أن يروا زعيماً عملاقاً له موقع روحيّ متميز، يُخيّر بين حياة رافهة فيها الغنى والمتعة والنفوذ والطاعة، ولكن فيها إلى

جانب ذلك كله الخضوع لطاغيةٍ حقير، والإسهام معه في طغيانه، والمساومة على المبدأ والخيانة له، وبين الموت عطشاً مع قتل الصفوة الخُلص من أصحابه وأولاده وإخوته وأهل بيته جميعاً، وهو يعلم المصير الفاجع والمحزن لآله ولنسائه من بعده من سبي وتشريد، ونقل من بلدٍ إلى بلد، وحرمان، يعلم ذلك كله، ومع هذا يختار هذا اللون الرهيب من الموت، على اللون الرغيد من الحياة.

لقد اعتاد الناس حينها على زعماء يُمرِّغون جباههم بالتراب من أجل حياة دنيوية تافهة ينالونها من طواغيتهم؛ أمثال: عمر بن سعد، والأشعث بن قيس ونظائرها.

وهم يرون نموذجاً عملاقاً يتعالى عن هذا الانحطاط والتسافل، وقد ترجم قائد الثورة ومفجرها هذه الأخلاق بنفسه، ففي جميع مراحل هذه الثورة ومنذ بدايتها في المدينة حتى ختامها الدامي في كربلاء، نرى تصميمًا وإصراراً على مواصلة طريق الشهادة.

ها هو الإمام الحسين عليه السلام الذي قال لأخيه محمد بن الحنفية، وهما بعد في المدينة: «يا أخي، والله لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية»<sup>(١)</sup>.

ها هو عليه السلام في موقف آخر يجيب الحر بن يزيد الرياحي حين قال له: أذكرك الله في نفسك، وإني أشهد لئن قاتلت لتقتلن، ولئن قوتلت لتهلكن، فقال له الإمام الحسين عليه السلام: «أبالموت تخوفني؟ وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني؟»<sup>(٢)</sup>، ما أدري ما أقول لك، ولكن أقول كما قال أخو الأوس لابن عمه ولقيه وهو يريد نصره رسول الله ﷺ، فقال له: أين تذهب فإنك مقتول، فأجاب:

(١) بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٢٩.

(٢) الإرشاد: ج ٢، ص ٨١.

سأمضي وما بالوت عار على الفتى      إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلماً  
وواسى الرجال الصالحين بنفسه      وفارق مثبوراً وودّع مجرماً  
فإن متُّ لم أندم وإن عشت لم ألم      كفى بك ذلاً أن تعيش وتُرعماً<sup>(١)</sup>

هذا ما كان من حال زعماء المجتمع ووجوهه في ذلك الوقت. وأما حال الفرد العادي، فيمكن أن نرسم صورة الحياة التي كان يحياها على النحو التالي: لقد كان همّ الرجل العادي هو حياته الخاصة فقط؛ يعمل لها ويكدح في سبيلها، ولا يفكر إلا فيها، وأمّا مجتمعه وآلامه وهمومه فلم يكن ليستأثر عنده بأيّ مقدار من اهتمامه وتفكيره، كانت غاية اهتمامه هو الحفاظ على عطائه وحياته الدنيوية، وإطاعة توجيهات زعمائه، خشية أن يُمحى اسمه من العطاء، والسكوت عمّا يراه من جور وظلم، حفاظاً على حياته الخاصة.

أمّا أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، فقد كان لهم شأن آخر، أراد الإمام الحسين عليه السلام أن يقدمهم للمجتمع كنموذج آخر ليست أخلاقهم كذلك الأخلاق، أراد الحسين عليه السلام أن يقول لمجتمعه: انظروا إلى هؤلاء الرجال، إنهم أناس عاديون مثلكم، لكلّ منهم بيت وزوجة وأطفال، لكلّ منهم عطاء من بيت المال، لكلّ منهم آمال وطموحات في هذه الحياة الدنيا يروم الوصول إليها، ومنهم ممن لا يزال شاباً وأمّاهم متّسعٌ للاستمتاع بمباهج الحياة وملذّاتها، ولكنهم - مع ذلك كلّ - عزموا وصمّموا على المضيّ في درب التضحية والفداء رغم قساوته ونهايته المؤلمة والمفجعة. ها هو زهير بن لقين<sup>(٢)</sup> واحدٌ من تلك الصفوة يقول: «والله، لوددت أنّي قتلت،

(١) روضة الواعظين: ١٨٠.

(٢) هو: زهير بن القين: من أصحاب الحسين عليه السلام... وقال ابن شهر آشوب في المناقب: «جعله الحسين عليه السلام يوم الطف على الميمنة، وحبيب بن مظاهر على الميسرة، وأعطى رايته العباس بن علي عليه السلام... ثم برز زهير بن القين، فقتل مائة وعشرين رجلاً». مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢٥٠-٢٥٢.

ثم نشرت، ثم قتلت، حتى أقتل كذا ألف قتلة، وأن الله يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك»<sup>(١)</sup>.

وها هو بطل ثانٍ من تلك الصفوة<sup>(٢)</sup> يقول لأبي عبد الله الحسين عليه السلام: «والله، لا نخليكَ حتى يعلم الله أننا قد حفظنا غيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيك. والله، لو علمت أنني أقتل ثم أحياء، ثم أحرق حيًّا، ثم أذرى، يُفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك، فكيف لا أفعل ذلك وإنما هي قتلة واحدة»<sup>(٣)</sup>.

---

وقد سلّم عليه في الزيارة الرجبية وكذلك في الزيارة التي خرجت من الناحية المقدسة وفيها: «السلام على زهير بن القين البجلي القائل للحسين عليه السلام وقد أذن له في الانصراف: لا والله لا يكون ذلك أبداً، أترك ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسيراً في يد الأعداء وأنجو؟ لا أراني الله ذلك اليوم». بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٧١.

وخرج زهير بن القين وهو يرتجز ويقول:

|                         |                          |
|-------------------------|--------------------------|
| أنا زهير وأنا ابن القين | أذودكم بالسيف عن حسين    |
| إن حسينا أحد السبطين    | من عترة البر التقي الزين |
| ذاك رسول الله غير المين | أضربكم ولا أرى من شين    |

يا ليت نفسي قسمت قسمين

أعيان الشيعة: ج ١، ص ٦٠٦.

(١) اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٥٦.

(٢) هو: مسلم بن عوسجة: عدّه الشيخ في رجاله في أصحاب الحسين عليه السلام وفي الناحية: «السلام على مسلم بن عوسجة الأسدي القائل للحسين عليه السلام وقد أذن له في الانصراف: أنحن نخليّ عنك؟ وبم نعتذر عند الله من أداء حقك؟ لا والله، حتى أكسر في صدورهم رمحي هذا، وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي، ولا أفارقك؛ ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقدفتمهم بالحجارة، ولم أفارقك حتى أموت معك وكنت أول من شرى نفسه وأول شهيد شهد الله وقضى نجه. ففُزّت وربّ الكعبة، شكر الله استقدامك ومواساتك إمامك إذ مشى إليك وأنت صريع، فقال: رحمك الله يا مسلم ابن عوسجة». قاموس الرجال: ج ١٠، ص ٦٨، رقم ٧٥٣٩.

(٣) لواعج الأشجان: ص ١١٩. تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٣١٨.

# الخطبة الثالثة عشرة

## دور المرجعية الدينية في حياة الأمة

بتاريخ: ١٦ / ٤ / ٢٠٠٤ م

وفيها المحاور التالية:

➤ المرجعية الدينية ومواجهة الفتن

➤ المسالك المطروحة في التعاطي مع الفتن

➤ صفات المرجع الديني

➤ الضابطة في تحديد الأعلمية

➤ دور المرجعية في حياة الأمة

➤ المرجعية والسياسة

➤ معنى السياسة

➤ معنى الديانة

➤ المرجعية الدينية حصن الأمة



## مقدمة الخطبة

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على ما عَرَّفَنَا من نفسه، وألهمنا من شكره، وفتح لنا من أبواب العلم بربوبيته، ودلَّنَا عليه من الإخلاص له في توحيده، وجَنَّبَنَا من الإلحاد والشك في أمره، حمداً نَعْمَرُ به في مَنْ حمده من خلقه، ونسبق به من سبق إلى رضاه وعفوه، حمداً يضيء لنا ظلمات البرزخ، ويسهل علينا به سبيل المبعث، ويشرف به منازلنا عند مواقف الأشهاد ﴿وَلَيُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>، ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، حمداً يرتفع منا إلى أعلى عليين، في ﴿كُنْتُ مَرْقُومٌ﴾ ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، حمداً تقر به عيوننا إذا برقت الأبصار، وتبيض به وجوهنا إذا اسودَّتْ الأبصار، حمداً نعتق به من أليم نار الله، إلى جوار الله، حمداً نزاحم به ملائكته المقربين، ونضام به أنبياء المرسلين، في دار المقامة التي لا تزول، ومحل كرامته التي لا تحول.

والحمد لله الذي اختار لنا محاسن الخلق، وأجرى علينا طيبات الرزق وجعل لنا الفضيلة بالملكة على جميع الخلق، فكل خليقته منقادة لنا بقدرته وصائرة إلى طاعتنا بعزته. والحمد لله الذي أغلق عنا باب الحاجة إلاَّ إليه فكيف نطبق حمده؟ أم متى

(١) الجاثية: آية ٢٢.

(٢) الدخان: آية ٤١.

(٣) المطففين: آية ٢٠-٢١.

نؤدّي شكره؟<sup>(١)</sup>.

والحمد لله حمداً نسعد به في السعداء من أوليائه، ونصير به في نظم الشهداء  
بسيوف أعدائه، إنه وليّ حميد.

أوصيكم عباد الله تعالى ونفسي بتقوى الله، والاقتفاء بهدي من نصبهم الله مناراً  
وعلماً للهداية والصلاح في البحر المتلاطم من أمواج الحيرة والشبهات.

### المرجعية الدينية ومواجهة الفتن

إنّ الله تعالى عالمٌ بضعف عباده، وتسلّط الشيطان عليهم، الذي يجري منهم مجرى  
الدم من عروقهم، فلا يستطيعون فكاً منه؛ لذا لم يتركهم يتخبّطون في صحراء التيه  
والظلال وهم حائرون، لا يهتدون سبيلاً، فنصب لهم رسولاً للهداية والرشاد، ثم  
أردف لهم حججاً متتالية يتلو بعضهم بعضاً، حتى إذا أفلتت هذه النجوم الزواهر،  
وادلهمت الخطوب، أشرقت شمس نواب هؤلاء الحجج، وأرسي لهم قواعد الرجوع  
إلى فقهاء آل محمد ﷺ؛ لكي يهتدوا برشدهم، ويستضيئوا بنورهم.

ويعيش العباد - في هذه الظروف - في حيرة وشكّ وارتباب؛ فبين داعٍ إلى بذل  
النفس والنفيس، وبين داعٍ إلى التعقّل والحكمة والسداد في معالجة الأزمات،  
وأنفس الجميع تتوق إلى خوض الوطيس، ولكن هل الفلاح ورضا الربّ سبحانه  
وتعالى فيما تشتهي النفوس وتتوق إليه؟ أم أنّ الفلاح يكون من خلال الطريقة التي  
تحددها سفن الهداية التي نصبها أهل الرشاد؛ باعتبارهم الأقدر على تحديد الطريقة  
المناسبة لمعالجة الأزمات التي تعصف بالأمة، والتي من خلالها وعن طريقها يكون  
حفظ العباد والبلاد، وحفظ النظام والحقوق؟

(١) الصحيفة السجادية: ص ٣٠، من دعائه ﷺ إذا ابتدأ بالدعاء بدأ بالتحميد لله والثناء عليه.

## المسالك المطروحة في التعاطي مع الفتن

انطلقت في الآونة الأخيرة أسئلة تستفهم عن الموقف المطلوب تجاه ما يعصف بالبلد من أزمات ومحن وفتن؛ باعتبار أن هناك مسلكين واتجاهين مختلفين في كيفية التعاطي مع تلك الأزمات، وعلى الفرد أن يختار أحدهما، ولا يسعه التوقف وعدم الكينونة مع أحدهما.

وللإجابة عن التساؤل أعلاه لا بدّ من تقديم مقدّمة؛ حاصلها: إنّ التشريع الإسلامي يمثل رسالة الحياة بكلّ جوانبها وأبعادها المختلفة؛ فهو الذي ينظّم علاقة الإنسان برّبّه ونفسه، وبالأشياء المحيطة به، وبتحرّكاته؛ وهذا يعني أنّ التشريع الإسلامي يشمل ويستوعب كلّ واقع الحياة الإنسانية بحوادثها وطوائرها، وبكليّاتها وتفصيلاتها، وبمجموعها ومفرداتها، دون أن يشدّ منها أي حدث عن شمول الحكم له مهما صغر، فإنّ الله تعالى في كلّ واقعة حكماً، يصيبه من أصابه، ويخطئه من أخطأه.

وعلى الإنسان أن يسعى للتعرف على مفردات الأحكام وطبيعتها؛ خصوصاً تلك التي تكون مورد ابتلاء، حتى يتمكّن من تفعيل الجانب التطبيقي للتشريعات في موارد الابتلاء.

وهنا قد يُسأل عن المصادر التي تؤخذ منها هذه التشريعات، باعتبار أنّ المبلغ الرئيسي الأوّل؛ أعني: النبي الخاتم ﷺ ليس حاضراً حتى تُستقى منه التشريعات بشكل مباشر. وكذلك خليفته بالحق، المعصوم، والمفترض الطاعة، والمعتمد في تبلغ أحكامه غير حاضر؛ لا سيّما وأن مصادر الأحكام تنوّعت، وتعارضت - أحياناً - النقول المحدّدة لخطوطها، حتى وردت في القضية الواحدة - أحياناً - صور مختلفة، وربّما متنافية ومتعارضة، ففي مثل هذه الحالة إلى من يكون الملجأ؟ ولمن يكون الرجوع في تحديد الحكم، وفي تحديد جهة الرقابة الملزمة بتطبيق تلك التشريعات؟

وتقديماً للإجابة عن التساؤل أعلاه؛ نقول: إنَّ العقل يفرض وجود جهة مهيأة تشغل ذلك الدور، يُرجع إليها في تحديد الحكم وتحقيقه بعد اختلاف الاتجاهات فيه؛ أي: لا بدّ من مرجع يعصم المسلمين عن الوقوع في الفوضى والتشرذم في ظل واقع الأزمات والفتن؛ باعتبار أنّ الرسالة أنزلت لتستمر وتحكم الحياة في كلّ مراحلها.

والمسلم المكلف لا يسعه العمل دون احتياط أو تقليد واستناد إلى حجة، بل إنَّ عمله بلا تقليد أو احتياط باطل؛ لعدم استناده إلى دليل مستدل عليه يدل على أنّ ما صار إليه من حكم هو حكم الله الواقعي.

والاتجاه الفقهي القائم - في الفترات الطويلة المتلاحقة - يشير إلى ضرورة تحديد القيادة المطلوبة، حينما تتعدّد الجهات القابلة لحمل مسؤولية القيادة، ومن علامات هذه القيادة كونها الأكثر قدرة - من الناحية العلمية - على الإحاطة بالأحكام، وبمداركها وأدلتها؛ وبالتالي تكون الأقدر على الوصول إلى الحكم الأقرب للحقيقة التشريعية المنزلة من الله على رسوله ﷺ، انطلاقاً من حكم العقل بقبح ترجيح المرجوح على الراجح، أو تقديم المفضول على الفاضل.

### صفات المرجع الديني

لقد حدّد الإمام الصادق عليه السلام الجهة التي يرجع إليها المكلف في زمن غيبة الإمام عليه السلام بقوله: «فأما مَنْ كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلّدوه»<sup>(١)</sup>.

فالإمام في هذه الرواية نصّ على الجهة التي ينبغي الرجوع إليها من خلال بيان

(١) وسائل الشيعة: ج ٢٧، ص ١٣١، باب عدم جواز تقليد غير المعصوم عليه السلام، ح ٢٠/٣٣٤٠١.

صفاتها العامة؛ والتي منها:

أولاً: الفقهية؛ وهي القدرة على استنباط الأحكام وتحديدتها من خلال الأدلة الشرعية؛ فالفقيه هو مَنْ وصل إلى مرتبة الاجتهاد، وهذه المرتبة العلمية تؤهله لأن يكون في موقع النيابة العامة عن الإمام في إيصال المكلفين إلى الحكم الشرعي. ثانياً: العدالة؛ وهي - على رأي بعض الفقهاء - ملكة نفسية يحملها الإنسان في داخل ذاته تدفعه إلى احترام كل حكم شرعي؛ سواء أكان وجوبياً أو تحريمياً والتزامه تلقائياً.

ومع توفر هذين الشرطين يصح للمكلف أن يقلد مَنْ اتصف بهما، وفي صورة تعدد النماذج المستوفية للشرطين المتقدمين، قد يقع الإنسان في حيرة عند تحديد المجتهد الذي ينبغي تقليده في الأحكام الشرعية، وحينها لا بدّ من اللجوء إلى مقياس بيّن ومنهجية واضحة لتحديد الموقف، والمقياس هو العلمية كما يراها الكثير من الفقهاء؛ مستنديين في ذلك إلى القاعدة العقلية: (قبح ترجيح المرجوح على الراجح).

### الضابطة في تحديد العلمية

إنّ معرفة المجتهد الأعلم والأقدر على استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها لا يتيسّر لآحاد الناس، بل هو من اختصاص أهل الخبرة؛ وهم المجتهدون الذين يملكون القدرة على تمييز المستوى العلمي للفقهاء المطروحين في الساحة العلمية. ولهذا الضابط في تحديد الأعلم من بين الفقهاء معطياته المهمة؛ والتي منها: أولاً: وصول الكفاءات العلمية الكبيرة والطاقات الأكثر جدارة وقوة إلى سدة المسؤولية، ودفع القيادة الدينية.

ثانياً: اطمئنان وثقة القاعدة الشعبية المؤمنة بقيادتها ومرجعيتها.

## تبصرة

إنّ الضابطة في اختيار القيادة المؤهلة للإفتاء ولقيادة الأمة لا ينطلق من الموقع النسبي أو حجم الموقع الاجتماعي، أو من التبعية الجغرافية وأمثال هذه الأمور؛ فإنّ هذه الضوابط لا قيمة علمية ولا شرعية لها في تحديد موقع الإفتاء والقيادة. إنّ الأساس الذي ينبغي توفّره في المرجعية والفتوى والقائد هو المضمون العلمي والفكري والروحي، مضافاً إلى الوعي والبصيرة ومعرفة أمور الزمان؛ وهذا ما أشار إليه الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في حديثه السابق.

## دور المرجعية في حياة الأمة

هناك العديد من الأدوار الملقاة على عاتق المرجعية الدينية تهدف إلى رعاية واقع الأمة الإسلامية؛ منها:

### الدور الأول: نشر العلوم والثقافة الإسلامية

تقوم المرجعية بدورٍ أساسي في نشر العلوم الإسلامية لتسد حاجة المجتمعات الفكرية والثقافية، وتساهم في زيادة الوعي الديني، ورفع الجهل، ونبذ الخرافة. وانطلاقاً من هذا الدور قامت المؤسسة الدينية بتبويب وتنقيح العلوم القرآنية، وأحاديث أهل بيت العصمة عليهم السلام. ولم يدخر الفقهاء وسعاً في هذا المجال إلاّ بذلوه؛ فقد بينوا وبلّغوا الأحكام الإلهية ومسائل الحلال والحرام، وسعوا وبذلوا الجهد - بكلّ جدّية - في تعليم الناس المفاهيم الإسلامية الحقيقية الناصعة البعيدة عن كلّ شكٍّ أو ريب. وقد حقّقوا الكثير من الإنجازات العلمية والفكرية والتوعوية رغم كثرة الأعداء والحكّام الظالمين الذين طالما تحرّكوا نحو مواجعتهم لتحجيم دورهم.

### **الدور الثاني: التصدي للتحديات الفكرية**

كان للمرجعية الدور البارز في التصدي للتحديات الفكرية والانحرافات الوافدة، والتي تشكل خطراً كبيراً على البناء الفكري للإسلام والمسلمين.

### **الدور الثالث: الدفاع عن المقدّسات الدينية والكرامة الوطنية**

لعلّ من أهمّ الأدوار التي قامت بها المرجعية الدينية والعلماء والفقهاء، هو الاهتمام بإصلاح المجتمع وتحسين أوضاع الناس، والدفاع عن المقدّسات الدينية والكرامة الوطنية، واتخاذ المبادرات السياسية والاجتماعية، حيث كان ذلك من أولويات مهامهم الدينية.

### **المرجعية والسياسة**

تحت هذا العنوان نحاول بلورة البعد السياسي للمرجعية بشكل خاص، ودور الفقهاء في هذا المجال بشكل عام. وقبل أن ندخل في صلب الموضوع، لا بدّ من بيان بعض المفاهيم؛ منها: مفهوم السياسة والديانة.

#### **معنى السياسة**

إنّ مفهوم السياسة مفهوم معقّد وغامض، سواء من جهة شمول مفهومه وتعدّد مصاديقه، أم من جهة ارتباطه بالكثير من القضايا الاجتماعية؛ لذا يصعب أن نجد له تعريفاً جامعاً مانعاً.

عرّف ابن منظور السياسة بأنّها: «القيام على الشيء بما يصلحه»، وقال أيضاً: «وفي الحديث: وكان بنو إسرائيل يسوسهم أنبياءهم<sup>(١)</sup>، أي: تتولّى أمورهم كما يفعل

---

(١) نزّهة النظر: ص ٤٢١.

الأمرء والولاة بالرعيّة»<sup>(١)</sup>، فالسياسة عنده عبارة عن: التدبير وإصلاح الأمور. والسياسة بهذا المعنى لا تعارض الدين، بل تشكّل ركنًا أساسيًا منه، وجزءاً لا ينفك عنه، فهي روحه وجوهره. يقول بعض علمائنا رحمهم الله: «السياسة بمعنى أن تهدي المجتمع والفرد، وتقوده نحو طريق الخير بهذا الاسم»<sup>(٢)</sup>.

وقد ورد في الروايات والأدعية وفي الزيارة الجامعة بأنّ الأئمة الأطهار: «ساسة العباد»<sup>(٣)</sup>، كما ورد في روايات أخرى أنّ الرسول الكريم صلى الله عليه وآله إنما بُعث من أجل أن يتكفّل سياسة الناس، وأنّ شغل الأنبياء كان السياسة.

### معنى الديانة

الديانة هي السياسة؛ أي: التحرك نحو صلاح الأمة والناس وهدايتهم. يقول الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء رحمهم الله: إذا كان معنى السياسة طلب الخير وخدمة الناس وتوجيههم ومنعهم من الفساد والخيانة، ونصيحة الحكّام وعامة الشعب، وتحذيرهم من الوقوع في أسر الاستعمار والعبودية لهم، نعم إذا كان معنى السياسة هذا، فإنّنا من أمّ رأسنا حتى أخمص أقدامنا سياسيون؛ ذلك لأنّ كل ذلك يعتبر من واجباتنا الأساسية<sup>(٤)</sup>.

(١) لسان العرب: ج ٦، ص ١٠٨.

(٢) أنظر: صحيفه امام (صحيفة الإمام)، ج ١٣، ص ٤٣٢.

(٣) المزار: ص ٥٦٠.

(٤) قال الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء رحمهم الله: «أمّا التدخّل بالسياسة فإن كان المعني بها هو الوعظ والإرشاد، والنهي عن الفساد، والنصيحة للحاكمين، بل لعامة العباد، والتحذير من الوقوع في حبال الاستعمار والاستعباد، ووضع القيود والأغلال على البلاد وأبناء البلاد. إن كانت السياسة هي هذه الأمور، فأنا - وأعوذ بالله من قولي: أنا، إلّا في هذا المقام - نعم؛ أنا غارق فيها إلى هامتي، وهي من واجباتي، وأراني مسؤولاً عنها أمام الله والوجدان... وهي النبابة العامة، والزعامة الكبرى، والخلافة الإلهية العظمى، ﴿يَنْدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ﴾

وقد ورد عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام - وهو في معرض الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله - ما مضمونه: أن الله تعالى زين رسوله بالأوصاف الحميدة والخلق العالي، وأوصله إلى مرتبة الكمال، فقال في حقّه: ﴿وَلَنَّاكَ لَعَلَّيْ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>، ثم سلّمه قياد الناس بيده؛ دينهم ودنياهم ليسوسهم ويقودهم نحو الخير، وقال في حقّه: ﴿وَمَا ءَانَكُمْ الرَّسُولُ فخذوه وما نهكم عنه فأنهوا﴾<sup>(٢)</sup>، ولقد كان صلى الله عليه وآله موفقاً في سياسته، مخلصاً في هدايته، أميناً على ما أوّمن عليه، فثبته الله وسدّده وأيده<sup>(٣)</sup>.

وقد كانت نتيجة سياسة الرسول صلى الله عليه وآله للعباد والبلاد هي الفلاح والنجاح، وإظهار دين الله على الدين كلّ، وقيام المجتمع الرباني العادل في الأرض.

---

إِلْحَقِي﴾. (ص: آية ٢٦). وفي بعض زيارات الأئمة الجامعة: «وأتم ساسة العباد وأركان البلاد». فسياستنا هي سياسة النبي والأئمة عليهم السلام الخالية عن كل هوى، وهوس، وطمع ودنس، ﴿وَلَا تَبْغِ أَهْوَىٰ فِضْلِكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾. (ص: آية ٢٦). وإذا لم يتصدّها لها أو يقوم بها آخرون فلعلّه معذور، لتقصير أو قصور.

وإذا كان المعنيّ بالسياسة هو إحداث الفتن والثورات، والإضرابات للتوصّل إلى الحكم، والجلوس على الكراسي الناعمة لمعاملة الناس بالخشونة والغلظة والكبرياء، واستغلال النفوذ للمنافع الذاتية، والأطباع الدنيّة، والسمسرة للأجانب على البلاد وتسلّطهم على الأمة ولو بإراقة الدماء، إن كانت السياسة هذه وما إليه، فإنّي أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الغويّ الرجيم، ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾. (المائدة: آية ٦٠). وحسبنا الله ونعم الوكيل. المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون، ص ٩٨-١٠٠.

(١) القلم: آية ٤.

(٢) الحشر: آية ٧.

(٣) عن فضيل بن يسار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول لبعض أصحاب قيس الماصر: «إنّ الله أدب نبيّه فأحسن أدبه، فلمّا أكمل له الأدب قال: ﴿وَلَنَّاكَ لَعَلَّيْ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، ثم فوّض إليه أمر الدين والأمة ليسوس عبادهم، فقال: ﴿وَمَا ءَانَكُمْ الرَّسُولُ فخذوه وما نهكم عنه فأنهوا﴾، وإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان مسدّداً موفقاً مؤيداً بروح القدس، لا يزل ولا يخطئ في شيء ممّا يسوس به الخلق، فتأدّب بآداب الله». الكافي: ج ١، ص ٢٦٦. باب التفويض إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وإلى الأئمة عليهم السلام، ح ٤.

## المرجعية الدينية حصن الأمة

ووفقاً لما ذكرنا من معنى للسياسة والديانة، فإنّ الفقهاء هم بمثابة الحصن الذي يحيط الأمة، وهم المنافحون عن العقيدة والأخلاق؛ يتحمّلون مسؤولية الدفاع عن الدين، ويصونون الأمة من عدوان الظالمين والمستكبرين. وهذه الوظيفة لا تكون إلّا إذا قلنا بالارتباط الوثيق بين المرجعية الدينية والسياسة؛ وهو ارتباط نشأ من روح وجوهر التعاليم الإسلامية وأحكام الشريعة المقدّسة.

### تبصرتان

#### التبصرة الأولى:

إنّ السياسة لا تعني - فقط - مقارنة حكّام الجور والطواغيت، وإنّما تشمل كلّ النشاطات والأعمال التي من شأنها الدفاع عن الدين ومقدّساته، سواء في المجال السياسي والاجتماعي أم في مجال المتغيّرات الفكرية والثقافية؛ باعتبار أنّ الثاني - أيضاً - يُعدّ نوعاً من العمل السياسي.

#### التبصرة الثانية:

هناك من يدور في الإطار الضيق لمعنى السياسة، فيحصر السياسي في من يحمل السلاح ويرفع راية الثورة ضد الظالمين والمستكبرين، فهو - فقط - من يصح أن نطلق عليه عنوان (سياسي)، أمّا غيره فهو بعيد - كلّ البعد - عن ميدان السياسة، وهذا التصرّو تصوّر ضيق وخاطئ، وبعيد عن الواقع الميداني الذي مارسه الأئمّة عليهم السلام؛ لذا لا بدّ من تصحيحه.

إنّ أغلب الأئمّة الأطهار عليهم السلام لم يحملوا السيف، ولم يرفعوا راية المقارعة المسلّحة ضد طواغيت زمانهم، ومع ذلك فهم مصداق أتمّ لعنوان: (ساسة العباد).

وهناك فقهاء لم تكن لهم مواقف من حكام الجور، ومن المستبدّين والمستكبرين، ولكنهم كانوا يقومون بحلّ مشاكل الناس الفردية والاجتماعية، ونذروا أعمارهم لقضاء حوائج الناس وتيسير أمورهم، مضافاً إلى ما بذلوه من جهد ومجهود على مستوى النشاط الفكري والعلمي.

وهذه النشاطات الاجتماعية النافعة، والجهود الفكرية والثقافية تعتبر من المصاديق الواضحة للعمل السياسي والاجتماعي على ضوء ما بيّناه من معنى السياسة في الإسلام.

وعلى من يبحث في موضوع المرجعية والسياسة أن يأخذ بعين الاعتبار الظروف المكانية وملابسات الزمان والمكان؛ لأنّ لكلّ زمان ومكان ظروفه التي تحدّد أسلوب التصدي للظالم والمستبد وشكله. إذاً فالزمان والمكان لهما دورٌ أساسي في فهم واستيعاب القضايا السياسية والاجتماعية لدى مراجع التقليد.

إنّ تقييم المواقف السياسية والاجتماعية للعلماء الكبار بمعزل عن المقتضيات الزمانية والظروف التي يعيشون فيها يكون - عادة - تقييماً غير دقيق وغير صحيح. والشيء ذاته يأتي في سيرة النبي ﷺ والأئمة الأطهار عليهم السلام، فمع أنّ الأئمة المعصومين كانوا متفقيين على ضرورة مقارعة الظالمين والمستكبرين، والاعتماد على الطاقات المتوفرة، وحفظ الأهداف، ورعاية الأولويات الأهمّ فالأهمّ، ولكنهم كانوا يستندون في أساليبهم - في مواجهة التحديات - إلى عنصري الزمان والمكان، ودراسة نتائج الأسلوب المتخذ في المواجهة، وعلى ضوء الظروف والملابسات التي كانوا يواجهونها، كانوا يتخذون المواقف المناسبة.

إن المرجعية هي استمرار لنهج الرسالة والإمامة، كما أنّ عوامل الزمان والمكان والشروط والأوضاع السياسية والاجتماعية تلعب دوراً أساسياً في اتخاذ المواقف للمراجع والفقهاء مع الحكام والدول. وعلى هذا الأساس نرى أنّ العلماء الربّانيين

والمراجع العظام للطائفة الشيعية، وفي مختلف الحقب التاريخية، اتخذوا مواقف متعددة ومختلفة بالنسبة إلى القضايا السياسية والاجتماعية، كلٌ بحسب ظروف عصره.

## الخطبة الرابعة عشرة

### الإمام الحسن العسكري عليه السلام .. السيرة والمسيرة

بتاريخ: ٣٠ / ٤ / ٢٠٠٤ م

وفيها المحاور التالية:

- في رحاب شهادة الإمام العسكري عليه السلام
- نشأة الإمام الحسن العسكري عليه السلام
- الإمام العسكري ومواجهة الظالمين
- السلطة العباسية تحدّ من حركة الإمام عليه السلام
- الإعداد الرسالي لمرحلة الغيبة
- الإعداد لقبول الإمامة الغائبة
- سبلبات الاحتجاب عن القواعد الشعبية



## مقدمة الخطبة

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، اللهم لك الحمد بديع السماوات والأرض، ذا الجلال والإكرام، ربّ الأرباب، وإله كلّ مألوه، وخالق كلّ مخلوق، ووارث كلّ شيء، ﴿أَزْوَاجًا لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾<sup>(١)</sup>، ولا يعزب عنه علم شيء، وهو ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾<sup>(٢)</sup>، بكلّ شيء محيط، وهو على كلّ شيء رقيب.

أنت الله لا إله إلاّ أنت، الأحد المتوحّد، الفرد المتفرد، وأنت الله لا إله إلاّ أنت، الكريم المتكرم، العظيم المتعظم، الكبير المتكبر، وأنت الله لا إله إلاّ أنت، العليّ المتعال، الشديد المحال، وأنت الله لا إله إلاّ أنت الرحمن الرحيم، العليم الحكيم، وأنت الله لا إله إلاّ أنت، السميع البصير، القديم الخبير، وأنت الله لا إله إلاّ أنت، الكريم الأكرم، الدائم الأديم، وأنت الله لا إله إلاّ أنت، لأوّل قبل كلّ أحد، والآخر بعد كلّ عدد، وأنت الله لا إله إلاّ أنت الداني في علوه، والعالى في دنوّه، وأنت الله لا إله إلاّ أنت، ذو البهاء والمجد والكبرياء والحمد، وأنت الله لا إله إلاّ أنت الذي أنشأت الأشياء من غير سنخ، وصوّرت ما صوّرت من غير مثال، وابتدعت المبتدعات بلا احتذاء، أنت الذي قدّرت كلّ شيء تقديرًا، ويسّرت كلّ شيء تيسيرًا، ودبّرت ما دونك تدبيرًا.

وأنت الذي لم يعنك على خلقك شريك، ولم يؤازرك في أمرك وزير، ولم يكن

---

(١) الشورى: آية ١١.

(٢) فصلت: آية ٥٤.

لك مشاهد ولا نظير، أنت الذي أردت فكان حتماً ما أردت، وقضيت فكان عدلاً ما قضيت، وحكمت فكان نصفاً ما حكمت<sup>(١)</sup>.

اللهم صلّ وسلّم وبارك على خير خلقك، وأحبهم إليك، أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

### في رحاب شهادة الإمام العسكري عليه السلام

مرّت على الأمة الإسلامية قبل يومين ذكرى استشهاد علم من أعلام الهداية الربانية، ومصباح من المصابيح الإلهية التي أنارت بقيادتها ورعايتها الدرب للمؤمنين السالكين؛ ألا وهو الإمام الحادي عشر من أئمة أهل البيت عليه السلام؛ الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام.

إنّ التواصل الدائم والذكر المستمر لسيرة ومسيرة ونهج أعلام الهداية يُعدّ ضرورة من الضرورات التي يحتاجها السالك في مسيرته إلى الله تعالى؛ باعتبار أنّ سيرتهم عليه السلام تمثل المسيرة الواقعية للإسلام الأصيل.

وما يميّز سيرة الأئمة الراشدين الأطهار عليهم السلام هو استمرارهم على نهج الرسول العظيم، وانفتاح الأمة عليهم والتفاعل معهم، فكانوا هم الأدلاء على الله تعالى لنيل مرضاته، والمستقرين في أمر الله، والتامين في محبته، والسابقين إلى ارتقاء قمم الكمال الإنساني.

وقد حفلت حياتهم بأنواع الجهاد والصبر على طاعة الله تعالى، حتى ضربوا أعلى أمثلة الصمود في تنفيذ أحكام الله تعالى، ثم اختاروا الشهادة مع العزّ على الحياة مع الذل، حتى فازوا بقاء الله سبحانه وتعالى بعد كفاح عظيم وجهاد كبير.

(١) الصحيفة السجادية: ص ٢١٠.

## نشأة الإمام الحسن العسكري عليه السلام

نشأ الإمام العسكري عليه السلام وتربى في ظل أبيه الذي فاق أهل عصره علماً وزهداً وتقوىً وجهاداً، وصحب أباه - الذي أفاض عليه ميراث الإمامة والنبوة - ثلاثاً وعشرين سنة، فكان كآبائه الكرام علماً وعملاً وقيادةً وجهاداً وإصلاحاً لأمة جدّه محمد صلى الله عليه وآله.

وقد ظهر أمر إمامته في عصر أبيه علي الهادي عليه السلام، وتأكد لدى الخاصة من أصحاب الإمام الهادي عليه السلام والعامة من المسلمين أنّه الإمام المفترض الطاعة بعد أبيه.

وقد حفلت سيرة الإمام عليه السلام بشواهد تاريخية تدلّ على عظمته وسعة علمه وهو لا زال صبيّاً؛ فقد روي أنّ شخصاً مرّ بالحسن بن عليّ العسكري عليه السلام وهو واقف مع أترابه من الصبيان يبكي، فظنّ ذلك الشخص أنّ الإمام عليه السلام يبكي متحسراً على ما في أيدي أترابه، لذا فهو لا يشاركهم في لعبهم! فقال له: أشترى لك ما تلعب به؟ فردّ عليه الإمام عليه السلام: «يا قليل العقل، ما للعب خلقنا»، وبهر الرجل، فقال له: لماذا خلقنا؟ فأجابه عليه السلام: «للعلم والعبادة»، فسأله الرجل: من أين لك هذا؟<sup>(١)</sup> فأجابه عليه السلام: «من قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾<sup>(٢)</sup>»، وبهت الرجل، ووقف حائراً أمام جواب الإمام المستقى من القرآن الكريم على صغر سنّه، وانطلق يقول له: ما نزل بك وأنت صغير لا ذنب لك<sup>(٣)</sup>؟ فأجابه عليه السلام: «إليك عني، إنّ رأيت والدتي توقد النار بالخطب الكبار، فلا تتقد إلاّ بالصغار، وإنّي أخشى أن أكون من

(١) أي: من أين لك هذا الكلام الذي يدلّ على رجاحة العقل؟

(٢) المؤمنون: آية ١١٥.

(٣) أي: أنت لا زلت صغيراً وغير مكلف، وإنّما يُطالب بالعلم والعبادة من كان مكلفاً، وطالما أنت صغير فلست بمكلف، فلماذا تبكي ولا ذنب لك ولا حساب عليك؟ منه (دامت بركاته).

صغار حطب جهنم<sup>(١)</sup>. من خلال هذا النص نلاحظ أنّ الإمام عليّ كان يعيش الخشية والخوف من الله سبحانه وتعالى وهو في دور الصبا.

### الإمام العسكري ومواجهة الظالمين

لقد خاض الإمام الحسن العسكري عليّ - كآبائه الكرام عليّ - ملحمة الكفاح السياسي لمواجهة الظلم والإرهاب والتلاعب بالسلطة ومقدّرات الأمة ومصالحها، فحافظ على أصول الشريعة والقيم الرسالية، ومهّد بذلك لعصر الغيبة الذي أخبر النبي ﷺ والأئمة من أهل بيته عليّ عن حتميته.

وفي الوقت الذي كان فيه الإمام يمثل أستاذ العلماء وقدوة العالمين والعاملين، كان زعيم المعارضة السياسية والعقائدية في عصره؛ وهذا يعني أنّ الإمام كان يحتل موقعاً متميّزاً في الساحة الإسلامية، يشار إليه بالبنان، وتهفو إليه النفوس بالحب والولاء كما كانت تهفو إلى آباءه المعصومين عليّ.

وعلى الرغم من أنّ الإمام عليّ لم يكن رئيساً لدولة، ولم تكن بيده مصادر الأموال، ولم يكن يملك وسائل الإعلام؛ بل إنّ وسائل الإعلام كانت بيد السلطة الحاكمة، إلّا أنّه ملك قلوب المسلمين، وانشدّت إليه نفوسهم، حتى أضحى هذا الحب والموقع المعنوي الذي يتمتع به الإمام عليّ مبعث قلق إلى سلاطين الجور؛ إحساساً منهم بأنّ الإمام أضحى يشكّل مصدر خطر لعروشهم؛ الأمر الذي جعل السلطة العباسية تفرض على الإمام عليّ الإقامة الجبرية في مدينة سامراء، وأجبرته على الحضور في دار الخلافة العباسية يومين من كلّ أسبوع.

وتكشف بعض النقول التاريخية التي وردت في كتب السير أنّ حضور

(١) مناقب أهل البيت عليّ: ص ٢٩٣. موسوعة الإمام العسكري عليّ: ج ٢، ص ٣٢١.

الناس واجتماعهم في يوم قدوم الإمام عليه السلام إلى دار الخلافة كان عظيماً، حتى أنّ الشارع كان يغصّ بالدواب والبغال والحمير؛ بحيث إنّ الماشي لا يجد موضعاً يمشي فيه، ولا يستطيع أحد أن يدخل بينهم، فإذا جاء الإمام عليه السلام هدأت الأصوات، وتوسّع له الطريق حين دخوله وحين خروجه، الأمر الذي يكشف عن عظيم منزلة الإمام لدى عامّة الناس ونخب الأمّة.

### السلطة العباسية تحدّ من حركة الإمام عليه السلام

حين رأت السلطة العباسية هذا الموقع العظيم للإمام عليه السلام، عزمت على ملاحقته، وتحجيمه، وتطويره، وأحاطته بالرقابة، وأحصت عليه كلّ تحرّكاته؛ كلّ ذلك لتشلّ نشاطه العلمي والسياسي، وتحول بينه وبين ممارسة دوره القيادي في أوساط الأمّة، ولأجل ذلك اتخذ الإمام عليه السلام العمل السري واهتمّ به كثيراً، بالإضافة إلى إحكامه لجهاز الوكلاء، ليكون قادراً على أداء دوره القيادي بشكل تام.

لقد كانت حركة الإمام عليه السلام وقيامه بمهامّه إزاء الأمّة وخاصّته<sup>(١)</sup> محدودة، تخضع للرقابة والضغط الموجه إليه وإلى خاصّته، فانتهج الإمام عليه السلام نهج آبائه عليه السلام القائم على مراعاة المصلحة العليا للرسالة الإسلامية، وبالمقدار الذي تسمح به الظروف العامّة والخاصّة التي تحيط بالإمام عليه السلام في عصره؛ وهي:

أولاً: ضرورة الحفاظ على مفاهيم الرسالة الإسلامية.

ثانياً: منع خاصّته من الوقوع في الانحراف.

---

(١) المراد بخاصّته: القواعد المؤمنة بمرجعيته الفكرية والروحية. منه (دامت بركاته).

## الإعداد الرسالي لمرحلة الغيبة

اتصفت المرحلة التي عاشها الإمامان العسكريان عليهما السلام بأنها مرحلة انتقال الإمامة من الحضور إلى الغيبة؛ وهذه المرحلة الجديدة للإمامة تقتضي جملة من اللوازم؛ منها:

أولاً: إنّ أمور الشيعة سوف تدار من وراء ستار الغيبة.

ثانياً: على الأمة أن تؤمن بالإمام الغائب، وتفتح عليه، وتتفاعل معه رغم غيبته، ورغم حراجه الظروف.

وعلى الإمام العسكري في هذه المرحلة - التي تمثل آخر حقبة للإمامة الحاضرة - أن يارس جملة من المهام والأدوار تمهيداً لمقبولية الإمامة الغائبة من قبل الأمة؛ ومن تلك المهام:

الأولى: الحكمة والدقة في التعامل مع الحكّام.

الثانية: دفع الشبهات والدفاع عن حريم الرسالة.

الثالثة: مواجهة الفرق المنحرفة.

الرابعة: الدعوة إلى دين الحق.

## الإعداد لقبول الإمامة الغائبة

من المهام الصعبة التي تولّاها الإمام العسكري عليه السلام هي مهمّة إعداد الأمة الإسلامية المؤمنة بالإمام المهدي عليه السلام لتقبّل غيبته، التي تتضمن انفصال الأمة عن الإمام بحسب الظاهر، وعدم إمكان ارتباطها به، وإحساسها بالضيق والحرمان من أهمّ وجود كانت تعتمد عليه وترجع إليه في قضاياها ومشكلاتها الفردية والاجتماعية.

لذا كانت غيبة الإمام عليه السلام صدمة نفسية للشريحة الإيمانية، باعتبار أنّ المؤمنين

اعتادوا على الارتباط المباشر بالإمام عليه السلام، ولو كان في السجن، أو حدثوه من وراء حجاب، فإنهم كانوا يشعرون بحضوره وتواجده بين ظهرانيهم ويحسون بتفاعله معهم، أما بعد وفاة الإمام العسكري فإراد منهم الحفاظ على الإيمان بالإمام وإبقائه حياً فاعلاً قوياً حتى لو لم يكن باستطاعتهم رؤيته، ولم يكن بمقدورهم الاتصال به. من هنا مارس الإمام العسكري عليه السلام نوعين من الإعداد لتذليل هذه العقبة:

### النوع الأول: الإعداد الفكري

قام الإمام عليه السلام - تبعاً لأبائه عليه السلام - باستعراض فكرة غيبة الحجة على طول مسيرة التاريخ البشري وطبقها على ولده الإمام المهدي عليه السلام، وطالب القاعدة الجماهيرية بالثبات على الإيمان بالإمام حتى مع غيبته، وبيّن أنّ الإيمان به في غيبته هو إيمان بالغيب الذي دعا إليه القرآن الكريم واعتبره من صفات المؤمنين.

كما حثّ الإمام العسكري عليه السلام شيعته على الثبات والصبر وانتظار الفرج، وبيّن لهم طبيعة المرحلة التي سيمرون بها، ومستلزماتها، وما فيها من امتحانات عسيرة يتمخض عنها تبلور الإيمان والصبر والتقوى، وهذه السجايا هي قوام الإنسان المؤمن بربه وبدينه وبإمامه، وقوام الإنسان الذي يريد أن يحمل معه السلاح ليجاهد بين يدي الإمام عليه السلام.

ومن الشواهد على ممارسة الإمام عليه السلام لهذا الدور - المتمثل بالإعداد الفكري للأمة لتقبل فكرة الغيبة - ما روي عن محمد بن عثمان العمري عليه السلام، يقول: سمعت أبي يقول: سئل أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام، وأنا عنده، عن الخبر الذي روي عن آبائه عليه السلام: «أنّ الأرض لا تخلو من حجة لله على خلقه إلى يوم القيامة، وأنّ من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»، فقال عليه السلام: «إنّ هذا حقّ كما أنّ النهار حق، فقبل له: يا بن رسول الله، فمن الحجة والإمام بعدك؟ فقال: ابني محمد هو الإمام والحجة

بعدي، مَنْ مات ولم يعرفه مات ميتة جاهلية. أما إن له غيبة يحار فيها الجاهلون، ويهلك فيها المبطلون، ويكذب فيها الوقتون، ثم يخرج، فكأنّي أنظر إلى الأعلام البيض تحفق فوق رأسه بنجف الكوفة»<sup>(١)</sup>.

### النوع الثاني: الإعداد النفسي

لقد مارس الإمام الهادي عليه السلام سياسة الاحتجاب عن الناس، وتقليل الارتباط بشيعته؛ إعداداً للوضع المستقبلي الذي كان يستشرفه والمتمثل بغيبة الإمام الثاني عشر من الأئمة الأطهار عليهم السلام.

واستمرّ الإمام العسكري عليه السلام متتهجاً سياسة أبيه؛ فقد كان كثير الاحتجاب عن شيعته، قليل الارتباط والتواصل معهم؛ لكي يتعودوا على غيبة الإمام والارتباط غير المباشر به، وليألفوا الوضع الجديد. هذا مضافاً إلى أنّ الظروف التي كانت تحيط بالإمام العسكري عليه السلام كانت تفرض عليه هذا النوع من السياسة الذي تقتضي تقليل الارتباط بأتباعه وخواصّه حفاظاً على دمائهم وأموالهم.

### سلبيات الاحتجاب عن القواعد الشعبية

من الواضح أنّ سياسة الاحتجاب لها انعكاساتها السلبية على الواقع الإيماني والرسالي؛ لذا كان على الإمام أن يتحرّى أساليب أخرى لتفادي تلك السلبيات؛ منها:

الأسلوب الأوّل: إصدار البيانات والتوقيعات بشكل مكتوب.

الأسلوب الثاني: بثّ الوكلاء في مختلف المناطق التي يتواجد فيها شيعة أهل البيت عليهم السلام، وإلزام الشيعة بالارتباط بهم، فكان هؤلاء الوكلاء حلقة وصل قويّة

(١) كمال الدين: ص ٤٠٩، الباب الثامن والثلاثون: ما أخبر به العسكري عليه السلام من وقوع الغيبة، ح ٩.

ومناسبة للظروف التي كان يعيشها الإمام وشيعته، كما كانوا يشكلون عاملاً نفسياً مهماً لشيعه أهل البيت، ليشعر أتباعهم باستمرار الارتباط بالإمام.

فكان هذا الارتباط غير المباشر كافياً لعلاج ما يمكن أن يحصل من صدمة نفسية لدى البعض نتيجة غيبة الإمام عليه السلام.

### تبصرة

إنّ نظام الوكلاء أسسه الأئمة من أهل البيت عليهم السلام حين اتسعت الرقعة الجغرافية للقاعدة الشيعية الموالية لأهل البيت، وقد اختار الأئمة من بين أصحابهم وثقاتهم من أوكلوإليه جملةً من المهام التي لها علاقة بشؤون الإمام عليه السلام؛ من قبيل: قبض الأموال، وتوزيعها على مستحقيها بأمر الإمام عليه السلام، وتلقي الأسئلة والاستفتاءات. هذا مضافاً إلى تولي مهمة الإرشاد الديني وبيان الأحكام الشرعية وتخفيف العبء عن الإمام في الظروف التي تشتد فيها الرقابة عليه عليه السلام من قبل السلطة الجائرة.

كما كان الوكيل يتولّى مهمة بيان مواقف الإمام السياسية حين لا يكون من المصلحة أن يتولّى الإمام بنفسه بيانها بشكل صريح ومباشر؛ وبذلك أصبحت مؤسسة الوكلاء البديل الوحيد للارتباط بالإمام عليه السلام في مرحلة الغيبة الصغرى.

وحيث إنّ الأئمة عليهم السلام كانوا يعلمون بالوضع المستقبلي للإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام، وبالظروف التي تحيط به وبشيعته وأتباعه وخواصه، كان الخيار الوحيد للإمام المعصوم في عصر الغيبة الصغرى أن يعتمد على مثل هذه المؤسسة الواسعة الأطراف والمهام؛ لذا كان من اللازم في مرحلة التمهيد للغيبة الكبرى - ومن قبلها الصغرى - إنشاء هذه المؤسسة، وإثبات جدارتها تاريخياً؛ من خلال مراجعة الشيعة لوكلاء الإمام عليه السلام، والتثبت من جدارتهم، وتجذّر هذه

المؤسسة في الوسط الشيعي؛ ليكون هذا النظام البديل قادراً على تلبية الحاجات الواقعية لأبناء الطائفة، ولكي لا تكون صدمة الغيبة قوياً وفاعلة.

لقد اعتمد الإمام العسكري عليه السلام على نظام الوكلاء في ممارسة مهام الإمامة بصورة كبيرة، وكثف من المسؤوليات الملقاة على عاتق هؤلاء الوكلاء، وعمّق من ارتباط الشيعة بهم؛ لتسهيل الانتقال إلى عصر الغيبة الكبرى وتفادي الأخطار التي يمكن أن تحصل لولا اعتماد هذا النظام.

## الخطبة الخامسة عشرة

### الجهاد مواجهة وأخلاق

بتاريخ: ٢٨ / ٥ / ٢٠٠٤م

وفيها المحاور التالية:

- فريضة الجهاد
- شروط الجهاد في سبيل الله
- مقدمات الجهاد
- المقدمة الأولى: الاستعداد النفسي للمجاهدين
- المقدمة الثانية: اليأس من جدوائية الأساليب الأخرى
- المقدمة الثالثة: دراسة حجم الأضرار المتوقعة في جانب العدو
- المقدمة الرابعة: رسم استراتيجية المعركة
- المقدمة الخامسة: اختيار الطريقة الأنسب في مواجهة العدو
- المقدمة السادسة: الالتزام بأخلاق الحرب



## مقدمة الخطبة

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، سبحان الله آناء الليل وأطراف النهار، سبحان الله بالغدو والآصال، سبحان الله بالعشي والإبكار، سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون، وله الحمد في السماوات والأرض وعشياً وحين تظهرون... ولك الحمد، رفيع الدرجات، مجيب الدعوات، منزل الآيات من فوق سبع سماوات، مخرج النور من الظلمات، مبدل السيئات حسنات، وجاعل الحسنات درجات... اللهم لك الحمد في الليل إذا يغشى، ولك الحمد في النهار إذا تجلى، ولك الحمد في الآخرة والأولى، ولك الحمد عدد كل نجم وملك في السماء، ولك الحمد عدد الثرى والحصى والنوى، ولك الحمد عدد ما في جوف الأرض، ولك الحمد عدد أوزان مياه البحار<sup>(١)</sup>.

اللهم إني أصبحت منك في نعمة وعافية، فصل اللهم على محمد وآل محمد، وتمم علي نعمتك وعافيتك وارزقني شكرك.

أوصيكم عباد الله تعالى ونفسي بتقواه، والسير على نهجه القويم، فإن التقوى مفتاح الفلاح في الآخرة والكمال في الأولى.

## فريضة الجهاد

مرّت الأمة - هذه الأيام - بمحنة عسيرة، وقف البعض من الناس فيها حيارى

---

(١) بحار الأنوار: ج ٨٣، ص ٢٧٣.

مترددين، وتعالّت بعض الأصوات تطالب بانتهاج طريق ذات الشوكة، وتتساءل: لم لا تدعو المرجعية إلى الجهاد وخوض الصراع المسلّح مع قوات الاحتلال؟ ولرفع الحيرة والتردد وما يمكن أن يحصل من اللبس والغموض، نقول: لا شك أنّ الجهاد ركنٌ من أركان الدين الإسلامي يُقوِّى به بناء الإسلام، ويساهم في نشر الشريعة الإسلامية وترويجها، ويكتسب به المسلمون العزّة والكرامة؛ ولذلك أولاه القرآن الكريم والسنة الشريفة الكثير من الاهتمام، من خلال النصوص التشريعية التي تعرّضت لهذه الفريضة المهمة.

وهذه الفريضة تتطلّب من المؤمنين الرّساليين إزهاق الأرواح فداء للإسلام ومقدساته ومبادئه، بل ربّما أدّى الجهاد - أحياناً - إلى إتلاف المال، من هنا احتاط المشرّع الإسلامي في هذين الأمرين (الدماء والأموال) بصورة كبيرة، فجعل لتفعيل الجهاد شرائط لا بدّ من ملاحظتها ومراعاتها حتى يكون هناك ضمانٌ لتحقيق الثمار الكبيرة والكثيرة المرجوة من فريضة الجهاد.

في البدء لا بدّ أن يُعلم أنّ وجوب الجهاد ليس مقصوراً على زمان حضور الإمام عليه السلام؛ لأنّ الأمر به في النصوص الشرعية غير موقّت بوقت خاص؛ ولذا أفتى الفقهاء بوجوب الجهاد في زمان الغيبة إذا توفّرت شرائطه، ومن دون توفّر هذه الشرائط، فإنّ هذه الفريضة لا تكتسب الصبغة الشرعية التي تبرئ ذمّة المكلف أمام الله تعالى؛ لأنّنا أمام دماء طاهرة سوف تسيل، ومال محترم سوف يُتلف، وتعطّل للحياة العامّة.

### شروط الجهاد في سبيل الله

قبل بيان شرائط الجهاد في سبيل الله تعالى - التي سوف نستقيها من الكتب الفقهية - لا بدّ من ذكر مقدّمة تمهيدية ينبغي ملاحظتها من أجل تحقيق الهدف

المنشود من ممارسة فريضة الجهاد.

وحاصل هذه المقدمة هو عدم سقوط الجهاد في عصر الغيبة، إذ ذكر السيد الخوئي رحمته الله: «أنّ الظاهر عدم سقوط وجوب الجهاد في عصر الغيبة وثبوته في كافة الأعصار لدى توفر شرائطه، وهو في زمن الغيبة منوط بتشخيص المسلمين من ذوي الخبرة في الموضوع أنّ في الجهاد معهم مصلحة للإسلام، على أساس أنّ لديهم قوّة كافية من حيث العدد والعدّة لحرهم بشكل لا يحتمل عادةً أن يخسروا في المعركة، فإذا توفّرت هذه الشرائط، عندهم وجب عليهم الجهاد والمقاتلة معهم. وأمّا ما ورد في عدّة من الروايات من حرمة الخروج بالسيف على الحكّام وخلفاء الجور قبل قيام قائمنا عليه السلام، فهو أجنبى عن مسألتنا هذه، وهي الجهاد مع الكفّار رأساً، ولا يرتبط بها نهائياً»<sup>(١)</sup>.

ثم أضاف قائلاً: «إنّا لو قلنا بمشروعية أصل الجهاد في عصر الغيبة فهل يعتبر فيها إذن الفقيه الجامع للشرائط، أو لا؟ يظهر من صاحب الجواهر رحمته الله اعتباره<sup>(٢)</sup>؛ بدعوى عموم ولايته بمثل ذلك في زمن الغيبة. وهذا الكلام<sup>(٣)</sup> غير بعيد بالتقريب الآتي<sup>(٤)</sup>: وهو أنّ على الفقيه أن يُشاور في هذا الأمر المهم<sup>(٥)</sup> أهل الخبرة والبصيرة من المسلمين، حتى يطمئن بأنّ لدى المسلمين من العدّة والعدد ما يكفي للغلبة على الكفّار الحربين، وبما أنّ علمية هذا الأمر المهم في الخارج بحاجة إلى قائد وأمر يرى المسلمين نفوذ أمره عليهم، فلا محالة يتعيّن ذلك في الفقيه الجامع للشرائط، فإنّه يتصدّى لتنفيذ

(١) منهاج الصالحين، (السيد الخوئي): ج ١، ص ٣٦٦.

(٢) أي: اعتبار إذن الفقيه العادل الجامع للشرائط.

(٣) أي: كلام صاحب الجواهر.

(٤) أي: إنه عليه السلام يذكر الدليل على ما ذكره صاحب الجواهر من اعتبار إذن الفقيه الجامع للشرائط.

(٥) أي: في أمر الجهاد.

هذا الأمر المهم من باب الحسبة<sup>(١)</sup> على أساس أن تصدّي غيره لذلك يوجب الهرج المرج، ويؤدّي إلى عدم تنفيذه بشكل مطلوب وكامل<sup>(٢)</sup>.

ومن عبارة السيد الخوئي المتقدمة يمكن أن نستقي شروطاً ثلاثة لتفعيل فريضة الجهاد في سبيل الله تعالى:

### الشرط الأول: إذن الفقيه الجامع للشرائط

وضرورة هذا الشرط من جهة أنّ عملية الجهاد تتضمن - غالباً - إتلافاً لأموال، وإزهاقاً لأرواح محترمة في الشريعة الإسلامية، بل ربّما أفضت العملية الجهادية إلى دمار كبير في الممتلكات العامّة للمسلمين، وتعطيل للحياة العامّة. ومن الواضح أنّ الأقدر على تشخيص رجحان بذل هذه الأمور عقلاً وشرعاً هو الفقيه الجامع للشرائط المعبرة.

بعبارة أخرى: يكون إزهاق الأرواح وإتلاف الأموال والإضرار بالبنى التحتية، وتعطيل الحياة في بعض الظروف، راجحاً عقلاً وشرعاً، ولكن تشخيص هذا الرجحان ليس من صلاحيات كلّ أحد؛ فطالب الحوزة العلمية الذي لا زال في مرحلة المقدمات أو مرحلة السطوح لا يمكنه تشخيص هذا الرجحان. نعم، ذلك يكون للفقيه العادل المستجمّع للشرائط المعبرة، فإن أذن في ذلك فبها، وإلاّ فلا يجوز الجهاد.

---

(١) الحسبة بالكسر، هي: الأجر، والجمع الحسب. أنظر: مجمع البحرين: ج ٢، ص ٤١ - مادة: (حسب). واصطلاحاً: وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي هو فرض على القائم بأمور المسلمين. - أنظر: معجم ألفاظ الفقه الجعفري: ص ١٦٠.

(٢) منهاج الصالحين (السيد الخوئي): ج ١، ص ٣٦٦.

### الشرط الثاني: وجود مصلحة للإسلام في العملية الجهادية

إنَّ تشخيص المصلحة إنَّما يتمُّ من خلال التشاور مع أهل الخبرة والبصيرة من المسلمين، ودراسة مقدّمات نجاح العملية الجهادية؛ لمعرفة عدد المسلمين وعدّتهم، مضافاً إلى دراسة الظروف الزمانية والمكانية التي تحيط بالمسلمين والمقاتلين، وكون هذه الظروف مناسبة لتحقيق النتائج المرجوة من الجهاد.

### الشرط الثالث: الشخص القائد

إنَّ العملية الجهادية وما يرافقها من تضحيات غالية ونفيسة بالأموال والأنفس والممتلكات، تحتاج إلى قائد يملك الأهلية والكفاءة والقدرة على إنجاح العملية الجهادية؛ وإلاَّ كانت الأضرار الناتجة أكثر من المنافع المتوخّاة. مضافاً إلى اعتقاد الناس وإيمانهم بنفوذ أمر هذا القائد عليهم، ووجوب طاعته، والانقياد لأوامره؛ لأنَّ هذا الإيمان هو الذي يُحقّق الاستجابة المرجوة لنجاح العملية الجهادية.

### تبصرة

إنَّ ثلاثية الشروط التي ذكرناها مهمّة جدّاً في أن تؤثّر العملية الجهادية أكلها، وأنَّ الخلل في أيّ شرط منها يكون في غير صالح العملية الجهادية، فتصدّي غير الفقيه العادل الجامع للشرائط، يعني تصدّي غير الكفوء وغير المؤهل للقيادة؛ الأمر الذي يؤدّي إلى حصول الهرج والمرج والفوضى والدمار غير المبرّر. فإن قلت: من أين للفقيه الخبرة العسكرية والمعرفة بالأمر القتالية التي هي من مقوّمات نجاح العملية الجهادية؟ قلت: يمكنه معرفة ذلك من خلال المستشارين العسكريين المتصفين بالتدبّر والحسّ الوطني والخبرة العسكرية.

## مقدمات الجهاد

إضافةً إلى ما تقدّم من شروط، لا بدّ من توفّر مقدمات مهمّة وضرورية لتحقيق مقاصد الجهاد والصراع المسلّح؛ منها:

### المقدمة الأولى: الاستعداد النفسي للمجاهدين

يُعَدُّ الاستعداد النفسي والمعنوي للأمة - التي يُراد لها أن تدخل معترك الجهاد - وتقبّلها فكرة الجهاد وتفاعلها معه من أهمّ المقدمات التي تضمن نجاح العملية الجهادية والصراع المسلّح؛ وبدون هذا الاستعداد والتفاعل، فإنّ الصراع سيكون بين إرادة أشخاص معدودين وقوّة كافرة غاشمة، ولا يمكن أن يُضمن - والحال هذه - نجاح الصراع المسلّح.

أمّا لو كانت الأمة مقتنعة بحتمية الصراع، وأنّه الأسلوب الأمثل والأكمل لحماية الأموال والأنفس والمبادئ، فحينئذٍ ستكون إرادة الأمة وقدراتها هي من تصارع التيار الكافر. وفي مثل هذه الحالة، فإنّه من المستبعد أن يقهر تيار الكفر إرادة أمة تحمل حسّاً دينيّاً ووطنياً.

### المقدمة الثانية: اليأس من جدوائية الأساليب الأخرى

يأتي اختيار أسلوب المواجهة القتالية بعد الشعور باليأس من عدم فاعلية الطرق الأخرى السلمية، المتمثلة بالحوار، واستعمال وسائل الضغط المتعدّدة؛ السياسية، والاجتماعية، والإعلامية، والاقتصادية، ونحو ذلك.

وبعد مضيّ فترة من الزمن - تكون كافيةً للوثوق والاطمئنان بأنّ هذه الوسائل السلمية لم تعد تجدي نفعاً، وأنّ العدو قد تمادى في غيّه وتجاهله للحقوق - يُصار إلى أسلوب الجهاد والمواجهة المسلّحة؛ باعتبار أنّ تحقيق الأهداف ودفع الأضرار انحصر فيها.

ومنهاج التدرّج هذا، هو الذي تقتضيه الفطرة السليمة والعقل البشري، وهو منهاج الأنبياء في دعوتهم الكفّار للشيعة السّماوية، وهو الملاحظ من خلال تتبّع سيرتهم عليهم السلام، وهو الذي يقود إليه التأمل في الآيات القرآنية في مرحلتي المكي والمدني.

#### **المقدمة الثالثة: دراسة حجم الأضرار المتوقعة في جانب العدو**

لا بدّ من دراسة حجم الخسائر البشرية والمادّية التي ستلحق بالعدو ومدى تأثير ذلك على كسب المعركة، وكذلك دراسة حجم الخسائر البشرية والمادّية التي تلحق برافعي راية الجهاد؛ لمعرفة مدى تأثير ذلك على ديمومة زخم المواجهة واندحار العدو.

هذا مضافاً إلى دراسة حجم المنافع المتوقع الحصول عليها من العملية الجهادية.

#### **المقدمة الرابعة: رسم استراتيجية المعركة**

يلزم وضع الاستراتيجية المتكاملة لكيفية مواجهة العدو، والأخذ بنظر الاعتبار احتمالية فشل الجولة الأولى من الصراع، وماذا ينبغي فعله لو حصل ذلك؛ حتى لا تنكسر الأمة معنوياً وتصاب بالإحباط واليأس، وبالتالي تفشل الحركة الجهادية بتمامها.

#### **المقدمة الخامسة: اختيار الطريقة الأنسب في مواجهة العدو**

ينبغي أيضاً اختيار الآلية المناسبة لمواجهة العدو؛ بعد دراسة الظروف الزمانية والمكانية التي تحصل فيها المواجهة العسكرية، ومحاولة الوصول إلى نقاط الضعف في جانب العدو، سواء أكان من ناحية آلياته العسكرية واستعدادات جنوده، أم من ناحية الزمان والمكان الذي لا يستطيع فيه العدو خوض مواجهة مسلحة ناجحة.

وفي نفس الوقت لا بدّ من دراسة نقاط القوّة التي يمتلكها المجاهدون، واستثمارها لإلحاق أكثر وأكبر الخسائر الممكنة في العدو.

### المقدمة السادسة: الالتزام بأخلاق الحرب

من المقدمات المهمّة في نجاح العملية الجهادية هو الاستعداد الفكري والروحي لتطبيق الخلق الإسلامي حتى في ساحة الحرب؛ لكي ينقلوا بتصرّفاتهم وسلوكهم صورة الإسلام الحقيقية التي يراد نشرها، فإنّ هذه الصور والأخلاقيات ينبغي أن تطبّق أولاً من قِبَل المجاهدين، وأمّا لو لم يكن المجاهدون على هذه الدرجة من التحلّي بالخلق الإسلامي، وكانوا لا يملكون الحد الأدنى من الورع عن الحرمات والتفقه في الدين والتحلّي بأخلاق الرسالة الإسلامية، فإنّ ذلك سوف ينعكس سلباً على الإسلام، ويصير الجهاد وبالاً على المسلمين.

وبعبارة أخرى: لا بدّ من توفر العناصر المجاهدة الملتزمة بالمنهج الإسلامي، سواء على مستوى الالتزام بالأحكام الشرعية من الحلال والحرام، أم على مستوى اتباع الخلق الإسلامي في الحرب؛ لأنّ الهدف من الجهاد إنّما هو نشر الإسلام، أو الحفاظ عليه وعلى مبادئه من الكفّار والمستكبرين، وكل واحد من هذين الهدفين لا يكتب له النجاح إذا لم يكن رافعو راية الجهاد على درجة من الوعي الديني وضبط النفس ومجاهدتها من الأهواء النفسية، والصمود أمام مغريات الشيطان، والقدرة على تشخيص الموارد التي يقدّم فيها الالتزام بأخلاقيات الحرب الإسلامية على تحصيل النصر العسكري.

ولبيان مصداقية ما ذكرنا وأهمّيته في تحقيق الأهداف التي يصبو لها الجهاد

الإسلامي نطلّ على الخُلُق الإسلامي الرفيع الذي قدّمه مسلم بن عقيل عليه السلام<sup>(١)</sup>، وهو نتاج تربية الحسين عليه السلام، حينما رفض الغدر بالطاغية عبيد الله بن زياد؛ لأنّ الإسلام ينهى عن الغدر<sup>(٢)</sup>.

إنّ هذا الخُلُق الحربي الإسلامي كان أحد الأسباب المهمّة في نجاح الثورة الحسينية على المستوى الاستراتيجي.

لقد كان بإمكان مسلم عليه السلام أن يقتل الطاغية ابن زياد ويُرّيح المؤمنين من ظلمه

(١) مسلم بن عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم: تابعي، من ذوي الرأي والعلم والشجاعة. كان مقبلاً بمكة، وانتدبه الحسين (السلطان) بن علي ليتعرف له حال أهل الكوفة حين وردت عليه كتبهم يدعونهم ويباعون له. فرحل مسلم إلى الكوفة فأخذ بيعة (١٨٠٠) من أهلها وكتب للحسين بذلك، فشعر به عبيد الله بن زياد (أمير الكوفة) فطلبه، فمنعه الناس، ثم تفرقوا عنه، ودارت بينه وبين جماعة عبيد الله بن زياد معركة قاسية، حتى أُسر، وقتل بأمر عبيد الله في التاسع من ذي الحجة عام (٦٠) للهجرة. أنظر: الأعلام (للزركلي)، ج ٧، ص ٢٢٢. وأيضاً: أنصار الحسين عليه السلام، ص ١٢٤.

(٢) ذكر أبو الفرج الأصفهاني: «مرض شريك بن الأعور، وكان كريماً على ابن زياد، وكان شديد التشيع، فأرسل إليه عبيد الله: إني رائج إليك العشيّة فعائذك. فقال شريك لمسلم: إن هذا الفاجر عائدي العشيّة، فإذا جلس فاقتله، ثم اقعِد في القصر وليس أحد يحول بينك وبينه، فإن أنا برأت من وجعي من أيامي هذه سرت إلى البصرة، وكفيتك أمرها... فجاءه عبيد الله بن زياد فدخل وجلس، وسأل شريكاً: ما الذي تجد ومتى اشتكيت؟ فلما طال سؤاله إياه ورأى أنّ أحداً لا يخرج خشي أن يفوته، فأقبل يقول:

ما الانتظار بسلمي أن تحيوها حيّوا سليمي حيّوا من يحيها

كأس المنية بالتعجيل فاسقوها

لله أبوك! إسقنيها وإن كانت فيها نفسي. قال ذلك مرتين أو ثلاثة، فقال عبيد الله - وهو لا يفطن -: ما شأنه أترونه يهجر؟ فقال له هاني: نعم أصلحك الله ما زال هكذا قبل غيابة الشمس إلى ساعتك هذه. ثم قام وانصرف. فخرج مسلم، فقال له شريك: ما منعك من قتله؟ فقال: خصلتان، أما إحدهما فكرامية هاني أن يُقتل في داره، وأما الأخرى فحديث حديثه الناس عن النبي صلى الله عليه وآله: إن الإيهان قيد الفتك فلا يفتك مؤمن». مقاتل الطالبيين: ص ٦٥.



إنَّ الإمام السَّجَّادَ عليه السلام أراد أن يقول لعبَّاد البصري: إنَّنا إذا توفَّرت العناصر  
المجاهدة المتخلَّقة بأخلاق الإسلام، فإنَّنا لا نترك الجهاد؛ وهذه العناصر هم:  
أولاً: التائبون؛ الذين غسلوا قلوبهم وأرواحهم من رين<sup>(١)</sup> الذنوب بقاء التوبة.  
ثانياً: العابدون؛ الذين برمجوا حياتهم بالدعاء والمناجاة والصلوات.  
ثالثاً: الحامدون؛ الذين يحمدون ويشكرون نعم الله تعالى المادِّية والمعنوية.  
رابعاً: السائحون؛ الذين يتنقلون من مكان عبادة إلى آخر، ويصومون نهارهم.  
خامساً: الراكعون؛ الذين تنحني ظهورهم لعظمة الله تعالى.  
سادساً: الساجدون؛ الذين يمرَّغون جباههم بالتراب أمام خالقهم.  
سابعاً: الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر.  
ثامناً: المجاهدون الحافظون لحدود الله؛ الذي يراعون حرَمات الله تعالى ولا  
يتعدَّون حدوده.

فالإمام عليه السلام يؤكِّد لعبَّاد - وغيره - أنَّه إذا توفَّرت هذه العناصر التي جاهدت  
نفسها وغلبت هواها، فحينئذٍ يمكن أن تتصدَّوا للعدو بكل ثقة واطمئنان،  
وتحرزوا النصر في العملية الجهادية<sup>(٢)</sup>.

(١) (رين): قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: آية ١٤] أي: غلب على  
قلوبهم كسب الذنوب كما يرين الخمر على عقل السكران. يقال: ران على قلبه ذنبه، من باب  
باع، يرين ريناً؛ أي: غلب. والرين: الحجاب الكثيف. ورانت نفسه ترين: خبثت. مجمع  
البحرين: ج ٦، ص ٢٥٩، - مادة: رين.

(٢) بعد أن أتمَّ سماحة الشيخ البحث في شروط الجهاد ومقوماته، والفكر والوعي الذي ينبغي أن  
يكون عليه المجاهد، وصفاته الخلقية، ترك الجواب عن الأسئلة التي يطرحها البعض - والتي  
تطالب بإعلان الجهاد - إلى الجمهور، وإلى كلِّ باحثٍ عن الحقيقة.



# الخطبة السادسة عشرة

## ثمار إحياء المناسبات الدينية ومعطياتها

بتاريخ: ١٨ / ٦ / ٢٠٠٤ م

وفيها المحاور التالية:

- ◀ حكمة التجمع في بعض المناسك العبادية
- ◀ التجمع في الصلاة نموذجاً
- 🕌 الثمرة الأولى: إبراز الولاء والطاعة للخالق
- 🕌 الثمرة الثانية: تعميق الشعور بالانتظام في الحياة
- 🕌 الثمرة الثالثة: إشباع حاجة النفس في الاجتماع مع الآخر
- 🕌 الثمرة الرابعة: توثيق الأواصر الاجتماعية
- 🕌 الثمرة الخامسة: تعزيز روح الاقتداء بالإمام العادل
- 🕌 الثمرة السادسة: الشعور بالروح الجماعية والكيان الموحد
- ◀ سمات التجمع العبادي



## مقدمة الخطبة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم حمدي لك متواصل، وثنائي عليك دائم من الدهر إلى الدهر، بألوان التسبيح وفنون التقديس خالصاً لذكرك ومرضياً لك بناصع التوحيد ومحض التحميد وطول التعديد في إكذاب أهل التنديد، لم تُعَن في شيء من قدرتك ولم تشارك في إلهيتك، ولم تعين إذ حبست الأشياء على الغرائز المختلفات، وفطرت الخلائق على صنوف الهيئات، ولا خرقت الأوهام حجب الغيوب إليك، فاعتقدت منك محدوداً في عظمتك، ولا كيفية في أزليتك، ولا ممكناً في قدمك... كلت الألسن عن تبين صفتك، وانحسرت العقول عن كنه معرفتك، وكيف تدرك الصفات أو تحويك الجهات، وأنت الجبار القدوس الذي لم تزل أزلياً دائماً في الغيوب، وحدك ليس فيها غيرك، ولم يكن لها سواك<sup>(١)</sup>.

اللهم صلّ على سيد أنبيائك ورسلك، أبي القاسم محمد، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين.

## حكمة التجمع في بعض المناسك العبادية

هناك حكمة إلهية عظيمة وثمار جمّة للتجمع والجماعة التي ندب إليها الشارع عند أداء الكثير من تشريعاته؛ فهناك تجمع سنوي للمسلمين عند أداء فريضة الحج،

---

(١) مهج الدعوات: ص ١٢٩.

وتجمّع يومي لهم عند أداء فريضة الصلاة، وتجمّع في المناسبات الدينية، وتجمّع في حالات التوسّل والضراعة والدعاء إلى الله تعالى.

وشتان بين التجمّعات التي تكون في ظل نور الإسلام وهداه، وبين التجمّعات التي أوجدتها الحضارة القائمة في حضور فيلم سينمائي أو مسرحية فاقدة للهدفية أو حفلة غنائية.

ففي النوع الأوّل من التجمّعات يعيش الفرد في ظل التشريع الإسلامي؛ لذا نلاحظ حضوراً للمحتوى الإنساني والعلاقات القلبية التي تسودها الألفة والمحبة، أمّا في النوع الثاني من التجمّعات فإنّ الفرد يعيش في ظل الشيطان وتسويلاته وإغوائاته؛ لذا نلاحظ اتباعاً للأهواء، وصدّاً عن سبيل الله، وترويجاً للشبهات والباطيل.

### التجمّع في الصلاة نموذجاً

نذكر - بصورة موجزة - بعضاً من معطيات وثمار التجمّع في فريضة الصلاة؛ ليكون باعثاً ومحركاً على تفعيل هذه التجمّعات والمشاركة فيها.

#### الثمرة الأولى: إبراز الولاء والطاعة للخالق

يُعدّ التجمّع في الصلاة إبرازاً لمحبة المجتمعين وطاعتهم لخالقهم؛ لأنّ الصلاة جماعة وفي صفوف منتظمة تعني إعلان مجموع المصلّين - بما هم مجموع - ولاءهم وطاعتهم وانقيادهم لمعبودهم وخالقهم؛ ولهذا الإعلان معطياته الروحية والنفسية، بل والسياسية. وهذه الثمرة لا يمكن إبرازها وإعلانها فيما لو ألغى الاجتماع، وأدّيت فريضة الصلاة فرادى.

### الثمرة الثانية : تعميق الشعور بالانتظام في الحياة

يساهم التجمّع في الصلاة في تعميق شعور المسلم المصلّي بالانتظام في الحياة، باعتبار أنّ شكل الأداء الجماعي للصلاة فيه من الانتظام ما لا يخفى على أحد، الأمر الذي ينعكس تلقائياً على سلوك المصلّي في الميادين المختلفة.

بعبارة أخرى: هناك توافق تلقائي واختياري - ليس قسرياً - على الذهاب إلى المسجد في وقتٍ معيّن ومحدّد، ثم الوقوف بين يدي الخالق على شكل صفوف منتظمة. وأيضاً هناك انتظام تلقائي في صفوف المسلمين المتّجهة إلى بيت الله الحرام، ثم نهوض الجميع - بصفوف منتظمة - لأداء الصلاة جماعة، حتى أنّ الرائي ليرى تتابع أداء فصول الفريضة بشكل بليغ ومدّهش تتسق فيه التلاوة مع الحركة، والحركة مع المشاعر، والمشاعر مع الفكرة.

وقد أراد المشرّع الإسلامي من هذا الانتظام أن يُربّي المصلّي على النظام، ويقول له: كن منظماً في كلّ شأن من شؤون حياتك، سواء أكنت في بيتك، أم في عملك، أم الشارع، أم في السوق؛ لأنّك جزء من الوجود المنتظم، فلا بدّ أن تكون منتظماً، ولا يخفى على أحد ما للانتظام من معطيات وثمار على حياة الفرد والمجتمع.

### الثمرة الثالثة : إشباع حاجة النفس في الاجتماع مع الآخر

إن التجمّع الأخوي في الصلاة، وفي مراسم الدعاء الجماعي، يُشبع في النفس حاجتها وتعطّشها للامتزاج الإنساني والتفاعل والائتلاف والأنس بالآخر. وهذه الألفة والأنس والتفاعل الذي توفّره صلاة الجماعة ودعاء الجماعة تُعرف قيمتها حين فقدانها، ويشهد لذلك ما تعانيه الأفراد في مجتمعات الحضارة الغربية من اكتئاب مصدره العزلة والوحدة، وعدم الاجتماع، الأمر الذي قد يؤدّي ببعضهم إلى أن يقدم على الانتحار، وإزهاق النفس.

إذاً فللممارسات العبادية الجماعية أثر نفسي وروحي على المصلّين المجتمعين، فعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «إنّ المؤمن ليسكن إلى المؤمن كما يسكن الظمآن إلى الماء البارد»<sup>(١)</sup>.

#### الثمرة الرابعة: توثيق الأواصر الاجتماعية

من الثمرات الاجتماعية للاجتماع في الصلاة وغيرها من الاجتماعات الدينية، توثيق العلاقات الاجتماعية بين الناس وتقويتها، وتعرّف بعضهم على البعض الآخر، وعلى أوضاع الغير، وقضاياهم وأعمالهم، وبالتالي مشاركتهم في أفراحهم وأحزانهم، وآمالهم وهمومهم.

هذا مضافاً إلى أنّ فيها فائدة الاعتبار بتجارب الآخرين ومواقفهم، ومعرفة أوضاع المجتمع والأمور الخفية فيه.

وعادةً ما يرافق هذه الاجتماعات ألوان من العواطف والمشاعر التي تحصل من خلال الوقوف جنباً إلى جنب في صفوف الصلاة، وشعور بالانتماء إلى المجتمع، والخروج من حالة العزلة والانطواء إلى الانفتاح الفكري والنفسي والاجتماعي على الآخرين.

#### الثمرة الخامسة: تعزيز روح الاقتداء بالإمام العادل

من معطيات التجمّع في الصلاة هو تركيز الاقتداء بالعناصر الصالحة في المجتمع؛ توضيح ذلك: إنّ أداء الصلاة جماعة يتطلّب إماماً عادلاً، يقتدي خلفه المصلّون، وقد نص الفقهاء في كتبهم الفقهية على عدم جواز اتهام المأمومين إلاّ بإمام عادل يأتي بالواجبات ويترك المحرمات.

---

(١) أصول الكافي: ج ٢، ص ٢٤٧، باب في سكون المؤمن إلى المؤمن، ح ١.

والإتِّهام يعني الاقتداء والاتباع باختيار ورضا لا بقسْر وإكراه، وإمامة العادل للتجمّع تعني أنّ المصلّين يُقدِّمون مَنْ يثقون به ليقْتدوا به، وكأنّ المشرّع الإسلامي لاحظ حاجة الفرد إلى القدوة الصالحة، ولاحظ أنّ المجتمع لا ينتظم أمره إلّا برئاسة وإدارة، فأراد أن تكون عناصر الاقتداء في المجتمع هي العناصر الصالحة لا الطالحة؛ ليكون لها وحدها التوجيه والإدارة والقيادة، وبذلك يبعد العناصر الفاسدة التي لا تحمل قيم الإسلام عن أن يكون لهم دور وتوجيه وقيادة في المجتمع.

### الثمرة السادسة: الشعور بالروح الجماعية والكيان الموحد

لقد حرصت الرسالة الإلهية على الكيان الاجتماعي الموحد، ودعت إلى الشعور بالروح الجماعية، كما حرصت الرسائل البشرية والأنظمة المعاصرة على الوحدة الوطنية والقومية، ولكن الرسالة الإلهية افتقرت عن دعوات الوحدة جميعاً في المنطلق الذي أقامته للوحدة، وفي المناخ الذي وفّرت لها، فلنطلق الصحيح للوحدة الإنسانية في رأي الإسلام هو الرابطة الفكرية الاعتقادية، أمّا الروابط الوطنية والقومية فهي منطلقات خاطئة في رأي الإسلام. قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

لقد أراد الإسلام أن يركّز المفاهيم التي تبنّاها ويعمّقها في نفوس أتباعه. وللإسلام مفاهيمه الاجتماعية عن الذات الإنسانية، وعن الأخوة الحقيقية المصيرية بين أهل الحق، وعن مسؤوليتهم المشتركة، وعن ضرورة الكيان الاجتماعي الموحد، وعن عطف الله وحنانه ورعايته لهذا الكيان الموحد.

(١) الأنعام: آية ١٥٣.

تُهيئ صلاة الجماعة للمؤمنين - في كل اجتماع - جوّاً تربوياً وروحياً حافلاً يساعد على تركيز المعاني الروحية والقيم والمثل العليا في أعماق الذات الإنسانية. فمثلاً: إنّ الملاحظ من خلال الأداء الجماعي للصلاة والدعاء الجماعي في قنوتها أنّ السمة البارزة في هذه التجمّعات العبادية هو التخلّي عن الـ (أنا)، والتحدّث بلغة: (نحن)؛ فالمصلّي في قنوت الصلاة الجماعية ينادي ربّه قائلاً: اللّهمّ ارحمنا، اللّهمّ ارزقنا، اللّهمّ انصرنا، اللّهمّ اغفر لنا، ولا يقول - عادةً: اللّهمّ ارحمني، اللّهمّ ارزقني.

إنّ كلمة (نحن)، التي يبرزها الدعاء الجماعي لها معطياتها الإيجابية في بناء الذات، وجعلها تستشعر الخير للجميع، وهذا ما لا يمكن أن يحقّقه الدعاء الفردي الذي يكون بلسان الـ (أنا).

### خلاصة المقال

يكفي هذه المعطيات والثمار للتجمّع في الصلاة والدعاء حافزاً ومحركاً للتوجّه لأداء صلاة الجمعة وأداء الصلاة اليومية جماعة، وكذلك قراءة الأدعية كدعاء كميل<sup>(١)</sup>، ودعاء التوسّل، ودعاء الندبة، ودعاء السمات بشكل جماعي. ينبغي أن تشيع الممارسات الجماعية بين صفوفنا، وفي كلّ ناحية ومكان يتواجد فيه أتباع مدرسة أهل البيت عليه السلام، وأن نسبق غيرنا في حضور الجمعة والجماعة<sup>(٢)</sup>.

(١) كميل بن زياد النخعي ناقل الدعاء المشهور؛ كان من أعظم خواص أمير المؤمنين عليه السلام وأصحاب سرّه.

(٢) ذكر سماحة الشيخ الكربلائي (دامت بركاته) أنّه من المؤسف أن نرى أهل الخلاف يتسابقون إلى حضور الجمعة والجماعة، بينما نرى أهل التوافق والانقياد لمذهب الحق يتباطئون عن حضور هذه الممارسات الجماعية التي فيها الخير الكبير والأجر العظيم.

أختم هذه الخطبة بمسك فيه غنى وكفاية، لكل ذي لب وعناية، بما ورد عن أهل الدراية والهداية، عن الرسول الأكرم ﷺ في حديث يذكره الفقهاء لبيان عظيم الأجر والثواب لمن ائتم وتاب: «أتاني جبرئيل مع سبعين ألف ملك، بعد صلاة الظهر، فقال: يا محمد، إن ربك يقرئك السلام، وأهدى إليك هديتين، لم يهدهما إلى نبي قبلك. قلت: ما الهديتان؟ قال: الوتر ثلاث ركعات، والصلاة الخمس في جماعة. قلت: يا جبرئيل وما لأمتي في الجماعة؟ قال: يا محمد، إذا كانا اثنين، كتب الله لكل واحدٍ بكل ركعة مائة وخمسين صلاة، وإذا كانوا ثلاثة، كتب الله لكل منهم بكل ركعة ست مائة صلاة، وإذا كانوا أربعة، كتب الله لكل واحدٍ بكل ركعة ألفاً ومائتي صلاة، وإذا كانوا خمسة، كتب الله لكل واحدٍ بكل ركعة ألفين وأربعمائة صلاة، وإذا كانوا ستة، كتب الله لكل واحدٍ منهم بكل ركعة أربعة آلاف وثمانمائة صلاة، وإذا كانوا سبعة، كتب الله لكل واحدٍ منهم بكل ركعة تسعة آلاف وستمائة صلاة، وإذا كانوا ثمانية، كتب الله تعالى لكل واحدٍ منهم تسعة عشر ألفاً ومائتي صلاة، وإذا كانوا تسعة، كتب الله تعالى لكل واحدٍ منهم بكل ركعة ستة وثلاثين ألفاً وأربعمائة صلاة، وإذا كانوا عشرة، كتب الله تعالى لكل واحدٍ بكل ركعة سبعين ألفاً وألفين وثمانمائة صلاة، فإن زادوا على العشرة، فلو صارت بحار السماوات والأرض كلها مداداً، والأشجار أقلاماً، والثقلان مع الملائكة كتاباً، لم يقدرُوا أن يكتبوا ثواب ركعة واحدة.

يا محمد، تكبيرة يدرکہا المؤمن مع الإمام، خير له من ستين ألف حجة وعمرة، وخير من الدنيا وما فيها، سبعين ألف مرة، وركعة يصلّيها المؤمن مع الإمام، خير من مائة ألف دينار، يتصدق بها على المساكين، وسجدة يسجدها المؤمن مع الإمام،

في جماعة، خير من عتق مائة رقبة»<sup>(١)</sup>.

فيا أيها الموالي، ويا أيتها الموالية، أليس في هذا الحديث ما يكفي للترفع عن  
حطام الدنيا ولذائدها ورزقها الفاني، للاشتغال بتحصيل هذه الجنان الخالدة؟!!

---

(١) مستدرک الوسائل: ج ٦، ص ٤٤٤، ح ٧١٨٥/٣.

## الخطبة السابعة عشرة

### أسماء الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام

بتاريخ: ٢ / ٧ / ٢٠٠٤ م

وفيها المحاور التالية:

◀ في رحاب ذكرى شهادة السيدة الزهراء عليها السلام

◀ أسماء السيدة الزهراء عليها السلام

🕌 الأول: اسم فاطمة

🕌 الثاني: اسم الصديقة

🕌 الثالث: اسم المباركة

🕌 الرابع: اسم الطاهرة

🕌 الخامس: اسم الزكية

🕌 السادس: اسم الراضية

🕌 السابع: اسم المرضية

🕌 الثامن: اسم المحدثة

🕌 التاسع: اسم الزهراء



## مقدمة الخطبة

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ لك الحمد حمداً كما أنت أهله، حمداً تضع لك السماء كنفها، وتسبح لك الأرض ومن عليها، اللَّهُمَّ لك الحمد حمداً يزيد ولا يبيد، اللَّهُمَّ لك الحمد حمداً دائماً سرمداً أبداً، لا انقطاع له ولا نفاد، ولك ينبغي وإليك ينتهي، حمداً يصعد أوله، ولا ينفد آخره...

اللَّهُمَّ لك الحمد حمداً خالداً مع خلودك، ولك الحمد حمداً لا ينتهي له دون علمك، ولك الحمد حمداً لا أمد له دون مشيتك، ولك الحمد حمداً لا أجر لقائه إلا رضاك، اللَّهُمَّ لك الحمد على حلمك بعد علمك، ولك الحمد على عفوك بعد قدرتك<sup>(١)(٢)</sup>.

عباد الله، اتقوا الله تعالى في سرائكم وضرائكم، وفي بلائكم ونعمائكم، وأنبيوا إليه تفلحوا في أولاكم وآخراكم، واحمدوا الله تعالى أن أكمل لكم دينكم، وأتمم عليكم نعمته، فأنزل إليكم كتاباً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وفيه

---

(١) جمال الأسبوع: ص ٢٨٣.

(٢) كان إلقاء هذه الخطبة في أجواء شهادة الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام؛ لذا فقد توجه ساحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي (دامت بركاته) بالسلام والزياره إلى البضعة الأحمدية عليها السلام، قائلاً: «السلام عليك أيتها الصديقة الشهيدة، السلام عليك أيتها الرضية المرضية، السلام عليك أيتها الفاضلة الزكية، السلام عليك أيتها الحوراء الإنسية، السلام عليك أيتها النقية، السلام عليك أيتها المحدثة العليمة، السلام عليك أيتها المظلومة المغصوبة، السلام عليك أيتها المضطهدة المهجورة، السلام عليك يا فاطمة بنت رسول الله ورحمة الله وبركاته». مصباح التهجد: ص ٧١٢.

تبيان كل شيء، وجعل لكم أدلة على هذا الكتاب، جمع فيهم خصال الكمال، وهم الصراط المستقيم الذي لا عوج فيه.

### في رحاب ذكرى شهادة السيدة الزهراء عليها السلام

من أعلام الهداية إلى الصراط المستقيم الصديقة الشهيدة، الرضيّة المرضيّة، الصابرة المحتسبة، فاطمة الزهراء عليها السلام. وفي يوم ذكرى استشهادها نتداول الحديث في مناقبها وفضائلها، عسى أن ننال شفاعتها: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿١﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>. ويكفيها عليها السلام فضلاً وشرفاً أن منبع الوجود والكمال اللامتناهي هو من تولّى تسميتها بأسماء تدلّ على عظم شأنها، وسمو مسماها. فقد ورد في أمالي الشيخ الصدوق، عن يونس بن ظبيان، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «لفاطمة عليها السلام تسعة أسماء عند الله: فاطمة، والصديقة، والمباركة، والطاهرة، والزكية، والراضية، والمرضيّة، والمحدثّة، والزهراء»<sup>(٢)</sup>.

### أسماء السيدة الزهراء عليها السلام

البحث في الرواية - أعلاه - يقع في جهات ثلاث:  
الجهة الأولى: النص على أسمائها من قبل المولى سبحانه وتعالى.  
الجهة الثانية: فلسفة أسمائها عليها السلام.  
الجهة الثالثة: معاني أسمائها عليها السلام ودلالاتها.  
من المعلوم أنّه لا بدّ من وجود مناسبة بين الذات والاسم الموضوع لها، ولكي

(١) الشعراء: آية ٨٨-٨٩.

(٢) الأمالي (الشيخ الصدوق): ص ٤٧٤، ح ١٨.

يكون كاشفاً ومميّزاً لها عن بقيّة الذوات، فإنّ الحكمة تقتضي أن تحمل الذات صفات يكون الاسم متناغماً ومتوافقاً معها؛ وحيث إنّ الباري هو وحده المحيط علماً بذات النبي الأكرم صلّى الله عليه وآله، وذوات أصحاب الكساء عليهم السلام وما يتصفون به من خصائص وصفات وشمائل، كان هو وحده المعبر الصادق عن تلك الشمائل والكاشف عنها، والمُعَرِّف بالصفات الذاتية لهم، كما نصّت على ذلك بعض الروايات الماثورة عن أهل البيت عليهم السلام؛ لأنّه وحده العارف بذواتهم وبصفاتهم الحقيقية وشمائلهم المتكاملة؛ لذلك اختار لهم أسماء تكون كاشفة عن صفاتهم ومميّزاتهم، فعن الإمام علي بن الحسين عليه السلام أنّه قال: «حدّثني أبي عن أبيه، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله: قال الله: يا آدم، هذه أشباه أفضل خلّائقي وبرّياتي، هذا محمد، وأنا الحميد المحمود في فعالِي، شققت له اسماً من اسمي، وهذا عليّ، وأنا العليّ العظيم، وهذه فاطمة، وأنا فاطر السماوات والأرض، فاطم أعدائي من رحمتي يوم فصل قضائي، وفاطم أوليائي عمّا يعترهم ويشينهم، وشققت لها اسماً من اسمي»<sup>(١)</sup>.

وفقاً لما ذكرنا من روايات فإنّ للبضعة الأحمديّة عليها السلام أسماء عديدة، اسماها بها خالقها سبحانه وتعالى؛ لأنّه هو وحده المحيط علماً بذاتياتها وشمائلها، كان هو وحده المعبر الصادق عن تلك الشمائل والكاشف عنها، والمُعَرِّف بالصفات الذاتية للزهراء فاطمة عليها السلام.

#### الأول: اسم (فاطمة)

الظاهر - من خلال استقراء أحاديث أهل البيت عليهم السلام - أنّ أوّل اسم سُمّي به بضعة الرسول صلّى الله عليه وآله هو اسم فاطمة، ولهذه التسمية فلسفة وأسباب؛ منها:

أولاً: إنها سُمِّيت بفاطمة لأنَّ الله فطمها من الشرِّ

عن يونس بن زبيان، عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام، إنَّه قال: «أتدري أيُّ شيء تفسير فاطمة؟ قلت: أخبرني يا سيدي. قال: فُطِمت من الشر. ثم قال: لولا أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام تزوّجها لما كان لها كفؤ إلى يوم القيامة على وجه الأرض آدم فمن دونه» <sup>(١)</sup>.

ثانياً: إنها سُمِّيت بفاطمة لأنَّ الله فطم محبَّيها من النار

عن محمد بن مسلم أنَّه قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «لفاطمة وقفة على باب جهنم، فإذا كان يوم القيامة كتب بين عيني كل رجل مؤمن أو كافر، فيؤمر بمحبٍّ قد كثرت ذنوبه إلى النار فتقرئ بين عينيه محباً، فتقول: إلهي وسيدي، سمَّيتني فاطمة وفطمت بي مَنْ تولَّاني وتولَّى ذريتي من النار، ووعدك الحق وأنت لا تخلف الميعاد. فيقول الله: صدقت يا فاطمة إنِّي سمَّيتك فاطمة وفطمت بك من أحبِّك وتولَّاك وأحبَّ ذريتك وتولَّاهم من النار، ووعدني الحق وأنا لا أخلف الميعاد، وإنَّما أمرت بعبدي هذا إلى النار لتشفعي فيه فأشفعك ليتبَّن للملائكة وأنبيائي ورسلي وأهل الموقف موقفك مني ومكانتك عندي. فمَنْ قرأت بين عينية مؤمناً فحذبتْ بيده وأدخلته الجنة» <sup>(٢)</sup>.

ثالثاً: إنها سُمِّيت بفاطمة لأنَّ الله فطمها بالعلم

عن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام، أنَّه قال: «لما ولدت فاطمة عليها السلام أوحى الله إلى ملك فانطلق به لسان محمد صلى الله عليه وآله فسماها فاطمة، ثم قال: «إنِّي فطمتكِ بالعلم، وفطمتكِ عن الطمث» <sup>(٣)</sup>، ومعنى «فطمتكِ بالعلم»؛ قطعكِ عن الجهل بسبب

(١) الخصال: ص ٤١٤، باب تسع خصال أعطهاها الله نبيه محمد صلى الله عليه وآله، ح ٣.

(٢) بحار الأنوار: ج ٨، ص ٥٣.

(٣) علل الشرائع: ج ٢، ص ١٧٩.

العلم، وهذا كناية عن كونها في بدو فطرتها عالمة بالعلوم الربّانية.

### الثاني: اسم (الصديقة)

من أسمائها المنصوص عليها في الروايات، والمعروف على لسان أهل البيت عليهم السلام، هو اسم (صديقة)، وقد أسماها بهذا الاسم خالقها سبحانه وتعالى - كما في الرواية المتقدمة - إجلالاً وإكراماً لمقامها السامي، ولما وصلت إليه من التصديق بكل ما آتاه الله ورسوله صلّى الله عليه وآله.

وكلمة: (صديقة)؛ صيغة مبالغة في الصدق والتصديق، وهذا يعني أنّها كانت مداومة على التصديق بما يوجهه الحقّ جلّ وعلا، حيث كانت مصدّقة بكلّ ما أمر الله به أنبياءه، ولا يدخلها في أيّ شيء من ذلك شكّ أو ريب، وكانت عليها السلام المؤمنة بكلّ عقائدها الربّانية. قال الإمام الصادق عليه السلام في حقّ الصديقة الطاهرة: «وهي الصديقة الكبرى، وعلى معرفتها دارت القرون الأولى»<sup>(١)</sup>.

### الثالث: اسم (المباركة)

وهو ثالث الأسماء التي وردت على لسان المعصوم عليها السلام لفاطمة الزهراء عند الباري، والظاهر من خلال سيرتها وما تركت من ذرية طيبة من بعدها، أنّ مسألة البركة واضحة البرهان في حياتها الواقعية.

ومن خلال استقراء حياة السيّدة فاطمة عليها السلام - قبل وبعد شهادتها - نعلم أنّها تمثّل الخير الكثير، الذي وردت الإشارة إليه في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ﴾، وقد انطبقت عليها صفة الكوثر لكثرة بركتها على رسول الله صلّى الله عليه وآله، وعلى أهل بيته عليهم السلام وعلى شيعة أمير المؤمنين عليه السلام، فأيّ بركة أكبر وأفضل من بركة

(١) أمالي الشيخ الطوسي: ص ٦٦٨، ح ١٣٩٩ / ٦.

فاطمة عليها السلام على الشيعة في الحياة الدنيا؛ حيث كانت وعاء الإمامة التي مثلت أفضل مصابيح الولاية الكبرى؟! وأي بركة أفضل منها في يوم القيامة عندما تأتي وتخلص شيعتها ومحبيها من عذاب النار، كما ورد في الحديث السابق؟!

#### الرابع: اسم (الطاهرة)

وهو من الأسماء الجليلة التي تدلّ على معنى يصبو إليه كلّ مؤمن، وهو الطهارة الباطنية والظاهرية، وتسميتها بهذا الاسم من قبل خالقها يدلّ على طهارتها الباطنية والظاهرية، ومما يدلّ على طهارتها بكلا القسمين آية التطهير<sup>(١)</sup>؛ التي كشفت لنا بأنّ الزهراء فاطمة عليها السلام طاهرة مطهّرة، نقيّة، مبرّاة من كلّ الأرجاس الظاهرية والباطنية. فعن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام، أنّه قال: «إنّها سُمّيت فاطمة بنت محمد الطاهرة لطهارتها من كلّ دنس، وطهارتها من كلّ رَفَث، وما رأت قطّ يوماً حمرة ولا نفاساً»<sup>(٢)</sup>.

#### الخامس: اسم (الزكية)

وهي زكية من جهة أنّ ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله ازدادت ونمت بها عليها السلام، وهو معنى الزكاة عن طريق الرحم الطاهر للزهراء عليها السلام؛ فهي الزكية باعتبارها المنبع الذي عن طريقه كثرت ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله، وهي الزكية لكثرة بركتها على شيعتها.

#### السادس: اسم (الراضية)

من الأمور المهمّة في معرفة درجة إيمان الفرد المسلم هي مسألة الرضا بما قسم

(١) قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ الأحزاب: آية ٣٣.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٣، ص ١٩، الباب الثاني، ح ٢٠.

الله تعالى للفرد، وقدّر له من بلاء وامتحان ومشقة في الحياة؛ وهذا يحتاج إلى معرفة ويقين بالله تعالى حتى يصل المرء إلى هذه المرتبة.

فقد ورد في بعض الأحاديث عن أهل بيت العصمة عليهم السلام أنّ رأس طاعة الله تعالى الصبر والرضا فيما قضاه الله <sup>(١)</sup>، ويظهر من الروايات وسيرة السيدة الزهراء عليها السلام ومسيرتها أنّها كانت راضية بكلّ ما قدّر لها من خير وبلاء؛ فقد صبرت وسلّمت أمرها إلى الله تعالى في كلّ ظروفها التي عانت فيها من الظلم والأذى والاضطهاد، ورضيت بما قدّر لها من مرارة الدنيا ومشقتها ومصائبها وبلائها.

#### السابع: اسم (المرضية)

يظهر - من خلال التأمل في السيرة الذاتية للسيدة الزهراء عليها السلام - أنّ هناك احتمالين في معنى كونها مرضيّة:

الاحتمال الأول: أنّ جميع أفعالها وأقوالها وما صدر منها خلال مسيرة حياتها كانت مرضيّة عند الله تبارك وتعالى، فهي راضية عن الله، والله راضٍ عنها. الاحتمال الثاني: أنّها عليها السلام كانت مرضيّة من جهة ما أعطاه الله تبارك وتعالى من المقامات النورانية التي فضّلها بها على غيرها، وكذلك من خلال ما أعطاه تبارك وتعالى من الذرّية الكثيرة المباركة؛ حيث جعل منها الأئمة الهادين، وكذلك هي مرضيّة من جهة أنّ لها مقام الشفاعة الكبرى.

#### الثامن: اسم (المحدثة)

إمّا بكسر الدال المشدّدة (المحدثة)، أو بفتحها (المحدثة).

(١) عن علي بن الحسين عليه السلام قال: «الصبر والرضا عن الله رأس طاعة الله، ومن صبر ورضي عن الله فيما قضى عليه فيما أحب أو كره، لم يقض الله له فيما أحب أو كره إلّا ما هو خير له». الكافي: ج ٢، ص ٦٠، باب الرضا بالقضاء، ح ٣.

وعلى الاحتمال الأول يكون معنى هذا الاسم؛ أنها عليها السلام كانت تحدّث أمّها خديجة عليها السلام وهي جنين في بطنها، وهذا المعنى منصوص عليه في بعض الروايات التي تفيد أنّ الزهراء عليها السلام كانت تحدّث أمّها وهي في بطنها عليها السلام <sup>(١)</sup>.

وعلى الاحتمال الثاني - وهو الأصح على ما يظهر من بعض الأحاديث - يكون معنى المحدثّة؛ هو أنها عليها السلام كانت تحدّثها الملائكة وتؤنسها، وخصوصاً بعد فقدانها أبيها عليها السلام.

وهنا ينقدح سؤال، وهو: هل يمكن أن تحدّث الملائكة إنساناً هو ليس بنبي، مع أنّ الوحي انقطع بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله؟

وجوابه: لو راجعنا القرآن الكريم، لوجدنا فيه عدّة آيات قرآنية تبين إمكان تحدّث الملائكة مع البشر، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ﴾ <sup>(٢)</sup>، وقال تعالى في سورة أخرى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ <sup>(٣)</sup>.

والذي نقول به من أنّ فاطمة الزهراء عليها السلام إنّما كانت محدّثة من قبل الملائكة فإنّما هو بنحو من أنحاء الوحي، ولكنّه ليس هو النحو الذي يحصل للرسول من إبلاغهم لرسالات السماء، فعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّما سُمّيت فاطمة محدّثة؛ لأنّ

(١) عن الفضل بن عمر، قال: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: «كيف كانت ولادة فاطمة عليها السلام؟ فقال: نعم، إنّ خديجة عليها السلام لما تزوّج بها رسول الله صلى الله عليه وآله هجرتها نسوة مكّة، فكُنّ لا يدخلن عليها، ولا يسلمن عليها، ولا يتركن امرأة تدخل عليها؛ فاستوحشت خديجة عليها السلام لذلك، وكان جزعها وغمّها حذراً عليه صلى الله عليه وآله. فلمّا حملت بفاطمة كانت عليها السلام تحدّثها من بطنها وتصبّرها، وكانت تكتم ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً فسمع خديجة تحدّث فاطمة عليها السلام، فقال لها: يا خديجة، من تحدّثين؟ قالت: الجنين الذي في بطني محدّثني ويؤنسني». الأمايلي (الصدوق): ص ٦٩١، ح ٩٤٧ / ١.

(٢) آل عمران: آية ٤٢.

(٣) القصص: آية ٧.

الملائكة كانت تهبط من السماء فتناديها كما تنادي مريم ابنة عمران فتقول: يا فاطمة، إنّ الله اصطفاكِ وطهركِ واصطفاكِ على نساء العالمين، يا فاطمة، اقتني لربكِ واسجدي واركعي مع الراكعين، فتحدّثهم ويحدّثونها، فقالت لهم «أي: الزهراء عليها السلام للملائكة ذات ليلة: أليست المفضّلة على نساء العالمين مريم ابنة عمران؟ فقالوا: إنّ مريم كانت سيّدة نساء عالمها، وإنّ الله تعالى جعلك سيّدة نساء عالمكِ وعالمها، وسيّدة نساء الأوّلين والآخرين»<sup>(١)</sup>.

#### التاسع: اسم (الزهراء)

وقد تحدّث الروايات عن سبب تلقيبها بهذا اللقب، وهو أنها كانت تزهر لأهل السماء في محرابها، فقد روى الشيخ الصدوق بسنده عن جعفر بن محمد بن عمارة عن أبيه، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن فاطمة لم سميت الزهراء؟ فقال عليه السلام: «لأنّها كانت إذا قامت في محرابها زهر نورها لأهل السماء كما تزهر نور الكواكب لأهل الأرض»<sup>(٢)</sup>.

(١) علل الشرائع: ج ١، ص ١٨٢.

(٢) علل الشرائع، ج ١، ص ١٨١.



# الخطبة الثامنة عشرة

## ظاهرة الافتراء على الآخر

بتاريخ: ٩ / ٧ / ٢٠٠٤م

وفيها المحاور التالية:

- مسائل تمهيدية لمبحث الافتراء على الآخر:
- ✎ المسألة الأولى: سبب نزول آية الإفك
- ✎ المسألة الثانية: كيفية تعامل القرآن مع هذه الظاهرة
- الأصناف التي أشارت لهم الآية:
- ✎ الصنف الأول: المنافقون أصحاب الإشاعات الكاذبة
- ✎ الصنف الثاني: المتلقون للإشاعات والمروجون لها
- ✎ الصنف الثالث: الصادقون للإشاعات الباطلة
- إطلالة على معاني آية الإفك ودروسها
- حساب صنّاع الشائعات ومروجيها
- درس آخر في آية الإفك
- صفات المؤمن القوي



## مقدمة الخطبة

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على حلمه وأناته، والحمد لله على علمي بأنّ ذنبي وإن كبر صغير في جنب عفوه، وجرمي وإن عظم حقير عند رحمته، وسبحان الله الذي رفع السماوات بغير عمد، وأنشأ جنّات المأوى بلا أمد، وخلق الخلائق بلا ظهر ولا سند، ولا إله إلاّ الله المنذر من عند طاعته وعنا عن أمره، والمحذّر من لجّ في معصيته واستكبر عن عبادته، والمعذر إلى من تهادى في غيّه وضلالته لتثبيت حجّته عليه وعلمه بسوء عاقبته، والله أكبر الجواد الكريم، الذي ليس لتقديم إحسانه وعظيم امتنانه على جميع خلقه نهاية، ولا لقدرته وسلطانه على بريّته غاية<sup>(١)</sup>.

أوصيكم إخوتي المؤمنين وأخواتي المؤمنات، ونفسي الغارقة في بحار الذنوب والمعاصي، بتقوى الله تعالى والاجتناب عن معاصيه، والإنابة إليه؛ فإنّ ذلك مفتاح الكمال والسعادة في الدنيا، والفلاح والنعيم الدائم في الآخرة.

## تحرّي الحقيقة

من جملة مفردات التقوى هو البحث عن الحقّ وتحرّي الحقيقة، بحيث لا ينسب المؤمن قولاً أو فعلاً أو سلوكاً أو تصرّفاً إلى شخصٍ آخر إلاّ بعد التثبت، وأن يكون صادقاً وأميناً في نقله، وأن لا يكون في هذا النقل ارتكاب لحرام.

---

(١) البلد الأمين: ص ١٠٥-١٠٦، دعاء يوم الأحد لعلّي عليه السلام.

ينبغي أن يكون المؤمن مظهرًا يعكس الصفات الإلهية؛ فالله تعالى هو الرحمن الرحيم، وعلى المؤمن - الذي ينبغي الحق والذي يكون صادقًا في إيمانه - أن يكون مظهرًا ومنبعًا للرحمة، وأن يشعر قلبه الرحمة تجاه عباد الله تعالى. والله تعالى هو العادل، وينبغي للمؤمن الحق الصادق في إيمانه أن يتصف بالعدالة في فعله وفي سلوكه. والله تعالى هو الصادق في كل ما يقول، وينبغي للمؤمن الحق الصادق في إيمانه أن يكون صادقًا في أي نسبة ينسبها إلى الآخرين، سواء أكانت نسبة قول أم فعل أم سلوك أم تصرف. والله تعالى هو الحق في شرعه وفي قوله، وينبغي للمؤمن أن يبحث عن الحق وعن الصدق دائماً.

في هذه الخطبة نتعرض إلى درسٍ من الدروس التربوية المهمة، والذي يُعالج ظاهرة طالما ابتلى بها مجتمعنا، بل كل المجتمعات في كل الأزمان؛ ألا وهي ظاهرة نشر الأكاذيب والافتراءات والإشاعات.

وسوف ننتقل في علاج هذه الظاهرة من آيات سورة النور المباركة التي تعرّضت إلى قصة الإفك<sup>(١)</sup> في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ تَوَلَّى إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ تَوَلَّى جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ

(١) [أفك] الإفك: الكذب، وكذلك الأفيكة، والجمع الأفائك. ورجل أفك، أي: كذاب. والأفك بالفتح: مصدر قولك أفكه يافكه أفكاً، أي: قلبه وصرفه عن الشيء، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتَأَفَّكَ﴾ قال عروة بن أذينة:

إن تك عن أحسن الصنيعة مأفوكاً فففي آخرين قد أفكوا

يقول: إن لم توفق للإحسان فأنت في قوم قد صرفوا عن ذلك أيضاً.

واتفكت البلدة بأهلها، أي: انقلبت. والمؤتفكات: المدن التي قلبها الله تعالى على قوم لوط عليه السلام.

الصحيح: ج ٤، ص ١٥٧٢ - ١٥٧٣، مادة: (أفك).

الْكَذِبُونَ ﴿١﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِلَى آخِرِ الآيَاتِ الَّتِي تَعَرَّضْتُ إِلَى هَذِهِ الْقِصَّةِ.

## مسائل تمهيدية لمبحث الافتراء على الآخر

نبدأ الحديث عن ظاهرة الافتراء على الآخر بجملة من الأمور التمهيدية:

### المسألة الأولى: سبب نزول آية الإفك

اتفق المفسرون على أَنَّ قِصَّةَ الإفك نزلت في إحدى زوجات النبي، ولكن اختلفوا في تحديد مَنْ هي التي نزلت فيها هذه القصة؛ فهناك رواية تنص على أَنَّ التي أفك عليها هي عائشة زوج النبي، وَأَنَّ الذي اتهمها وافتري عليها هو رأس النفاق؛ عبد الله بن أبي سلول<sup>(١)</sup>.

وفي رواية أخرى أَنَّ التي اتَّهَمَتْ هي زوج النبي مارية القبطية، وَأَنَّ التي

(١) النور: آية ١١ - ١٥.

(٢) روى الزهري عن عروة بن الزبير وسعيد بن المسيّب وغيرهما: «أَنَّ رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أفرغ بين نسائه، فَأَيَّتِهِنَّ خرج سهمها خرج بها. فأفرغ بينهنَّ في غزوة بني المصطلق، فخرج فيها سهم عائشة، فخرجت مع الرسول ﷺ، وَلَمَّا نزلوا منزلاً من منازلهم خرجت عائشة لقضاء حاجة ثُمَّ عادت إلى الرحل، فلمست صدرها فإذا عقد من جزع ظفار قد انقطع، فرجعت، وحل هودجها على بعيرها ظناً منهم أَنَّها فيه، فَلَمَّا عادت إلى الموضع وجدتهم قد رحلوا، فجلست كي يرجع إليها أحد، وكان صفوان بن المعطل السلمي من وراء الجيش، فَلَمَّا وصل إلى ذلك الموضع وجدهم قد رحلوا وعرفها، فأناخ بعيره حتَّى ركبته وهو يقوده حتَّى أتى الجيش، وقد نزلوا في وقت الظهيرة، فاتَّهَمَتْ به. فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾ بأبلغ ما يكون من الكذب. وأصله الإفك، وهو الصرف؛ لِأَنَّهُ قول مأفوك عن وجهه. والمعنى: بالكذب العظيم الَّذِي قلب فيه الأمر عن وجهه. والمراد ما أفك به على عائشة». زبدة التفاسير: ج ٤، ص ٤٨٣.

اتهمتها هي عائشة زوج النبي<sup>(١)</sup>. وكيفما كان فإنّ الذي يهّمنا هو التعرّض إلى الدروس التربوية التي حملتها هذه القصّة القرآنية.

### المسألة الثانية: كيفية تعامل القرآن مع هذه الظاهرة

لا شكّ أنّ التعامل القرآني مع الأكاذيب والافتراءات والإشاعات التي جاءت في قصّة الإفك ليست خاصّة بالقصّة، بل هي عامّة شاملة لكلّ افتراء يمكن أن يصدر من شخص على آخر. أو قل: إنّ الدرس التربوي الذي حملته الآية غير خاص بمورد النزول، بل هو عام يشمل كلّ أكذوبة وكلّ افتراء وكلّ تلفيق، سواء أكان هذا الافتراء يمسّ شرف الرجل وعرضه أو شرف المرأة وعرضها، وسواء أكانت هذه المرأة هي زوجة للنبي<sup>ﷺ</sup> أم لم تكن.

حينما اتهم امرأة زوراً وبهتاناً بإقامة علاقة عاطفية، أو بارتكاب الفاحشة، أو يتهم رجل بأنّه أقام علاقة عاطفية مع امرأة، أو مارس معها الفاحشة زوراً وبهتاناً، أو يُتهم شخص باللواط، أو يُتهم تاجر بأكل الربا، أو يُتهم صاحب محل بالبخس في المكيال والميزان، أو يُتهم موظّف بالسرقة والاحتيال، أو يُتهم طالب بالغش، أو

---

(١) روى علي بن إبراهيم بسنده عن زرارة، قال: سمعت أبا جعفر<sup>عليه السلام</sup> يقول: «لما مات إبراهيم بن رسول الله<sup>ﷺ</sup> حزن عليه حزناً شديداً، فقالت عائشة: ما الذي يحزنك عليه فما هو إلا ابن جريح، فبعث رسول الله<sup>ﷺ</sup> علياً وأمره بقتله، فذهب علي<sup>عليه السلام</sup> إليه ومعه السيف، وكان جريح القبطي في حائط، وضرب علي<sup>عليه السلام</sup> باب البستان، فأقبل إليه جريح ليفتح له الباب، فلما رأى علياً<sup>عليه السلام</sup> عرف في وجهه الغضب، فأدبر راجعاً ولم يفتح الباب، فوثب علي<sup>عليه السلام</sup> على الحائط ونزل إلى البستان، واتبعه وولى جريح مدبراً، فلما خشي أن يرهقه صعد في نخلة وصعد علي<sup>عليه السلام</sup> في أثره، فلما دنا منه رمى بنفسه من فوق النخلة فبدت عورته، فإذا ليس له ما للرجال ولا ما للنساء فانصرف علي<sup>عليه السلام</sup> إلى النبي<sup>ﷺ</sup>، فقال: يا رسول الله، إذا بعثتني في الأمر أكون فيه كالسمار المحمى في الوتر أم أثبت؟ قال: فقال: لا بل أثبت، فقال: والذي بعثك بالحق ما له ما للرجال ولا ما للنساء. فقال رسول الله<sup>ﷺ</sup>: الحمد لله الذي يصرف عناّ السوء أهل البيت». تفسير القمي: ج ٢، ص ٩٩-١٠٠.

يُتهم شخص بأنه يعتقد بأفكار ملحدة أو ضالة، أو تُتهم جهة معينة بأنها تعتقد بكذا أو فعلت كذا، فإن هذه الموارد كلّها مشمولة في آية الإفك.

إذاً، فالدرس التربوي الذي أشارت له الآية الكريمة غير خاصّ بمورد النزول، ولو كانت خاصّة بمورد النزول لكانت خاصّة بزمانها؛ وهذا يعني موت الآية، والآية لا تموت، وأنّ الدروس التي حوتها باقية ببقاء الكتاب.

### الأصناف التي أشارت لهم الآية

تتعرّض آيات قصّة الإفك لبيان أصناف ثلاثة من الأشخاص المتتمين للمجتمع الإسلامي، وإلى أنماط ثلاثة من السلوك، وعلى المرء أن يعرض نفسه على هذه الأصناف، والسلوكيات، ليعرف في أيّ صنف هو.

### الصنف الأول: المنافقون أصحاب الإشاعات الكاذبة

المنافق هو مَنْ ينتمي إلى المجتمع الإيماني بحسب الظاهر، ولكنّه في الواقع بعيد عن الإسلام وقيمه وجوهره.

ومن المنافقين مَنْ افترى على زوج النبي كذباً وزوراً قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾، فالتعبير بـ (منكم) يدلّ على أنّ مَنْ جاءوا بالإفك ينتمون إلى المجتمع الإسلامي بحسب الظاهر، ولكنّهم في الواقع ليسوا من المجتمع الإيماني.

ولو تأمّل الإنسان في نفسه، وتدبّر في سلوكه فقد يجد أنّ بعض سلوكيّاته تدخل في دائرة النفاق أحياناً، فعن النبي ﷺ أنّه قال: «أربعٌ مَنْ كنّ فيه فهو منافق، وإن كانت فيه واحدةٌ منهنّ كانت فيه خصلةٌ من النفاق حتى يدعها: مَنْ إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»<sup>(١)</sup>. إنّ هذا الحديث

(١) الخصال: ص ٢٥٤، ح ١٢٩.

الشريف يشير إلى خصال أربع؛ كل واحدة منها كافية إلى إدخال الفرد في دائرة النفاق:

الأولى: مَنْ إذا حَدَّث كذب.

الثانية: مَنْ إذا وعد أخلف.

الثالثة: مَنْ إذا عاهد غدر.

الرابعة: مَنْ إذا خاصم فجر.

إنَّ الإنسان قد لا يكون من الصنف الأول؛ أي: مَنْ تلبَّس بالنفاق البحت، ولكن قد يكون من الصنف الثاني؛ أي: مَنْ كانت فيه خصلة من الخصال الأربع المتقدِّمة. بمعنى أنَّ الكثير من بني البشر قد يأتي بإحدى الخصال الأربع، فيكون منافقاً بحسب الحديث المتقدِّم، وأنا أريد أن ألفت الأنظار إلى أنَّ هذه الصفات التي كانت في المنافقين يمكن أن تتجلى فينا، وبالتالي ندخل في دائرة النفاق.

فتحصَّل: أنَّ الصنف الأول هم صنَّاع الأكاذيب والشائعات وأصحاب الافتراءات والتهم الباطلة، سواء أكانت هذه التهمة الباطلة تمس شرف الآخرين وعرضهم وعفَّتْهم، أم أنَّها تمس قيماً من القيم الإسلامية؛ كأن يتهم شخصٌ آخر بأنَّه يعتقد بأفكار إلحادية أو أفكار ضالَّة.

### الصنف الثاني: المتلقون للإشاعات والمروجون لها

هناك فئة تنتمي إلى المجتمع الإسلامي والإيماني، لكنَّهم ضعاف الإيمان، وهم المشار إليهم بقوله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾<sup>(١)</sup>، فهذا الصنف من الناس تلقوا الأكذوبة العظيمة، والفرية الكبيرة - وهي: نسبة ارتكاب الفاحشة إلى زوج النبي - بالقبول، وراحوا يروجون لها وينشرونها بين

الناس، حتى صارت شائعة، وأخذ الناس يتهمون زوجة النبي بهذه التهمة الباطلة. وكلّ مَنْ يتهم امرأة طاهرة بريئة بتهمة الزنا، أو بإقامة علاقة عاطفية مع رجل آخر، فإنّ الآية المتقدّمة تنطبق عليه.

إذاً، فالنمط الثاني من السلوك هو تلقّي الإشاعات والأكاذيب والافتراءات بالقبول، ونشرها وترويجها بين الناس، حتى يعلم بها الجميع، وتصير شائعة. وهذا النمط من السلوك والتعامل مع الشائعات هو الشائع بين الناس.

### الصنف الثالث: الصادون للإشاعات الباطلة

وهم أصحاب السلوك القرآني، والإيمان القوي، الذين لا يتلقّون الإشاعات والأكاذيب والافتراءات بالترحاب والقبول، بل يطرحونها - حين سماعها - على القلب وعلى ميزان العقل والشرع المطالب بالدليل والحجّة والبيّنة، فإن وجدوا الدليل والبيّنة أجازوا لنفسهم الكلام بما لا يكون فيه مخالفة شرعيّة، وإن عُدِمَ الدليل والبيّنة لزموا السكوت ونهوا عن نشرها وإشاعاتها؛ لكي لا يقعوا تحت طائلة المحاسبة الجزائية الإلهيّة، ولكي لا يساهموا في حصول النتائج المشؤومة والأليمة لترويج الأكاذيب.

ولو عُدنا إلى قصّة الإفك، فإنّنا نرى أنّ مَنْ كان قوي الإيمان، توقّف عند سماعه الشائعة والتهمة التي تعرّضت لها زوجة النبي، وبعد التحقق، ومعرفة كذبها، لم يكتفوا بالسكوت، وعدم الترويج، بل وقفوا أمام هذه الشائعة والافتراء والأكذوبة، وقالوا: هذا إفك، وكذب وافتراء. وإلى هذا النمط من السلوك أشار القرآن الكريم بقوله: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾<sup>(١)</sup>؛ أي: حينما سمع المؤمنون بهذه الأكذوبة ظنوا خيراً بزوجة النبي، ثم تعاملوا مع هذه

الأكذوبة بالرفض والتكذيب لها، إنهم وقفوا في وجه هذه الإشاعة، ﴿وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾.

وهذا السلوك هو سلوك المؤمنين الأقوياء في إيمانهم، وهو السلوك الذي دعا إليه القرآن الكريم في التعامل مع الشائعات والأكاذيب التي تعصف بالمجتمع الإيماني.

إطالة على معاني آية الإفك ودروسها

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِإِفْكِ عُصْبَةٍ مِنْكُمْ﴾؛ أي: جماعة منكم، والإفك ليس هو مطلق الكذب، بل هو العظيم من الكذب، والكذبة الكبيرة التي تصرف الشيء عن وجهه الحقيقي، ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، والآية نزلت لتهدئ من روع المؤمنين الذين آلمهم اتهام زوج النبي بهذه التهمة الباطلة التي تمس شرف النبوة وعفة زوجات النبي!

إن الآية نزلت لكي تخبر المؤمنين المتألمين أن هذا الافتراء والكذب وهذه الإشاعة التي انتشرت ليست شرًّا لكم، بل هي خيرٌ لكم، ويأتي خيرها من جهات؛ منها: أنها فضحت المنافقين وكشفت حالهم وذواتهم، وأنها أعطت المؤمنين درساً في كيفية التعامل مع الأكاذيب والافتراءات والشائعات.

### حساب صنّاع الشائعات ومروجيها

في قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِفْرِ﴾، إشارة إلى الأنماط الثلاثة من السلوك التي مرّ الحديث عنها؛ الأول: صنّاع الأكاذيب والإشاعات. الثاني: من يسمع الأكذوبة وينشرها بين أفراد المجتمع، سواء أكان النشر بواسطة اللسان، أم بواسطة نقلها إلى الآخر، والآخر ينقلها إلى ثالث، وهكذا، إلى أن تصل إلى جميع أفراد المدينة، أم بنقل الأكذوبة والافتراء - الذي ربما يمس أناساً طاهرين - بواسطة

المنشور والكتابة. فكلّ مَنْ يساهم في نشر الأكذوبة والتلفيق والافتراء له جزاؤه، قال تعالى: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾. ولكن لصانع الأكذوبة - الذي هو رأس النفاق - العذاب العظيم، قال تعالى: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

قد يساهم البعض بنشر الأكاذيب والشائعات من حيث لا يشعروا، فمثلاً: يأتي صاحب الأكذوب والشائعة والفرية، وقد سوّد هذه الأكذوبة على صفحات، فيعطئها إلى ثانٍ يطبعها، وثالث يكثرها في نسخ عديدة، ورابع يوزعها وينشرها؛ فالأول صنع الأكذوبة، ولكن الآخرين ساهموا في نشرها، دون أن يتأملوا بمدى صدق الكلام المدوّن، ولكل واحدٍ من هؤلاء ما اكتسب من الإثم؛ لأنّه ساهم في ترويح ونشر الفاحشة بين المؤمنين.

إنّ الآية قالت: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ﴾؛ أي: الذي صنع الأكذوبة، والذي نشرها وروجّها حتى صارت شائعة ﴿مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

### السرف في تكرار اللوم في الآية

نلاحظ في الآيات القرآنية التي تحدّثت عن قصّة الإفك تكرار كلمة ﴿لَوْلَا﴾، كما في قوله تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿لَوْلَا جَاءَ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ﴾<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾، وهنا نسأل: ما هو السر في تكرار كلمة (لولا)؟

وجوابه: إنّ هذه الكلمة تفيد معنى اللوم والتوبيخ والتقريع؛ وهذا يعني أنّ

التعبير القرآني يريد أن يلوم ويوبّخ المؤمنين الضعفاء؛ لأنّهم تلقّوا هذه الأكذوبة من المنافقين وروّجوها ونشروها بين الناس، دون أن يتحرّروا عن صدقها، ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾، ثم يبيّن أنّ سر اللوم الكثير من خلال تكرار هذه الكلمة أموراً، هي:

**الأول:** إنّ الآية القرآنية تريد أن تخاطب المسلمين الذين يساهمون في نشر الأكذوبة والشائعة في زمن نزول الآية، بل في كلّ زمان، وتقول لهم: ألستم تعرفون أنّ هؤلاء الذين صنعوا الأكذوبة هم من المنافقين؟! والنبى قد بيّن لكم صفاتهم وسلوكياتهم التي تميّزهم عن الآخرين؛ ومنها ما ورد في الحديث المتقدّم الذي أشار إلى خصال أربع فيهم، فكيف تصدّقونهم مع علمكم بالماضي القبيح الذي هم عليه؟!

**الثاني:** من مناشئ اللوم هو أنّ المسلمين كانوا على دراية بأنّ هناك مؤامرات كثيرة وكبيرة تحاك ضدّ النبي ﷺ، ومن جملتها الحرب النفسية التي شنّها أعداء الإسلام ضدّ النبي؛ ومن جملة مفردات الحرب النفسية هو التسقيط الاجتماعي لشخص النبي؛ وذلك من خلال تشويه سمعة زوجته. فإذا كنتم - أيّها المسلمون - على دراية بما يُحاك من مؤامرات ضدّ النبي، فكيف تصدّقون ما قيل في شأن زوجته؟!

**الثالث:** المفروض أنّ المسلمين عارفون بطهارة البيت النبوي - الذي نسبت إليه هذه التهمة الشنيعة - ويعتقدون أنّ زوجة النبي يمكن أن تكون كافرة ولكن لا يمكن أن يصدر منها فعل من شأنه أن يمسّ طهارتها وعفّتها؛ لذا فإنّ الآية تخاطبهم: أيّها المسلمون العارفون بطهارة بيت النبوة وعفّته ونزاهته، كيف تصدّقون مثل هذه الأكذوبة وهذا الافتراء؟!

الرابع: إن الآية القرآنية توبّخ المسلمين الذين سمعوا الشائعة، وتلقوا الأكذوبة بالقبول والترحاب، وأخذوا ينشرونها بينهم، كما عبّرت الآية: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾، وتقول لهم: كان ينبغي لكم - وفق السلوك القرآني - أن تقفوا في وجه هذه الإشاعة بقوة، وتكذبوها، وتقولوا: هذا إفك مبين.

### المنهج القرآني في التعامل مع ظاهرة الافتراء

إن آيات قصّة الإفك تشير إلى منهج قرآني للتعامل مع كل إشاعة وافتراء وأكذوبة، لو التزم به الإنسان المسلم لكان من المؤمنين الأقوياء. تقول الآية: ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾؛ بمعنى: إذا جاءتك أكذوبة أو افتراء، فاعرضه على قلبك وطالب القائل بالدليل والبيّنة، فإن كان هناك دليل عليه حينئذٍ يحقّ لك أن تصدّقه، لا أن تتعدّى حدود الله وشرعه، وإن عُدِم الدليل فلا يجوز تصديقه.

ومن المهم أن نلتفت إلى تعبير كثيراً ما يتكرّر في الآيات القرآنية؛ حاصله: إنّ المتهم هي زوج النبي، فلماذا لم يأت التعبير القرآني: ظن المؤمنون والمؤمنات بها خيراً؟ لماذا قال: ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَأَنفُسِهِمْ﴾؟ نزل التعبير القرآني زوج النبي منزلة نفس المؤمنين.

وفي تعبير قرآني آخر: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾<sup>(١)</sup>، المفروض أن يُعبّر عن الشخص المعاب بتعبير (الآخر)، أو (الغير)، ولا يعبّر عنه بتعبير (النفس)، ولكن القرآن الكريم عبّر بلفظ: (النفس)؛ لبيّن: أنّ العلاقة بين المؤمنين هي علاقة النفس؛ بمعنى: أنّ كلّ واحدٍ - من هذه الجهة - هو بمنزلة نفس المؤمن في الجهة الأخرى.

(١) الحجرات: آية ١١.

وكما في التعبير الروائي: (كالجسد الواحد)، إذا مرض منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسقم<sup>(١)</sup>.

فالآية تريد أن تقول: إن هذه التهمة - في الواقع - هي موجهة إلى نفس المجتمع الإيماني، وليست موجهة إلى شخص واحد. ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ﴾ لم يقل: (بها)، مع أن المرأة المتهمه هي زوج النبي ﷺ، فكان ينبغي أن يعبر عنها بضمير المفرد المؤنث، ولكنه قال: ﴿بِأَنْفُسِهِمْ﴾، وكأن هذا الاتهام موجه إلى جميع أفراد المجتمع الإيماني.

ثم بينت الآية كيفية التعامل القرآني مع هذه الشائعات، بأن يقف المؤمنون بقوة أمام هذه الإشاعات والأكاذيب، ويقولوا: ﴿فَكُ مُبِينٌ﴾.

ثم تنتقل الآيات القرآنية إلى مورد آخر، وتبين صفة من صفات ضعاف الإيمان: ﴿إِذْ تَلَقَوْنَهُ بِالسِّنِّتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾، نلاحظ هنا تعبير اللسان وتعبير الفم، يعني تأخذون هذه الإشاعة والأكذوبة باللسان، وتأخذونها بالفم؛ يريد أن يقول: إن هذه الأكذوبة ليس لها حيز من الواقع، بل هي مجرد لقلقة لسان وحركة فم، تنتقل من شخص إلى آخر.

إن التعبير القرآني يقول: اعرضوا هذه التهمة على القلب، فإن وجدتم الدليل، فحينئذ يحق لكم أن تصدقوا بها.

ورد في مضمون بعض الأحاديث - التي إن التزمنا بها فسوف نحظى بخير الدنيا وسعادة الآخرة - أن للمؤمن صفة تميزه عن المنافق، والمنافق له صفة تميزه عن

(١) عن النبي ﷺ، قال: «مثل المؤمن في توادهم وتراحيمهم كمثل الجسد؛ إذا اشتكى بعضه تداعى سائرته بالسهر والحمى». بحار الأنوار: ج ٥٨، ص ١٥٠، ح ٢٨. وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «المؤمنون في تبارهم وتراحيمهم وتعاطفهم كمثل الجسد؛ إذا اشتكى تداعى له سائرته بالسهر والحمى». بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٢٣٤، ح ٣٠.

المؤمن؛ الإنسان المؤمن لسانه قبل قلبه، وقلبه هو الذي يقع أمام لسانه<sup>(١)</sup>، ما معنى هذا التعبير؟

كأن الحديث يريد أن يقول للمؤمن وللمؤمنة: إذا أردتم أن تتكلموا بشيء فاعرضوه على قلوبكم؛ أي: على ميزان العقل والشرع، فميزان الشرع يدلّك على أنّ هذا الكلام غيبة أو نميمة أو كذب أو افتراء، يجب أن تنتهي عنه؛ لأنّه يدخل في مصداق من المصاديق المحرّمة.

اجعل ما يقوله اللسان في الميزان، فما وافق الشرع والعقل فقله وانقله، وما خالفه فاسكت عنه، وأنّه عن نقله؛ لكي لا تدخل في الإثم والمعصية.

والمنافق قلبه قبل لسانه، يتكلّم بأيّ شيء يعرض عليه، ولا يدخل في هذه المصفاة؛ فلذلك تجده يتكلّم بالغيبة والنميمة والكذب والافتراء والبهتان وغير ذلك من الأمور المحرّمة.

ينبغي على المؤمن أن يأخذ كلّ كلام يسمعه ويريد أن يتفوّه به ويعرضه على هذا الميزان؛ فإن وافق ميزان العقل والشرع حينئذٍ تكلمنا به، وإلاّ فلا؛ لئلا يكون ممن خاطبهم الله بقوله: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾، ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾.

### تبصرة

ليكن ختام الخطبة - من قصّة الإفك - بقوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ

---

(١) قال الإمام علي عليه السلام: «إياكم وتهزيع الأخلاق وتصريفها، واجعلوا اللسان واحداً، وليخزن الرجل لسانه؛ فإنّ هذا اللسان جوح بصاحبه. والله ما أرى عبداً يتقي تقوى تنفعه حتى يخترن لسانه، وإنّ لسان المؤمن من وراء قلبه، وإنّ قلب المنافق من وراء لسانه؛ لأنّ المؤمن إذا أراد أن يتكلّم بكلام تدبّره في نفسه، فإن كان خيراً أبداه، وإن كان شراً واره. وإنّ المنافق يتكلّم بما أتى على لسانه، لا يدري ماذا له وماذا عليه». نهج البلاغة: ج ٢، ص ٩٤، من خطبة له يحذّر من متابعة الهوى.

عَظِيمٌ ﴿هُؤْلَاءِ اسْتَسْهَلُوا قَضِيَّةَ هَذِهِ الْأَكْذُوبَةِ حَتَّى صَارُوا يَنْشُرُونَهَا وَيُرَوِّجُونَهَا بَيْنَ أَفْرَادِ الْمَجْتَمَعِ، هَلْ أَنَّ التَّعْبِيرَ الْقُرْآنِيَّ عَنْ عَظَمَةِ هَذَا الْأَمْرِ وَخَطُورَتِهِ: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا﴾، ﴿وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ لِأَجْلِ كَوْنِ هَذِهِ الْأَكْذُوبَةِ تَمَسُّ شَرَفَ الْمَرْأَةِ وَطَهَارَتَهَا وَعَقَّتْهَا فَحَسَبَ، وَإِنْ كَانَ هَذَا جَرَمٌ عَظِيمٌ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَتَّهَمُ امْرَأَةً فِي شَرَفِهَا وَعَرَضَهَا زُورًا وَبَهْتَانًا؟! وَلَكِنَّ هُنَاكَ خُصُوصِيَّةَ أُخْرَى، وَهِيَ: أَنَّ هَذِهِ الْمَرْأَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ، إِذَا اتَّهَمَتْ بَيْتَ النَّبُوَّةِ، وَإِذَا اتَّهَمَ بَيْتَ النَّبُوَّةِ اتَّهَمَتِ النَّبُوَّةَ بِمَا تَحْمِلُ مِنْ أَفْكَارٍ سَامِيَّةٍ وَعُقَائِدٍ عَالِيَةٍ وَأَخْلَاقٍ رَفِيعَةٍ.

حِينَمَا يَتَّهَمُ شَخْصًا عَادِيًّا، فَإِنَّ هَذَا يُوَدِّي إِلَى هَتِكِ الشَّخْصِ الْعَادِي، وَتَحْطِمْ شَخْصِيَّتَهُ اجْتِمَاعِيًّا، أَمَّا إِذَا اتَّهَمْتَ مِثْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ، فَإِنَّكَ تَهْتِكُ حَرَمَةَ النَّبُوَّةِ، وَتَحْطِمْ الْكِيَانَ النَّبَوِيَّ بِمَا يَحْمِلُ مِنْ أَفْكَارٍ وَمَعْتَقَدَاتٍ وَأَخْلَاقٍ وَقِيَمٍ رَفِيعَةٍ.

حِينَمَا يَتَّهَمُ الْإِمَامَ الْمَعْصُومَ، فَإِنَّهُ مَاضِفًا إِلَى اتِّهَامِ شَخْصِهِ، وَهَتِكِ حَرَمَتِهِ الشَّخْصِيَّةِ، فَهُوَ كَذَلِكَ هَتِكُ حَرَمَةِ الْإِمَامَةِ بِمَا تَحْمِلُ مِنْ أَفْكَارٍ وَعُقَائِدٍ.

وَفِي هَذَا السِّيَاقِ فَإِنَّ أَحَدَ الْعُلَمَاءِ حِينَمَا جَاءَهُ شَخْصٌ - وَكَانَ قَدْ اغْتَابَهُ - وَأَرَادَ مِنْهُ أَنْ يَبْرِيءَ ذِمَّتَهُ، قَالَ لَهُ: إِنْ كُنْتَ تَنَاولْتَنِي شَخْصِيًّا أَنَا أَبْرِيءُ ذِمَّتِكَ، وَلَكِنْ إِذَا كُنْتَ قَدْ تَنَاولْتَ الْمَرْجِعِيَّةَ وَالخَطَّ الدِّينِيَّ الَّذِي أُمَثِّلُهُ حِينَئِذٍ لَا أَبْرِيءُ ذِمَّتِكَ.

التَّعْبِيرُ الْقُرْآنِيُّ ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾، حِينَمَا يَتَّهَمُ الْبَيْتَ النَّبَوِيَّ، هَذَا الْإِتِّهَامُ يَخْلُقُ حَاجِزًا وَعَائِقًا وَمَانِعًا يَصْرِفُ النَّاسَ عَنْ أَنْ يَتَّصِلُوا بِالنَّبِيِّ ﷺ؛ إِنَّهُ حَاجِزٌ وَفَاصِلٌ اجْتِمَاعِيٌّ وَبِالتَّالِي يَفْصِلُوا الْقَاعِدَةَ عَنْ قَائِدِهِمْ، وَيَفْصِلُوا الْقَاعِدَةَ عَنِ الْفِكْرِ السَّامَوِيِّ الصَّحِيحِ وَالْأَخْلَاقِ السَّامِيَّةِ، وَبِالتَّالِي يُوَدِّي إِلَى حَرَمَانِ هَذِهِ الطَّبَقَاتِ الْكَبِيرَةِ مِنْ عَطَاءِ هَذَا النَّبِيِّ أَوْ الْإِمَامِ أَوْ الْقَائِدِ الْمَصْلُحِ؛ لِذَلِكَ جَاءَ التَّعْبِيرُ الْقُرْآنِيُّ ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا﴾ أَمْرًا سَهْلًا، لَكِنَّهُ ﴿عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾، بِمَا يُمَثِّلُ مِنْ هَذِهِ الْإِتِّهَاكَاتِ، وَبِمَا يُمَثِّلُ مِنَ الْآثَارِ السَّلْبِيَّةِ الْخَطِيرَةِ.

# الخطبة التاسعة عشرة

## رابطة الأخوة الإيمانية

بتاريخ: ٢٣ / ٧ / ٢٠٠٤ م

وفيها المحاور التالية:

- سُبُل تعميق روح الأخوة بين أفراد المجتمع الإيماني
- أسس الارتقاء إلى رابطة الأخوة الإيمانية
- مظاهر الأخوة الإيمانية
- عاقبة الأمة التي تستهين بالحقوق الاجتماعية للجماعة المؤمنة



## مقدمة الخطبة

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم، على سيّدنا ونبيّنا أبي القاسم محمد، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين<sup>(١)</sup>.

اللّهمّ لك الحمد حمداً أبلغ به رضاك، وأؤدي به شكرك، وأستوجب به المزيد من فضلك. اللّهمّ لك الحمد على حلمك بعد علمك، ولك الحمد على عفوك بعد قدرتك. اللّهمّ لك الحمد على ما أنعمت علينا نعماً بعد نعم، اللّهمّ لك الحمد بالإسلام، ولك الحمد بالقرآن، ولك الحمد بالأهل والمال، ولك الحمد بالمعافاة، ولك الحمد في السراء والضراء، ولك الحمد في الشدة والرخاء، ولك الحمد على

---

(١) أشار سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي (دامت بركاته) في مطلع الخطبة إلى الحديث الوارد عن النبي ﷺ بأنّ أمته ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة، كلّها هالكة إلا فرقة واحدة يكتب لها النجاة، وهي الفرقة الناجية المتمثلة باتباع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وآل بيته الأطهار عليهم السلام. ونصّ الرواية: عن أبي جعفر عليه السلام قال: «﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾» [الزمر: ٢٩] قال: أمّا الذي فيه شركاء متشاكسون فلان الأوّل يجمع المتفرقون ولايته، وهم في ذلك يلعن بعضهم بعضاً، ويبرأ بعضهم من بعض، فأما رجل سلم رجل فإنّه الأوّل حقّاً وشيعته. ثم قال: إنّ اليهود تفرّقوا من بعد موسى عليه السلام على إحدى وسبعين فرقة، منها فرقة في الجنّة، وسبعون فرقة في النار. وتفرّقت النصارى بعد عيسى عليه السلام على اثنين وسبعين فرقة، فرقة منها في الجنّة وإحدى وسبعون في النار، وتفرّقت هذه الأمّة بعد نبيّها ﷺ على ثلاث وسبعين فرقة، اثنتان وسبعون فرقة في النار، وفرقة في الجنّة. ومن الثلاث وسبعين فرقة ثلاث عشرة فرقة تنتحل ولايتنا ومودّتنا، اثنا عشرة فرقة منها في النار، وفرقة في الجنّة، وستون فرقة من سائر الناس في النار». الكافي: ج ٨، ٢٢٤، ح ٢٨٣.

كل حال. اللهم لك الحمد كما أنت أهله، وكما ينبغي لوجهك الكريم <sup>(١)</sup>.  
 اللهم صلّ على سيد أنبيائك ورسلك أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيبين  
 الطاهرين...

أوصيكم عباد الله ونفسي الغارقة في بحار المعاصي والذنوب بتقوى الله تعالى  
 والابتعاد عما يسخطه ويغضبه، كما أوصيكم بالتأخي والتحابب والتوَادد، فإنّكم  
 خلقتُم من فضل طينة آل المحبّة والسلام والوداد، وعجنتُم بهاء ولاية أهل التسامح  
 والغفران والتغاضي عن السيئات.

### رابطة الأخوة الإيمانية

قال الله تعالى في محكم كتابه وفصل خطابه ووضح بيانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ  
 فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ <sup>(٢)</sup>.

انطلاقاً من هذه الآية الكريمة، لو تأملنا في الروابط التي توجد علاقات المحبّة  
 والتوَادد والتآلف والتآصر، لوجدناها متعددة؛ منها: رابطة الانتماء إلى الوطن  
 الواحد، ورابطة الانتماء إلى اللغة الواحدة، ورابطة الانتماء إلى المدينة الواحدة،  
 ورابطة الانتماء إلى الفكر الواحد.

إنّ كلّ واحدة من هذه الروابط توجد علاقة المودّة والألفة والتآزر والتعاقد  
 بين أفراد المجتمع، ولكن الرابطة التي تستطيع أن ترتقي بعلاقة العاطفة والمحبّة  
 والتآزر إلى أرقى مستوياتها وأفضلها، هي رابطة الأخوة الإيمانية التي أشار إليها  
 المولى سبحانه وتعالى بقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، فالآية القرآنية تؤصّل لأصل  
 وقانون إسلامي كلّ وهو قانون الأخوة الإيمانية؛ الذي لا يستطيع أيّ رابطة أخرى

(١) الدروع الواقية: ص ١٨٣.

(٢) الحجرات: آية ١٠.

أن ترتقي بمستوى المودة والمحبة والتآزر بين أفراد المجتمع البشري إلى المستوى الذي تنهض به هذه الأخوة؛ لأنها رابطة أخوية قائمة على أساس الإيمان. بعبارة أخرى: إنّ الآية تريد أن تبين أنّ المجتمع الإيماني يتكوّن من عشائر مختلفة، وبلدان مختلفة، وأفراده يتكلّمون لغات مختلفة، وهذه الانتماءات المتعدّدة والمختلفة توجب بعض الفوارق بينهم، ومقتضى الإيمان الحقيقي أن تذوب هذه الفوارق ولا تبقى إلّا رابطة واحدة؛ وهي رابطة الأخوة الإيمانية، والانتفاء إلى الدين الواحد والمذهب الواحد.

إنّ رابطة الأخوة الإيمانية هي الرابطة الحقيقية التي ينبغي أن تسود إذا كان هناك إيمان صادق وحقيقي؛ أي: إنّ علاقة المودة والتحابب بين أفراد المجتمع الإيماني ينبغي أن ترتقي إلى مستوى علاقة المودة بين الإخوة في الأسرة الواحدة، فكيف أنّ الإخوة في الأسرة الواحدة إذا تألم أحدهم تألم الآخر لألمه، وإذا سعد وفرح أحد الإخوة فرح الآخر لفرحه، كذلك ينبغي أن تكون علاقة الأخوة في المجتمع الإيماني.

### سُبل تعميق روح الأخوة بين أفراد المجتمع الإيماني

الملاحظ هو أنّ الانتماءات إلى البلد الواحد، أو العشيرة الواحدة، أو اللغة الواحدة، هي الانتماءات الأكثر فاعليّة من الانتماء إلى الدين الواحد أو المذهب الواحد؛ فهذا من عشيرتي، لذا عليّ أن أتودد له، وأتعاضد وأتآزر معه، أمّا مَنْ كان من عشيرة أخرى فيكون التفاعل والتعاضد معه والمحبة له بمستوى أقل! وهذا من مدينتي فينبغي عليّ - بمقتضى انتمايي إلى هذه المدينة أو المحافظة - أن أتوادد وأتحابب وأتآزر معه، أمّا مَنْ هو من مدينة أخرى فلا نجد تلك الحرارة المطلوبة في علاقة المودة والمحبة والتآزر، أي: أنّها تكون بمستوى أقل! أو أنا من البلد الفلاني؛ لذا

عليّ أن أكون مع ابن بلدي على غيره؛ مهما كان يحمل من سمات الشرّ، وسمات الرذيلة، فأتأزّر وأتعاضد معه وأتوادم معه، أمّا مَنْ كان من بلد آخر فيكون مستوى التعاضد معه، والمحبة له أقلّ، مهما حمل من سمات الخير والفضيلة؛ لعدم ارتباطي معه برابطة الانتماء إلى البلد الواحد!

إنّ الآية أعلاه تقرّر أنّ كلّ هذه الروابط - بما تخلقه من فوارق - ينبغي أن تذوب، وتبقى رابطة الانتماء إلى الدين الواحد والمذهب الواحد؛ فإنّ هذه الرابطة هي التي تخلق وشائج المودة والمحبة والتأزّر بين أفراد المجتمع.

### أسس الارتقاء إلى رابطة الأخوة الإيمانية

إذا كانت آية البحث تهدف إلى تقنين وتأسيس قانونٍ كليّ يقوم على اعتماد رابطة الأخوة الإيمانية، فلا بدّ أن نكون على دراية تامّة ومعرفة كاملة بالأسس التي يمكن من خلالها أن نرتقي بعلاقاتنا إلى مستوى الأخوة الإيمانية. ويمكن أن نسجّل - هنا - أسساً ثلاثة قادرة على تحقيق هذا النوع من العلاقة بين أفراد المجتمع، ولكن قبل أن نستعرض هذه الأسس ننوّه إلى أنّ هذه الأسس لا بدّ أن تكون أسساً قلبيةّة، وأهميّة كونها قلبيةّة؛ لأنّ الإنسان في حركته في الحياة لا يتحرّك جسمه وعضلاته ولا تتحرّك إرادته إلّا أن يكون هناك باعثٌ وداعٌ قلبيّ؛ فمثلاً المحرّك للذهاب إلى صلاة الجماعة هو الباعث القلبي المتمثّل بالرغبة والدافع إلى نيل الثواب.

إذا عرفت هذا نقول: إنّنا لا نستطيع أن نرتقي بمستوى العلاقة مع بقيّة أفراد المجتمع الإيماني الواسع الذين نختلف معهم في الانتماءات القطرية، أو الانتماءات المناطقية، أو الانتماءات العشائرية، أو الانتماءات القومية إلّا بأسس قلبيةّة ثلاثة هي التي تولّد الباعث والداعي والمحرّك لإرادة الإنسان وأفعاله:

### الأساس الأول: استشعار محبة الإخوان في مجتمع الإيمان

حتى يكون الشخص صادقاً في إيمانه عليه أن يشعر قلبه المحبة لمن يشترك معهم في الدين الواحد، والمذهب الواحد، وقد بينت بعض الآيات القرآنية صفات قلوب أهل الآخرة، وركزت على أنها قلوب تحمل المودة والمحبة تجاه الآخر، قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

### الأساس الثاني: تخلية القلب من الأحقاد والضغائن

قد يختلف المؤمن مع أخيه المؤمن في أمر دنيوي، فيحصل بينهما تشاجر وتناحر وتخاصم، قد يؤدي ذلك إلى حصول الضغينة في قلب كل منهما تجاه الآخر؛ من هنا يأتي دور الإيمان الحقيقي، الذي ينزع الغل، ولا يدع مجالاً لدخول الحقد والضغائن في قلب صاحبه تجاه أخيه المؤمن الذي اختلف معه.

### الأساس الثالث: الشعور المشترك

لو كان الشخص في أسرة واحدة، وله أب وأم وإخوة وأخوات، وأصاب أحدهم همٌّ أو غمٌّ أو بلاءٌ أو مصيبة أو حزن، فإنه بلا ريب سوف يتألم لألمه، ويحزن لحزنه، ويصيبه الغم لغمه، وسوف يجتهد في بذل الجهد من أجل إزاحة همّه، ورفع غمّه، ودفع كربّه.

بنفس هذا الشعور ينبغي أن تكون العلاقة بين الإخوة في داخل المذهب الواحد والدين الواحد، فلو أصاب أحد أفراد المذهب أو الدين همٌّ أو كربٌّ أو حزن، ينبغي على الآخرين السعي لإزاحته، وإزالته، ولو عاش أحد أفراد المذهب أو الدين الفرحة والسرور القلبي كان عليّ أن أفرح لفرحه.

(١) الحجر: آية ٤٧.

هناك ميزان ومعيار من خلاله يعرف الفرد حقيقة إيمانه، وهل هو صادق في دعوى الإيمان أم كاذب؟.

وحاصل هذا الميزان: «أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك، وأن تكره له ما تكره لنفسك»<sup>(١)</sup>، فلو عملنا بهذا الميزان لاستطعنا أن نحقق مستوىً راقياً من علاقة الأخوة الإيمانية.

في الكافي بسنده إلى جابر الجعفي، قال: تقبضت بين يدي أبي جعفر عليه السلام، فقلت: جُعِلَ فداك ربّما حزنت من غير مصيبة تصيبني أو أمر ينزل بي حتى يعرف ذلك أهلي في وجهي، وصديقي، فقال: «نعم، يا جابر إنّ الله خلق المؤمنين من طينة الجنان، وأجرى فيهم من ريح روحه، فلذلك المؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه؛ فإذا أصاب روحاً من تلك الأرواح في بلدٍ من البلدان حزن حزنت هذه لأمتها منها»<sup>(٢)</sup>.

إنّ جابر الجعفي بلغ مرتبة عالية من مراتب الشعور المشترك مع بقيّة إخوته المؤمنين دعاه إليه إيمانه الحقيقي، إنّ قلب الجعفي المفعم بالإيمان هو الذي أحزن روحه ونفسه لأجل حزن دخل على أرواح بعيدة من حيث المسافة ولكنها قريبة من حيث الإيمان.

### مظاهر الأخوة الإيمانية

بعد أن اتضح أنّ هناك أسساً ثلاثة للارتقاء بمستوى الأخوة الإيمانية؛ نشير إلى مظاهر هذه الأخوة، وإلى الأمور التي لو فعلها الفرد فإنّ ذلك يكشف عن أنّه يعيش الأخوة الإيمانية تجاه أخيه المؤمن.

(١) عن معلى بن خنيس، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: ما حقّ المسلم على المسلم؟ قال: «...أيسر حق منها أن تحب له ما تحب لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك». الكافي: ج ٢، ص ١٦٩، باب حق المؤمن على أخيه، ح ٢.

(٢) أصول الكافي: ج ٢، ص ١٦٦، باب أخوة المؤمنين بعضهم لبعض، ح ٢.

### الأمر الأول: أداء الحقوق الواجبة على المؤمن لأخيه المؤمن

المراد من الحقوق التي سنذكرها هي الأعم من الوجوب الشرعي والحكم الإلزامي؛ أي: ما يشمل المستحبات المؤكدة، وهذه الحقوق وإن كانت تُعنون من حيث الحكم الشرعي بعنوان الاستحباب، لكنَّ لها دوراً كبيراً وفاعلاً في رصِّ صفوف المجتمع الإسلامي، وقوّته، وهيبته، وعزّته، ونشر السعادة بين صفوفه، الأمر الذي يجعله أكثر قابلية واستعداداً في مواجهة مؤامرات الأعداء، والتغلّب على مصائبه وآلامه وأحزانه، والخروج من حالات الضعف والته التي يمرّ بها.

وقبل الشروع في بيان هذه الحقوق ننوّه إلى أنّ الميزان الذي يزن به الإنسان الأعمال والأخلاق الاجتماعية في كثير من الحالات غير واضح، فمثلاً: قد يعتقد البعض أنّ إكثاره من زيارة الإمام الحسين (عليه السلام)، أو من الدعاء، أو من الصلوات المستحبة و الصيام المستحب دليل على أنّه مقبول عند الله ، وقريب منه، مع أنّ الأمر ليس كذلك. إنّ الإكثار من العبادات وإن كان مهماً ونافعاً إلاّ أنّه ليس هو الميزان الذي يعرف الإنسان من خلاله أنّه قريب من الله ومقبول عنده.

قد تكون أعمالٌ وممارسات اجتماعية وأخلاقٌ، هي في الميزان الإلهي أفضل من الصلوات المستحبة، والصيام المستحب، والحج المستحب، وأفضل من أداء صلاة الليل. إنّ هذه الممارسات العبادية مهمّة - كما ذكرنا - ولها ميزان من حيث الثواب والأجر والأثر الاجتماعي، ولكن الممارسات الاجتماعية ربّما تكون أهمّ؛ لما لها من أثر في تقوية المجتمع الإسلامي ورصِّ صفوفه، وتكافل المجتمع، فعن الإمام أبي عبد الله الصادق (عليه السلام)، أنّه قال: «ما عبّد الله بشيء أفضل من أداء حق المؤمن»<sup>(١)</sup>.

وسوف نطلق في بيان حقوق المؤمن من حديث للإمام الصادق (عليه السلام) أجاب فيه

(١) روضة المتقين: ج ٩، ص ٣٩٤، باب حق المؤمن على المؤمن.

سؤالاً سأله إياه المعلّى بن خنيس، ففي الكافي بسنده، عن المعلّى بن خنيس، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: ما حقّ المسلم على المسلم؟ قال: «له سبع حقوق واجبات ما منهن حق إلا وهو عليه واجب، إن ضيع منها شيئاً خرج من ولاية الله وطاعته ولم يكن لله فيه من نصيب»، قلت له: جعلت فداك وما هي؟ قال: «يا معلّى، إنّي عليك شفيق؛ أخاف أن تضيع ولا تحفظ؛ وتعلم ولا تعمل»، قال: قلت له: لا قوة إلا بالله، قال: «أيسر حق منها: أن تحب له ما تحب لنفسك. وتكره له ما تكره لنفسك. والحق الثاني: أن تجتنب سخطه، وتتبع مرضاته، وتطيع أمره. والحق الثالث: أن تعينه بنفسك ومالك ولسانك ويدك ورجلك. والحق الرابع: أن تكون عينه ودليله ومرآته. والحق الخامس: لا تشيع ويحوج، ولا تروى ويظمأ، ولا تلبس ويعرى. والحق السادس: أن يكون لك خادم وليس لأخيك خادم، فواجب أن تبعث خادمك فيغسل ثيابه، ويصنع طعامه، ويمهّد فراشه. والحق السابع: أن تبر قسمه وتحيب دعوته، وتعود مريضه، وتشهد جنازته، وإذا علمت أنّ له حاجة تبادره إلى قضائها ولا تلجئه أن يسألكها، ولكن تبادره مبادرة، فإذا فعلت ذلك وصلت ولايتك بولايته وولايته بولايتك»<sup>(١)</sup>.

وعند استنطاقنا لهذه الرواية نستوحي جملة من الأمور:

الأول: أنّ الإمام عليه السلام يبيّن أنّ عدم الالتزام بهذه الحقوق وتضييعها - بعد العلم بها - ربّما يكون سبباً من أسباب خروج الإنسان من ولاية الله وطاعته، فلا يكون لله فيه نصيب، فقد خرج من دائرة الإيثار، وما عاد مشمولاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، ولا من مصاديقها.

الثاني: أنّ المعلّى بن خنيس حينما سأل الإمام الصادق عليه السلام عن حقوق المؤمن، فإنّ الإمام عليه السلام لم يجبه على الفور، وإنّما لفت نظره إلى نقطة، بيّن من خلالها أهميّة هذه

(١) أصول الكافي: ج ٢، ص ١٦٩، باب حق المؤمن على أخيه وأداء حقّه، ح ٢.

الحقوق، ومشقة الإتيان بها، والآثار السيئة التي تترتب على العلم بها دون العمل، وعدّ عدم إخباره بها من الشفقة عليه، وهذا ما أفاده الإمام عليه السلام بقوله: «يا معلّى، إنّي عليك شفيق؛ أخاف أن تضعي ولا تحفظ، وتعلم ولا تعمل».

ولتوضيح ذلك أذكر هذه الخاطرة: في الأيام التي كنّا فيها في الصف السادس الإعدادي، كان أحد المجاهدين يعمل على نشر مبادئ الإسلام، وكان يقول لنا: حينما ألقى عليكم هذه المواعظ الدينية، أحفظوها في قلوبكم، وأجعلوا قلوبكم أوعية للعلم، ثم اعملوا بها حفظتم؛ لأنّ الحفظ والعلم إذا لم يترجم إلى عمل فسوف يكون وبالاً على صاحبه. وتبعاً لذلك أقول: عليكم حينما تحضرون إلى خطبة صلاة الجماعة، أو أي محاضرة وعظ وإرشاد، عليكم أن تركّزوا في ما يُطرح، وتفهموه، وتحفظوه في قلوبكم، وتجعلوا منها أوعية لما تسمعون من معلومات، ثم تحرصون على تطبيقه، والعمل به. وهذه الفكرة هي التي أراد الإمام عليه السلام أن يوصلها إلى المعلّى بن خنيس، حينما قال له - بعد سؤاله عن حقوق المسلم -: «إنّي عليك شفيق؛ أخاف أن تضعي ولا تحفظ، وتعلموا لا تعمل»؛ أي: إنّي أخشى وأخاف أن لا تحفظ ما تسمعه، وإذا حفظته لا تعمل به؛ ومعنى ذلك أنّنا بحاجة إلى أمرين:

الأول: وعي وإدراك وحفظ العلم الذي يُلقى علينا.

الثاني: الحرص على تطبيق هذه المبادئ، والعمل بها.

#### الأمر الثاني: الحقوق حسب ما جاءت في رواية الإمام الصادق عليه السلام

ذكر الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام للمعلّى بن خنيس سبعة حقوق للمؤمن على أخيه المؤمن:

الحقّ الأول: وهو أيسر الحقوق؛ أن تحب لأخيك المؤمن ما تحب لنفسك، وأن تكره له ما تكره لنفسك؛ فمثلاً: أنا أحب لنفسي أن أعيش في رفاهٍ مادّي، فتكون لي

دار وسيعه، وسيارة سريعة، وزوجة مطيعة، وغير ذلك من متاع الدنيا، وأحب أن أكون في صحّة جيّدة، هذه الآمال، ينبغي للمؤمن أن يتمنّاها لأخيه المؤمن كما يتمنّاها لنفسه، ولا يكون المؤمن مؤمناً حقيقياً إلاّ بعد أن يعيش هذه المشاعر تجاه أخيه المؤمن. وبنفس الوقت أن يكره له أن يصاب ببلاء أو مصيبة، أو تدخل عليه مصيبة، أو ضيق عليه في رزقه.

فإذا كرهت لأخيك ما تكرهه لنفسك، فحينئذٍ تكون من مصاديق الإيمان الحقيقي.

وقد تقدّم أنّه أساس قلبي لأداء الحقوق المذكورة، وهذا الأساس القلبي هو الميزان الذي يُزين به الإيمان، فإذا أحببت لأخيك ما تحب لنفسك، وكرهت له ما تكره لنفسك، فحينئذٍ تكون مؤمناً حقيقياً، أمّا إذا كنت تكره له ما تحب لنفسك، وتحب له ما تكره لنفسك، فمعنى ذلك أنك لست صادقاً في ادعائك للإيمان.

الحق الثاني: أن تتجنّب سخطه، وتتبع مرضاته، وتطيع أمره، فلا تفعل شيئاً يؤدّي إلى غضبه وسخطه، بل لا بدّ أن تكون العلاقة بينكما علاقة الانقياد والخضوع، بحيث إذا صدر منه طلب تعتبره أمراً تبادر إلى امتثاله<sup>(١)</sup>.

الحق الثالث: أن تعينه بنفسك ومالك ولسانك ويدك ورجلك.

الحق الرابع: أن تكون عينه ودليله ومرآته؛ فالإنسان بعينه يبصر الطريق حتى يصل إلى مقاصده، ويبصر عيوب نفسه، فينبغي أن يكون المؤمن عيناً لأخيه المؤمن،

---

(١) طبعاً فيها لو لم يكن أمر الأخ أو الصديق المؤمن منافياً لأمر ديني ومخالفاً لحكم الله، وإلاّ ف«لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» كما روي عن النبي الأكرم ﷺ. من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ٣٧٦، باب ألفاظ رسول الله ﷺ الموجزة التي لم يسبق إليها، ح ٥٨٣٢.

وعن الإمام الصادق عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «من طلب رضا الناس بسخط الله جعل الله حامده من الناس ذاماً». وعن الإمام الباقر عليه السلام، قال: «لا دين لمن دان بطاعة من عصى الله». الكافي: ج ٢، ص ٣٧٣، باب من أطاع المخلوق في معصية الخالق، ح ١ و ٤.

يدلّه على طريق الهداية، ويرشده إلى نور الولاية، ويكون عيناً له على عيوب نفسه من خلال النصيحة، وأن يكون مرآته، فكما أنّ المرآة وسيلة ينظر بها الإنسان لكي يكتشف ما في صورته من عيوب جسدية وخلقية، حتى يصلح هذه العيوب، كذلك ينبغي أن يكون المؤمن لأخيه المؤمن مرآة، يرى من خلاله عيوبه الخلقية والخلقية.

**الحق الخامس:** أن لا تشبع ويجوع، ولا تروى ويظمأ، ولا تلبس ويعرى، فهناك حاجات أساسية للإنسان؛ من قبيل حاجة المأكل والمشرب والملبس، ينبغي على المؤمن - حتى يكون مؤمناً حقيقياً - أن يسعى في قضائها.

**الحق السادس:** أن يكون لك خادمٌ وليس لأخيك خادمٌ، فواجبٌ أن تبعث خادمك فيغسل ثيابه، ويصنع طعامه، ويمهّد فراشه.

إنّ ما ذكره الإمام عليه السلام - هنا - ليس حقّاً أساسياً؛ لأنّه لا يمثل حاجة من الحاجات الأساسية للإنسان، بل هي حاجات ثانوية كمالية، بخلاف الحاجات التي تقدّمت في الحق الخامس.

فأيّها المؤمن، إنّ مقتضى الإيمان الحقيقي أن تسعى في قضاء هذه الحاجات الكمالية التي ليست ضرورية؛ مثل الخادم والسيّارة، فإذا كانت لديك سيّارة تتقلّ فيها من مكان إلى آخر، وتحمل بها حاجياتك، فواجب عليك أن تسعى لقضاء حاجة أخيك المؤمن الثانوية بنقله أو نقل عياله أو متاعه.

**الحق السابع:** أن تبرّ قسّمه، وتجب دعوته، وتعود مريضه، وتشهد جنازته، وإذا علمت أنّ له حاجة تبادر إلى قضائها ولا تلجئه أن يسألَكها، وكأنّ التشريع الإسلامي يريد أن يحفظ للمؤمن عزّته ويصون ماء وجهه؛ مثلاً: أنا أعلم أن للأخ الفلاني حاجة، فلا أجعله ينتظر، ويطلبها بنفسه ويريق ماء وجهه، بل أبادر أنا في قضاء حاجته حتى أحفظ له كرامته وعزّته.

فإذا فعلت هذه الحقوق السبعة بفروعها المتعدّدة، تكون قد وصلت ولايتك

بولايته وولايته بولايتك.

بعبارة أخرى: لو أدّيت هذه الحقوق، فحينئذٍ يحق لك - أيها المؤمن - أن تدّعي التشييع والولاية؛ لأنّ ولايتك لا تحصل لأهل البيت عليهم السلام إلا إذا وصلتها بولاية أخيك المؤمن، ووصل ولايتك بولايته موقوف على أن تؤدّي حقّه.

### الأمر الثالث: الابتعاد عن الهجران والتباغض

هناك الكثير من النصوص التي تحثّ المؤمنين على التواصل إذا ما حصل بينهم تشاجر أو تحاصم، فعن النبي صلّى الله عليه وآله: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث»<sup>(١)</sup>. وهنا نلفت النظر إلى أنّه حينما يحصل شجار وتنازع وخصومة بين المؤمنين فلا بدّ أن يكون أحدهما ظالماً والآخر مظلوماً، والحديث يحثّ المؤمن حتى لو كان مظلوماً على أن يبادر إلى الوصل مع أخيه المؤمن الذي دخل معه في خصومة والاتصال به. وعنه صلّى الله عليه وآله - أيضاً -: «أيما مسلمين تهاجرا، فمكثا ثلاثاً لا يصطلحان إلاّ كانا خارجين من الإسلام، ولم يكن بينهما ولاية، فإنّهما سبق إلى كلام أخيه، كان السابق إلى الجنة يوم الحساب»<sup>(٢)</sup>.

### الأمر الرابع: إصلاح ذات البين وإدامة المودة بين المؤمنين

فإذا حصلت القطيعة والهجران بين بعض المؤمنين، فعلى الآخرين السعي لإزالة تلك القطعية، وإزاحة مشاعر البغضاء، وإدامة المودة والمحبة بين المؤمنين، وهو المعروف بإصلاح ذات البين، فعن النبي صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «إصلاح ذات البين أفضل من عامّة الصلاة والصيام»<sup>(٣)</sup>؛ بمعنى: أنّ السعي في إصلاح ذات البين بين إخوة

(١) الخصال: ص ١٩٣، ح ٢٥٠.

(٢) أصول الكافي: ج ٢، ص ٣٤٥، باب الهجرة، ح ٥.

(٣) ثواب الأعمال: ص ١٤٨.

متقاطعين أفضل في المقياس الإلهي من الجلوس في البيت أو المسجد والاشتغال بصلاة النافلة، وأفضل من الصيام المستحب.

وإصلاح ذات البين ولمّ الشمل وتحجيم الخلافات بين المؤمنين وتطويقها من حقوق المؤمن على أخيه المؤمن، ففي الحديث عن النبي ﷺ: «ما عبد الله بشيء أفضل من أداء حق المؤمن»<sup>(١)</sup>.

وعنه ﷺ أيضاً: «إنّ البغضة حالقة»<sup>(٢)</sup> الدين، وفساد ذات البين ولا قوة إلا بالله. انظروا ذوي أرحامكم فصلوهم يهون الله عليكم الحساب»<sup>(٣)</sup>.

وتبرز أهمية إصلاح ذات البين وموقعها في التشريع الإسلامي من خلال تجويز بعض الأحاديث الكذب إذا كان وسيلة لإصلاح ذات البين، وكانت فيه مصلحة تقرب الإخوة وتصلح بينهم، مع أنّ الكذب حرام، بل من الكبائر.

#### الأمر الخامس: زيارة الإخوان وتفقد أحوالهم

يروى أنّ النبي ﷺ كان إذا افتقد أحداً من المسلمين سأل عنه، فإن كان غائباً دعا له بالسلامة، وإن كان حاضراً زاره، وإن كان مريضاً عاده، ففي الحديث عن أنس، أنّه قال: «أنّه إذا افتقد رجلاً من إخوانه ثلاثة أيام سأل عنه، فإن كان غائباً دعا له، وإن كان شاهداً زاره، وإن كان مريضاً عاده»<sup>(٤)</sup>. إنّ هذا السلوك يمنح الآخر التقدير الاجتماعي ويشعره به، الأمر الذي يعمّق الأواصر والعلائق بين الإخوة.

(١) الاختصاص: ص ٢٨.

(٢) الحالقة: قال بعض اللغويين: «الخالقة هي الخصلة التي من شأنها أن تخلق؛ أي تهلك وتستأصل الدين كما يستأصل الموسى الشعر. وفُسِّرَت في الحديث بقطيعة الرحم». مجمع البحرين: ج ٥، ص ١٥٠-مادة (خلق).

(٣) من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ١٩٠، باب رسم الوصية، ح ٥٤٣٣.

(٤) مكارم الأخلاق: ص ١٩.

### الأمر السادس: السعي في قضاء الحاجات

يتصور البعض أنّ أفضل العبادات هي الصلوات المستحبة والصوم المستحب. ولكن الأمر ليس كذلك، فإنّ الإتيان بالصلاة المستحبة والصيام المستحب وإن كان فعلاً حسناً، ويترتب عليه الكثير من الثواب والقرب الإلهي، ولكن من الخطأ أن تُحصر العبادات المقرّبة بالصلاة والصيام، بل هناك أعمال أخرى لعلّها تكون أكثر تأثيراً في قرب العبد من الله سبحانه وتعالى؛ منها: قضاء حوائج المؤمنين، فعن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، أنّه قال: «الساعي في حاجة أخيه كالساعي بين الصفا والمروة»<sup>(١)</sup>. فقد يسعى المؤمن من مكان إلى آخر من أجل قضاء حاجة أخيه المؤمن، فتكون له منزلة السعي بين الصفا والمروة، وهي منزلة عظيمة.

وقد يسعى الإنسان تارةً في قضاء حاجة أخيه المؤمن ولكنه لا يوفق لقضائها، فإنّ ذلك لا يضرّ في سعيه عند الله، وله عظيم الثواب؛ وأخرى يسعى وينجح في سعيه، وتقضى حاجة أخيه المؤمن، والقاضي حاجة أخيه كالدافع في سبيل الله في بدر وأحد<sup>(٢)</sup>.

### الأمر السابع: التحلي بسعة الصدر

لما كانت الحياة الدنيا مشحونة بالتنافس والتسارع والصراع، فلا شك سيكون فيها حالات من التشاجر والتخاصم والتناحر، وهناك إساءات من الآخرين، وهناك عثرات وهفوات من الآخرين، من هنا ينبغي على الإنسان المؤمن أن يكون صبوراً، حليماً، كاظماً للغضب، عافياً عن الناس، يتسم بسعة صدره، وأن يحسن

(١) المحاسن: ج ١، ص ٢٨. كتاب الأشكال والقرائن.

(٢) من وصيّة الإمام الصادق عليه السلام إلى ابن جندب: «يا بن جندب، الماشي في حاجة أخيه، كالساعي بين الصفا والمروة، وقاضي حاجته كالمشحط بدمه في سبيل الله يوم بدر وأحد. وما عذب الله أمة إلاّ عند استهانتهم بحقوق فقاء إخوانهم». تحف العقول: ص ٣٠٣.

التعامل مع إساءات الآخرين، ويعفو عن سيئاتهم، ويتغاضى عن هفواتهم؛ فإن هو فعل ذلك دخل في زمرة الأخوة الإيمانية.

### الأمر الثامن: حسن الأدب عند التلاقي

من حقّ المؤمن على المؤمن أن يحسن له الأدب عند التلاقي، فيحيّه بتحية الإسلام: «السلام عليكم»، فيحيّه الآخر بمثلها، أو بأحسن منها، قائلاً: «وعليك السلام ورحمة الله وبركاته». وقد ذكر المشرّع الآداب الحقيقية عند تلاقي المؤمنين؛ وهذه الآداب لها دور كبير في تقوية الأواصر والتحابب والتوادد بين جماعة المؤمنين؛ منها: أن يلقاه بالوجه المبشر، لا بوجه عبوس، وأن يبدأه بتحية الإسلام، ويصافحه، ويعانقه.

وأسفاً أقول: إنّ البعض لم يتخلّ عن هذه الآداب فقط، بل ترك الواجب؛ فلا يرد التحية إذا حيي بتحية، أو يرد التحية ولكن منقوصة أو ليست بالصيغة الواجبة. إنّ مراعاة هذه الحقوق يجعل المراعي في دائرة الأخوة الإسلامية، فعلياً أن نتحلّى بهذه الآداب فإنّ هذه من الأمور المهمة التي دعا إليها الإسلام، وتساهم كثيراً في تقوية هذه العلاقة.

### عاقبة الأمة التي تستهين بالحقوق الاجتماعية للجماعة المؤمنة

تحدّث الروايات الشريفة عن العاقبة الوخيمة والمصير البائس للأمة التي تستهين بالحقوق الاجتماعية للجماعة المؤمنة، ولا تأتي بالأعمال الاجتماعية التي تعزّز الأواصر، وتقوّي الشائج بين المؤمنين، فعن الإمام المعصوم عليه السلام أنّه قال: «فما عذب الله أمةً إلّا عند استهانتهم بحاجات فقراء إخوانهم»<sup>(١)</sup>. من خلال ميزان

(١) تحف العقول: ص ٣٠٣.

العقوبة الذي ذكرته هذه الرواية يتبين أنّ هناك الكثير من الأعمال التي نستهيّن بها ونعتبرها حقيرة وصغيرة، لكنها عظيمة عند الله تعالى.

ومن الروايات المهمة التي تبيّن قيمة قضاء حاجات الإخوان، ما روي من أنّ أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، وهو أبان بن تغلب<sup>(١)</sup> - الذي كان من الفقهاء العظام، حتى نُقل أنّ الإمام عليه السلام تألم كثيراً عند سماع نبأ وفاته - كان مع الإمام، وكان حريصاً على أن يكون دائماً بصحبة الإمام حتى يسمع منه أقواله ويرى أفعاله؛ لأنّها تشريع، وذات يوم كان مع الإمام الصادق عليه السلام في طواف الحج، فجاء أحد المؤمنين وكانت له حاجة لا يستطيع قضاءها، فطلب من أبان أن يقضي له حاجته، فاعتذر أبان منه، بأنّه بصحبة الإمام، وأنّه في الطواف الواجب، ولكن الإمام عليه السلام أمره أن يترك الطواف، ويذهب ليقضي حاجة ذلك الإنسان المؤمن.

فقد ذكرت الرواية: أنّه عرض رجل لأبان الذي كان مع الإمام الصادق عليه السلام يسأله حاجة يريد به الذهاب معه، فكره أن يدع الإمام عليه السلام ويذهب لقضاء حاجة أخيه المؤمن، وقد أشار إليه صاحب الحاجة مرّة ثانية، فإذا بالإمام عليه السلام يراه يقف، فأمر أبان بقطع الطواف والذهاب إلى قضاء حاجة الأخ المؤمن، ولو كان هذا الطواف طواف الفريضة، فيقف أبان متعجباً: هل هناك حق للمؤمن على المؤمن يلزمه بقطع الطواف والذهاب في قضاء حاجة المؤمن! ثم يسأل أبان الإمام عليه السلام ما هو حق المسلم؟ فأجابه عليه السلام: «حق المؤمن أن تقاسمه شطر مالك».

---

(١) أبان بن تغلب، قال في الفهرست: ثقة، جليل القدر، عظيم المنزلة في أصحابنا، لقي أبا محمد علي ابن الحسين وأبا جعفر وأبا عبد الله عليه السلام، وروى عنهم، وكانت له عندهم حظوة وقدم، وقال له أبو جعفر الباقر عليه السلام: «اجلس في مسجد المدينة، وأفت الناس، فإنّي أحب أن يرى في شيعتي مثلك».

وقال أبو عبد الله عليه السلام لما أتاه نعيه: «أما والله لقد أوجع قلبي موت أبان»، وكان قارئاً فقيهاً لغويّاً. سماء  
المقال: ج ٢، ص ٣٣٩.

فالإمام عليه السلام في هذه الرواية يشير إلى بعض حقوق المؤمن على المؤمن؛ منها: أن تعطيه نصف مالك وتأخذ أنت النصف الآخر، وهنا تظهر على أبان علامة التعجب من هذا الحق! إذ كيف أعطيه نصف مالي! وأنا من تعب وكدح ليلاً ونهاراً حتى حصلت عليه! فيقول له الإمام: «أما تعلم أن الله ذكر المؤثرين على أنفسهم»، فيقول أبان: بلى جُعلت فداك، يقول الإمام عليه السلام: «أما إذا قاسمته فلم تؤثره، إنما تؤثره إذا أنت أعطيته من النصف الآخر»<sup>(١)</sup>؛ أي: إذا أعطيته نصف مالك فإنك لم تؤثر أخاك. نعم، إذا أعطيته النصف، وزدت عليه من النصف الآخر تكون قد أثرته.

---

(١) مرآة العقول: ج ٩، ص ٤١، باب حق المؤمن على أخيه، ح ٨. عن أبان بن تغلب، قال: كنت أطوف مع أبي عبد الله عليه السلام، فعرض لي رجل من أصحابنا كان سألني الذهاب معه في حاجة، فأشار إليّ، فكرهت أن أدع أبا عبد الله عليه السلام وأذهب إليه، فبينما أنا أطوف إذ أشار إليّ أيضاً، فراه أبو عبد الله عليه السلام، فقال: «يا أبان إياك يُريدُ هذا؟»، قلت: نعم. قال: «فمن هو؟» قلت: رجل من أصحابنا، قال: «هو على مثل ما أنت عليه» قلت: نعم، قال: «فاذهب إليه»، قلت: فأقطع الطّواف؟ قال: «نعم»، قلت: وإن كان طواف الفريضة؟ قال: «نعم»، قال: فذهبت معه، ثم دخلت عليه بعدُ فسألته، فقلت: أخبرني عن حق المؤمن على المؤمن، فقال: «يا أبان دعه لا ترده»، قلت: بلى جُعلت فداك فلم أزل أردد عليه، فقال: «يا أبان تقاسمه شطر مالك»، ثم نظر إليّ فرأى ما دخلني، فقال: «يا أبان أما تعلم أن الله قد ذكر المؤثرين على أنفسهم؟» قلت: بلى جعلت فداك، فقال: «أما إذا أنت قاسمته فلم تؤثره بعد، إنما أنت وهو سواء، إنما تؤثره إذا أنت أعطيته من النصف الآخر».



# الخطبة العشرون

## عباد الرحمن في القرآن الكريم

### القسم الأول

بتاريخ: ٣٠ / ٧ / ٢٠٠٤ م

وفيها المحاور التالية:

- المحور الأول: منشأ النسبة إلى الرحمن سبحانه
- المحور الثاني: الإشارات التي تضمّنها وصف (عباد الرحمن)
- صفات عباد الرحمن
- ✎ الصفة الأولى: التواضع
- ✎ السبيل لتخليّة القلب من التكبر
- ✎ نماذج للصفات الحسنة والسيئة
- ✎ الآثار التربوية للتواضع
- ✎ الصفة الثانية: الترفع عن خطاب الجاهلين
- ✎ نموذج من حياة المتغافلين عن خطاب الجاهلين



## مقدمة الخطبة

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على سيّدنا ونبيّنا أبي القاسم محمد، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين.

اللّهمّ لك الحمد حمداً لا يُبَدَّ ولا ينقطع آخره، ولا يقصر دون عرشك منتهاه.

الحمد لله الذي لا يُطَاع إلا بإذنه، ولا يعصى إلا بعلمه، ولا يُخَاف إلاّ عقابه...

الحمد لله الذي كان قبل كان كائن، ولا يوجد لكل شيء موضع قبله، الحمد لله الذي لا يكون كائناً غيره، هو الأوّل فلا شيء قبله، والآخر فلا شيء بعده، الدائم بغير غاية ولا فناء. الحمد لله الذي سدّ الهواء بالسماء، ودحا الأرض على الماء، واختار لنفسه الأسماء الحسنى. الحمد لله بغير تشبيه، والعالم بغير تكوين، والباقي بغير كلفة، والخالق بغير متعبة، والموصوف بغير منتهى<sup>(١)</sup>.

أوصيكم عباد الرحمن بتقوى الله وطاعته، والاحتراز عن معاصيه، واجتناب ما يسخطه، ويجرّ إلى ذمّته وعذابه. وها هي الدنيا قد آذنت أيامها القصيرة بالنفاد، وفتّحت أبواب الجنان تقول لعباد الرحمن: طبتم وطابت أعمالكم، فادخلوا جنّات الخلد بسلام.

## عباد الرحمن في القرآن الكريم

قال تعالى في محكم كتابه وفصل خطابه وواضح بيانه: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ

---

(١) الدرّوع الواقية: ص ١٨٦ - ١٨٧.

يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿١﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ  
سُجَّدًا وَقِيَمًا ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ  
غَرَامًا... ﴿٣﴾

هذه المجموعة من الآيات القرآنية تتعرض إلى بيان مجموعة من الخصال الحميدة لعباد الرحمن؛ بعضٌ منها يتعلق بالجانب العقائدي، وبعضٌ منها يتعلق بالجانب الأخلاقي، وبعضٌ آخر يتعلق بالجانب الاجتماعي؛ والحديث في هذا الوصف الجميل يكون على محاور عدة:

#### المحور الأول: منشأ النسبة إلى الرحمن سبحانه

إنَّ نسبة العباد إلى وصف خاص واسم معيّن من أسماء الله تعالى دون بقية الأسماء لا بدّ وأن يكون له منشأ. فمن المعلوم بداهة أنّ هناك أسماءً عديدة لله تعالى؛ منها: الخالق، القهار، الجبار، العلام، الكريم، العليم، الحليم... وغير ذلك من الأسماء؛ فلماذا أضاف التعبير القرآني - في الآيات التي مرّت - العباد إلى اسم الرحمن دون غيره من الأسماء الإلهية الحسنی؟ لماذا لم يقل: (وعباد الخالق)، أو (وعباد القهار)، أو (وعباد الجبار)، أو (وعباد العلام)؟

في مقام الجواب، نقول: تعرّضت الآيات السابقة إلى بيان صفات المستكبرين؛ الذين يتصفون بالغرور والعناد والتعالي والعنجهية والعجب، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أي: للمستكبرين المعاندين الذين يعيشون حالة الاستكبار في أعماق نفوسهم، ﴿اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ؟﴾، والتعبير بـ ﴿اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ﴾ لا يراد منه السجود الظاهري، وإنّما يُراد منه الخضوع والتذلل، والطاعة والانقياد، الذي ينبغي أن يستشعره الإنسان في أعماق النفس، وهؤلاء الذين يعيشون التكبر

والعجب والغرور والتعالي القلبي، سوف يترجم ذلك الشعور وهذه الصفات القلبية بصورة رفض للتذلل والانقياد والخضوع للرحمن سبحانه، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ﴾ وتذللوا، واخضعوا، وانقادوا، وأطيعوا الرحمن، والتزموا بتوجيهاته ومنهجه، ﴿قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾<sup>(١)</sup>، هذه الآية تبين وصف هؤلاء المستكبرين والمعاندين.

بعد أن استعرضت تلك الآيات صفات المستكبرين عن عبادة الرحمن، جاءت هذه الآيات لكي تبين صفات عباد الرحمن الذين لا يستكبرون عن عبادته سبحانه، والذين من أهم صفاتهم امتثال أمر السجود للرحمن، والذين يتصفون بالخضوع والتذلل والانقياد والطاعة للرحمن؛ فهم يستشعرون كل هذه المعاني في قلوبهم، ثم يترجمون هذا الخضوع القلبي على شكل أعمال وممارسات وسلوكيات ظاهرة تتمثل في السجود للرحمن.

إن الآيات القرآنية المتقدمة بينت جملة من الصفات التي لو اتصف بها الشخص، فإنه يستحق أن يوصف بأنه من عباد الرحمن.

ويأتي هذا التعبير القرآني: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾، لبيان صنفاً من الناس يقفون في قبال المستكبرين - الذين يرفضون الخضوع للرحمن - وينقادون لله ويخضعون لتوجيهاته تعالى، ولعل هذا هو منشأ إضافة العباد إلى اسم الرحمن دون غيره من أسماء الله الحسنی.

### المحور الثاني: الإشارات التي تضمنها وصف (عباد الرحمن)

إن هذا التعبير يريد أن ينبّه إلى معنى دقيق، وهو أنك أيها المؤمن، وأيتها المؤمنة، لا تستحقّون هذا الوصف الجميل، ولا تستحقّون هذه الجنان التي عرضت لها

(١) الفرقان: آية ٦٠.

الآيات القرآنية المتقدمة كجزء لهؤلاء العباد، إلاّ بأمرين:

الأمر الأوّل: استشعار الرحمة للآخرين، فإذا أشرقت في أعماق نفسك وأعماق قلبك أنوار الرحمة، وتعاملت مع بقيّة خلق الله بمنطق الرحمة والتعاطف والمودة والمحبة والسلام، فحينئذٍ تستحق أن تكون عبداً من عباد الرحمن.

الأمر الثاني: إدراك حقيقة النفس ومعرفة العبد نفسه؛ بمعنى: أنّك لا تستحق أن تدخل في دائرة عباد الرحمن، إلاّ إذا أدركت حقيقة نفسك، ووعيت حقيقة الخالق، وحقيقة الكون، فنزعت رداء الكبرياء عن نفسك، ولبست لباس التواضع والخضوع، وتعاملت بمنطق الطاعة والانقياد مع الله تعالى ومع الكون، وبمنطق الرحمة والعطف مع بقيّة الخلق، فحينئذٍ تستحق أن تكون عبداً من عباد الرحمن.

إذا تعاملت بالرحمة مع العباد، ووعيت حقيقة نفسك وحقيقة الخالق، فسوف تعيش التواضع واللين والرفق، وبالتالي مصداقاً لقوله: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾، هذا المضاف إليه ﴿الرَّحْمَنِ﴾، وهذا الوصف - كما قلنا - يدل على الرحمة، فإذا أشرقت في نفسك أنوار الرحمة؛ حينئذٍ تستحق أن توصف بـ ﴿وَعِبَادُ﴾؛ لأنّ هذا اللفظ يحمل معنى الخضوع والانقياد، فإذا أدركت حقيقة نفسك وحقيقة الخالق، فحينئذٍ ستخضع وتنقاد للمنهج الإلهي، وتتصف حياتك الاجتماعية مع الآخرين بالتواضع.

وبعبارة أخرى: إنّ التعبير القرآني المتقدّم يُريد أن ينبّه إلى معنيين: معرفة النفس والخضوع للخالق، واستشعار الرحمة للعباد.

### المحور الثالث: صفات عباد الرحمن

هناك جملة من الأوصاف التي لو اتصف بها العبد فحينئذٍ يدخل في زمرة عباد الرحمن؛ منها:

### الصفة الأولى: التواضع

أَوَّلُ أوصاف عباد الرحمن هو التواضع، والترفع عن التكبر، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾<sup>(١)</sup>؛ أي: إنَّ هذا الصنف من الناس عاشوا التحلية والتخلية في قلوبهم؛ فهم من جهةٍ تخلَّوا عن التكبر والغرور والتعالي والعجب والعنجهية؛ ومن جهةٍ أخرى تخلَّوا بالتواضع لعباد الله، والانقياد والخضوع للخالق سبحانه.

ولو انعكس هذا المعنى القلبي على أفعال الإنسان وسلوكه، بحيث صار في جميع أفعاله متواضعاً؛ حتى في مشيته، فحينئذٍ يستحق أن يتَّصف بهذا الوصف. فتحصل: أنَّ الصفة الأولى لعباد الرحمن هي: المشي على الأرض هوناً<sup>(٢)</sup>، الذي يدل على التواضع؛ وإذا وُجد هذا المعنى في القلب ارتحل التكبر والغرور عنه، وحلَّت محله صفة الخضوع والانقياد بحيث ينعكس هذا المعنى القلبي على سلوك الإنسان، وعلى فعله وعلى كَيْفِيَّةِ معاشرته ومخالطته لبقية خلق الله، بل سينعكس ذلك على أبسط أفعاله، وهو المشي على الأرض، فيمشي مشية المتواضع.

### السبيل لتخلية القلب من التكبر

إنَّ التدبُّر في الآيات القرآنية يعطينا الدواء النافع لعلاج التكبر، وتخلية القلب عن هذه الرذيلة الأخلاقية؛ ومن الآيات التي تشير إلى كَيْفِيَّةِ تطهير القلب من صفة

---

(١) الفرقان: آية ٦٣.

(٢) الهون: السكينة والوقار. وفلان يمشي على الأرض هوناً. والهون: مصدر هان عليه الشيء، أي: خفَّ. وهونَه الله عليه، أي: سهَّله وخفَّفه. وشيء هين، على فيعل، أي: سهل. وهين مخفف، والجمع أهوناء، كما قالوا: شيء وأشياء على أفعلاء. وقوم هينون لينون. الصحاح: ج ٦، ٢٢١٨ - مادة (هون).

التكبر والغرور، قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾<sup>(١)</sup>.

أيها العبد، إذا عرفت حقيقة الخالق، وعرفت حقيقة نفسك، وعرفت حجمها بالقياس إلى الكون الواسع، فسوف ينتفي التكبر؛ لأن الإنسان مهما بلغ من العظمة، فإنه لن يبلغ عظمة الجبال. ولو فرضنا جدلاً أنه يبلغ عظمة الجبال، فإنه لن يبلغ عظمة الأفلاك والكون، ولو بلغت عظمتها، فإنك لن تبلغ عظمة الخالق: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾، إذاً، متى ما فكّر الإنسان في حقيقة نفسه وحقيقة خالقه، فسوف يتخلّى عن التكبر.

وهنا نذكر بعض الأبيات الشعرية التي تحمل ألفاظها معانٍ تساهم في إعانة الإنسان على مجاهدة التكبر. يقول أبو العتاهية<sup>(٢)</sup>، بعد أن سلّم على شخصٍ فردّ عليه بطريقة باردة:

|                               |                                     |
|-------------------------------|-------------------------------------|
| مالك لا ترجع السلام على       | الزوّار إلاّ بطرفة النظر            |
| تفعل هذا وأنت من بشر          | فكيف لو كنت من سوى البشر            |
| ما أنت إلاّ من العباد وإن     | أصبحت في إمرة وفي خطر               |
| ما أقدر الله أن يغيّر ما      | أصبحت فيه فكن على حذر               |
| واعلم بأنّ الأيام تلعب بالمرء | وأن الزمان ذو غيّر <sup>(٣)</sup> . |

(١) الإسراء: آية ٣٧.

(٢) هو: إسماعيل بن قاسم بن سويد بن كيسان العنزي بالولاء، العيني، المعروف بأبي العتاهية (أبو إسحاق) (١٣٠ - ٢١١ هـ) (٧٤٨ - ٨٢٦ م)، شاعرٌ ولد بعين تمر، ونشأ بالكوفة، ثم سكن بغداد، وتوفّي بها في جمادى الآخرة. كان يقول في الغزل والمديح والهجاء، ثم تنسك، وعدل عن ذلك إلى الشعر في الزهد وطريقة الوعظ، وأكثر شعره حكماً وأمثال. أنظر: معجم المؤلفين، ج ٢، ص ٢٨٥.

(٣) ديوان أبي العتاهية: ص ١٩٣؛ قصيدة بعنوان: لا عين ولا أثر.

فأبو العتاهية في هذه الأبيات يتساءل عن أسباب التكبر: هل هو الجمال والكمال؟ باعتبار أن صفات الجمال وصفات الكمال وصفات القوة قد تكون سبباً للغرور والتكبر والاستعلاء، ولكن المفروض أن تكون هذه الصفات مبعثاً للتواضع؛ لأنها منحة إلهية، ولأنها مؤقتة، فإن هذا الجمال سيأتي يوم من الأيام ويزول، وتظهر على الإنسان ملامح الشيب والشيخوخة والهرم التي تذهب بجمال المنظر، بل سيأتي يوم ويتحول الوجه الجميل إلى حفنة من التراب تموج عليه ديدان الثرى.

وهكذا القوة؛ لأنها ستزول بزوال الصحة أو بزوال الشباب، أو بزوال أسباب القوة الأخرى من السلطنة والرئاسة وما شاكل ذلك، ويحل محل الصحة المرض، ومحل الشباب الشيب، ومحل الرئاسة الذل والهوان؛ فأسباب التكبر غير مضمونة الدوام، فعلام التكبر؟!

وهكذا إن كان سبب التكبر هو المال؛ لأن المال مال الله، وبقاؤه وزواله بيده سبحانه وتعالى. وإن كان هو العلم، فأولاً: هو من فضل الله. وثانياً: هناك من هو أعلم منك. أو كان هو النسب، فالنسب لا يصلح أن يكون ميزاناً ومعياراً للتفاخر والتكبر والاستعلاء؛ لأن ميزان التفاضل عند الله سبحانه هو العلم الرباني والتقوى والعمل الصالح.

ينبغي على المرء أن يعلم أن الأيام يلعبن به؛ فكم من طواغيت استكبروا على الخلق والخالق، وكانوا مغرورين بما عندهم من وسائل القوة، ولكن إذا جاء أمر ربك جعلها دكاً. فلو تأمل الإنسان هذه المعاني وبالأمر التي يمكن أن تكون منشأً للتكبر، وأيقن بأنها مؤقتة ولا نعلم وقت زوالها، فسوف يستشعر الإنسان التواضع، ويخلع لباس الكبر والتكبر.

### نماذج للصفات الحسنة والسيئة

وسوف نذكر نموذجين لنقف على الأسوة والقُدوة في حياة شخصيات عاشت صفة ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾<sup>(١)</sup>، ونجتنب سلوكيات عاشتها الشخصيات المستكبرة.

#### الأول: نموذج المستكبر

يذكر التاريخ أنَّ أحد خريجي مدرسة بني أمية، مَنَّ ولَّاهم عبد الملك بن مروان<sup>(٢)</sup> على بلاد خراسان، وهو المهلب بن أبي صفرة<sup>(٣)</sup>. إنَّ القارئ لسيرة هذا الرجل، يعرف مدى التكبر والاستعلاء الذي كان يعيشه في أعماق نفسه وقلبه، والذي انعكس على سلوكياته الخارجية وتصرفاته مع عباد الله. كان هذا الرجل ذات يوم يمشي في سوق المدينة، وكان يلبس لباساً من الحرير؛ وهو والي، ولديه السلطة والمال، والقوة، ولديه أجهزة مخابرات وأمن وشرطة، ويمتلك من أسباب القوة الشيء الكثير والكثير.

(١) الفرقان: آية ٦٣.

(٢) عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، وأمه: عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص. الخامس من حكام بني أمية، حكم بعد أبيه مروان بن الحكم، سنة ٦٥ هـ، واستمر في الحكم واحداً وعشرين عاماً، مات سنة ٨٦ هـ. شهد عهده العديد من المجازر والحروب ضد أتباع أهل البيت (عليه السلام).

(٣) المهلب بن أبي صفرة العتكي، واسم أبي صفرة: ظالم بن سراق، ويكنى المهلب: أبا سعيد. أدرك عمر ولم يرو عنه شيئاً، وقد روى عن: سمرة بن جندب وغيره، وولي خراسان، ومات بمرور الروذ سنة ثلاث وثمانين في خلافة عبد الملك بن مروان، واستخلف على خراسان ابنه يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، فأقره الحجاج بن يوسف. الطبقات الكبرى: ج ٧، ص ١٣١٠. كان مع مصعب في قتل المختار. قاموس الرجال: ج ١٠، ص ٣٠٨، رقم ٧٨٨٨.

لذا عاش التكبر والاستعلاء والعنجهية؛ فكان يمشي مشية المتبختر في السوق، فقابلته أحد العامة من الناس، فقال له: يا عبد الله، هذه مشية يبغضها الله ورسوله! فاستشاط غضباً، كيف يُخاطب بهذه الطريقة وهو الوالي! كيف يُقال له: إنه يفعل فعلاً يبغضه الله ورسوله؟! فردّ عليه قائلاً: ويلك، أتعرفني<sup>(١)</sup>؟ قال له: بلى أعرفك؛ أنت أولك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قدرة، وما بينهما تحمل العذرة<sup>(٢)</sup>.

إنّ هذا الرجل بكلماته أعطى رسالةً لهذا الوالي المتكبر ولكلّ متكبر على طول التاريخي البشري؛ حاصلها: أنّ حقيقة الإنسان تدعوه إلى التواضع، لا إلى التكبر والعنجهية والاستعلاء والغرور، ومحتوى هذه الرسالة ومضمونها - كما بيّنا فيما سبق - يُعدّ عاملاً مساعداً يساعد الفرد على التخلّي عن صفة التكبر والتخلّي بصفة التواضع لله ولعباده.

#### الثاني: نموذج المتواضع

وهو من عباد الرحمن، وخريج مدرسة علي بن أبي طالب القرآنية، وهو سلمان

(١) كان المهلب بن أبي صفرة يعتقد أنّ هذا الرجل يظنّه من عامّة الناس، ولا يعرفه بأنّه الوالي، وهذا نموذج للإنسان الذي لا يعرف حقيقة نفسه، بل هو جاهلٌ بها.

(٢) روي أنّ مطرف بن عبد الله بن الشخير رأى المهلب ابن أبي صفرة يتبختر في مطرف خزّ (رداء من خزّ مربّع وله أعلام. أنظر: الصحاح: ج ٤، ص ١٣٩٤ - مادة طرف)، وجبة خزّ، فقال له: يا عبد الله، ما هذه المشية التي يبغضها الله؟! فقال له: أتعرفني؟ قال: نعم، أولك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قدرة، وأنت فيما بين ذلك تحمل العذرة. فمضى المهلب، وترك مشيته. نظم الكلام محمود الورّاق فقال:

|                             |                                |
|-----------------------------|--------------------------------|
| عجبتُ مِنْ مُعْجَبٍ بصوريته | وكان في الأصل نطفةً مَذْرَةً   |
| وهو غداً بعد حسن صورته      | يصيرُ في اللحدِ جيفةً قَذْرَةً |
| وهو على تيهه ونخوته         | ما بين ثويبه يحملُ العذرة      |

المحمّدي<sup>(١)</sup>؛ الذي كان والياً على بلاد خراسان، وعُيّن - كذلك - والياً على المدائن. حينما عُيّن سلمان المحمّدي والياً على المدائن، وعزم على المسير إليها، لم يمتط الدابة السريعة، والخيول الأصيلة، وإنّما امتطى حماراً له، ولم يأخذ معه الخدم والحشم والحماية، وسار إلى المدائن لوحده، وحينما وصل قرب المدائن، خرج وجهاء القوم وكبارهم إلى خارج المدائن لكي يستقبلوه، وحينما وصلوا إليه لم يعرفوه؛ لأنّهم توقّعوا أنّ الوالي الجديد - كما هو الحال في قدوم أيّ والٍ أو حاكم - لا بدّ أن يكون على أبهة وعظمة، ومعه العديد من الأشخاص، والخدم، والمرافقين، ومعه الدواب وغير ذلك، فلمّا رأوه لوحده ما توقّعوا أنّه هو الوالي الجديد؛ لذا قالوا له: أيّها الشيخ، هل رأيت الأمير؟ قال: من هو أميركم؟ قالوا: سلمان الفارسي من أصحاب رسول الله ﷺ. فقال: أنا سلمان، ولست بأمر! هو عُيّن والياً وأميراً على المدائن، لكنه يقول لهم: لست أميراً، بل أنا عبد من عبيد الله، أنا سلمان. حيثنّ ترجّل الناس إكراماً وإجلالاً له، ونزلوا عن دوابهم وعن خيولهم الأصيلة، وطلبوا منه أن يركب تلك الخيول، لكنه رفض، وقال لهم: هذا حماري، جئت عليه، وأدخل إلى المدائن وأنا أمتطيه! ثم عرضوا عليه أن يذهبوا به إلى دار الإمارة، فقال: لا أذهب إلى ذلك المكان، واستأجر دكاناً في السوق لكي يسير أمور الدين والدنيا لهؤلاء<sup>(٢)</sup>.

(١) سلمان المحمّدي ابن الإسلام أبو عبد الله، أوّل الأركان الأربعة، مولى رسول الله ﷺ ومن حواريه الذي قال فيه: «سلمان منّا أهل البيت». أصله من أصبهان، من قرية يقال لها: جي، هاجر في طلب العلم والدين، وهو صبي، وآمن بالنبي ﷺ قبل أن يبعث وعرفه بالصفة والنعت لمّا هاجر إلى المدينة، وشهد معه الخندق إلى ما بعده من المشاهد. شغله الرق عمّا قبل ذلك. ولما قبض ﷺ لزم أمير المؤمنين عليه السلام، ولم يبايع حتى أكرهه على البيعة، ووجئت عنقه. تولى حكومة المدائن في زمان عمر بأمر علي عليه السلام، وتوفّي بها سنة (٣٤) هـ. وعن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام: «إنّ سلمان الفارسي بحر لا ينزف». الفوائد الرجالية: ج ٣، ص ١٦ - ٢٠.

(٢) منهاج البراعة: ج ٣، ص ٣٠٥.

### الآثار التربوية للتواضع

نتعرّض لبعض النتائج التي تنعكس إيجابياً على الفرد وعلى المجتمع فيما إذا تحلّياً بصفة التواضع. إنّ لهذه الصفة آثاراً مهمّة جداً سواء على مستوى الفرد أم على مستوى المجتمع، نستوحيها من النصوص والأحاديث التي وردت عن أهل بيت العصمة والطهارة:

#### الأثر الأول: المحبة المتبادلة بين أفراد المجتمع

من آثار التواضع والمشي على الأرض هوناً انتشار المحبة والمودة بين الناس، فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، أنّه قال: «ثمرّة التواضع المحبة»<sup>(١)</sup>. بيان ذلك: عندما يسير أحدنا، ويُصادفه رجل متواضع يتدوّه بالسلام، وبتحيّة جميلة، وبوجه طلق، فإنّ المحيّا يشعر بأنّ له موقعاً وقيمة عند المحيّي، وهذا الشعور سوف يُولّد في قلب المحيّا مودّةً ومحبةً تجاه المحيّي، فإذا بادلته التواضع، والتحيّة بالتّي هي أحسن، تبادلا شعور المحبة بينهما. لو انتشر هذا الخلق بين أفراد المجتمع الإسلامي لانتشرت المودة والمحبة بينهم، ولغابت وانمحت صور الشحناء والبغضاء، وصار المجتمع مجتمعاً قوياً متماسكاً.

#### الأثر الثاني: الاحترام المتبادل بين أفراد المجتمع

من الآثار التي يولّدها التواضع هو الاحترام والمهابة في نفوس الناس. بيان ذلك: إنّ المتكبرّ يتصوّر أنّه بتكبرّه سوف يحظى باحترام الناس وإجلالهم له، ولكن الواقع هو عكس ذلك؛ لأنّ الاحترام والمهابة والإجلال هي بيد الله تعالى، وهو سبحانه جعلها لمن تواضع له وللعباد، وهذه من سننه وقوانينه، فعن

---

(١) أعيان الشيعة: ج ٣، ص ١٦٣.

رسول الله ﷺ، أنه قال: «ما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله تعالى»<sup>(١)</sup>.

إذاً، بحسب القانون الإلهي فإنَّ الإنسان المتواضع يرفعه الله تعالى ويعزّه<sup>(٢)</sup>.

#### الأثر الثالث: تجسيده للطاعة والشكر لله

من جملة آثار التواضع أنّه يجسّد الطاعة والشكر لله تعالى، فعن أمير المؤمنين عليه السلام، أنّه قال: «بالتواضع تتمّ النعمة»<sup>(٣)</sup>، وفي نفس الوقت فإنَّ التواضع هو نشر للفضيلة والأخلاق الحميدة بين المجتمع، كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «التواضع ينشر الفضيلة»<sup>(٤)</sup>.

#### الصفة الثانية: الترفع عن خطاب الجاهلين

من صفات عباد الرحمن أنّهم: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾، ولبیان هذه الصفة نقول: المشاهد أن طبيعة كلام البعض من الناس وخطابهم قائمٌ على التكبر والاستهزاء والسخرية بالآخرين والانتقاص منهم، وربّما على السبّ والشتم، وهذا النوع من الخطاب يسمّيه القرآن الكريم بخطاب الجاهلين.

في هذا الجو، الذي يشيع به خطاب الجاهلين، سواء أكان في العمل أم الدرس أم الأماكن العامة... على مَنْ يُريد أن يسمو بذاته وشخصيته إلى مصاف عباد الرحمن أن يواجه خطاب الجاهلين بالحكمة، والتغافل، وعدم الردّ بالمثل، بل ينبغي عليه أن يردّ على هذا النوع من الخطاب بقوله: «سلاماً».

و«سلاماً» لا يعني - هنا - تحية الإسلام: «السلام عليكم»، ولا تعني أن تبرز

(١) الأُمالي (الطوسي): ص ٥٦.

(٢) وهنا نقطة جدية بالذكر؛ حاصلها: أنّ على المجتمع أن يعي ثقافة التواضع، فلا يفسّر التواضع على أنّه ضعف.

(٣) نهج البلاغة، خطب الإمام علي: ج ٤، ص ٥٠.

(٤) عيون الحكم والمواعظ، ص ١٣٩.

للجاهل المتعدي والمعتدي التحية، وتظهر له المودة والاحترام، وإنما هذا تعبير كنائي عن اللامبالاة والتجاهل والتغافل عن هذا الخطاب الشيطاني.

بعبارة أخرى: «سلاماً» تعبير كنائي تبرز من خلاله ردة فعل المؤمن تجاه خطاب الجاهل له، وتبرز من خلاله صفات المؤمن من صفح وتغاض وتغافل وسعة الصدر تجاه خطاب الجاهل؛ فلا ينبغي للمؤمن أن يردّ على خطاب الجاهلين بالمثل، فيكون سبّاباً وشتّاماً ومستهزئاً...

فالتعبير القرآني يدعو المؤمن إلى التغافل وعدم المبالاة بتعدي الآخرين عليه؛ لأنّ الخطاب الذي فيه تعدّ منشؤه الجهل؛ لذا قالت الآية: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ﴾ أي: إنّ خطاب السب والشتم والانتقاص والاستهزاء والسخرية بالآخرين والاعتداء عليهم، هو خطاب شيطاني، نابع من الجهل، وخطاب المؤمن للآخرين لا بدّ أن يكون خطاباً نابعاً عن علم.

#### نموذج من حياة المتغافلين عن خطاب الجاهلين

لقد جمع الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام، صلاح حال الدنيا بحذافيرها في كلمتين فقال: «صلاح جميع المعاش والتعاشر ملء مكيال؛ ثلثان فطنة، وثلث تغافل»<sup>(١)</sup>.

ولكن لم يكتفِ الإمام عليه السلام بالقول، بل جسّد ذلك بسلوك خارجي، فقد روي أنّ نصرانياً، قال له: أنت بقر؟ قال عليه السلام: أنا باقر، قال: أنت ابن الطباخة؟ قال عليه السلام: ذاك حرفتها. قال: أنت ابن السوداء الزنجية البذية؟ قال: إن كنت صدقت غفر الله لها، وإن كنت كذبت غفر الله لك، قال الراوي: فأسلم النصراني<sup>(٢)</sup>.

انطلاقاً من الآية الكريمة وحديث الإمام الباقر عليه السلام وسلوكه الذي واجه به

(١) مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٣٣٤.

(٢) المصدر نفسه: ص ٣٣٣.

النصراني، ينبغي لمن هو من شيعة الإمام، ولمن يُريد أن يسمو بنفسه إلى منازل عباد الرحمن أن يتغافل عن خطابات الجاهلين ويتغاضى عنها، ولا يواجهها بالمثل، أمّا لو قال لك أحد: أنت بقر! فأغلظت عليه القول، ورددت عليه هذه الكلمة، فأنت مثله.

وفي أمالي الشيخ المفيد، قال: أخبرني أبو الحسين محمد بن مظفر البرّاز، قال: حدّثنا أبو القاسم عبد الملك بن علي الدهان قال: حدّثنا أبو الحسن علي بن الحسن، عن الحسن بن بشير، عن أسعد بن سعيد، عن جابر، قال: سمع أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام رجلاً يشتم قنبراً، وقد رام قنبر أن يرد عليه، فناداه أمير المؤمنين علي عليه السلام: «مهلاً يا قنبر، دع شاتمك مهاناً تُرضِ الرحمن، وتسخط الشيطان، وتعاقب عدوك. فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ما أرضى المؤمن ربّه بمثل الحلم، ولا أسخط الشيطان بمثل الصمت، ولا عوقب الأحمق بمثل السكوت عنه»<sup>(١)</sup>.

إنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يُبيّن أنّ الرجل السبّاب للآخرين لا يُبين الآخرين، وإنّما يُبين نفسه ويحقّرهما، ومن ترك الرد بالمثل، يكون قد أرضى الرحمن، وأسخط الشيطان، وعاقب عدوه؛ لأنّ رضا الرحمن بالحلم والتغافل، وسخط الشيطان بالصمت، وعقاب الجاهل الأحمق السبّاب بالسكوت عنه.

نُقل أنّ أحد أعظم فقهاء الشيعة وزّع مبلغاً من الحقوق الشرعية على الفقراء والمساكين، ثم صلّى بالناس جماعة، وبعد أن فرغ من صلاته جاءه أحد الفقراء السادة، وخاطب الفقيه قائلاً: أعطني من مال جدّي. فأجابه الفقيه: إنك جئت متأخراً، وقد وزّعت الأموال ولم يبقَ منها شيء. فغضب الفقير، وبصق في وجه الفقيه! فما كان من هذا الفقيه إلّا أخذ بطرف رداءه، ودار بين المصلّين يجمع له المال،

(١) أمالي الشيخ المفيد: ص ١١٨.

ثم جاء وأعطى المال إلى السيد الفقير<sup>(١)</sup>.

إنّ هذا السلوك المتزن الذي اتسم بالتغافل والتغاضي عن الإساءة هو سلوك العلماء، وسلوك عباد الرحمن.. وإنه تجسيد عملي لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾.

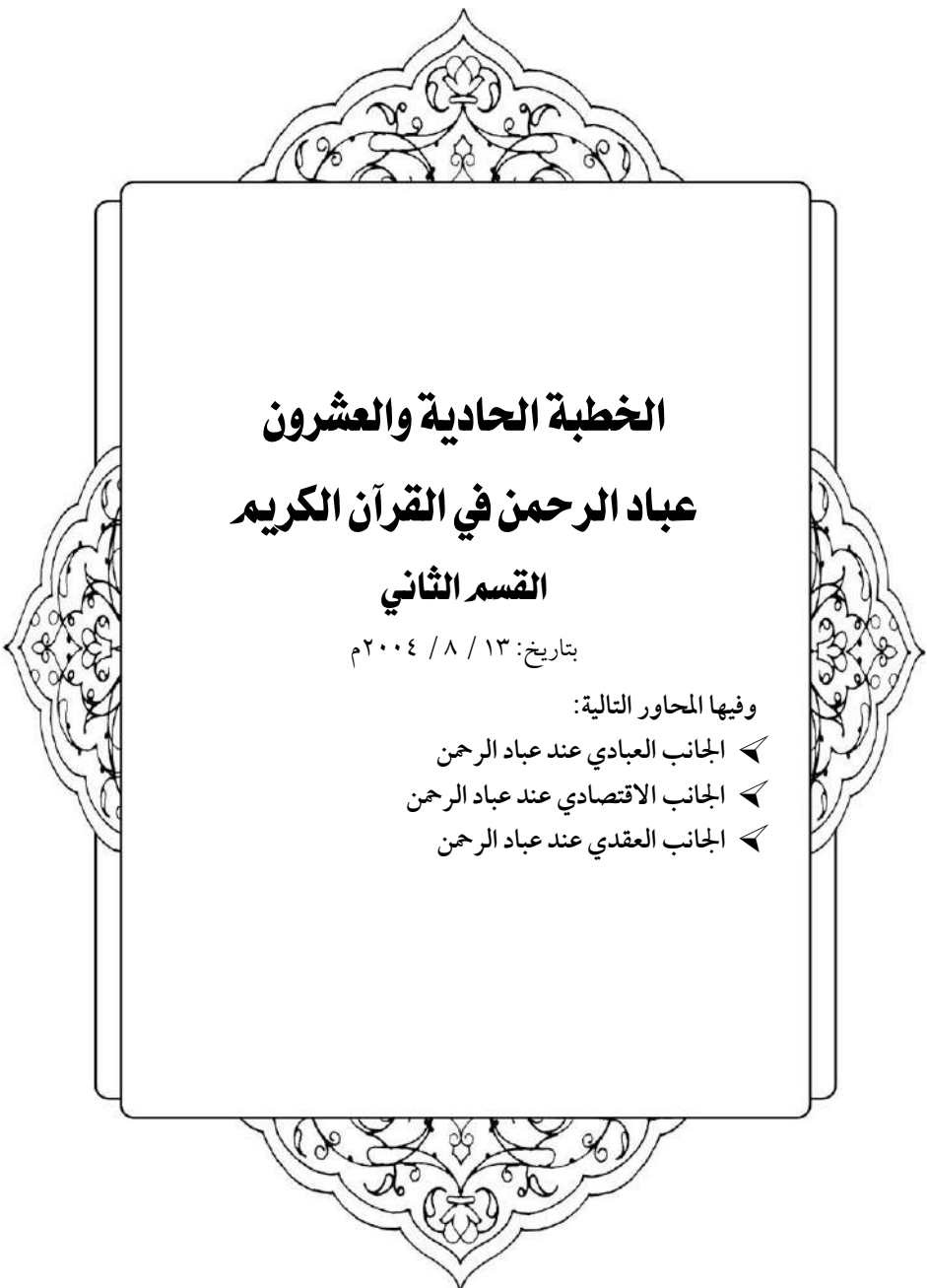
قال الشاعر:

|                      |                     |
|----------------------|---------------------|
| أحمل النفس على الحلـ | م لكي تحيا سعيدا    |
| والزم الطاعة دوماً   | وانهج الدرب السديدا |
| واعبد الله بحقّ      | واطلب العون المديدا |
| واترك اللهو فمنه     | تجتني الذنب الشديدا |
| وال طهه وبنيه        | تك في الناس رشيدا   |
| وادع للخلق بفعل      | يرشد الجيل الجديد   |

---

(١) نقل أنه في أحد الأيام التي كان شيخ الفقهاء العظام المرحوم الحاج الشيخ جعفر صاحب (كشف الغطاء) موجوداً في (أصفهان) أنّه قسّم مرّة حقوقاً شرعية على الفقراء قبل شروعه بالصلاة. فعند انتهائه من تلك الصلاة وقيامه للصلاة الأخرى، جاءه أحد السادات الفقراء - الذين أخبروا بالأمر - بين الصلاتين، وقال له: أعطني من مال جدّي. فقال له: لقد جئت متأخراً، ولا يوجد عندي الآن شيء لأعطيك منه. فغضب ذلك السيد، وبصق على حية الشيخ المباركة. فقام الشيخ من المحراب، ورفع طرف رداءه، وأخذ يدور في صفوف الجماعة، وهو يقول: «من كان يحترم شبيهة الشيخ، فليساعد هذا السيد». فملاّ الناس طرف ثوبه بالأموال، ثم أعطاهم الشيخ للسيد، وبعد ذلك توجّه لصلاة العصر. منازل الآخرة والمطالب الفاخرة: ص ٢١٥.





# الخطبة الحادية والعشرون

## عباد الرحمن في القرآن الكريم

### القسم الثاني

بتاريخ: ١٣ / ٨ / ٢٠٠٤ م

وفيها المحاور التالية:

- الجانب العبادي عند عباد الرحمن
- الجانب الاقتصادي عند عباد الرحمن
- الجانب العقدي عند عباد الرحمن



## مقدمة الخطبة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا ونبيّنا أبي القاسم محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

الحمد لله القائم الدائم، الحليم الكريم، الأوّل الآخر، الظاهر الباطن، الواحد الأحد، الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد.

الحمد لله الحق المبين، ذي الفضل الكريم، العظيم المنعم، المكرم، القابض الباسط، ذي القوّة المتين، ذي الفضل والمنّ.

الحمد لله الوارث الوكيل، الشهيد الرقيب، المجيب المحيط، الحفيظ الرقيب، المانع الفاتح، المعطي المبتي، المحيي المميت، ذي الجلال والإكرام، أهل التقوى وأهل المغفرة، ذي المعارج، تعرج الملائكة والروح إليه<sup>(١)</sup>.

أوصيكم إخوتي عباد الرحمن، ونفسي الغارقة في بحار الذنوب والمعاصي، بتقوى الله تعالى، والتحليّ بمحامد الصفات، ومحاسن الأخلاق، والتخلّي عن مذام الخصال، ومساوئ الأفعال. وقد وعدكم الله تعالى ومن أصدق من الله وعداً وقولاً، أن يملّكم دار المقامة التي لا زوال لها ولا انقضاء.

---

(١) بحار الأنوار: ج ٩٤، ص ١٨٩.

## صفات عباد الرحمن

قال تعالى في محكم كتابه وفصل خطابه وواضح بيانه: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْسُونَ ﴿١﴾ الْأَرْضَ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٤﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ...﴾<sup>(١)</sup>

تحدثنا في الخطبة السابقة عن بعض الآيات التي تعرّضت إلى صفات عباد الرحمن، وهي قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْسُونَ ﴿١﴾ الْأَرْضَ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾، وذكرنا بأن هذه الآيات بيّنت كيفية معايشة عباد الرحمن لعباد الله وتعايشهم معهم، وأنها معايشة قائمة على الرحمة، والتواضع، والود، والمحبة، والسلام؛ فعباد الرحمن لا يصدر منهم أذى وتعدّ على حقوق الآخرين، بل هم يتحمّلون الأذى والاعتداء من الآخرين بنفسٍ ملؤها الحلم وكظم الغيظ والعفو والتجاوز عن إساءاتهم. وكأنّ الآية أعلاه تتحدّث عن سلوكيات عباد الرحمن مع عموم العباد في النهار، أمّا الآيات التالية لهذه الآية فهي تتحدّث عن صفات عباد الرحمن في الليل، وفي ساعات الخلوة مع الله سبحانه وتعالى.

## الجانب العبادي عند عباد الرحمن

يمكن تصنيف الناس من حيث تعاملهم مع الأوقات الليلية إلى أصناف:  
 الصنف الأول: مَنْ يقضي الليل - أو شطراً منه - في المقاهي ومجالس البطالين؛ فيلهو ويلعب، ويطلق العنان للسان في أن يغتاب الآخرين، ويتكلّم بما لا يرضي الله سبحانه وتعالى.

**الصنف الثاني:** مَنْ يقضي الليل في الملاهي، فيرتكب أنواع اللذائذ المحرّمة.

**الصنف الثالث:** مَنْ يقضي الليل متسكّعاً في الشوارع والأزقة والطرقات؛ لاهياً لاعباً، يتكلّم بها لا فائدة فيه لدينه أو آخرته.

**الصنف الرابع:** يمكث في البيت؛ ويعقد الحلقات والاجتماعات التي يسودها الكلام المحرّم، أو الكلام الخالي من الفائدة، أو يقضي ليله مشاهداً للأفلام والمسلسلات والبرامج التي لا تخلو في الأعم الأغلب من محذور شرعي.

هذه الأصناف - وغيرها - يجمعها شعورٌ قلبي واحد؛ وهو: عدم الأنس إلّا في ظلال الأجواء الشيطانية، ولا تستمتع - هذه الأصناف - إلّا باللذائذ المحرّمة؛ لذا يصحّ أن نطلق عليهم عباد الشيطان.

أمّا عباد الرحمن فهم يعيشون شعوراً قليلاً مختلفاً؛ فهم لا يأنسون إلّا بذكر الله تعالى، ولا يستمتعون إلّا بلذيق مناجاته، فإذا جنّ الليل - وفي الوقت الذي تعيش فيه تلك الأصناف الأجواء الشيطانية - ترى عباد الرحمن يعيشون ساعات الخلوة مع المحبوب سبحانه، فيأنسون بلذيق مناجاته، وبجميل ذكره، بين راعع وساجد، وقائم وقاعد، يتلون آيات من كتاب الله ، أو يترنّمون بأدعية سيّد الساجدين ﷺ. وقسم ثانٍ من عباد الرحمن انفتح قلبه على الملكوت القدسي، فراح يترنّم بدعاء أبي حمزة الثمالي، أو دعاء الافتتاح، أو دعاء كميل بن زياد، أو الزيارة الجامعة.

وقسم ثالث منهم: ﴿يَسُبُّونَ لِربِّهِمْ سُجْدًا وَقِيَمًا﴾، يقولون في سجودهم: «سبحانك لا إله إلّا أنت إنّني كنت من الظالمين»، ومعينهم على هذا المبيت هو شعورهم القلبي، بأن لا أنس إلّا به سبحانه، وبذكره، ومناجاته، ودعائه وتلاوة كتابه. ذاك هو ليل عباد الشيطان، وهذا هو ليل عباد الرحمن: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ آلِ مَآ

يَجْعُونَ ﴿١﴾ وَيَأْتَسَحَرُونَ ﴿٢﴾ يَسْتَعْفِرُونَ ﴿٣﴾ .

فإذا جنّ الليل، وهدأت الأصوات، ونامت العيون، ومالت أجساد الكسالى إلى الراحة، وخلدت إلى النوم، قام عباد الرحمن ورمقوا السماء بطرف عيونهم، يتأملون في آيات الله، وهم يتلون قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٤﴾ .

فتحصّل: أن عباد الرحمن يعيشون السلام والرحمة والتواضع والمودة للآخرين في النهار، فإذا جنّهم الليل ﴿يَسْتَعْفِرُونَ﴾ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا ﴿٥﴾. والمفروض أن هذا السلوك النهاري والليالي لعباد الرحمن يجعلهم يعيشون حالة الاطمئنان النفسي تجاه عذاب الله تعالى، بحيث لا يخافون عذابه؛ لأنهم يؤدّون التكليف الشرعية، ويلتزمون بالأخلاق الإسلامية وبالخلق الاجتماعي، ويعيشون حالة الانقطاع إلى الله تعالى، لكن مع ذلك تجد أن قلوبهم تمتلئ بشعور الخوف من الله تعالى. وقد أشار المولى سبحانه إلى هذه الحالة بقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦﴾؛ والغرام <sup>(٣)</sup> هو حالة العشق والعلاقة بين شخص وشيء آخر، بحيث تدفعه بشدة إلى ذلك الشيء، لكن هذه الكلمة لم تأت - هنا - بهذا المعنى، بل جاءت بمعنى آخر، وهو: ما ينوب الإنسان من المصيبة أو الشدة التي تلزمه ولا تفارقه.

(١) الذاريات: آية ١٧-١٨.

(٢) آل عمران: آية ١٩٠-١٩١.

(٣) الغرام: العذاب أو العشق أو الشرّ، وحبّ غرام؛ أي: لازم، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥]، أي: لازماً. العين: ج: ٤، ص ٤١٨.

إنَّ عباد الرحمن يعتقدون في أعماق قلوبهم أنَّ عذاب جهنم عذابٌ شديد ودائم لا يفارق الإنسان؛ لأجل هذا الاعتقاد عاشت قلوبهم الشعور بالخوف. فعلى الرغم من التزامهم بأداء التكليف، وبالحُلق الإسلامي الرفيع، فهم يعيشون حالة الخوف من عذاب الله تعالى.

وهذا الوصف هو نظير ما ورد في وصف أمير المؤمنين عليه السلام للمتقين في خطبة همام، حيث قال: «فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعّمون، وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذبون»<sup>(١)</sup>.

الجنة والنار من مخلوقات الله تعالى الغيبية التي لا نحسّ بها بأبصارنا، ولكن هؤلاء المتقين يتيقّنون في قلوبهم ليس بأصل الوجود للجنة وبأصل الوجود للنار، بل بتفاصيل الوجود للجنة والنار، فالجنة بالنسبة إليهم - بسبب اليقين القلبي الذي وصلوا إليه - كأنها شيء محسوس موجود بين أيديهم.

فالنار وإن كانت من المخلوقات الغيبية الغائبة عن الحواس، ولكن المتقين كأنهم يرونها بأبصارهم، ويعيشون جحيمها وعذابها، فتراهم يعيشون حالة الخوف الشديد من عذاب الله تعالى؛ لذلك يتوجّهون إليه بالدعاء دائماً، ويطلبون منه أن يصرف عنهم عذاب جهنم؛ لأنّ عذابها شديد ودائم.

إذاً، فمِنْشأ خوف عباد الرحمن من العذاب الإلهي أمران؛ الأوّل: الشعور بالتقصير تجاه الخالق سبحانه. والثاني: لأنّهم يعيشون حالة المعاينة لعذاب جهنم.

### الجانب الاقتصادي عند عباد الرحمن

ثم بعد ذلك تتعرّض الآيات القرآنية إلى وصف الجانب الاقتصادي في حياة

(١) نهج البلاغة: ج ٢، ص ١٦١. من خطبة له في وصف المتقين وهي التي صعد لها همام، فمات بعد سماعها.

عباد الرحمن، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾. هذه الآية - وآيات أخرى - تؤشر إلى قاعدة اجتماعية اقتصادية مهمة لا بد من مراعاتها لكي نحفظ الاستقرار والانتظام في حياة الفرد والمجتمع، وهذه القاعدة هي قاعدة: الاعتدال والوسطية وعدم الإفراط أو التفریط.

فالآية الكريمة تتحدّث عن الوسطية والاعتدال في إنفاق عباد الرحمن، فأصل الإنفاق مفروغٌ عن أهميته ودوره في تحقيق التكافل الاجتماعي واستحبابه، وربّما وجوبه في بعض الموارد؛ لأنّ الحياة الاجتماعية لا تقوم إلّا بصرف المال. والآية الكريمة تتعرّض إلى بيان الحدّ الشرعي الذي يوافق الشريعة الإسلامية من حيث حدود الصرف، تقول: ﴿لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾.

#### الاعتدال وعدم الإسراف

كيف يمكن للإنسان أن يكون على خط الاعتدال - المرغوب فيه عقلاً وشرعاً - في الإنفاق؟ في الواقع أنّ الوصول إلى حدّ الاعتدال ينبع من حالة اعتقادية؛ حاصلها: أنّ المال ليس هو غاية، بل هو وسيلة يصل الإنسان من خلالها إلى الرفاهية في الدنيا والسعادة في الآخرة.

بيان ذلك: لو تأملنا وفكرنا لعلمنا أنّ العقل والشرع يدلّان على أنّ المال هو وسيلة؛ بمعنى أنّ كلّ إنسان بحاجة إلى إشباع حاجاته المتنوّعة؛ من المسكن والملبس، والمأكل والمشرب، والمنكح، وغير ذلك من الاحتياجات الأساسية، وبعض هذا الحاجات يستطيع الإنسان أن يرفد بها المجتمع من خلال صنعها أو زرعها، ولكن هناك حاجات أخرى ضرورية له غير متوفّرة لديه، ولكن الآخر يستطيع أن يوفّرها. أو قل: كلّ منّا يوفّر نوعاً من الحاجات لأفراد مجتمعه، وهو بحاجة أن يُرفد من قبل بقيّة أفراد المجتمع بقيّة الحاجات، وحتى يستطيع الإنسان أن يهيئ الحاجات التي لا يستطيع أن يوفّرها لنفسه والتي وفّرها له المجتمع عليه أن

يبدل الأموال. فيستطيع الإنسان أن يذهب إلى السوق ويشترى كل ما يحتاجه بأمواله.

فالفلاح يستطيع أن يوفر أنواع الخضار والفاكهة والحبوب لأبناء مجتمعه، ولكنه يحتاج إلى الحاجات الأخرى؛ من هنا جاءت وسيلة المال لكي تُشبع الحاجات الأساسية المتعددة لأفراد المجتمع، ولا بدّ من صرف الأموال بكيفية تحفظ للمجتمع نظامه واستقراره.

فالآية تقرّر أنّ المال ينبغي أن يكون وسيلة لا غاية، وعباد الرحمن اتخذوا من المال وسيلة؛ فليس همّهم جمع المال والثروة والفوز بحطام الدنيا، بل هم يرون أنّ جمع المال وسيلة للوصول إلى الاحتياجات المتعددة.

بعبارة أخرى: إنّ الآية تدعو إلى أن يكون الحدّ الذي أمر به العقل والشرع هو حدّ الاعتدال، لا بدّ أن توفر وتسدّ احتياجاتك لنفسك ولأهلك ولبقية أفراد المجتمع، وهذا إنما يأتي من خلال الاعتدال؛ لأنّ الإسراف في الإنفاق يؤدي إلى هدر جزء من الطاقة في غير موضعها، والتقتير<sup>(١)</sup> يؤدي إلى تعطيل جزء من الطاقة التي خلقها الله تعالى لكي تُشبع بها حاجات الإنسان.

إذاً، من الصفات الجليلة التي يتصف بها عباد الرحمن هي صفة الاعتدال في الإنفاق، بلا إسراف أو تقتير.

### الجانب العقدي عند عباد الرحمن

من الصفات العقدية التي يتصف بها عباد الرحمن هي أعلائية توحيدهم للخالق سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾<sup>(٢)</sup>. فليس

(١) «...وَقَتَرَ عَلَىٰ عِيَالِهِ يَقْتَرُ، وَيَقْتَرُ قَتَرًا وَقْتُورًا؛ أي: ضَيَّقَ عَلَيْهِمُ فِي النِّفْقَةِ. وكذلك التَّقْتِيرُ».

الصحاح: ج ٢، ص ٧٨٥ - مادة: (قتر).

(٢) الفرقان: آية ٦٨.

المراد من التوحيد في هذه الآية الكريمة هو التوحيد في العبادة، بمعنى: أنّ عباد الرحمن لا يشركون بالله شيئاً، فلا يطلبون بعبادتهم جاهاً أو منزلةً أو مالاً أو منصباً؛ لأنّ هذه الرتبة من التوحيد محرزة لمن هو أقل مرتبة منهم.

بيان ذلك: أنّ التوحيد عامٌّ وشامل لجميع جوانب الحياة؛ فهناك توحيد في الجانب العبادي، وآخر في الجانب الاقتصادي، وثالث: في الجانب الاجتماعي، ورابع: في جانب العاطفة والشعور الذي يعيشه الإنسان في داخل قلبه، وهكذا.

الآية الكريمة تريد أن تبين أنّ عباد الرحمن هم الذين لا يطلبون بعبادتهم ودعائهم وذكرهم شيئاً من حطام الدنيا؛ لا يطلبون منزلةً، ولا جاهاً، ولا تعظيماً، ولا مالاً، ولا منصباً، وهم في نفس الوقت يوحدون الله تعالى في معاملاتهم الاقتصادية، فلا يقتربون من أيّ معاملة حرّمها الشرع في الجانب الاقتصادي. وكذلك هم يوحدون الله تعالى في الجانب الاجتماعي، فلا يسلكون سلوكاً يعبدون فيه الشيطان، أو يعبدون فيه أهواءهم وشهواتهم، بل في كل سلوكهم وتصرفهم وتعايشهم مع المجتمع يعبدون الله تعالى، بأن يلتزموا السلوك الإلهي. هم - أيضاً - في داخل قلوبهم يعيشون عاطفة المحبة لمن يوالي الله تعالى، ويعيشون عاطفة العداء والبغض لمن يبغض الله تعالى ورسوله وآل بيته عليهم السلام.

وفي جانب آخر هم يوحدون الله سبحانه في الفكر والعقيدة، فيعيشون الأفكار الإلهية، والمعتقدات الإلهية؛ فلا مجال للشبهات والضلال والأفكار الإلحادية والمنحرفة أن تعيش في عقولهم.

هذه الجوانب المتعددة من التوحيد إذا احتواها الإنسان يكون قد دخل في دائرة عباد الرحمن.

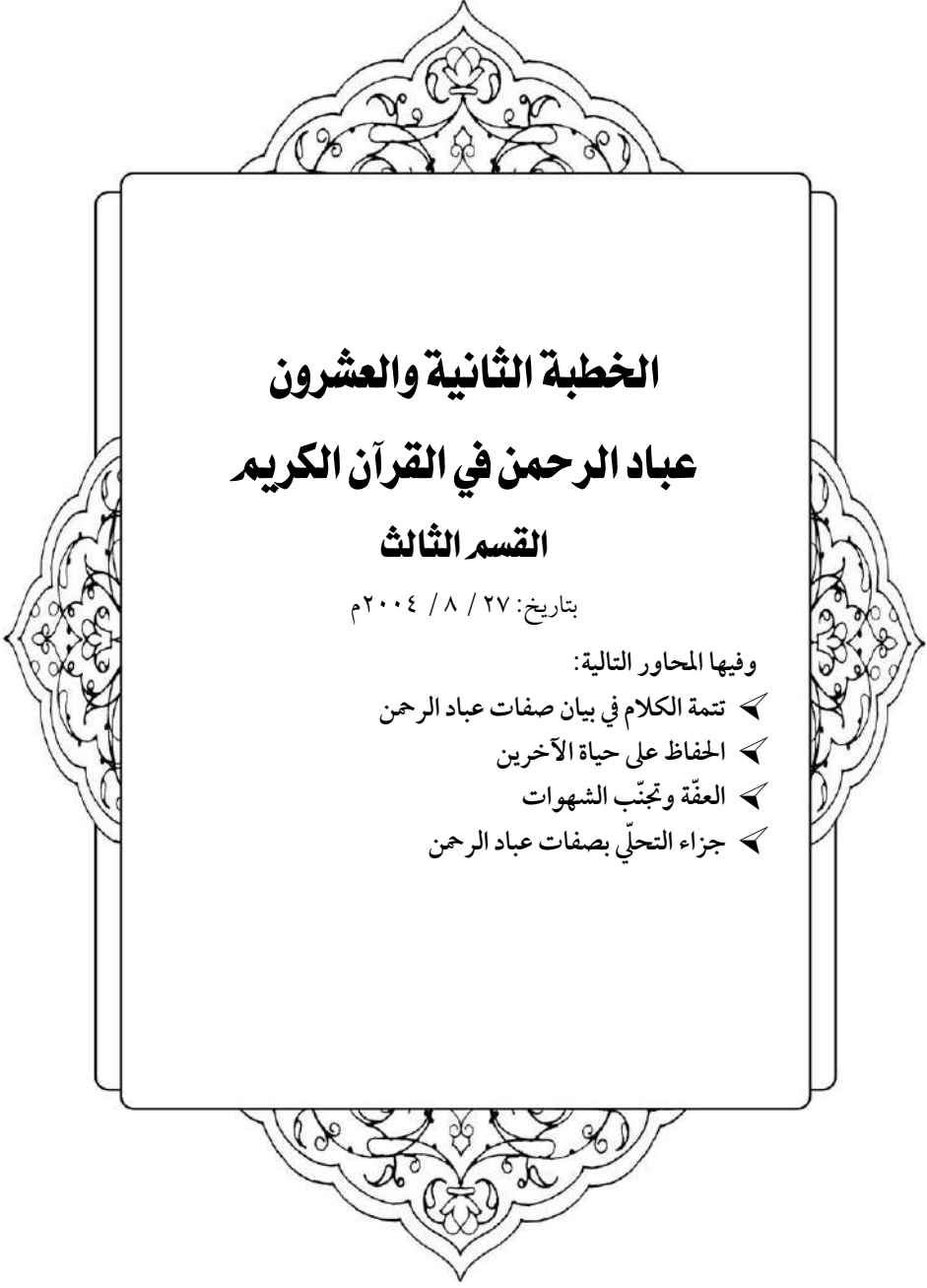
### صفة أخرى لعباد الرحمن

من الصفات الأخرى لعباد الرحمن أنهم يقدّسون ويجلّون ويعظمون حقاً مهماً من حقوق الفرد؛ ألا وهو حق العيش في هذه الحياة، قال تعالى: ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ...﴾<sup>(١)</sup>، وهذا ما سنقف عنده مفصلاً في الخطبة اللاحقة إن شاء الله تعالى.

---

(١) الفرقان: آية ٦٨.





# الخطبة الثانية والعشرون

## عباد الرحمن في القرآن الكريم

### القسم الثالث

بتاريخ: ٢٧ / ٨ / ٢٠٠٤م

وفيها المحاور التالية:

- تنمية الكلام في بيان صفات عباد الرحمن
- الحفاظ على حياة الآخرين
- العفة وتجنب الشهوات
- جزاء التحلي بصفات عباد الرحمن



## مقدمة الخطبة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

الحمد لله بما حمد به نفسه ولا إله إلا الله بما هلل به نفسه، وسبحان الله بما سبح الله به نفسه في عرشه ومن تحته، والحمد لله بما حمد الله به نفسه، والله أكبر بما كبر الله به خلقه، وسبحان الله بما سبح الله به خلقه، والحمد لله منتهى حلمه، ومبلغ رضاه، حمداً لا نفاذ له ولا انقضاء، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وأهل بيته الطاهرين. اللهم إني أسألك على أثر تهليلك وتمجيدك وتسبيحك وتكبيرك والصلاة على نبيك، أن تغفر لي ذنوبي كلها، صغيرها وكبيرها، سرها وعلايتها<sup>(١)</sup>.  
أوصيكم عباد الله تعالى ونفسي الغارقة في بحار الذنوب والآثام، بتقوى الله تعالى والاتعاظ بما حلّ بالأمم العاصية لأوامر الله تعالى، والاجتناب لما يُسخط ربّ العزة والمغفرة.

## تتمة الكلام في بيان صفات عباد الرحمن

قال الله تعالى في محكم كتابه، وفصل خطابه، وواضح بيانه: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْسُونَ الْأَرْضَ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ

---

(١) الدرود الواقية: ص ١٢٨.

لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا ﴿١﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٢﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٥﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهْكًا ﴿٦﴾<sup>(١)</sup> إلى آخر الآيات التي تناول الصفات الجميلة والخصال الحميدة والأفعال المرضية لعباد الرحمن.

تعرّضنا - في خطبتين سابقتين - إلى بيان بعض خصال عباد الرحمن وصفاتهم، ونتعرّض في هذه الخطبة إلى بيان صفات أخرى.

### الحفاظ على حياة الآخرين

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾، في هذه الآية الكريمة صفة أخرى جميلة من صفات عباد الرحمن؛ وهي: أنهم يحترمون الحياة، ويراعون حقّ الإنسان - الذي يمثل جوهر الوجود على الأرض - في العيش؛ فحقّ الحياة عندهم حقّ مقدّس لا يجوز الاعتداء عليه؛ بل يجب أن يُصان ويُحفظ. نعم، يُستثنى من هذا الاحترام والتقديس النفس المجرمة، والمحاربة، والمفسدة، التي تعبت في حياة الآخرين، وتهدّدها، وتنشر في الأرض الخراب والعدوان، فحينئذٍ تدعوهم قدسية الحياة وضرورة الحفاظ عليها إلى استئصال هكذا أنفس حتى لا تكون فتنة في الأرض.

وعباد الرحمن كما يحترمون إرادة الله في إحياء الأرض - خاصّة حياة الإنسان - فإنّهم أيضاً لا يسمحون بوجود الفساد والعبث والجريمة، وقد بيّنت الشريعة

المقدّسة الموارد التي يقتضي الحق عدم إبقاء بعض النفوس على قيد الحياة، لارتكابها ما يمثّل تعدياً على حياة الآخرين؛ كالأفساد في الأرض، والارتداد عن دين الحق، وقتل النفس بغير الحق، والزنا من إحصان.

في مقابل عباد الرحمن هناك من مرق عن دائرة عباد الرحمن؛ بتعديّه على حياة الآخرين بلا مسوّغ شرعي؛ وإنّما بدافع من العصبية، أو الطمع، أو شهوة الانتقام، بل هناك مَنْ لا يقدّر معنى قدسية الحياة واحترام حقّ الآخرين في الوجود، فيقتل لأدنى سبب.

ومن مصاديق مراعاة حقّ الحياة والوجود، هي مراعاة حق الجنين في الحياة والعيش، والخروج إلى ميدان الحياة؛ فلا يجوز قتله.

### العفة وتجنّب الشهوات

قال تعالى: ﴿وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾، هذه خصلة أخرى من خصال وصفات عباد الرحمن؛ فإنّهم حينما يخوضون معترك الحياة، ويكونون في مفترق طريقين؛ طريق الطهر والنقاء، وطريق التلوّث والفجور، فإنّهم بلا ريب يختارون طريق العفة والطهر؛ لأنّهم لا يشبعون شهواتهم إلّا من حلال، ولا يضعون شهواتهم إلّا في مكانها المعقول والآمن؛ لأنّهم أدركوا الآثار السلبية والضارّة لإشباع الشهوات بالطرق المحرّمة. فهم أدركوا أنّ الزنا سببٌ لهدم كيان الأسرة التي هي اللبنة الأولى لبناء المجتمع، وهو سبب في قطع الأنساب واختلاطها، وسببٌ للإصابة بالكثير من الأمراض الخبيثة، وأنّ الزنا سببٌ لمسخ إنسانية الإنسان وكرامته، والهبوط به إلى مستوى البهيمية التي لا همّ لها إلّا إشباع غرائزها، وأنه سببٌ لإجهاض الأجنّة، وسببٌ للأطفال اللاشرعيين، وللطفولة البائسة المشردة لهذا الإنسان الذي لا ذنب له إلّا أنّه نتاج نظرة محرّمة، ولقاء محرّم،

ووقاع محرّم. هذا الإنسان الذي سيبقى ملاحقاً بنظرات الازدراء والاحتقار، ومرفوضاً من قِبَل مجتمعه، ومنبوذاً فيه فلا يقبله في ميدان العمل، ولا يُرضى به زوجاً ولا زميلاً، فهو مرفوض اجتماعياً وعلى جميع المستويات.

إنّ عباد الرحمن في الوقت الذي يحفظون فروجهم من الوطء الحرام، يحاولون أن يسدّوا كلّ الطرق التي تمثّل مقدّمات ومحفّزات للوقوع في الشهوة المحرّمة، ابتداءً من داخل بيوتهم، وانتهاءً بما يمرون به في حياتهم اليومية، من مظاهر يمكن أن تكون منفذاً ومقدّمةً للحرام؛ ففي داخل البيت ترى الأم تتعدى عن الملابس المثيرة للشهوة للأبناء، والأخت تحرص على التحفّظ على ملابسها، فتتجنّب ما فيه تهيج للشهوة أمام أخيها ومحارمها، والأب يحرص على تجنب أفراد أسرته النظر المحرّم؛ فهو يراقب ويتابع ما يقرأه أولاده وبناته من الكتب والمجلات، وما يشاهدونه من برامج التلفزيون، وحين يخرجون إلى ميدان العمل في دائرهم، أو في الجامعة، أو في السوق، أو في المحل، حين يارس كلُّ فردٍ منهم عمله.

إذاً، فعباد الرحمن يتجنبون النظر الحرام، وفي مخالطتهم للنساء يتحرّزون عمّا فيه إيقاع في الحرام أو ما يكون مقدّمةً لذلك. أمّا سماعهم فهو سماع الكلم الطيّب؛ حيث يقصرون سمعهم على ما فيه فائدة الدين أو الدنيا، ولا يقتربون من سماع مهيج الشهوة نحو الحرام.

### جزاء التحلي بصفات عباد الرحمن

في نهاية المقطع القرآني الذي تحدّث آياته عن صفات عباد الرحمن؛ يبيّن المولى سبحانه وتعالى جزاء من يشرك به، أو يسرف في الإنفاق، أو يقتل النفس التي حرّم

الله أو يفعل الإثم والفواحش، فيقول: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾<sup>(١)</sup>.

إنَّ المشرّع الحكيم في ضمن استراتيجيته لضمان تنفيذ القانون الذي شرّعه، سنّ قانوناً للجزاء، يتضمّن إثابة المطيع والممثل للقانون الإلهي، ويبيّن فيه ألوان الجزاء الحسن لمن يستجيب لهذا القانون، ويتضمّن - أيضاً - معاقبة مَنْ يتعدّى على هذا القانون والتشريع بمخالفته له وعدم الالتزام بأوامره ونواهيه.

الآثام هو الإثم، وهو - في الأصل - كلّ ذنب، لكنّه استعمل - هنا - بمعنى وبال الخطيئة؛ وهو الجزاء بالعذاب الذي سيلقاه يوم القيامة<sup>(٢)</sup>، ولفظ (ذلك)، في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ للإشارة إلى ما تقدّم ذكره من الشرك، وقتل النفس المحترمة بغير حق، والزنا وغير ذلك.

وبعد أن بيّنت الآيات القرآنية طهارة عباد الرحمن من تلك الذنوب، وأنهم لا يدعون مع الله إلهاً آخر، ولا يقتلون النفس المحترمة بغير حق، ولا يزنون؛ عقّبت على ذلك بأنّ مَنْ يفعل هذه الذنوب، يجزى بالآثام، ويخلد في العذاب مهاناً.

### تبصرة

إنّ المتدبّر في المقطع القرآني الذي تحدّث عن صفات عباد الرحمن، يلاحظ أنّ هناك ترتباً بين الذنوب الثلاثة التي ذكرها المقطع القرآني؛ فكانت البداية بالشرك، ثمّ ثنّت الآيات بقتل النفس المحترمة، ثمّ ثلثت بالزنا؛ وذلك لغرض بيان الترتب في خطورة هذه المعاصي وشدّتها، فصحيح أنّ جميع هذه الذنوب هي خطيرة،

(١) الفرقان: آية ٦٨.

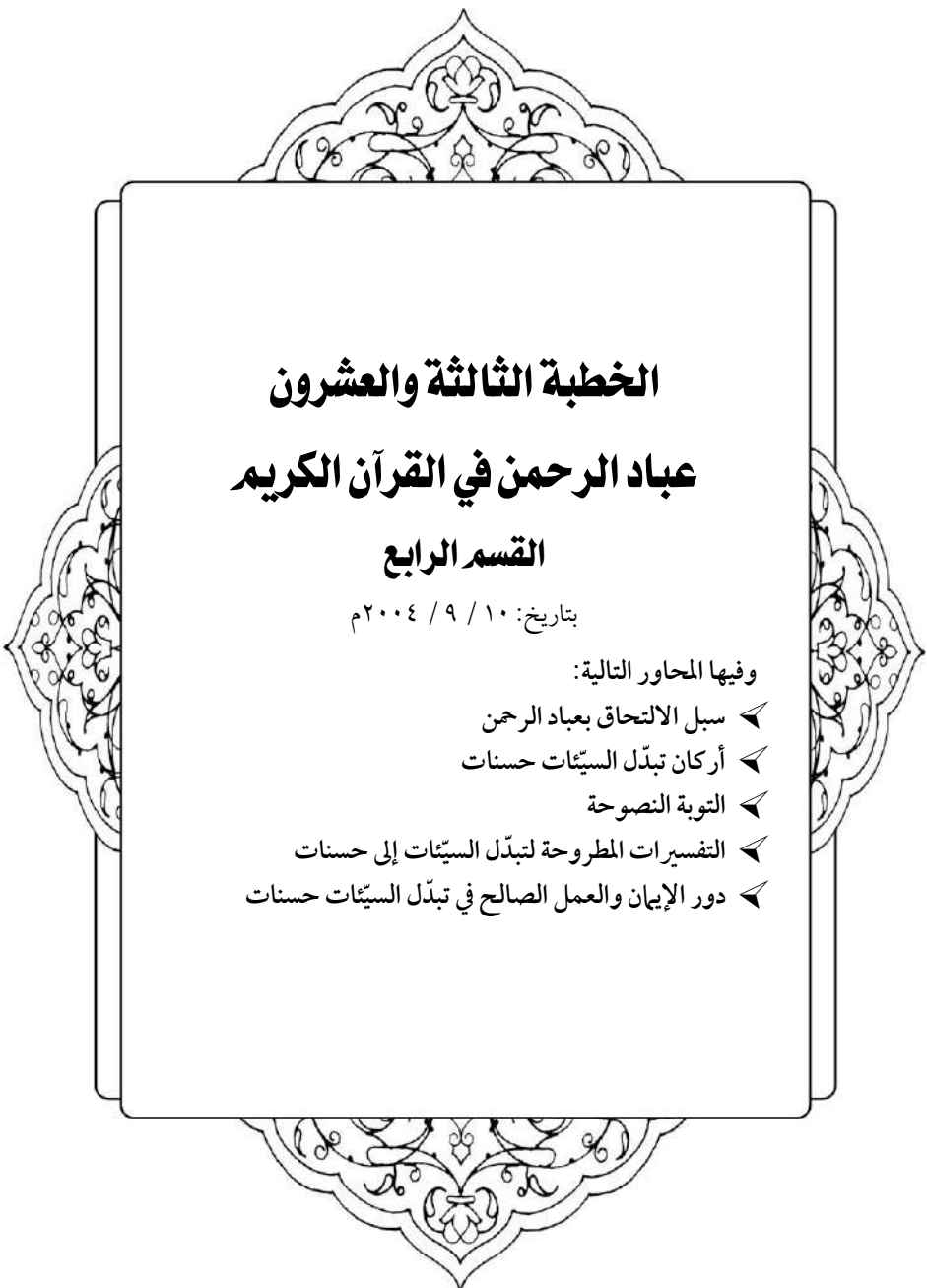
(٢) قال الزمخشري: «والآثام: جزاء الإثم، بوزن الوبال والنكال ومعناها. قال:

جزى الله ابن عروة حيث أمسى عقوقاً والعقوق له أثام

وقيل: هو الإثم. ومعناه: يلقي جزاء أثام». الكشاف: ج ٣، ص ٢٩٤.

وشديدة وكبيرة، ولكن الشرك أشدها، ثم قتل النفس المحترمة، ثم الزنا وارتكاب الفاحشة.

فعن ابن مسعود، أنه قال: سألت النبي الأكرم ﷺ: أي الذنب أعظم؟ فقال ﷺ: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك»، قال: قلت: ثم أي؟ قال ﷺ: «أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك»، قال: قلت: ثم أي؟ قال ﷺ: «أن تزاني حليلة جارك»، فأنزل الله تعالى تصديقاً: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾<sup>(١)</sup>.



# الخطبة الثالثة والعشرون

## عباد الرحمن في القرآن الكريم

### القسم الرابع

بتاريخ: ١٠ / ٩ / ٢٠٠٤م

وفيها المحاور التالية:

- سبل الالتحاق بعباد الرحمن
- أركان تبدل السيئات حسنات
- التوبة النصوحة
- التفسيرات المطروحة لتبدل السيئات إلى حسنات
- دور الإيمان والعمل الصالح في تبدل السيئات حسنات



## مقدمة الخطبة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ لك الحمد على كل خير أعطيتناه، ولك الحمد على كل شر صرفته عنا،  
ولك الحمد عدد ما خلقت وذرأت وبرأت وأنشأت، ولك الحمد عدد ما أبليت  
وأوليت وأغنيت، وأخذت وأعطيت، وأمت وأحييت، فكل ذلك لك وإليك،  
فتباركت وتعاليت، لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تبدئ والمعاد إليك،  
وتقضي ولا يقضى عليك، وتستغني ونفتقر إليك، فليكن ربنا وسعديك، ولك  
الحمد على ما ورثت وأورثت، فإنك ترث الأرض ومن عليها وإليك يرجعون<sup>(١)</sup>.  
اللَّهُمَّ صل على أبي القاسم محمد؛ نبي الرحمة، وأهل بيته الميامين الطاهرين.  
أوصيكم ونفسي الأمارة بالسوء بتقوى الله تعالى والحذر من غضبه ونقمته،  
والاجتناب عن معاصيه، وعدم الاغترار بهذه الدنيا الدنية، المهلكة طلابها،  
المحشوة بالآفات. وأوصيكم بالمسابقة إلى الخيرات، والمصارعة إلى المثوبات،  
والالتحاق بركب عباد الرحمن الذين فازوا بسعادة الدارين.

## تتمة الكلام في صفات عباد الرحمن

بيناً في الخطب السابقة الصفات الجميلة والخلال الحميدة لصنف خاص من  
عباد الله تعالى، وهم الذين وسّمهم الرحمن بسمة الإضافة إلى نفسه، قال تعالى:

---

(١) الدروع الواقية: ص ١٩٠.

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾<sup>(١)</sup> إلى آخر الآيات التي بينت تلك الصفات الجليلة. وذكرنا أنّ هؤلاء العباد قد اضطبغت معاشرتهم مع الناس في النهار بألوان التواضع والرحمة والمودة والاحترام لحقوق الآخرين، وأمّا إذا جنّ عليهم الليل، وأرخى سدوله، فتراهم بين راعع وساجد، وقائم وقاعد، وتالٍ للقرآن، ومترنّم بترنيمة الخضوع والخشوع لربّ الرحمة والمغفرة. وهم مع ذلك يوحدون الله تعالى في جميع جوانب الحياة؛ سواء في الجانب الفكري أو العقدي، أو الاقتصادي، أو السلوكي.

ومن صفاتهم أنّهم يقدّسون ويحترمون حقّ الوجود والحياة لكلّ فردٍ من أفراد المجتمع؛ فلا يقدمون على قتل أحدٍ إلّا بالحقّ. وفي جانبٍ آخر تجد أنّ هؤلاء العباد إذا ما حصل منهم الشطط والزيغ؛ عادوا إلى الساحة الإلهية تائبين منيبين مستغفرين.

### سبل الالتحاق بعباد الرحمن

لعلّ الكثير من بني الإنسان لم يرتدِ ثوب صفات عباد الرحمن؛ فربّما أشرك في جانبٍ ما، ولم يوحد الله تعالى حقّ توحيده، أو قتل نفساً بغير حقّ، أو زنى، أو قام باعتداء على عرض الآخر، فما هو السبيل لعودته إلى أحضان الهداية، وارتدائه ثوب الاستقامة، والدخول في دائرة عباد الرحمن؟

في البداية لا بدّ أن يُعلم أنّ الله سبحانه وتعالى لم يسدّ طريق العودة إليه، بل تركه مفتوحاً حتى لمن هم - بحسب القاموس الإلهي - مجرمون، متعدّون على القانون الإلهي منتهكون حرمة، فباب العودة إلى الساحة الإلهية مفتوح، ودائرة

عباد الرحمن تسع التائبين العائدين؛ رحمةً منه سبحانه ولطفاً، ومنّةً، وكرماً؛ لأنّ الله يُحب عبده وإن أبق، ولكي لا ييأس العبد مهما ارتكب من الذنوب وتمادى في اقتراف المعصية. فباب العودة مفتوح حتى لمن أشرك، أو قتل نفساً بغير حق، أو زنى وارتكب الفواحش، وهذا صريح جملة من الآيات البينات.

فالمقطع القرآني الذي تحدّث عن صفات عباد الرحمن أشار في بعض آياته إلى أنّ باب التوبة والعودة إلى ساحة الربّ الرؤوف مفتوحة وإن اقترف العبد الكبائر، فبعد أن استعرض المقطع الصفات الجليلة لعباد الرحمن، وبيّن العقوبة المهيّنة والمضاعفة والدائمة لمن يشرك بالله سبحانه، أو يقتل النفس التي حرّم الله، أو يزني، تزف بعض الآيات البشرية لأصحاب هذه الموبقات، وتخبرهم بأنّ الباب لم يُغلق، وطريق العودة لا زال سالكاً، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿١﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْكُذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيُخْلَدْ فِيهِ مُهْكًا ﴿٢﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٣﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٤﴾﴾. فقوله: ﴿إِلَّا﴾؛ استثناء من العذاب المهيّن الدائم، وهذا الاستثناء هو لمن تاب بعد شرك أو قتل أو زنا، وآمن، وعمل عملاً صالحاً، ﴿فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾<sup>(١)</sup>.

### أركان تبدل السيئات حسنات

إذا كان قبول توبة العبد الابق لطفاً من الله سبحانه، ومنّة، ورحمة، فماذا نقول عن تبدل سيئات العبد العاصي المرتكب للكبائر، إلى حسنات يثاب عليها، ويسمو

(١) الفرقان: آية ٦٨-٧١.

(٢) الفرقان: آية ٧٠.

بها رتبة في مدارج الكمال! إنها مثوبة الإله الذي ليس كمثله شيء حتى في مثوبته وعطائه. ولكن لتبدّل السيئات إلى حسنات بعد ارتكاب الموبقات أركان ينبغي توفّرها؛ منها التوبة النصوحة.

## التوبة النصوح

إنّ مجرد التوبة الظاهرية، الخالية من الروح، لا تُبدّل السيئات إلى حسنات، بل لا تدفع السيئات، وما يترتب عليها من عقوبات، بل لا بدّ من توبة واقعية نصوحة. وحقيقة التوبة متقوِّمة بأركانها؛ ومن أهمّ أركانها استشعار القلب حرارة الندم.

بيان ذلك: لو ارتكب شخصٌ مخالفة قانونية لقانون وضعي في عالم الدنيا، فحكم عليه بالسجن عشر سنوات، فلا شكّ أنّه سوف يعيش مرارة السجن، وآلام البعد عن العائلة والأقارب، الأمر الذي يدفعه إلى استشعار الندم بشكل شديد فيتألّم نفسياً، ويتحرّق ندماً على مخالفته، وهكذا لو فاتته صفقة تجارية من صفقات الدنيا الرابحة فسوف يعيش في قلبه حرقة الندم لفوات تلك الصفقة.

إنّ هذه الحالة القلبية مطلوب استشعارها وقت التوبة؛ بمعنى: أنّ الإنسان يندم بحيث يستشعر مرارة اقترافه للمعصية وألمها، ولا يكفي في تحقّق التوبة قول الإنسان بعد اقتراف المعصية: «أستغفر الله ربّي وأتوب إليه»، بل لا بدّ من استشعار تبعات تلك المعصية، واستشعار أنّ هذه المعصية اجترأ على الله تعالى، الذي خلقني، وأغدق وأنعم عليّ بالإحسان والكرم، فليس من الحقّ ولا الذوق، أن أعصيه وأجترأ عليه، أو أتعدّي على قيم المجتمع؛ لأنّ الذي يعصي ربّه ليس فقط يجترئ على الله تعالى، وإنّما يتعدّي على قيم مجتمعه أيضاً... على التائب أن يستشعر هذه الحرارة والحرقة في قلبه، ثم يقول: «أستغفر الله ربّي وأتوب إليه»؛ فيكون الاستغفار اللساني نابعاً من القلب المحترق بنار المعصية.

## التفسيرات المطروحة لتبدل السيئات إلى حسنات

إنَّ نتيجة التوبة الحقيقية المتمثلة بتبدل السيئات إلى حسنات لا تحصل بمجرد الاستغفار اللساني، بل ولا تحصل باستشعار القلب الندم، وإنَّها لا بدَّ من تحولات حقيقية تحصل في أعماق التائب، وطريقة تفكيره، وممارساته وسلوكياته. بيان ذلك: ذكر المفسرون ثلاثة تفاسير لحقيقة تبدل السيئات حسنات:

**التفسير الأول:** إنَّ الإنسان التائب توبة حقيقية والذي يستشعر الندم الحقيقي لارتكابه الموبقات تحصل في قلبه ونفسه تحولات عميقة، وهنا يرى الله جلَّ في علاه صدق التوبة من عبده الذي أجرم بحقه وبحق مجتمعه، فيوفقه لأعمال حسنة معاكسة للأعمال السيئة التي قام بها. ويمكن أن نذكر لذلك عدة أمثلة.

**المثال الأول:** لو قتل شخص إنساناً بغير حق، ثم تاب توبة حقيقية، وندم على ما فعل، ووجد الله أثر التوبة في قلبه، فإنَّه سبحانه سوف يوفقه - مثلاً - لجهاد الكفار والمشركين؛ وربَّما يوفقه لنيل الشهادة، وحينئذٍ تبدل سيئاته إلى حسنات.

**المثال الثاني:** لو زنى شخص، ثم تاب توبة نصوحاً، بحيث إنَّ قلبه يتحرَّق ألماً وندماً على ما فعل، ووجد الله في قلبه التوبة الصادقة الحقيقية، فإنَّه سوف يوفقه للعفة مثلاً؛ فلا ينظر إلى محرَّم، ولا يستمع إلى محرَّم، وربَّما وفَّقه للجمع بين رجل وامرأة في نكاح حلال. وحينئذٍ يبدل الله سيئة الزنا إلى حسنة العفة والجمع بين الاثنين في نكاح حلال، أو غير ذلك من الأعمال الخيرة التي يستوجب فعلها الحسنات.

**المثال الثالث:** لو قتل شخص آخر بغير حقَّ وسلبه حقَّ الحياة، ثم ندم على ما فعل، وعلم الله منه صدق توبته، فرَّبَّما يوفقه لإنقاذ إنسان مظلوم من عقوبة الإعدام من حاكم ظالم، أو يوفقه لإنجاء شخص أوشك على الهلاك، وحينئذٍ تبدل السيئات حسنات.

بعبارة أخرى: حينما يتوب الإنسان ويؤمن بالله، تتحقق تحولات عميقة في جميع وجوده، وبسبب هذا التحوّل والانقلاب الداخلي تبدّل سيئات أعماله في المستقبل حسنات، فإذا كان قاتلاً للنفس المحترمة في الماضي، فإنّه يتبنّى مكانها في المستقبل الدفاع عن المظلومين ومواجهة الظالمين. وإذا كان زانياً، فإنّه يكون بعدها عفيفاً وطاهراً، وهذا التوفيق الإلهي يناله العبد في ظل الإيمان والتوبة.

فتحصّل: أنّ تبدّل السيئات إلى الحسنات وفقاً لهذا التفسير يكون في عالم الدنيا، ولكن ثمراته تظهر في الآخرة.

التفسير الثاني: يرى بعض المفسّرين أنّ تبدّل الحسنات إلى سيئات لا يكون في عالم الدنيا، وإنّما هو في عالم الآخرة، بمعنى: أنّ الله تبارك وتعالى بلطفه وكرمه وفضله وإنعامه يمحو سيئات أعمال العبد بعد التوبة، ويضع مكانها حسنات.

وبيان آخر: إنّ مقتضى الرحمة الإلهية واللفظ والكرم والإنعام الإلهي، عندما يقف العبد بين يدي الله سبحانه وتعالى في يوم القيامة ويؤتى بكتابه، أوّل ما تعرض عليه صغائر الذنوب، وتجنّباً عنه الكبائر، وهو مقرر غير منكر، وفي نفس الوقت الذي يعيش فيه مشاعر الخوف من الصغائر، تجده يعيش الخوف الأشد والأكبر من الكبائر التي لم تكشف له بعد، فإذا كان العبد من التوايين، أراد الله به خيراً، وقال: أعطوه مكان كلّ سيئة حسنة. فعن أبي ذرّ أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيقال: اعرضوا صغار ذنوبه. وتجنّباً كبارها، فيقال: عملت يوم

(١) علّق سباحة الشيخ الكربلائي (دامت بركاته) على الرواية، قائلاً: إنّنا أقرأ هذه الرواية لأجل التشويق والترغيب وحثّ كلّ إنسان ارتكب معصية على التوبة، وهذا الأمر لا يخصّ مَنْ أشرك بالله، أو قتل النفس المحترمة بغير حقّ أو زنا فقط، بل كلّ إنسان ارتكب معصية؛ من كذب، أو غيبة، أو سرقة، أو اختلاس أموال، وغير ذلك من المعاصي والموبقات، فإنّ الوعد الإلهي قائم على تبديل سيئاته إلى حسنات.

كذا وكذا، وهو يقرّ ليس بمنكر، وهو مشفق من الكبائر أن تجيء، فإذا أراد الله خيراً، قال: أعطوه مكان كل سيئة حسنة. فيقول: يا رب، لي ذنوب ما رأيتها ها هنا؟ قال: ورأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه، ثم تلا: ﴿فَأُولَٰئِكَ يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾<sup>(١)</sup>.

إنّ في الرواية بشرى مستوحاة من الآية الكريمة، حاصلها: أنّ كبائر العاصي، تكفّر بتوبته، بل تبدّل إلى حسنات، فيا أيّها الإخوة وأيتها الأخوات، إنّ باب الرحمة مفتوح طالما أنت في الحياة الدنيا، فلا تغفل عن دخوله ولا تغلقه بإصرارك على الذنب.

التفسير الثالث: هو أنّ المقصود من السيئات ليس نفس الأعمال التي يقوم بها الإنسان، بل آثارها السيئة التي تنطبع بها روح ونفس الإنسان، فحينما يتوب ويؤمن تحت تلك الآثار السيئة من روحه ونفسه، وتبدّل بآثار الخير، وهذا هو معنى تبديل السيئات حسنات.

بيان ذلك: إنّ للطاعات والمعاصي آثاراً، فتوحيد الخالق سبحانه والإيمان به جعل من الإنسان أن يعتقد بأنّ الخير خير، وأنّ الشرّ شرّ، وأنّ الفضيلة فضيلة، وأنّ الرذيلة رذيلة، ومضافاً إلى هذا الاعتقاد هناك حب ورغبة واندفاع نحو عمل الخير، أمّا الإنسان الملحد الذي لا يعتقد بوجود الخالق سبحانه فإنّه يعتقد أنّ الخير هو شرّ، وأنّ الشرّ هو خير، وفي مشاعره حبّ لفعل الشرّ، وبغض لفعل الخير!

إنّ الإنسان المؤمن إذا ارتكب معصية، فإنّ لهذه المعصية أثراً، وهو ظلمة في القلب، ولكن هذه الظلمة التي تحصل في القلب، ليست هي من سنخ الظلمة التي تحصل عند إطفاء المصباح، وإنّما هي ظلمة معنوية، ويُعبّر عنها في الآيات

(١) عوالي اللئالي: ج ١، ص ١١٢٤، ح ٥٦.

والروايات بالرَّين<sup>(١)</sup> تارةً، والطبع على القلب تارة أخرى<sup>(٢)</sup>.

إنَّ من جملة معاني هذه الآثار السيئة للمعاصي أنَّك أيها المؤمن حينما تعتقد أنَّ الخير خير، والشرُّ شرٌّ، سيتحوَّل اعتقادك إلى اعتقاد آخر، وهو أنَّ الخير يصير شرًّا، وتعيش في مشاعرك أجواء الحب للشر والبغض للخير.

ومثاله: اعتقاد النساء المتبرِّجات السافرات بأنَّ السفرور يمثل قيمةً حضاريةً تقدِّمية، أمَّا الحجاب فإنَّه تخلُّف ورجعية في القيم ويعيق عمل المرأة، بل ربَّما تكره وتبغض - المرأة المتبرِّجة - الحجاب وتحب السفرور! إنَّ منشأ هذه الرؤية هو ظلمة القلب الناشئة من المعصية.

فالمعصية تكون سبباً لتبدل الاعتقاد والمفاهيم؛ لذا نلاحظ أنَّ في بعض الشعوب قد تبدَّل مفهوم الخير وصار شرًّا؛ فعلى مستوى السوق - مثلاً - نشاهد

---

(١) رين: الرِّين: الطبع على القلب. ران يرين على قلبه، أي: طبع، وقوله: ﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾. قال الحسن: الذنب على الذنب حتى يسودَّ القلب. وهذا من الغلبة عليه. ورين بفلان، أي: وقع فيما لا يستطيع الخروج منه. وران النعاس والخمر في الرأس: رسخ فيه ريناً وريوناً. كتاب العين: ج ٨، ص ٢٧٧.

من الروايات التي فسَّرت الرين: عن زرارة، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «ما من عبدٍ إلَّا وفي قلبه نكتة بيضاء، فإذا أذنب ذنباً خرج في النكتة نكتة سوداء، فإن تاب ذهب ذلك السواد، وإن تَمادى في الذُّنوب زاد ذلك السواد حتَّى يغطِّي البياض فإذا تغطَّى البياض لم يرجع صاحبه إلى خير أبداً، وهو قول الله: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾» [المطففين: ١٤]. أصول الكافي: ج ٢، ص ٢٧٣، باب الذنوب، ح ٢٠.

قال المازندراني في شرح هذا الحديث: «... ثم أشار إلى أنَّ ذلك هو الرين المذكور في الآية الكريمة بقوله: وهو قول الله: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾؛ أي: غلب على قلوبهم ما كانوا يكسبون حتى قبلت الطبع والختم على وجه لا يدخل فيها شيء من الحق، والمراد بما كانوا يكسبون: الأعمال الظاهرة القبيحة والأخلاق الباطنة الخبيثة؛ فإنَّ ذلك سبب لرين القلب وصداه وموجب لظلمته وعماه». شرح أصول الكافي: ج ٩، ص ٢٥١-٢٥٢.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَتْهُمْ وَأَبْصَرَتْهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَافِقُونَ﴾ [النحل: ١٠٨].

أحياناً أنّ مَنْ يعمل في السوق يرى في المعاملات المحرّمة شطارة! وهذا هو معنى انقلاب مفهوم الشرّ إلى خير عند الإنسان العاصي.

وإذا عدنا إلى الآية الكريمة، فإنّ مَنْ يرتكب تلك المعاصي؛ فإنّها سوف تترك أثراً على القلب وهي الظلمة، فإذا تاب العبد تحوّلت الظلمة إلى نور؛ فالزاني - مثلاً - يحبّ النكاح المحرّم ويسعى إليه ويرغب فيه، فإذا تاب التوبة الصادقة الحقيقية صار يشمئز من الزنا كاشمئزازه من النجاسة، وصار يبغض طريق الفاحشة ويبحث عن النكاح المحلّل؛ وهذا الأثر هو من النور الذي تتركه التوبة الصادقة الحقيقية.

إذاً، فبسبب التوبة ينبثق في القلب نور، ومن آثار هذا النور هو التوفيق الإلهي للعبد التائب لأعمالٍ تعاكس وتختلف تماماً عن أعمال الشرّ التي كان يقترفها.

مثاله: قد تجد إنساناً يستأنس ويطرب ويفرح، وقلبه يمتلئ لذّة حينما يستمع إلى الغناء، بينما يشمئز من سماع آيات القرآن ومن سماع مجالس الذكر. وقد تجد إنساناً آخر على عكس الأوّل؛ يستأنس بالدعاء، وبسماع آيات القرآن الكريم، ويشمئز من سماع الغناء أو اللهو المحرّم.

فحينما يتوب - الذي كانت نفسه تستأنس بسماع المحرّمات توبة صادقة - فإنّ هذه التوبة الصادقة تترك نوراً في قلبه، تجعل نفسه لا تستأنس إلاّ بذكر الله تعالى، وبسماع آيات القرآن الكريم، وسماع كلّ ما فيه رضا الله تعالى؛ وهذا توفيق لأعمال مضادّة لتلك الأعمال.

فالقاتل بغير حقّ إذا تاب التوبة الصادقة - وفق هذا التفسير - فإنّ هذه التوبة الصادقة تترك في قلبه أثراً وهو النور، وهذا النور يجعله بدل أن يسعى إلى قتل النفس المحترمة بغير حقّ، يسعى لإنقاذ النفس المحترمة من يد ظالم، أو يسعى لإنقاذها من الغرق، أو من الاحتراق بالنار وهكذا.

## دور الإيمان والعمل الصالح في تبدل السيئات حسنات

الآية التالية تشرح كيفية التوبة الصحيحة، فيقول تعالى: ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾<sup>(١)</sup>. يعني: أن التوبة وترك الذنب ينبغي أن لا تكون بسبب قبح الذنب، بل ينبغي - إضافة إلى ذلك - أن يكون الدافع إليها خلوص النية، والعودة إلى الله تبارك وتعالى؛ لهذا فإن ترك شرب الخمر أو الكذب بسبب إضرارهما مثلاً، وإن كان حسناً، لكن القيمة الأساس لهذا الفعل لا تتحقق إلا إذا استمدت من الدافع الرباني.

توضيح ذلك: قد يشرب البعض الخمر، فيصاب ببعض الأمراض الصحية، فيتركها لهذا الداعي، أي: بسبب إصابته بالمرض، فهذا الشيء وإن كان حسناً، ولكن التوبة الحقة هي ما كان دافعها ومحفزها هو الدافع الرباني وليس الدافع الدنيوي، وإن كان الدافع الدنيوي في ذاته حسن؛ لذا قال تعالى: ﴿يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾، فالآية تخاطب العاصي: متى ما رجعت إلى عقلك، وقلعت عن المعصية، وعدت إلى الساحة الرحمانية، وكان دافعك من التوبة هو العودة إلى الله، لا ما تعرضت له من مرضٍ، أو عارٍ أو فضيحة، فحينها يتوب الله عليك.

# الخطبة الرابعة والعشرون

## عباد الرحمن في القرآن الكريم

### القسم الخامس

بتاريخ: ١٧ / ٩ / ٢٠٠٤ م

وفيها المحاور التالية:

- تتممة الكلام في صفات عباد الرحمن
- الابتعاد عن قول الزور
- فلسفة النهي عن حضور مجالس الباطل
- امتلاك الهدف الإيجابي في الحياة
- امتلاك العين الباصرة والأذن السامعة
- أمني عباد الرحمن
- أمني عباد الرحمن للقدوة والقيادة
- جزاء عباد الرحمن



## مقدمة الخطبة

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الكريم الوهاب، الغفور التواب، مفتح الأبواب، سريع الحساب، ليس له شريك ولا فوقه مليك.

سبحانك الله ربنا ولك الحمد، أنت الله الغني الدائم الملك، أشهد أنك إله لا تخترم الأيام ملكك، ولا تغير الأنام عزك، لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ولا رب سواك، ولا خالق غيرك، أنت خالق كل شيء، وكل شيء خلقك، وأنت رب كل شيء، وكل شيء عبدك، وأنت إله كل شيء، وكل شيء يعبدك ويسبح بحمدك ويسجد لك، فسبحانك تباركت أسماؤك الحسنی كلها<sup>(١)</sup>.

اللهم صل على البشير النذير، السراج المنير، الطهر الطاهر، والعلم الزاهر، المنصور المؤيد، أبي القاسم محمد، وعلى آل بيته النجباء المطهرين من الدنس والرجس، وسلّم وبارك عليهم بأفضل سلامك وأطيب بركاتك.

## صفات أخرى لعباد الرحمن

تقدّم في الخطب السابقة عرض لأهم الصفات الجليلة، والخصال الحميدة لعباد الرحمن الذين ستلقاهم الملائكة بالتحية والسلام يوم القيامة، ويُسكنهم رب العزة في الدرجات العلى من الجنة.

---

(١) مصباح التهجد: ص ٤٦٩.

وبقيت هناك بعض صفاتهم التي أشارت لها الآيات الكريمة نعرض لها في هذه الخطبة.

قال تعالى - وهو في معرض الحديث عن صفات عباد الرحمن -: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾<sup>(١)</sup>، ففي هذه الآية صفتان كريمتان من صفات عباد الرحمن، نعرض لهما على التوالي:

### الابتعاد عن قول الزور

من صفات عباد الرحمن أنهم لا يشهدون الزور، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾<sup>(٢)</sup>

وللمفسرين في تفسير هذا المقطع رأيان:

الرأي الأول: الزور: هو الشهادة بالباطل؛ لأنّ الزور لغةً بمعنى التمايل والانحراف، وحيث إنّ الكذب والباطل والظلم من الانحرافات، فإنّ (الزور) يطلق عليها.

وعلى هذا التفسير نقول: إنّ للمؤمن على المؤمن حقّ الحفاظ على كرامته وشخصيته الاجتماعية في غيبته وحضوره، وعباد الرحمن يحافظون على هذا الحقّ؛ فلا ينسبون إلى المؤمن باطلاً، ولا قولاً أو عملاً لم يصدر منه؛ إذ ليس من الصحيح ولا من الإيمان أن يُنسب إلى الإنسان قول أو عمل أو سلوك أو تصرف لم يقله أو لم يصدر منه.

الرأي الثاني: إنّ المقصود من (الشهود) هو: الحضور يعني: أنّ عباد الرحمن لا يتواجدون في مجالس الباطل ولا يحضرونها، وفي بعض الروايات التي وردت عن

(١) الفرقان: آية ٧٢.

(٢) الفرقان: آية ٧٢.

طرق أئمة أهل البيت عليهم السلام، فسّرت بـ (الغناء) أي: تلك المجالس التي يتم فيها إنشاد اللهو مصحوباً بأنغام الآلات الموسيقية أو بدونها، ويمكن القول: إنّ مراد هذا النوع من الروايات ليس هو تحديد مفهوم (الزور) الواسع بـ (الغناء)، فالغناء واحد من مصاديقه البارزة؛ والزور يشمل سائر مجالس اللهو واللعب وشرب الخمر والكذب والغيبة وأمثال ذلك. ولا يستبعد أيضاً أن يجتمع كلا التفسيرين في معنى الآية؛ وعلى هذا فعباد الرحمن لا يؤدّون الشهادة الكاذبة، ولا يشهدون مجالس اللهو والباطل والخطيئة؛ ذلك لأنّ الحضور في هذه المجالس - فضلاً عن ارتكاب الذنب - مقدّمة لتلوّث القلب والروح<sup>(١)</sup>.

بعبارة أخرى: الزور هو التمايل والانحراف، والشهادة هي الحضور، فيكون المعنى أنّ عباد الرحمن لا يحضرون مجالس الباطل، ولا يتواجدون فيها؛ باعتبار أنّ الإنسان تارة يحضر في مجالس الباطل ولا يخوض فيها، وأخرى يحضرها ويخوض في الباطل، وثالثة لا يخوض في الباطل ولا يحضر مجالسه، وعباد الرحمن من الصنف الثالث.

ولمجالس الباطل مصاديق عديدة، منها المحاضرات والندوات التي تُلقى فيها الأفكار الإلحادية والضلالة والمفسدة؛ ومنها مجلس الغناء، ومجلس الغيبة، ومجلس الكذب، ومجلس السب والشتم، والافتراء، والتضليل، وغير ذلك الكثير. إنّ كلّ هذه العناوين هي مصاديق لمجالس الباطل، وكلّ إنسانٍ مؤمنٍ يتجنّب الحضور فيها يكون من عباد الرحمن.

### فلسفة النهي عن حضور مجالس الباطل

إنّ حضور مجالس الباطل والتواجد فيها يكشف عن رضا الحاضر بالباطل،

(١) أنظر: مجمع البيان: ج ٧، ص ٢٨٣. وأيضاً: الأمثل: ج ١١، ص ٣١٨.

فحينما يحضر الإنسان في ندوة أو محاضرة تُلقى فيها الأفكار الباطلة، ولا يترك المكان، ويسكت فإنّ ذلك يدلّ على رضاه بما قيل، وهكذا حينما يحضر في مجلس غيبة أو نائمة أو كذب أو افتراء، فإنّ حضوره وسكوته علامة الرضا بالباطل؛ وما استمر أهل الباطل في باطلهم إلّا لأنّهم لمسوا سكوت الناس عن الباطل، من هنا ورد النهي في عدد من الآيات والروايات والأحاديث عن حضور مجالس الباطل والتواجد فيها، حتى أنّ بعض الروايات الشريفة شبّهت شاهد الزور بعابد الوثن! مع أنّ الفرق بين الاثنين - من حيث الظاهر - بعيد وكبير<sup>(١)</sup>.

وسرّ التشبيه هو أنّ مَنْ يعبد الوثن يموّه الباطل ويوهم الناس بأنّ الوثن حقّ، وشاهد الزور هو الآخر يُلبس الباطل بثوب يتراءى للناس أنه حقّ<sup>(٢)</sup>، فيعتقدون بصحّته وحقّانيته؛ لذا وردّ في الخبر المتقدّم وأخبار أخرى تشبيه شاهد الزور بعابد الوثن.

### امتلاك الهدف الإيجابي في الحياة

قال تعالى - وهو في معرض ذكر صفات عباد الرحمن -: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾؛ ولمعرفة حقيقة هذه الصفة لا بدّ أن نحدد معنى كلمة (اللغو) التي ورد ذكرها في الآية.

(١) عن رسول الله ﷺ، أنّه ارتقى المنبر وقال: «إنّ شهادة الزور تعادل الشرك بالله تعالى، ثم تلى قوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾» [الحج: ٣٠]. مستدرك الوسائل: ج ١٧، ص ٤١٦، باب تحريم شهادة الزور، ح ٢١٧١١ / ٨.

(٢) عن أبي جعفر عليه السلام، أنّه قال: «ليؤدّ الشاهد ما يشهد عليه، وليتّق الله ربّه، فمن الزور أن يشهد الرجل بما لا يعلم، أو ينكر ما يعلم، وقد قال الله: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ حُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ»، فعُدل تبارك اسمه شهادة الزور بالشرك» [الحج: ٣٠-٣١]. دعائم الإسلام: ج ٢، ص ٥٠٨، كتاب الشهادات، ح ١٨١٦.

اللغو: هو كلّ ما لا يعتد به من قول أو فعل<sup>(١)</sup>؛ لعدم اشتماله على غرض عقلائي، فكلّ قول أو فعل يصدر من شخص ولا تترتب عليه فائدة أو هدف بنظر العقلاء يكون داخلاً في دائرة اللغو؛ وهذا يعني: أنّ دائرة اللغو دائرة واسعة، ومصاديقها كثيرة؛ فهو يشمل الأفكار الكافرة والإلحادية والضالة، ويشمل مجالس الطرب واللهو، ومجالس السبّ والشتيم، والمجالس التي تعقد فيها الغيبة والنميمة والسخرية والاستهزاء بالآخرين، وغير ذلك الكثير.

إذا عرفت معنى اللغو، ودائرته الوسيعة؛ نقول: إنّ من أهمّ صفات عباد الرحمن أنّهم: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾؛ فهم لا يحضرون مجالس الباطل، ولا يتلوّثون باللغو.

ومع الالتفات إلى أن (اللغو) يشمل كل عمل لا ينطوي على هدف عقلائي، فإنّ ذلك يدل على أنّ (عباد الرحمن) يتحرّون دائماً الهدف المعقول والمفيد والبناء، وينفرون من اللاهذية والأعمال الباطلة، فإذا اعترضهم هذا النوع من الأعمال في مسير حياتهم، مرّوا بمحاذاتها مرور اللامبالي، ولا مبالاتهم نفسها دليل على عدم رضاهم الداخلي عن هذه الأعمال؛ فهم عظماء بحيث لا تؤثر عليهم الأجواء الفاسدة ولا تغيرهم.

وقد يقول قائل: ينبغي أن يكون لعباد الرحمن موقف من مجالس اللغو إذا مرّوا بها؛ فينبهون عن المنكر وعن مظاهر الحرام التي تتواجد في مجالس اللغو، ويواجهون

(١) «اللغو في اللغة ما لا يعتد به، ولغو اليمين هو: الحلف على وجه اللغو؛ مثل قول القائل: لا والله، وبلى والله على سبق اللسان. قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢] اللغو: الباطل، واللغو: الفحش من الكلام، واللغو: الكذب واللهو والغناء، واللغو أيضاً: المسقط للمعنى، تقول: لغيت الشيء أي طرحته وأسقطته. قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣]؛ يعني عن كل لعب ومعصية، ومثله قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ [القصص: ٥٥]. مجمع البحرين: ج ١، ص ٣٧٥ - مادة (لغا).

الفساد والضلال والانحراف، فلماذا كانت الإيجابية في إعراضهم وعدم اعتنائهم وعدم مبالاتهم بما يرون من منكر في مجالس اللغو، مع أنّ المؤمن الإيجابي هو مَنْ يبالي بالمنكر رادعاً عنه؟

لا شكّ أنّ عدم اعتنائهم بهذه الأمور من جهة أنّهم لا طريق لهم إلى مواجهة الفساد والنهي عن المنكر، وإلاّ فلا شكّ أنّهم سوف يقفون ويؤدّون تكاليفهم حتى المرحلة الأخيرة.

بعبارةٍ أخرى: إنّ القرآن الكريم يعتبر أنّ من صفات عباد الرحمن عدم الاعتناء باللغو في الظروف والأحوال التي لا يستطيعون فيها مواجهة الفساد والنهي عن المنكر، فإذا كانوا عاجزين عن القيام بالواجب؛ فتكليفهم - حينئذٍ - أنّهم إذا مروا بهذه المجالس يمرّون عليها مرور الكرام بالإعراض واللامبالاة وعدم الاكتراث.

### امتلاك العين الباصرة والأذن السامعة

من صفات عباد الرحمن امتلاك العين الباصرة والأذن السامعة حين مواجهتهم لآيات الخالق سبحانه، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾<sup>(١)</sup>.

إنّ الآية غير ناظرة إلى الكفار؛ لأنّ هذه الطائفة لا اعتناء لهم بآيات الله من الأساس، وإنّما هي ناظرة إلى طائفة المنافقين ومسلمي الظاهر، فهؤلاء إذا مروا بآية من آيات الله لم يقعوا عليها إلّا وقوع الصمّ<sup>(٢)</sup> العمي<sup>(٣)</sup>.

(١) الفرقان: آية ٧٣.

(٢) «الصم»: مصدر صممت القارورة، أصمّها صمّاً، إذا سدّدت رأسها بالغطاء. ويقال: قد صمّه بالعصا يصمّه صمّاً، إذا ضربه بها، وقد صمّه بحجر. والصمم في الأذن». ترتيب إصلاح المنطق: ص ٢٢٧ - (الصم).

توضيح ذلك: حينما يقرأ المؤمن آية من آيات الله تعالى فيها بيان لعجائب القدرة الإلهية، أو آية فيها حكمة أو موعظة حسنة، فإنه لا يقع عليها صمًا وعميانًا؛ بمعنى: على المؤمن إذا أرد أن يدخل في دائرة عباد الرحمن، أن يقف عندها، ويتأمل ويفكر ويتدبر فيها، وإذا دخل في مجلس وعظ ونصح وإرشاد، أو حضر محاضرة أو ندوة أو فعالية فكرية، فيتلقى تلك العلوم - التي تلقى في مجلس الوعظ - تلقى التبصر والتدبر والتفكر والتأمل، حتى يكون تلقى لتعاليم دينه عن وعي وبصيرة، لا التلقي الظاهر السطحي الساذج، فإذا كان التلقي عن وعي وبصيرة فحينئذ تثبت وترسخ تعاليم الدين في أعماق النفس.

وفائدة هذا الثبات والرسوخ هو أن الإنسان يتعرض طوال حياته إلى الشكوك والشبهات التي تثار من قبل المشككين، فإذا كان تلقى لدينه وللتشريعات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والتربوية عن وعي وبصيرة وتأمل وتدبر، فحينئذ سيصمد ويثبت ويقاوم كل الشبهات والشكوك التي تثار من حوله.

إن الإنسان المؤمن إذا أراد أن يدخل في دائرة عباد الرحمن عليه أن يتلقى الآيات تلقى الواعي البصير.

وبما ذكرنا يظهر وجه الربط بين هذه الآية والآية السابقة؛ أي: بين قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾، وكأن الآيتين تقرران أن المؤمن الحقيقي يستثمر فرصة عمره، ويستثمر الطاقات العقلية التي آتاه الله تعالى إيّاها من خلال التأمل والتدبر

(١) «العمى: زهاب البصر، وقد عمي فهو أعمى وقوم عُمي، وأعماه الله. وتعمى الرجل: أرى من نفسه ذلك. وعمي عليه الأمر، إذا التبس، ومنه قوله تعالى: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ﴾ [القصص: ٦٦]. ورجل عمي القلب، أي: جاهل، وامرأة عمية عن الصواب، وعمية القلب على فَعْلَةٍ، وقوم عمون. وفيهم عميتهم، أي: جهلهم». الصحاح: ج ٦، ص ٢٤٣٩ - (عمى).

في آيات الله؛ من أفلاك وطبيعة وعجائب صنع الحيوان والإنسان، وفي تشريعاته العبادية؛ من الصلاة والصوم وغيرهما، فهو يشغل وقته بهذا التأمل والتدبر، وليس له فراغ حتى يقع في اللغو؛ وهذا ربط وجمع لطيف بين الآيتين.

بعبارة أخرى: إنَّ الإنسان المؤمن الذي دخل دائرة عباد الرحمن، لا يضيع شيء من وقته وعمره، وطاقاته العقلية والفكرية، ولا يصرفها إلا في التأمل والتدبر في آيات الله تعالى، فلا يبقى له فراغ من الوقت حتى يشتغل باللغو، وحينئذ يصير متكرماً معرضاً عن أي مصداق من مصاديق اللغو؛ لأنَّ المؤمن يدرك أنَّ هناك هدفاً عقلائياً من وجوده في هذه الحياة، وأنَّ هناك أهدافاً بناءً ومفيدة من وراء هذه الطاقات التي أودعها الله تعالى فيه، فلا بدَّ أن يستثمر هذه الطاقات في الأهداف التي يسعى إليها العقلاء، وأمَّا اللغو - الذي هو كلَّ عمل أو قول ليس فيه هدف عقلائي - فالمؤمن بعيد عنه؛ ليقينه بأنَّ العمر فرصة ثمينة إذا فاتت لا تعود.

إذاً، من خلال التأمل في هاتين الآيتين، نلاحظ أنَّ عباد الرحمن شغلوا تمام وقتهم وطاقاتهم العقلية وغيرها في هذا التدبر والتأمل بآيات الله الكثيرة والكبيرة؛ حتى يكون تلقِّيهم للدين، بل لكلِّ ما يُطرح من أفكار ورؤى وبرامج فكرية، تلقي التأمل والتدبر، أمَّا التلقِّي الظاهري والساذج والسطحي لهذه الأمور، فإنَّه سوف يُوقع الإنسان في الشبهات والشكوك، وعباد الرحمن لا يخرون على آيات الله صمّاً وعمياناً.

ورد في دعاء الإمام السجاد عليه السلام في الصحيفة السجّادية: «اللّهم اجعل ما يلقي الشيطان في روعي من التمني والتظني والحسد ذكراً لعظمتك، وتفكيراً في قدرتك»؛ أي: أبدل هذا التمني والتظني الذي يلقيه الشيطان في روعي بالتفكير في آياتك والتفكير في خلقك والتفكير في عظمتك: «وتديراً على عدوك، وما أجرى على لساني من لفظة فحش أو هجر أو شتم عرض أو شهادة باطل أو اغتيال مؤمن غائب أو

سبَّ حاضر، وما أشبه ذلك، نطقاً بالحمد لك، وإغراقاً في الثناء عليك، وذهاباً في تمجيدك، وشكراً لنعمتك واعترافاً بإحسانك، وإحصاءً لمننك»<sup>(١)</sup>.

### أمانى عباد الرحمن

ثم تنتقل الآيات القرآنية إلى أمانى وآمال عباد الرحمن، الذي يدعون بها، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾<sup>(٢)</sup>.

إنّ الآية الكريمة ليست بصدد بيان أنّ عباد الرحمن يدعون بصلاح الأزواج والذرية، بل بصدد بيان حالة الأمانى والطموحات والرغبات التي يعيشها عباد الرحمن؛ بمعنى: أنّ هؤلاء العباد وصلوا من حبّهم للآخرين وحبّهم للخط الإلهي المستقيم أنّهم يتمنون ويطمحون ويرغبون أنّ هذا التوفيق الذي حصل لهم من الله تعالى المتمثل بالتزامهم بهذه الصفات، أن يروا امتداد ذلك واستمراره في أزواجهم وذريّاتهم، فهم لا يريدون أن يعيشوا هذه الصفات ثم تنقطع بموتهم، بل يعيشون طموحاً شريفاً ونبيلاً؛ وهو أن يروا امتداد هذا التوفيق لهذه الصفات التي نالوها من الله تعالى في ذريّاتهم.

ولكن هذا الطموح وهذه الأمانى والرغبات لا تتحقّق برفع الأيدي بالدعاء فقط، بحيث ينزوي الإنسان في زاوية من زوايا بيته، ويدعو الله تعالى أن يعطيه الذرية المتصفة بهذه الصفات، بل هذا الدعاء يمثّل مرحلة من تلك المراحل، وله خلفيات كثيرة.

توضيح ذلك: إنّ الواقع الحقيقي لعباد الرحمن هو أنّهم حينما يتمنون الأمانى

(١) الصحيفة السجّادية: ص ٩٦، من دعائه عليه في مكارم الأخلاق، ومرضى الأفعال.

(٢) الفرقان: آية ٧٤.

التي ذكرها القرآن الكريم، يترجمون تلك الأمنيات والدعوات إلى سعيٍّ وجدٍّ واجتهادٍ في تربية وتنشئة أولادهم على طريق الهدى وطريق التحلي بصفات عباد الرحمن؛ مع اعتقادهم بأنه لا مؤثر في الوجود حقيقةً إلا الله تعالى، وهذا الاعتقاد يجسده دعائهم المصحوب بالسعي؛ فهم يعتقدون بأنهم لا يمكن أن يجعلوا ذريتهم على الطريق المستقيم إلا بتوفيق من الله تعالى.

فاستمرار وامتداد هذه الصفات في ذرياتهم لا يكون إلا إذا أراد الله تعالى وأذن بذلك، فلا بدّ من الدعاء؛ وعليك أن تسعى كأبٍ لتربية وتنشئة أولادك وفق الطريق المستقيم، وتختار لهم برنامجاً مدروساً دقيقاً لتربيتهم وتنشئتهم، خاصّة في الظروف التي ينتشر فيها الفساد والضلال والانحراف، وتراقب تصرفاتهم وصدقاتهم وما يختارونه من وسائل التثقيف؛ لتعرف هل أن هذه الوسائل تؤدّي بهم إلى الهداية، أم أنها تؤدّي بهم إلى الانحراف؟

كل ذلك واقع وفعلٌ يعيشه عباد الرحمن، ولكنهم في نفس الوقت يعتقدون أنهم مهما جدّوا واجتهدوا وبذلوا وسعوا في تربية أولادهم وتنشئتهم على الطريق المستقيم، لا يصلح أبناؤهم إلا إذا أراد الله تعالى ذلك، وأذن به؛ لذا تراهم يتوجّهون إلى الله بالدعاء: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتَنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾.

إذا فعباد الرحمن يعيشون حالة الطموح والأمني وال رغبات في أعماق النفس لاستمرار الصفات التي ذكرتها الآيات في ذرياتهم، ويعملون ويسعون لتحقيق هذه الرغبات، بل إن خلفيات هذا الدعاء تمتد إلى اللحظة التي يختار فيها عباد الرحمن شركاء حياتهم من النساء.

فتبيّن أنّ استمرار الصفات الطيبة في الذرية لا يتأتّى بالجلوس في البيت أو في مراقد الأئمة الطاهرين عليهم السلام والقول: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتَنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾؛ باعتبار أنّ الدعاء الحقيقي في هذه الآية يمتدّ بخلفيته إلى تلك اللحظة التي يختار فيها الإنسان شريكة الحياة، كما أراد الله تعالى من خلال الأحاديث، وكما

وجه به النبي الأعظم ﷺ في الأحاديث التي تُبين المعايير والموازين في كيفية اختيار شريكة الحياة المؤمنة الصالحة التي يهب الله تعالى منها مثل هذه الذرية<sup>(١)</sup>. وخلفية هذا الدعاء تمتد أيضاً حتى في لحظات الوقاع والجماع مع الزوجة، وتطبيق الآداب التي نصّت عليها الروايات الشريفة<sup>(٢)</sup>، وتمتد أيضاً إلى لحظات الولادة من خلال تطبيق مراسيم الولادة كما بيّنتها الشريعة الإسلامية<sup>(٣)</sup>، ثم يمتد مع سنّي العمر بهذا الطفل منذ الصغر حتى يكبر، وبعد كلّ هذا السعي يرفع الإنسان يديه بالدعاء إلى الله تعالى، ويقول: ﴿رَبَّنَاهَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾؛ أي: ما تسرّ به النفوس وتقرّ به العيون عند نظرها إلى الذرية؛ لأنهم أضحووا من عباد الرحمن.

#### أمانى عباد الرحمن للقُدوة والقيادة

ثم ذكرت الآية الكريمة أمنية أخرى لعباد الرحمن؛ وهي: ﴿وَجَعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾؛ أي: قائداً وقُدوةً، وهذا لا يتأتّى بمجرد الدعاء؛ لأنّ الدعاء يمتد في حقيقته إلى مشاعر يعيشها عباد الرحمن في أعماق أنفسهم؛ لذا لا بدّ للمؤمن أن

(١) قال ﷺ: «تَخَيَّرُوا لِنَفْسِكُمْ، فَإِنَّ الْخَالَ أَحَدُ الضَّجِيعِينَ». عوالي اللئالي: ج ١، ص ٢٥٩، ح ٣٢.  
(٢) عن الأئمة الإمامية: «إِذَا قَرَّبَ الزَّفَافُ يَسْتَحِبُّ أَنْ تَأْمُرَهَا أَنْ تَصَلِّيَ رَكَعَتَيْنِ، وَتَكُونَ عَلَى وَضوءٍ إِذَا أَدَخَلْتَ عَلَيْكَ، وَتَصَلِّيَ أَنْتَ أَيْضاً مِثْلَ ذَلِكَ، وَتَحْمَدُ اللَّهَ، وَتَصَلِّيَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَآلِهِ ﷺ، وَتَقُولُ: اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي إِنْهَا وَوَدَّهَا وَرِضَاهَا بِي، وَأَرْضَنِي بِهَا، وَاجْمَعْ بَيْنَنَا بِأَحْسَنِ اجْتِمَاعٍ وَأَيْسَرِ ائْتِلَافٍ؛ فَإِنَّكَ تَحِبُّ الْحَلَالَ، وَتَكْرَهُ الْحَرَامَ. وَتَقُولُ إِذَا أَرَدْتَ الْمُبَاشَرَةَ: اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي وَلِذَا، وَاجْعَلْهُ تَقِيّاً ذَكِيّاً، لَيْسَ فِي خَلْقِهِ زِيَادَةٌ وَلَا نَقْصَانٌ، وَاجْعَلْ عَاقِبَتَهُ إِلَى خَيْرٍ، وَتَسْمِيَّ اللَّهَ عِنْدَ الْجَمَاعِ». مكارم الأخلاق: ص ٢٠٩.

(٣) عن أسماء بنت عميس قالت: قبلت فاطمة عليها السلام بالحسن عليه السلام، فجاء النبي ﷺ، فقال: «يا أسماء هلّمي ابني»، فدفعته إليه في خرقة صفراء، فألقاها عنه قائلاً: «ألم أعهد إليك أن لا تلقوا مولوداً بخُرقة صفراء» فلفّيته بخُرقة بيضاء، فأخذه وأذن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى. ذخائر العقبى: ص ١٢٠.

يلتفت إلى هذه المشاعر حتى يكون صادقاً حينما يدعو بهذا الدعاء.

هذه المشاعر هي أنّ هؤلاء العباد يحبّون الآخرين، ولا يعيشون دائرة الأنانية، فعلى المؤمن إذا وفقه الله تعالى واتصف بهذه الصفات، وصار من عباد الرحمن، عليه أن يتمنّاها لغيره، فيقول: إلهي أنا أحب الآخرين، أحب هؤلاء العباد؛ لذا أطلب منك أن أرى امتداداً واستمراراً ووجوداً لهذه الصفات في بقية العباد.

إنّ هذه المشاعر النبيلة والعواطف الرائعة، المتمثلة بالخروج من دائرة الأنانية، وعيش الإنسان الحبّ للآخرين، كما يجبّ لنفسه أن يكون من عباد الرحمن، يجبّ للآخرين أن يكونوا من عباد الرحمن.

ثم إنّ هذه المشاعر والأمانى والطموح لا تكفي، بل لا بدّ من النزول إلى سوح العمل، في الشارع والسوق والمدرسة والجامعة وميدان العمل الإسلامي، ودعوة الناس إلى الالتزام بتعاليم الإسلام، ونشر الخير والفضيلة، والدعوة إلى تطبيق الخلق الإسلامي، والأحكام الإسلامية.

وهذا العمل يتطلب مقدّمات؛ منها: الجدّ والاجتهاد في الليل والنهار لتعلّم هذه الأحكام، والاتصاف بهذه الأخلاق، ثم بعد ذلك أرفع يدي بالدعاء وأقول: ﴿وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾، لو عاشت الجماعة هذه المراتب من العلم والعمل، فسوف تدخل في دائرة عباد الرحمن.

### جزاء عباد الرحمن

بعد هذه السلسلة من الصفات، ذكرت الآيات الكريمة الجزاء الذي أعده الله سبحانه لمن يكون من عباد الرحمن، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا

صَبْرُوا<sup>(١)</sup>، والغرفة في كلام العرب هو البناء فوق البناء<sup>(٢)</sup>، أي: الطابق العلوي، الدرجة العليا من البناء. وليس المراد بها - هنا - أن الله سبحانه تعالى يُعطي عباد الرحمن الطبقات العليا من البناء، والطبقات السفلى للمؤمنين الذين لم يصلوا إلى هذه الدرجة، وإنَّما هذا تعبير كنائي، يُراد به بيان أن عباد الرحمن - الذين بلغوا الدرجة العليا من الإيِّان في الدنيا - سوف يُعطيهم الله تعالى الجنان العالية.

### تبصرة

علل - سبحانه وتعالى - جزاء عباد الرحمن بقوله: ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾؛ أي: إنَّ الله تعالى سيجزيهم هذه الدرجات العليا في الجنان بسبب صبرهم. من هنا قد يُقال: ألا يكفي تحليهم بتلك الصفات التي ذكرتها الآيات لنيل هذه المراتب؟

جوابه: كأنَّ الآية تُريد أن تقول: إنَّ خوض هذا الطريق الصعب والشاق، طوال سنيِّ العمر، لا يحصل التوفيق له والاستمرار عليه إلاَّ بالصبر؛ فمن جملة صفاتهم: أنهم يوحِّدون الله تعالى، ولا يزنون، ولا يأتون الفواحش ولا الشهوات المحرَّمة، ولا يدخلون في دائرة اللغو، إلى آخر الصفات التي ذُكرت.

فالإنسان قد يطبِّق هذه الصفات بضع سنين ولكن يواجه في الأثناء طغاة وظلمة ومجتمعاً منحرفاً، فقد لا يصمد ولا يثبت، وقد ينحرف، ويتخلَّى عن تلك الصفات، فلا يكتب له أن يستمر؛ لأنَّها ليست من الصفات السهلة. من هنا فإنَّ الله تعالى يقول: حتى تستمر على الاستقامة وتثبت على هذه الصفات في طوال عمرك، ومهما واجهت من صعاب ومصاعب، لا بدَّ أن تصبر حتى تستطيع أن تستمر في

(١) الفرقان: آية ٧٥.

(٢) كتاب العين: ج ٤، ص ٤٠٦ - مادة: (غرف).

تطبيق هذه الصفات إلى آخر عمرك؛ لأنَّ الصبر هو مفتاح الفلاح والنجاح، وبدونه لا يتمكن الإنسان أن ينجح.

فآية الكريمة تخاطب المؤمن: إذا أردت الصمود والثبات على صفات عباد الرحمن إلى آخر عمرك، وتنال الجزاء الذي أعدّه المولى سبحانه لمن كان من عباد الرحمن، عليك بالصبر والمصابرة والثبات والمقاومة لما ستلقاه، حينئذٍ ستنال المنزلة الرفيعة العالية. لذلك ورد في بعض الأحاديث: «أنَّ الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد»<sup>(١)</sup>.

أمَّا الجزاء الآخر فقد أشار إليه المولى بقوله: ﴿وَيُلْقَوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾<sup>(٢)</sup>؛ أي: إنَّ عباد الرحمن يُلقَوْنَ في الغرف التحيّة والسلام، وأصل التحيّة لغة الدعاء للغير بالحياة، وأصل السلام هو الدعاء للغير بالسلامة<sup>(٣)</sup>.

ولكن ليس معنى ذلك أنَّ الآية تريد أن تقول: إنَّ هؤلاء في الجنة يتلقون من العباد الآخرين الذين هم معهم في الجنة، أو من الملائكة التحيّة والسلام. إنَّما تريد الآية أن تقول: إنَّكم يا عباد الرحمن، ستعيشون في هذه الدرجات العليا معمرين في حياة دائمة، وهذه الحياة الدائمة لا تشوبها الكدورات والضرر كما هو الحال في الحياة الدنيا.

(١) أصول الكافي: ج ٢، ص ٨٧، باب الصبر، ح ٢.

(٢) الفرقان: آية ٧٥.

(٣) «الفرق بين التحيّة والسلام: أنَّ التحيّة أعمّ من السلام، وقال المبرّد: يدخل في التحيّة حيّاك الله. ولك البشرى، ولقيت الخير. وقال أبو هلال أيده الله تعالى: ولا يقال لذلك: سلام؛ إنَّما السلام قولك: سلام عليك. ويكون السلام في غير هذا الوجه السلامة؛ مثل الضلال والضلالة والجلال والجلالة، ومنه دار السلام؛ أي: دار السلامة. وقيل: دار السلام؛ أي: دار الله. والسلام اسم من أسماء الله، والتحيّة أيضاً الملك، ومنه قولهم: التحيات لله». الفروق اللغوية: ص ١١٩، رقم ٤٦٠.

إنَّ الإنسان مهما ملك من وسائل الحياة المادّية المرفّهة ووسائل القوّة فإنّه لا يستطيع أن يعيش في هذه الدنيا بدون كُدورات وبدون شوائب ومنغّصات. أمّا عباد الرحمن في الآخرة، وهم يعيشون في الدرجات العليا، يعيشون حياة دائمة لا انتهاء لها؛ وهذه الحياة هي الحياة الكاملة، حياةٌ بلا موت، وغنى بلا فقر، وصحّة بلا سقم، وشباب دائم، وعلمٌ بلا جهل، ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا مَحْيَةً وَسَلَامًا﴾. هذه هي مقوّمات الحياة الكاملة التي ينشدها الإنسان، ولا توجد ولا تتوفّر إلّا في الجنان العالية التي وعد الله تعالى عباد الرحمن بها.



# الخطبة الخامسة والعشرون

## الإنفاق ومعالجة الطبقية في الإسلام

بتاريخ: ٢٤ / ٩ / ٢٠٠٤ م

وفيها المحاور التالية:

- الطبقية في المجتمع
- مشاكل ينتجها الفقر
- فوائد التفاوت الطبقي
- قوانين معالجة التفاوت الطبقي
- قانون الضرائب المالية
- قانون الإنفاق المستحب في ظل آية الإنفاق
- ﴿ المحور الأول: سبب نزول الآية
- ﴿ المحور الثاني: الوجه في تقديم الإنفاق في السرّ
- ﴿ المحور الثالث: العلاقة بين الإنسان والمال



## مقدمة الخطبة

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله القائم الدائم، الحليم الكريم، الأول الآخر، الظاهر الباطن، الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، الحمد لله الهادي العدل الحق المبين، ذي الفضل الكريم، العظيم المنعم المكرم القابض الباسط ذي القوة المتين، ذي الفضل والمن، الحمد لله الوارث الوكيل الشهيد الرقيب المجيب المحيط الحفيظ الرقيب المانع الفاتح المعطي المبتي المحيي المميت ذي الجلال والإكرام أهل التقوى وأهل المغفرة، ذي المعارج، تعرج الملائكة والروح إليه<sup>(١)</sup>.

اللهم صلّ على البشير النذير، والسراج المنير، الطهر الطاهر، والعلم الزاهر، المنصور المؤيد، أبي القاسم محمد، وعلى آله مصابيح الهدى، وأنوار الدجى، ينابيع الحكمة، وحجج الله في الأرضين، بأفضل صلواتك وبركاتك وتحياتك.

أوصيكم إخواني وأخواتي ونفسي الأثارة بالسوء بالتزود بزاد خير الزاد، زاد التقوى، ليوم: ﴿لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿١﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٢﴾﴾<sup>(٢)</sup> من الآثام والذنوب، وانقطع إلى الله تعالى راجياً رحمته، خائفاً عذابه.

أيها الإخوة والأخوات، ها هي الدنيا قد أدبرت أيامها، وانقضت لذاتها، وولّت همومها، وفي الأفق حياة ما بعدها ممات، وصحة ما بعدها سقم، وغنى ما بعده فقر، وشباب ما بعده هرم، فالبدار البدار لها من قبل أن تذل نفس وتخرى.

(١) بحار الأنوار: ج ٩٤، ص ١٨٨ - ١٨٩.

(٢) الشعراء: آية ٨٨-٨٩.

أيها الإخوة، هذه أموال الدنيا وزخرفها وزينتها ما نفعت أحداً ممن سعى لها وجمعها، بل أضحت وبالاً عليه تلاحقه بويلاتها وثبورها أينما حلّ.

### الطبقة في المجتمع

قال الله تعالى في محكم كتابه، وفصل خطابه، وواضح بيانه: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِتِلِ وَالْإِثْكَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

قبل البدء ببيان بعض المعاني المتعلقة بهذه الآية القرآنية والآية التي تتعلق بمسألة الربا وهي الآية اللاحقة بعد الآية محل البحث، لا بدّ من التعرّض إلى مقدّمة متعلّقة بجوهر المعنى لهذه الآية القرآنية.

من المشاكل المهمّة التي تواجه أيّ نظام اقتصادي هي مشكلة التفاوت الفاحش في المستويات المعيشية لطبقات المجتمع، فتجد هناك طبقة مترفة متخمة متنعمّة بملذّات الحياة، وفي قبالتها طبقات تشكّل حيزاً واسعاً تعاني من الحرمان والفقر والعوز والحاجة، وهذه المشكلة في الواقع لو تُركت بدون حلّ ومن دون اتخاذ موقف يعالجها؛ لأدّى ذلك إلى عواقب وخيمة تنخر المجتمع وتهدّد كيانه، بل تنذر بسقوطه وتحطّمه. ونعرّض هنا إلى بعض المشاكل التي تتولّد من وراء عدم معالجة هذه المشكلة، وهي: مشكلة الفقر.

### مشاكل ينتجها الفقر

أولاً: هذه المشكلة يتولّد منها انتشار الجريمة، فهناك سرقة وهناك اختلاس

للأموال، يمكن أن يكون ناشئاً من حاجة الإنسان إلى المال، ويمكن أن يكون هناك إنسانٌ يبيع وطنه وضميره ودينه في مقابل حفنة من المال، ويمكن أن تكون هناك أرملةٌ أو مطلقةٌ تبيع أغلى ما تملك من شرفها وعقّتها وطهارتها في مقابل حفنة من المال تحتاج إليه، وإذا بقيت هذه الطبقة الفقيرة على فقرها، وهذه البطون الجائعة على جوعها، والأجساد العارية التي تتنّ من آلام الاحتياج على آلامها وأينها، فسوف يؤدّي ذلك إلى نشوء الاضطرابات الاجتماعية، وربّما الثورات.

ثانياً: في نفس الوقت هناك - أيضاً - مشكلة أخرى يعاني منها المجتمع لو بقيت هذه المشكلة بلا حلّ؛ حاصلها: أنّ هذه الطبقات المسحوقة من المجتمع حينما تشعر أنّ كرامتها هُدرت، وأنّ حقوقها سُلبت، فسوف لن تبقى لها همّة ولا رغبة في رفق المجتمع بخدماتها وإبداعاتها وأفكارها؛ لأنّها تشعر أنّها تقدّم الشيء الكثير إلى المجتمع، والمجتمع لا يتحمّس آلام العوز والحرمان والفقر الذي تعاني منه، فتموت فيها روح الإبداع والمشاركة.

من هنا أولى الإسلام هذه المشكلة اهتماماً كبيراً، وقنّن الكثير من القوانين التي تضع حلولاً لهذه الظاهرة الخطيرة.

وقد يسأل سائل: ألا يمكن لله أن يُنعم على الجميع بمستوى اجتماعي ومعيشي راقٍ، بحيث لا يكون في المجتمع فقير، وأنّ الجميع يستطيعون سدّ احتياجاتهم المعيشية، وبالتالي لا نحتاج إلى تقنين مثل هذه القوانين، فلماذا نجد الغني والفقير، ونجد هذا التفاوت في المعاش مع أنّ قدرة الله تعالى لا يحدها حدّ؟

### فوائد التفاوت الطبقي

في الواقع أنّ هذا التفاوت الذي نراه له مصالح تعود إلى نفس الجنس البشري وتقتضيه طبيعة الحياة الاجتماعية التي يعيشها المجتمع، فالله سبحانه وتعالى قادر

على أن يُلغى التفاوت في المعاش، ويُنعم على الجميع، فهو الخالق، والواهب للنعم بمختلف أشكالها، ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(١)</sup>، ولكن طبيعة الحياة التي يعيشها بنو الإنسان ومصالح وفوائد الاختلاف في المستوى المعيشي، هي التي تفرض هذا النوع من التفاوت؛ ويمكن أن نسجل مصلحتين لهذا النوع من التفاوت:

### الفائدة الأولى: توفير الاحتياجات المختلفة للمجتمع

نلاحظ أنّ هناك حاجات متفاوتة ومتعددة للمجتمع؛ فالمجتمع يحتاج إلى فلاح يحرث الأرض ويزرعها، ويحتاج إلى شخص ينقل منتوجها، وآخر يبيعه، ويحتاج إلى العامل في المصنع، والمعلم في المدرسة، والطبيب في المستشفى، والمهندس في البناء والإعمار، ويحتاج إلى عامل النظافة، ويحتاج إلى أشخاص يمتهنون مهناً ربّما يُنظر إليها في بعض المجتمعات على أنّها مهن وضيعة، وليس كلّ إنسان على استعداد أن يقدم على أداء هذه المهن والوظائف، ولكن المجتمع بحاجة إليها. إنّ هذا الاحتياج المتنوّع يقتضي أن يكون هناك تفاوت في الرزق، وأن يكون هناك تفاوت في المستوى المعيشي حتى يقدم الإنسان على مثل هذه المهن، وبالتالي تتوفر جميع الاحتياجات للمجتمع البشري.

### الفائدة الثانية: الخير يكون أحياناً في تقدير النعم

وهذا المعنى أشار إليه المولى بقوله: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup>، فالآية واضحة في أنّه سبحانه خبير في أنّ المصلحة تقتضي أن يضيق على هذا العبد، وأنّ المصلحة تقتضي أن يوسع على

(١) البقرة: آية ٢٧٤.

(٢) الشورى: آية ٢٧.

عبدٍ آخر. ولا يُقصد بالبغي خصوص الجريمة، بل له معنى أوسع يشمل جميع أصناف الفساد في الأرض، والإنسان إذا امتلك المال يكون قد امتلك وسيلة من وسائل القوة؛ والإحساس بالقوة قد يؤدي به إلى أن يظلم الآخرين.

ومن جهة أخرى، فإن امتلاك المال يسهّل على الأشخاص الذين في قلوبهم مرض نيل المفاسد، وبالتالي فإنّ البعض من الناس لا يصلحهم إلاّ الفقر والحاجة. فمن المصلحة أن لا يوسّع الله عليهم في أرزاقهم.

وأنا أذكر حديثاً أشار إلى هذا المعنى؛ لكي تتوفّر القناعة الكافية عند الكثير من أبناء الطبقة الفقيرة والمحرومة أنّ هناك مصلحة إلهية خافية عليهم تقتضي أن يكونوا في هذا المستوى المعيشي المتدني، عن النبي ﷺ، عن جبرئيل، عن الله سبحانه وتعالى، يقول: «إنّ من عبادي مَنْ لا يصلحه إلاّ السقم، ولو صححته لأفسده، وإنّ من عبادي مَنْ لا يصلحه إلاّ الصّحة، ولو أسقمته لأفسده، وإنّ من عبادي مَنْ لا يصلحه إلاّ الغنى، ولو أفقرته لأفسده، وإنّ من عبادي مَنْ لا يصلحه إلاّ الفقر، ولو أغنيته لأفسده، وذلك إنّني أدبّر عبادي لعلمي بقلوبهم»<sup>(١)</sup>.

بمعنى: أنا أعلم بأنّ هذا العبد لا يصلحه الغنى، بل يصلحه الفقر؛ فلذلك لا أوسّع عليه، والعبد الآخر إذا أغنيته سعى في الأرض يعمّر ويعين المحتاج، ويكون عبداً صالحاً، فحينئذٍ أعطيه الغنى.

### قوانين معالجة التفاوت الطبقي

على ضوء ما ذكرنا من مصالح تعود إلى الجنس البشري اقتضت المصلحة أن يكون هناك تفاوت في المستوى المعاشي.

(١) تفسير مجمع البيان: ج ٩، ص ٥٢.

وهذا يعني أن مشكلة الفقر هي جزء من النظام الأحسن الذي خلق الله عليه الوجود، وحينما تنشأ المشكلة، لا بدّ من قوانين يضعها الله تعالى لعلاجها وحلّها، وإلاّ تفاقمّت المشاكل، وربّما تسبّب في تحطيم كيان المجتمع.

## قانون الضرائب المالية

من جملة القوانين للحدّ من مشكلة الطبقيّة أنّ الله تعالى شرّع قانون الضرائب، الذي من جملة مفرداته: تشريع الخمس والزكاة والكفّارات المالية؛ فالإفطار العمدي عليه كفارة، والمريض الذي لا يستطيع الصوم عليه أن يدفع فدية مالية، ومخالفة العهد عليه كفارة، وحنث اليمين فيه كفارة، وهناك النذر، وغير ذلك من الموارد التي تُلزم الإنسان المسلم بدفع مبالغ مالية، يمكن أن يسخرها المتصدّي لسدّ احتياجات الطبقة الفقيرة.

## قانون الإنفاق المستحب في ظل آية الإنفاق

لم يكتفِ المشرّع الإسلامي بتشريع قانون الضرائب الإلزامي، بل شرّع أيضاً قانون الإنفاق المستحب<sup>(١)</sup>، وهو الذي تعرّضت له الآية محل البحث: ﴿الَّذِينَ

(١) ذكر سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي (دامت بركاته) أنّنا نجد في التشريع الإسلامي قانوناً يسد الثغرات التي من خلالها تتكدّس الأموال، وتنمو في أيدي طبقة قليلة من المجتمع بطرق الإثراء غير المشروع، ومن جملة مفردات الإثراء غير المشروع والتي تؤدّي إلى هذا التكدّس هو مسألة الربا الذي أشار له المولى سبحانه وتعالى بقوله: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَخْبُطُهُ الشَّيْطَانُ﴾ [البقرة: آية ٢٧٥]. ثم ذكر أنّ هذه الآية هي الآية اللاحقة مباشرة لآية الإنفاق، ثم طرح تساؤلات منها: ما هي العلاقة بين الربا في هذه الآية والإنفاق في الآية التي سبقتها؟ وما هي المناسبة التي اقتضت أن يأتي تحريم الربا بعد آية الإنفاق المستحب؟ وأجاب عن التساؤل - بشكل مختصر -: قائلاً: إنّ الله تعالى شرّع من القوانين التي تحجّم من مشكلة الفقر في المجتمع ما يضمن التكافل الاجتماعي لهذه الطبقة الفقيرة، وفي نفس الوقت سد

يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِثْلِ وَالْأَنفَاقِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١﴾.

والحديث في هذه الآية الكريمة - التي تحدثت عن قانون الإنفاق في الشريعة الإسلامية - يكون من خلال محاور:

### المحور الأول: سبب نزول الآية

ذكرت الكثير من مصادر العامة والخاصة أن نزول هذه الآية الكريمة كان في الإمام علي بن أبي طالب، فقد كان يملك أربعة دراهم، فأنفق درهماً في النهار، ودرهماً في الليل، ودرهماً في السر، ودرهماً في العلانية، فأنزل الله في حقّه هذه الآية الكريمة<sup>(١)</sup>.

إنّ الآية وإن كان نزولها في الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ولكن الحكم المذكور فيها، والمفهوم الذي تناولته غير مقصور على مورد النزول؛ لأنّ (خصوص المورد لا يخصّص الوارد)<sup>(٢)</sup>.

الثغرات التي من خلالها تتكدّس الثروات بطرق غير مشروعة، ومن جملتها الربا؛ لذلك جاءت آية الربا مباشرة بعد هذه الآية التي تتناول الإنفاق المستحب. ثم نوّه إلى أنّه سوف يطرح موضوع الربا بشكل مفصّل في الخطب اللاحقة إن شاء الله تعالى.

(١) البقرة: آية ٢٧٤.

(٢) قال الشيخ الصدوق رحمته الله: «هذه الآية روي أنها نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام، وكان سبب نزولها أنه كان معه أربعة دراهم، فتصدق بدرهم منها بالليل، وبدرهم منها بالنهار، ودرهم في السرّ. وبدرهم في العلانية، فنزلت هذه الآية». من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٢٨٨. وروى العياشي في تفسيره عن أبي إسحاق قال: كان لعلي بن أبي طالب عليه السلام أربعة دراهم لم يملك غيرها، فتصدق بدرهم ليلاً، وبدرهم نهاراً، وبدرهم سرّاً، وبدرهم علانية، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله، فقال صلى الله عليه وآله: «يا علي، ما حملك على ما صنعت؟» قال عليه السلام: «إنجاز موعود الله، فأنزل الله ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِثْلِ وَالْأَنفَاقِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾». تفسير العياشي: ج ١، ص ١٥١. وأنظر أيضاً: المناقب (الخوارزمي): ص ٢٨١.

(٣) إشارة إلى القاعدة الأصولية: (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)، ومفادها: «أنّ عموم

وبعبارة أخرى: إن هذه الآية في حكمها، وهو: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، وفي مفهومها عامة، شاملة لكل إنسان متصدق في الليل والنهار في عموم الأوقات، سرّاً وعلانية في عموم الأحوال.

### سؤال وجواب

فإن سألت: لماذا تعرّضت الآية الكريمة إلى التعميم في الإنفاق من حيث الزمان ومن حيث الحال؟

أجبتك: أن الآية تريد أن توصل فكرة ومعنى إلى قارئها؛ حاصله: أيها الإنسان الذي من الله تعالى عليك بالغنّى ومكّنك مادياً، إذا جاءك محتاجٌ تعجّل في قضاء حاجته ولا تؤخّرها إلى وقتٍ آخر، وإلى حالٍ آخر، فلو جاءك في النهار فلا تؤخّر قضاء حاجته إلى الليل، وإذا جاءك وأنت في حالٍ خاصّ فلا تؤخّره إلى حالٍ آخر.

### تنبيه

ينبغي أن ننبه إلى شيء هام في هذا الإطار: وهو أن هناك شروطاً لإنفاق المال، وضعها المشرّع الإسلامي، لا بدّ من مراعاتها حتى نضمن وصول المال إلى يد مستحقّيه؛ فإذا انتشرت في المجتمع طرق الاحتيال والنصب من أجل تحصيل المال، فحينئذٍ ينبغي - من أجل براءة الذمّة - التثبت، وتحصيل شروط المستحق، وإلاّ قد يقع المال بيد غير المستحق، وهو ما لا يرتضيه الشرع والعقل.

---

الألفاظ في استنباط المعاني من غير التقيّد بخصوص الأسباب إلّا في حالات نادرة، وهو المنهج القائل بأنّ (المورد لا يخصّص الوارد)؛ حيث نعلم أن القرآن نزل نجوماً متفاعلاً مع ظروف خارجية تسمّى أسباب النزول، إلّا أنّ تلك الأسباب لا تقيّد عموم اللفظ، بل أسباب النزول تُتخذ مناسبات للإعلان عن الأحكام العامة على نحو القضايا الحقيقية؛ لهذا يبقى اللفظ الوارد على عمومته ولا ينحصر في حدود المورد الخارجي، فيكون المورد الخارجي ظرفاً خاصّاً وسبباً لنزول الحكم العام الذي يعالج كلّ الظروف والموارد المشابهة له من غير تقييد بالزمان أو المكان». بحوث في الفقه المعاصر: ج ٤، ص ١٥.

### المحور الثاني: الوجه في تقديم الإنفاق في السر

إن الآية الكريمة قدّمت الإنفاق في السر على الإنفاق في العلن، فقالت: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِثْمِ وَالْتَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾، فما هو الوجه في ذلك؟

ذكر بعض المفسرين أنّ الوجه هو أفضلية الإنفاق في السرّ على الإنفاق في العلن<sup>(١)</sup>، ولكن لو لاحظنا مجموع الآيات ومجموع الأحاديث الواردة في هذا المجال، لوجدنا أنّ هناك ضوابط وضعت لكي يعرف الإنسان أيّ الصدقتين أفضل.

فإذا كان في إعلان الصدقة تعظيم لشعائر الله تعالى، وحثّ وترغيب وتشجيع للآخرين على إعطاء الحقوق، فحينئذ تكون صدقة الإعلان أفضل، وأمّا إذا كان في صدقة الإعلان هدراً لماء وجه السائل، وتحطيم لكرامته، فحينئذ تكون صدقة السرّ أفضل؛ لحفظ ماء وجه المؤمن وصون كرامته<sup>(٢)</sup>.

### المحور الثالث: العلاقة بين الإنسان والمال

في تكملة آية الإنفاق يقول المولى سبحانه وتعالى: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، والغرض من هذا المقطع، هو الإشارة إلى العلاقة الكائنة بين الإنسان والمال.

توضيح ذلك: إنّ الإنسان بطبعه يحبّ المال، ويحبّ الاستزادة منه، وحينما

---

(١) أنظر: الأمثل: ج ٢، ص ٣٣٤.

(٢) عن النبي ﷺ، أنّه قال: «إنّ صدقة السر في التطوّع، تفضل علانيّتها بسبعين ضعفاً، وصدقة الفريضة علانيّتها أفضل من سرّها بخمسة وعشرين ضعفاً». مستدرک الوسائل: ج ٧، ص ١٣٣، ح ٧٨٣٣/٣. وعن أبي عبد الله، عن أبيه عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «صدقة السر تطفي غضب الرب». ثواب الأعمال: ص ١٤٣.

يكون المال بيده ولا ينقص فإنّه يشعر بالطمأنينة بأنّ احتياجاته الأساسية سوف تتوفّر، وأمّا إذا كان في هذا المال نقص، فسوف يشعر بالخوف والقلق والحزن؛ باعتبار أنّ هذه النقيصة في المال قد تكون مانعاً من توفير احتياجاته الأساسية؛ العاجلة أو الآجلة.

وهذا الشعور نلاحظه - أحياناً - عند البعض من المؤمنين، فعندما تُذكر له التشريعات المرتبطة بالخمسة أو الزكاة أو الإنفاق المستحب، يذكر أنّه بحاجة إلى الزواج، أو إلى سكن، أو شراء أثاث للبيت، أو شراء سيارة، ويخاف في حال دفع هذه المستحقّات المالية من نقيصة ما بيده من مال، وبالتالي يخشى أنّه لا يتمكّن من توفير احتياجاته الأساسية.

ومن جهة أخرى، فإنّ الإنسان حينما يحصل على المال، يقول: إنني حصلت عليه بكّد اليمين، وعرق الجبين، فكيف أفدّم مالاّ بذلت لتحصيله كلّ تلك الجهود والمشقة والتعب والعناء إلى الغير؟!

إنّ هذه المشاعر تكون عائقاً ومانعاً تحول بين الإنسان وبين الإنفاق ومساعدة الآخرين؛ لذا لا بدّ من وجود مرغبات تدفع بالإنسان إلى أن يكون سخيّاً بهاله، وهذا ما تكفّل به قوله تعالى: ﴿أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

فهذا المقطع القرآني يبيّن أنّ الإنفاق وبذل المال للغير لا يذهب سدى، وإنّما هناك تعويض إلهي للمنفق على ما أنفق، وأنّ الذهاب من المال هو ما أنفقته في سدّ احتياجات غير ضرورية، قال تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

ولهذا الوفاء - الذي ذكرته الآية - أحد معنيين:

المعنى الأول: المساواة، فإذا أنفق الإنسان ألفاً فإن الله سبحانه وتعالى سوف يُعْطيه في مقابله ألفاً.

المعنى الثاني: الزيادة، فإذا أنفق الإنسان ألفاً فإن الله سوف يُعْطيه أكثر من الألف.

وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾<sup>(١)</sup>، وكأن الآية تُخاطب المنكر، فتقول له: حينما تنفق هذا المال فسوف لن يذهب سدى، وإنما سوف يُخْلِفُه الله، ويُعطيك مقابله في الدنيا، ويهب لك الأضعاف المضاعفة في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٢)</sup> الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ<sup>(٣)</sup>. فالمتقون الذين ينفقون أموالهم في السراء والضراء، جزاؤهم جنة عرضها السماوات والأرض.

ومن الآيات الواضحة في بيان المضاعفة في التعويض الإلهي للمتقنين على إنفاقهم قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

في آية أخرى، نربطها بأحوال الناس، فإن الكثير منهم حينما يكون عنده شيء من المال، فإنه يودعه - باندفاع - في المصرف؛ لكي يحافظ عليه ويحصل على زيادة، ولكننا لا نجد ذلك الاندفاع في الإنفاق.

من هنا تأتي آية الإقراض لتقول له: إذا كنت تؤمن بالله واليوم الآخر حقاً؛ فعليك أن تندفع إلى إقراض الآخرين، واعلم أن الزيادة مضمونة، قال تعالى:

(١) سبأ: آية ٣٩.

(٢) آل عمران: آية ١٣٣-١٣٤.

(٣) البقرة: آية ٢٦١.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾<sup>(١)</sup>.

فتحصل: أنّ هذه المشاعر التي يعيشها الإنسان، سواء ما يرتبط بعلقته مع المال، أو خوفه وقلقه من النقيصة في ماله عندما ينفق، تقف مانعاً من اندفاعه نحو الإنفاق؛ من هنا جاء هذا المقطع القرآني لكي يعالج هذه الظاهرة: ﴿أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

# الخطبة السادسة والعشرون

## في رحاب الخطبة النبوية الرمضانية

بتاريخ: ١٥ / ١٠ / ٢٠٠٤م

وفيها المحاور التالية:

- سُبُل تحصيل التقوى
- الصوم وسيلة لتحقيق التقوى
- نكات وعظات من الخطبة النبوية الرمضانية
- ﷺ معطيات إضافة الشهر إلى الله
- ﷺ شهر رمضان موسم لتطهير النفوس
- ﷺ استذكار العذاب الأخروي
- ﷺ تعزيز العلاقات الاجتماعية
- ﷺ تهذيب اللسان
- ﷺ غض البصر
- ﷺ التحنن على الأيتام



## مقدمة الخطبة

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي هدانا لحمده، وجعلنا من أهله، لنكون لإحسانه من الشاكرين، وليجزينا على ذلك جزاء المحسنين، والحمد لله الذي حابانا بدينه، واختصنا بملته، وسبّلنا في سبُل إحسانه، لنسلُكها بمنّه إلى رضوانه، حمداً يتقبّله منا، ويرضى به عنا.

والحمد لله الذي جعل من تلك السبُل شهرة؛ شهر رمضان، شهر الصيام وشهر الإسلام، وشهر الطّهور، وشهر التّمحيص، وشهر القيام: ﴿الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾<sup>(١)</sup>، فأبان فضيلته على سائر الشُّهور، بما جعل له من الحرمات الموفورة، والفضائل المشهورة، فحرّم فيه ما أحلّ في غيره إعظماً، وحجّر فيه المطاعم والمشارب إكراماً، وجعل له وقتاً بيّناً، لا يميز جلّ وعزّ أن يُقدّم قبله، ولا يقبل أن يؤخّر عنه<sup>(٢)</sup>.

والصلاة والسلام على نبيّه محمّد، أشرف من صلّى وصام، وعلى أهل بيته الهداة الأعلام، سادة الخلق وقادة الأنام<sup>(٣)</sup>.

---

(١) البقرة: آية ١٨٥.

(٢) الصحيفة السجادية: ص ١٨٦.

(٣) بدأ سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي (دامت بركاته) خطبته بالإشارة إلى قرب حلول شهر رمضان المبارك، وحثّ الحضور على الاستعداد لاستقبال هذا الشهر الشريف؛ فقال: «أيّها الإخوة والأخوات، ها هو شهر الله الأكبر قد اقترب بنور هلاله علينا، وسيحلّ بساحتنا ضيفاً كريماً جواداً غاية الجود، فانظروا كيف استعدادكم للقياء؟ وهل سيلقى أصول الضيافة الإلهية، أم سيرحل شاكياً إلى الله تعالى جفءكم له وجذب ساحة استضافته؟!».

## سُبُلُ تَحْصِيلِ التَّقْوَى

إِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَمْرُ عِبَادِهِ بِالتَّقْوَى، وهو يعلم أَنَّ تَحْصِيلَهَا ليس بالأمر الهَيِّنَ؛ ومن أجل ذلك شَرَعَ لِلإِنْسَانِ مَا يُعِينُهُ عَلَى تَحْصِيلِهَا وَبَلُوغِهَا، فَشَرَعَ لَهُ نِظَامُ الْعُقُوبَةِ الرَّادِعِ وَالزَّاجِرِ عَنْ كُلِّ مَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَخْدُشَ التَّقْوَى، وَنِظَامُ الْمَثُوبَةِ الْمُحَفِّزِ وَالدَّافِعِ نَحْوَ تَحْقِيقِهَا.

فِي الْوَقْتِ ذَاتِهِ شَرَعَ لَهُ مِمَارَسَاتٍ عَمَلِيَّةٌ تُعِينُهُ عَلَى بَلُوغِ مَرْتَبَةِ التَّقْوَى، فَكَمَا أَنَّ الْمُقَاتِلَ الَّذِي يَرَادُ لَهُ قِتَالُ الْعَدُوِّ لَا يَدَّ لَهُ مِنْ دُخُولِ سَاحَةِ التَّدْرِيبِ الْقِتَالِيِّ؛ لَكِي يَبْلُغَ دَرَجَةَ مِنَ الْبَلِيَاةِ الْبَدَنِيَّةِ وَالْقِتَالِيَّةِ الَّتِي تَمَكِّنُهُ مِنْ خَوْضِ الْمَعْرَكَةِ بِنَجَاحٍ، كَذَلِكَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِنَّمَا شَرَعَ بَعْضَ الْمِمَارَسَاتِ الْعِبَادِيَّةِ الْعَمَلِيَّةِ الَّتِي لَوْ مَارَسَهَا الْعَبْدُ - بِشَرَطِهَا وَشُرُوطِهَا - وَأَتَى بِجَوْهَرِهَا وَلَبَّيْهَا، لَاسْتَطَاعَ أَنْ يَحَقِّقَ التَّقْوَى فِي نَفْسِهِ، بَلْ لَاسْتَطَاعَ أَنْ يَبْلُغَ مَرَاتِبَ عَالِيَةِ فِي التَّقْوَى؛ وَمِنْ تِلْكَ الْمِمَارَسَاتِ عِبَادَةُ الصَّوْمِ.

## الصَّوْمُ وَسِيلَةٌ لِتَحْقِيقِ التَّقْوَى

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

إِنَّ آخِرَ الْآيَةِ يَشِيرُ إِلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ لَوْ أَتَى بِفَرِيضَةِ الصِّيَامِ كَمَا يَنْبَغِي لِأَصْبَحَ مِنَ الْمُتَّقِينَ، وَكَأَنَّ الْآيَةَ تَأْمُرُ الْعَبْدَ أَنْ يَتَوَسَّلَ بِفَرِيضَةِ الصِّيَامِ لِبَلُوغِ مَرَاتِبِ التَّقْوَى، فَلَوْ صَامَ الْبَعْدَ وَلَمْ يَحَقِّقِ التَّقْوَى فِي نَفْسِهِ؛ فَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ هُنَاكَ خِلَافًا فِي شَرْطِ الصِّيَامِ أَوْ شَطْرِهِ، وَمَعَ الْخِلَالِ لَا يَصْلَحُ أَنْ يَكُونَ وَسِيلَةً يَتَدَرَّبُ مِنْ خِلَالِهَا الْإِنْسَانُ عَلَى التَّقْوَى فِي السَّاحَاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ.

(١) البقرة: آية ١٨٣.

فسبب عدم فاعلية الصيام في تحصيل التقوى في نفس الصائم يرجع إلى أحد سببين:

السبب الأول: عدم إدراك حقيقة الصيام وجوهره.

السبب الثاني: عدم الممارسة الحقيقية لعبادة الصيام.

إنّ الكثير - ممّن يأتي بالعبادة - يأتي بقشورها، ويقف عند ظاهرها، ولو جاء بجوهرها، مراعيّاً شرطها وشروطها، لأمكن لهذه العبادة - سواء أكانت صياماً أم صلاة أم غيرها من العبادات - أن توصل صاحبها إلى أعالي مراتب التقوى.

وقد أوضح النبي المصطفى ﷺ في الخطبة التي استقبل بها شهر رمضان المبارك الكثير من شروط الصيام التي لو أتى بها الصائم، لكان الصيام وسيلة لتحصيل التقوى، فعن الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أنّه قال: خطبنا رسول الله ﷺ في آخر جمعة من شهر شعبان فقال: «أيّها الناس، إنّ قد أقبل إليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة، شهر هو عند الله أفضل الشهور، وأيامه أفضل الأيام، ولياله أفضل الليالي، وساعاته أفضل الساعات، هو شهر دعيتم فيه إلى ضيافة الله، وجعلتم فيه من أهل كرامة الله، أنفاسكم فيه تسبيح، ونومكم فيه عبادة، وعملكم فيه مقبول، ودعائكم فيه مستجاب، فاسألوا الله ربّكم بنّيّات صادقة وقلوب طاهرة أن يوفّقكم لصيامه وتلاوة كتابه، فإنّ الشقيّ من حُرّم غفران الله في هذا الشهر العظيم، واذكروا بجوعكم وعطشكم فيه جوع يوم القيامة وعطشه، وتصدّقوا على فقرائكم ومساكينكم، ووقّروا كباركم، وارحموا صغاركم، وصلوا أرحامكم، واحفظوا ألسنتكم، وغضّوا عيّن لا يحلّ النظر إليه أبصاركم، وعيّن لا يحلّ الاستماع إليه أسماعكم، وتحنّنوا على أيتام الناس يتحنّن على أيتامكم، وتوبوا إلى الله من ذنوبكم، وارفعوا إليه أيديكم بالدعاء في أوقات صلواتكم، فإنّها أفضل الساعات، ينظر الله فيها بالرحمة إلى عباده، يحببهم إذا ناجوه، ويلببهم إذا نادوه، ويعطيهم إذا سألوه، ويستجيب لهم إذا دعوه.

أيها الناس، إن أنفُسكم مرهونة بأعمالكم، ففكّوها باستغفاركم، وظهوركم ثقيلة من أوزاركم، فخففوا عنها بطول سجودكم، واعلموا أن الله تعالى ذكره أقسم بعزّته أن لا يعذب المصلّين والساجدين، وأن لا يروّعهم بالنار يوم يقوم الناس لرب العالمين.

أيها الناس، من فطر منكم صائماً مؤمناً في هذا الشهر، كان له بذلك عند الله عتق نسمة ومغفرة لما مضى من ذنوبه». فقيل: يا رسول الله، وليس كلّنا يقدر على ذلك. فقال ﷺ: «اتقوا النار ولو بشقّ تمرّة، اتقوا النار ولو بشربة من ماء.

أيها الناس، من حسن منكم في هذا الشهر خلقه، كان له جواز على الصراط يوم تزل فيه الأقدام، ومن خفف في هذا الشهر عمّا ملكت يمينه خفف الله عليه حسابه، ومن كفّ فيه شرّه كفّ الله عنه غضبه يوم يلقاه، ومن أكرم فيه يتيماً أكرمه الله يوم يلقاه، ومن وصل فيه رحمه وصله الله برحمته يوم يلقاه، ومن قطع فيه رحمه قطع الله عنه رحمته يوم يلقاه، ومن تطوّع فيه بصلاة كتب الله له براءة من النار، ومن أدّى فيه فرضاً كان له ثواب من أدّى سبعين فريضة فيما سواه من الشهور، ومن أكثر فيه من الصلاة عليّ ثقل الله ميزانه يوم تحف الموازين، ومن تلا فيه آية من القرآن كان له مثل أجر من ختم القرآن في غيره من الشهور.

أيها الناس، إن أبواب الجنان في هذا الشهر مُفتّحة، فاسألوا ربّكم أن لا يغلقها عليكم، وأبواب النيران مُغلّقة، فاسألوا ربّكم أن لا يفتحها عليكم، والشياطين مغلولة فاسألوا ربّكم أن لا يسلّطها عليكم».

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «فقلت: يا رسول الله، ما أفضل الأعمال في هذا الشهر؟ فقال: يا أبا الحسن، أفضل الأعمال في هذا الشهر الورع عن محارم الله...»<sup>(١)</sup>.

(١) الأمامي، (الشيخ الصدوق): ص ١٥٤-١٥٥.

## نكات وعظات من الخطبة النبوية الرمضانية

اشتملت هذه الخطبة النبوية الرمضانية على جملة من النكات العامة والخاصة المرتبطة بشهر رمضان المبارك، وبصيام هذا الشهر، مضافاً إلى العديد من المواعظ والإرشادات التي يحتاجها الإنسان لكي يستطيع من خلالها أن يجعل من عبادة الصيام سبيلاً لتحصيل التقوى؛ نذكر منها ما يلي:

### ١- معطيات إضافة الشهر إلى الله

إنَّ النبي ﷺ، قد أضاف الشهر إلى الله في قوله: «أيها الناس، إنَّه قد أقبل إليكم شهر الله»، والشهور بعضها يضاف إلى النبي ﷺ، وبعضها يضاف إلى الإمام علي عليه السلام، وشهر رمضان المبارك أُضيف إلى خصوص الذات المقدسة، ومن المعلوم في القواعد الأدبية أنَّ الإضافة تقتضي نوعاً من العلاقة بين المضاف والمضاف إليه، فعندما يُقال غلام زيد، فحتى تكون هذه الإضافة حقيقية لا بدَّ من وجود نوع من العلاقة بين الغلام وبين زيد حتى يُقال عنه: إنَّه غلام زيد.

إذا عرفت هذا نقول: إنَّ ساحة الذات المقدسة تحمل الرحمة الواسعة، وتحمل البركة اللامتناهية، وتحمل المغفرة المطلقة، فحتى تصح هذه الإضافة، ويصدق رسول الله ﷺ في ذلك، لا بدَّ أن يكون شهر رمضان يحمل إلى الصائمين الرحمة الواسعة والمغفرة والبركة، «قد أقبل إليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة»؛ لذلك نجد أنَّ الأعمال والعبادات في هذا الشهر الشريف يُضاعف ثوابها، وتفتح أبواب الرحمة الواسعة لعباده تعالى، وأبواب المغفرة للعاصين.

وهذا لا يعني أنَّ هناك نقصاً في الرحمة الإلهية والمغفرة والبركة في الشهور الأخرى؛ وإنَّما في بقية الشهور تكون ذنوب العباد ومعاصيهم حاجباً يحجب رحمته سبحانه وبركته ومغفرته عنهم، وفي شهر رمضان وإن كانت هناك ذنوب ومعاصي

تصدر من العباد، إلا أنها لا تحجبهم عن رحمة الله ومغفرته وبركته؛ وهذا هو مقتضى إضافة الشهر إلى الله؛ لذلك ورد في خطبة النبي ﷺ في استقبال شهر رمضان: «ومن تلا فيه آية من القرآن، كان له مثل أجر من ختم القرآن في غيره من الشهور»<sup>(١)</sup>.

## ٢- شهر رمضان موسم لتطهير النفوس

أشار النبي ﷺ إلى جوهر الصوم وحقيقته، بقول: «فاسألوا الله ربكم بنبات صادقة، وقلوب طاهرة، أن يوفقكم لصيامه، وتلاوة كتابه، فإن الشقي من حرم غفران الله في هذا الشهر العظيم»<sup>(٢)</sup>. يراد من هذا الشهر أن يكون موسماً لتطهير النفوس والأرواح مما علق بها من الذنوب والمعاصي والردائل.

توضيح ذلك: حينما يُمارس الإنسان مفردات حياته المادية معتمداً على ما يملك من وسائل مادية؛ من القوة والمال والتقنية وغير ذلك من وسائل، ويغيب عنه المنهج الأخلاقي فسوف يُصاب بالكثير من الأمراض الأخلاقية؛ من قبيل: التكبر، والغرور، والغطرسة، والعجب... الأمر الذي يجعل منه شيطاناً في هيئة إنسان! فتراه يمارس الظلم والاستبداد وغيرهما من مظاهر التعدي والفساد.

وعندما يأتي شهر رمضان المبارك فإن المطلوب من الإنسان أن يستفيد منه في تطهير نفسه مما تلوث به بسبب انغماسها في الحياة الدنيا، والانشداد إليها والارتباط بها.

وقد بين النبي ﷺ كيفية تطهير الإنسان نفسه في هذا الشهر الشريف، فمن خلال الإتيان ببعض العبادات وممارستها في هذا الشهر الشريف؛ من صلوات

(١) الأمالي، (الشيخ الصدوق): ص ١٥٥.

(٢) فضائل الأشهر الثلاث: ص ٧٧.

ودعاء واستغفار، بقلب سليم، ونية صادقة وتوجه إلى الله سوف يطهر الإنسان نفسه، وإلى هذا المعنى أشار المصطفى ﷺ بقوله: «فاسألوا الله ربكم بنيات صادقة، وقلوب طاهرة، أن يوفّقكم لصيامه، وتلاوة كتابه».

### ٣- استذكار العذاب الأخروي

يتعرّض النبي ﷺ بقوله: «واذكروا بجوعكم وعطشكم فيه جوع يوم القيامة وعطشه»، إلى ثمرة مهمة من ثمرات الجوع والعطش في شهر رمضان المبارك، وهو استذكار العذاب الأخروي.

توضيح ذلك: إنّ الإنسان مهما تُلي عليه من الآيات والأحاديث في بيان العذاب الأخروي وما سيتعرّض إليه من الجوع والعطش في عرصات يوم القيامة، لا يؤثّر فيه التأثير الإيجابي الفعّال، إلّا إذا عاش وعانى الجوع والعطش، حينئذ يتحسّس تلك الآلام التي يعانها يوم القيامة، وحينئذ يدرك أهمية الاحتياج إلى ما يرفع جوعه وعطشه يوم القيامة.

فالمؤمن في حياته الدنيا يستطيع أن يرفع آلام جوعه وآلام عطشه؛ وذلك من خلال تناول شيء من الطعام أو الشراب، ولكنه لا يستطيع أن يوفّر ذلك، ويرفع تلك الآلام في عرصات يوم القيامة.

إنّ الرفع لجوع يوم القيامة وعطشه هو العمل الصالح، المتمثل بممارسة الصلاة الحقيقية، وممارسة الصوم الحقيقي.

ليس لله تعالى غرض في أن يُعرّض عبده للجوع والعطش، بل الغرض والمنفعة والمصلحة تعود لنفس الشخص الصائم، فلا بدّ أن يعيش هذه الآلام بنفسه حتى يدرك ما يترتب من آلام على ذلك.

وفي نفس الوقت له الأثر الدنيوي، لا بدّ أن يتحسّس ويعاني الإنسان الصائم

معاناة وآلام الملايين من الطبقات الفقيرة والمحرومة، التي لا تستطيع أن تشبع وتسدّ جوع بطنها، ولا تستطيع أن تسد احتياجاتها، ولا يكفي الوعد القرآني ونصائح الأحاديث الشريفة، بل لا بد أن يعيش الإنسان الصائم من خلال ممارسته للصيام هذه الآلام حتى يخرج من دائرة العيش في دائرة الأنا الضيقة إلى دائرة الإحساس بآلام هذه الطبقات الواسعة من المجتمع، وحينئذٍ يحصل الحافز والمحرك له حتى يتحرك ويعين هذه الطبقات المسحوقة التي تعاني الكثير من آلام الجوع والعطش والحرمان.

إذاً، ومن خلال الفقرة أعلاه أراد النبي ﷺ أن يُبين أن الهدف التربوي من معاناة الصائم في جوعه وعطشه هي تقوية الاتصال بعالم الغيب، والترفع عن عالم الدنيا، وفي نفس الوقت تحقيق سبب ودافع من أسباب التكافل الاجتماعي في المجتمع الإسلامي.

#### ٤. تعزيز العلاقات الاجتماعية

يُراد من شهر رمضان أن يحقق تحوّلاً جذرياً في العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع الإسلامي، ولا بد أن تُبنى هذه العلاقات بين أفراد المجتمع على الاحترام والتقدير وسعة الصدر والعفو عن الإساءة؛ لذلك حثّ النبي ﷺ في خطبته الصائمين على السعي لتحقيق هذا التحوّل من خلال النقلة النوعية في التعامل الاجتماعي، «ووقّروا كباركم، وارحموا صغاركم، وصلّوا أرحامكم».

إنّ للرجل الكبير فضلاً وسبقاً على الآخرين في الوجود، فالذي يكبرني بعشر سنين - مثلاً - سبق وجوده في الحياة وجودي، ولهذا السبق استحقاقات؛ لأنّه يعني - في الغالب - أنّ هذا الإنسان أكثر نضجاً في الفكر، ويحمل طاقات عقلية وتجارب في الحياة أكثر منّي، وإذا كان عبداً صالحاً فهو يحمل رصيلاً من المنزلة عند الله تعالى

أعظم من رصيد مَنْ يصغره سنًا.

وهذه المجموعة من الأمور تقتضي توقيره واحترام رأيه ومشاعره، فيُبتدئ بالسلام عليه، ويُوَسِّع له في المجلس، وغير ذلك من مصاديق التوقير. وكذلك حثَّ النبي ﷺ الصائمين على أن يرحموا الصغار في شهر رمضان الكريم، باعتبار أنَّ الصغير متأخّر في الوجود، فقد لا يستطيع أن يعتمد على نفسه في تحقيق وتحصيل احتياجاته الأساسية، فهو بحاجة إلى الآخرين، وبحاجة إلى الرعاية والنصح وإبداء المساعدة، وهو في نفس الوقت قليل التجربة والخبرة في الحياة، ولا يمتلك الرصيد الذي يستطيع من خلاله أن يسير المسيرة الصحيحة في حياته، فهو يحتاج إلى عون ودعم؛ لذا غيّر النبي التعبير السابق بتعبير آخر فقال: «وارحموا صغاركم».

##### ٥- تهذيب اللسان

من مفردات التربية التي أريد لها أن تفعل من خلال ممارسة الصوم، هو تهذيب جارحة اللسان، باعتبار أنَّ هذه المفردة من مفردات الإصلاح التربوي، وهناك إصلاح وتهذيب أعلى منها وهو تهذيب الإرادة وإصلاحها. قال النبي ﷺ: «واحفظوا ألسنتكم»، فلو تأملنا حال اللسان، لعلمنا أنَّها أداة عجيبة، فمن خلالها تنقل العلوم والآراء والأفكار، وتنقل الحوارات بين الشعوب، فالحوارات تنقل من جيل إلى جيل ومن شعب إلى شعب، ومن فرد إلى آخر ومن قوم إلى آخرين، وكلّ هذه الحوارات والعلوم والأفكار - التي فيها فائدة كبيرة للبشرية - إنّما تنقل من خلال الكلمة، واللسان هو أداة الكلام؛ وبهذا الاعتبار يكون اللسان أداة بناء للمجتمع، وبناء الشخصية الاجتماعية للفرد من خلال الكلمة الهادفة والصادقة.

كما يمكن أن يكون اللسان أداة هدم للمجتمع حينما يُمارس من خلاله الاغتياب والبهتان والافتراء والنميمة والسب والشتم والطعن، وغير ذلك من الممارسات الكلامية التي تكون سبباً في هدم الكيان الاجتماعي وتحطيم الشخصية الاجتماعية للفرد.

لذا وردت أحاديث كثيرة تُبين أنّ حفظ اللسان عمّا حرّم الله هو من أهمّ مفردات المنهج التربوي في شهر الصوم، فعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إِنَّ الصَّيَامَ لَيْسَ مِنَ الشَّرَابِ وَالطَّعَامِ وَحْدَهُ، إِنَّمَا لِلصَّوْمِ شَرْطٌ يَحْتَاجُ أَنْ يُحْفَظَ حَتَّى يَتِمَّ الصَّوْمُ، وَهُوَ الصَّمْتُ الدَّخُلُ، أَمَا تَسْمَعُ مَا قَالَتْ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْ سَيَّأَ﴾<sup>(١)</sup>، فاحفظوا ألسنتكم من الكذب»<sup>(٢)</sup>.

فالإمام عليه السلام في الرواية أعلاه يفرّق بين الصوم الظاهري والصوم الحقيقي الذي يوصل إلى التقوى، وذكره للكذب هو من باب ذكر المصداق، وإلاّ ينبغي حفظ اللسان عن كلّ ما حرّم الله تعالى، من الكذب والغيبة والنميمة والسب وبقية المفردات التي تدخل في العنوان المحرّم.

ثمّ يُكمل الإمام عليه السلام الرواية إلى أن يقول: «والزموا الصمت والسكوت»<sup>(٣)</sup>، فإذا لم يكن لديك كلمة تنفع بها المجتمع وتنفع بها السامع، فالزم السكوت، فهذا هو الأفضل، وهو الذي يجعلك في موضع السلامة من العقوبة الأخروية والآثار الدنيوية.

(١) مريم: آية ٢٦.

(٢) النوادر: ص ٢١، باب فضل صوم شعبان وصلته برمضان، ح ١٠.

(٣) المصدر نفسه: ص ٢٢.

## ٦. غَضُّ البَصَرِ

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِنَّمَا خَلَقَ جَارِحَةَ الْبَصَرِ لِأَجْلِ مَنَافِعِ الْعَبْدِ وَمَنَافِعِ الْمَجْتَمَعِ، خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْبَصَرَ لِكَيْ يَتَأَمَّلَ الْإِنْسَانُ وَيَتَدَبَّرَ فِي آيَاتِ خَلْقِهِ، وَفِي بَدَائِعِ صَنْعِهِ وَعَجَائِبِ آيَاتِهِ، لِكَيْ يَنْظُرَ الْإِنْسَانُ إِلَى كَلِمَاتِ الْقُرْآنِ وَكَلِمَاتِ الْأَحَادِيثِ وَالْمَوَاعِظِ وَالنِّصَائِحِ، فَإِذَا اسْتَعْمَلَ فِي خِلَافِ ذَلِكَ انْقَلَبَ، وَصَارَ آلَةً هَدَمَ لِلْفَرْدِ وَالْمَجْتَمَعِ؛ لِذَا يُوصِي النَّبِيُّ ﷺ فِي شَهْرِ الصَّوْمِ حَتَّى يَكُونَ صَوْمًا حَقِيقِيًّا أَنْ نَغْضُ أَبْصَارَنَا عَمَّا لَا يَحِلُّ النَّظَرُ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ نَفْعَلْ ذَلِكَ لَوْفَرْنَا الْأَجْوَاءَ لِلْوُقُوعِ فِي الْمَحَارِمِ وَالذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي، «وَغَضُّوا عَمَّا لَا يَحِلُّ النَّظَرُ إِلَيْهِ أَبْصَارَكُمْ، وَعَمَّا لَا يَحِلُّ الْاسْتِمَاعُ إِلَيْهِ أَسْمَاعَكُمْ»<sup>(١)</sup>.

إِنَّ الْمُؤْمِنَ عِنْدَمَا يَكُونُ فِي الشَّارِعِ - مَثَلًا - فَرَبِّمَا تَصَادَفُهُ امْرَأَةٌ، كَاشَفَتْ عَنْ مِفَاتِنِهَا وَعَنْ أَجْزَاءٍ مِنْ جَسَدِهَا، فَعَلَيْهِ أَنْ يَغْضُ بَصَرَهُ؛ لِأَنَّ هَذِهِ النَّظْرَةَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ، يَرِيدُ أَنْ يَوْقِعَهُ بِهَا فِي الْمَحْرَمِ<sup>(٢)</sup>. وَكَذَلِكَ الْمُوظَّفُ فِي عَمَلِهِ إِذَا كَانَ يَجْلِسُ بِالْقَرَبِ مِنْ مَوْظَفَةٍ أُخْرَى عَلَيْهِ أَنْ يَغْضُ بَصَرَهُ. وَهَكَذَا الطَّالِبُ الْجَامِعِيُّ، وَالطَّالِبُ فِي الْمَدْرَسَةِ، وَالْإِنْسَانُ فِي السُّوقِ.. عَلَى الْجَمِيعِ أَنْ يَغْضُوا أَبْصَارَهُمْ حَتَّى يَكُونَ صَوْمُهُمْ صَوْمًا حَقِيقِيًّا وَيَحْفَظُوا أَنْفُسَهُمْ عَنِ الْوُقُوعِ فِي الْمَعَاصِي.

## ٧. التَّحَنُّنُ عَلَى الْإِيْتَامِ

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يُبَيِّنُ النَّبِيُّ ﷺ أَيْضًا أَنَّ هَذَا الشَّهْرَ لَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ مِيدَانًا لَانْتِقَالِ نَوْعِيٍّ وَتَحَوُّلِ جَذَرِيٍّ فِي مِيدَانِ الْمَشَاعِرِ الْإِنْسَانِيَةِ، يَقُولُ ﷺ: «وَتَحَنَّنُوا عَلَى أَيْتَامِ

(١) الأُمَالِي، (الشيخ الصدوق): ص ١٥٤.

(٢) رَوَى عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ عَقْبَةَ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ﷺ: «النَّظْرَةُ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ مَسْمُومٌ، مَنْ تَرَكَهَا لِلَّهِ لَا لغيرِهِ أَعْقَبَهُ اللَّهُ إِيْمَانًا يَجِدُ طَعْمَهُ». مَنْ لَا يَحْضُرُهُ الْفَقِيه: ج ٤، ص ١٨، باب مَا جَاءَ فِي النَّظَرِ إِلَى النِّسَاءِ، ح ٤٩٦٩.

الناس يُتَحَنَّن على أيتامكم».

فمن خلال هذه العبارة نفهم أنَّ النبي ﷺ يُريد أن يُبين أنَّ اليتيم المحروم من العاطفة الأبوية هو بحاجة إلى المشاعر الإنسانية الأبوية أكثر بكثير من الحاجة إلى الدنانير والدراهم التي تُرمى بيده.

إنَّ الطفل الذي حُرِم من العاطفة الأبوية يكون بحاجة إلى عطفك أيها المؤمن، وإلى مسحة حنان منك، أن تضع يدك على رأسه وتشعره بالحنان الأبوي، هذه الحاجة عند اليتيم أعظم من الحاجة المادية، بل هذا العطف الأبوي والحنان إذا توفّر في قلب الإنسان المؤمن أمكن أن تنفتح أبواب من العطاء المادي للأيتام؛ لذلك يُبين النبي ﷺ من خلال هذا المقطع أنّه لا بدّ أن يحصل في هذا الشهر - إذا أردنا أن نصومه صوماً حقيقياً - تحوّل كبير في ميدان المشاعر الإنسانية.

## الخطبة السابعة والعشرون

في رحاب المدرسة الأخلاقية للإمام الحسن عليه السلام

بتاريخ: ٢٩ / ١٠ / ٢٠٠٤ م

وفيها المحاور التالية:

- أدوار القادة الإلهيين بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله
- معطيات الحديث عن سيرة الإمام الحسن عليه السلام ومسيرته
- القدوة في الجانب العبادي للإمام الحسن عليه السلام
- القدوة في الجانب الأخلاقي للإمام الحسن عليه السلام
- عفو الإمام الحسن عليه السلام



## مقدمة الخطبة

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سبحانك ربنا ولك الحمد، أنت الذي بكلمتك خلقت جميع خلقك، فكلّ مشيئتك أتتك بلا لغوب، وأثبت مشيئتك ولم تأن فيها لمؤنة، ولم تنصب فيها لمشقة، وكان عرشك على الماء، والظلمة على الهواء، والملائكة يحملون عرشك عرش النور والكرامة، ويسبّحون بحمدك، والخلق مطيع لك خاشع من خوفك، لا يرى فيه نورٌ إلّا نورك، ولا يسمع فيه صوتٌ إلّا صوتك، حقيقٌ بما لا يحقّ إلّا لك، خالق الخلق ومبتدعه، توحدت بأمرك، وتفرّدت بملكك، وتعظّمت بكبريائك، وتعزّزت بجبروتك، وتسلّطت بقوّتك، وتعاليت بقدرتك، فأنت بالمنظر الأعلى فوق السماوات العلى... علوت على علو ما استعلى من مكانك، كنت قبل جميع خلقك، لا يقدر القادرون قدرك، ولا يصف الواصفون أمرك، رفيع البنيان، مضيء البرهان، عظيم الجلال، قديم المجد، محيط العلم، لطيف الخير، حكيم الأمر<sup>(١)</sup>.

اللهم صلّ على محمد وآل محمد، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنّك حميد مجيد، وصلّ على جميع الأنبياء والمرسلين.

أوصيكم عباد الله، ونفسي الغارقة في بحار الذنوب والمعاصي، بأن تقوا ﴿أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>. وأوصيكم ونفسي باستثمار شهر رمضان المبارك؛ الجزيل في عطائه، الوافر في بركاته.

(١) البلد الأمين: ص ١٣٤.

(٢) التحريم: آية ٦.

## أدوار القادة الإلهيين بعد رحيل النبي ﷺ

في يوم الخامس عشر من شهر رمضان المبارك تمر علينا ذكرى ولادة مجمع النورين وملتقى البحرين؛ عليّ بحر نور الإمامة، وفاطمة بحر نور النبوة والكرامة، وأول الأسباط الأحد عشر من نسل سيّد الأنبياء ﷺ، ونسل عليّ سيّد البشر، وأول من اجتمع فيه نور النبوة ونور الإمامة؛ ألا وهو الإمام الحسن المجتبيّ عليه السلام<sup>(١)</sup>.

ومقدّمة للحديث عن هذه الشخصية المعصومة الفذة نقول: إنّ المدّة التي عاشها النبي ﷺ غير كافية لترسيخ التجربة الإسلامية في نفوس المجتمع الإسلامي، مع وجود تلك الهوة الكبيرة بين مجتمع الجزيرة قبل التجربة الإسلامية وبعد بزوغها؛ لذا كان لا بدّ من قيادة صالحة قادرة على أن تحفظ لهذه التجربة أصالتها ونقاءها، وتعطيها الرسوخ والقوّة والثبات والشمول، بحيث تكون هذه الرسالة قادرة على إنقاذ البشرية من الضلال والكفر.

والجماعة التي كانت مؤهّلة لقيادة هذه التجربة بعد النبي ﷺ هم الدوحة المحمّدية المتمثّلة بالأئمّة الأطهار. وعلى الرغم من أنّ الأئمّة عليهم السلام قد أبعادوا عن موقع قيادة التجربة الإسلامية بعد رحيل النبي ﷺ، إلّا أنّ التاريخ حفظ لهم أدواراً مهمّة وأساسية تتناسب وعظم مقامهم وعلو شأنهم؛ منها:

الدور الأوّل: المرجعية الدينية والفكرية التي حفظت للفكر الإسلامي أصالته ونقاوته؛ لأنّهم كانوا يمثلون الوعاء الحقيقي لعلوم الدوحة المحمّدية.

الدور الثاني: الدفاع عن الإسلام والمحافظة على العقيدة الإسلامية.

---

(١) كان إلقاء هذه الخطبة في يوم (١٤) من شهر رمضان المبارك، أي: قبل ولادة الإمام الحسن المجتبيّ عليه السلام يوم واحد؛ لذا خصّص ساحة الشيخ هذه الخطبة للحديث عن سيرة الإمام عليه السلام ومسيرته.

الدور الثالث: الدفاع عن الأمة الإسلامية والمحافظة على وجودها وهويتها ووحدةها.

الدور الرابع: بناء الجماعة الصالحة المتمثلة بشيعة أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم. وقد أدى أئمة أهل البيت هذه الأدوار بأساليب ومناهج ربّما اختلفت تبعاً لاختلاف طبيعة الظروف السياسية والاجتماعية والفكرية المحيطة بمجتمعاتهم.

### معطيات الحديث عن سيرة الإمام الحسن عليه السلام ومسيرته

إنّ الحديث عن سيرة الإمام الحسن عليه السلام ومسيرته، وعظمة شخصيته، وملامح حياته العبادية والأخلاقية والاجتماعية والسياسية، لا يهدف إلى بيان أحقيته لقيادة الأمة فحسب، بل يهدف - فيما يهدف - إلى بيان جانب التأسي والافتداء وتذكير الأمة بأخلاق قادتها؛ لأنّ الفرد، بل الأمة بأسرها، وبسبب انغماسها في الدنيا وملذّاتها، ومعاشرة أهل الباطل، تغيب عندهم القيم والمثل ومعالي الأمور عن الساحة الاجتماعية، الأمر الذي يجعل التنبيه والتذكير بهذه القيم - بين الحين والآخر - أمراً ضرورياً.

مضافاً إلى ذلك فإنّ لكل منهج ونظام يراد منه صلاح المجتمع البشري أركان ينبغي توفرها؛ منها: ما يرتبط بالجانب النظري المتكامل الحاوي جميع قوانين الحياة. ومنها: ما يرتبط بعنصر القدوة الذي يستجمع من جهة عملية جميع مفردات هذا القانون، التي من جملتها القانون الأخلاقي؛ لأنّ البشر بطبعه إن لم يجد العنصر البشري المماثل له الحاوي لجميع هذه الممارسات بصورة عملية، لا يتولّد عنده الحافز والمحرّك لتطبيق الجوانب النظرية للمنهج؛ ولذا فإنّ المطلوب حينما نستعرض ملامح الشخصية المثالية للأئمة عليهم السلام أن نجعلهم قدوةً لنا في جميع مفردات حياتنا اليومية، لذلك نستعرض بعض ملامح شخصية الإمام الحسن المجتبي عليه السلام؛ لرسم من خلالها بعض ملامح الأسوة والقدوة التي ينبغي الأخذ بها في حياتنا.

## القدوة في الجانب العبادي للإمام الحسن عليه السلام

لنبتدئ بالجانب الروحي والعبادي في شخصية الإمام الحسن عليه السلام، فإنَّ الإعداد الأصيل الذي توفّر للإمام السبط عليه السلام قد وفّر لكيانه الروحي سموّاً شاهقاً. ولا ريب أنَّ أهل البيت عليهم السلام أكثر الناس معرفةً بالله وإيماناً به وحبّاً له وانقياداً لأوامره وطاعته، والإمام الحسن عليه السلام فرع من هذه الشجرة النبوية، فلا غرو أن يصفه الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «إنَّ الحسن بن عليٍّ كان أعبد الناس في زمانه، وأزهدهم وأفضلهم»<sup>(١)</sup>. وتحذّر الرواة عن مدى طاعته، فقالوا: إنَّه لم ير في وقتٍ من الأوقات إلّا وهو يلهج بذكر الله تعالى، وأنَّه إذا ذكر الجنة والنار اضطرب اضراب السليم، فسأل الله الجنة وتعوّذ من النار<sup>(٢)</sup>، وإذا ذكر الموت وما يعقبه من البعث والنشور، بكى بكاء الخائفين والمنيين، وإذا ذكر العرض على الله شهق شهقةً يُغشى عليه منها. وكان من أشدّ المعتبرين بالموت، فإذا حضر جنازةً ظهرت عليه السكينة أياماً، وإذا مات في جواره شخص سُمع منه النحيب والبكاء كما يُسمع من دار الميت. وهذه المظاهر تدلّ على عظيم طاعة الإمام عليه السلام وخوفه من الله.

ومن مظاهر عبادته وعظيم إخلاصه وطاعته لله تعالى أنَّه حجّ بيت الله الحرام خمساً وعشرين حجةً ماشياً على قدميه، وكانت النجائب<sup>(٣)</sup> تقاد بين يديه<sup>(٤)</sup>، وسُئل

(١) وسائل الشيعة: ج ١١، ص ٨٠، باب استحباب اختيار المشي في الحج على الركوب، ح ١٤٢٩٣/١٠.

(٢) عدّة الداعي: ص ١٣٩.

(٣) قال ابن منظور: «النجيب: الفاضل من كل حيوان... والنجيب من الإبل، والجمع: النُجُب والنجائب... وهو القويُّ بالضم، الخفيف السريع، وناقّة نجيبٌ ونجبية». لسان العرب: ج ١، ص ٧٤٨.

(٤) روى عبد الله بن عمر، عن ابن عباس، قال: «لقد حجّ الحسن بن علي خمساً وعشرين حجةً ماشياً، وأنّ النجائب لتقاد معه، وقد قاسم الله ماله مرتين، حتى أن كان يُعطي النعل ويُمسك النعل، ويُعطي الخفّ ويمسك الخفّ». مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ١٨٠.

عن كثرة حجّه ماشياً، فأجاب: «إني لأستحيي من ربّي أن ألقاه ولم أمشِ إلى بيته»<sup>(١)</sup>.

### القدوة في الجانب الأخلاقي للإمام الحسن عليه السلام

قبل الشروع في بيان بعض الجوانب الأخلاقية في شخصية الإمام الحسن عليه السلام، نذكر مقدّمة؛ حاصلها: أنّ الأمم الراقية إنّما تتفاضل فيما بينها بالعلم والمعرفة، ثم بالأخلاق، فالأخلاق هي غاية ما يصل إليه الإنسان في سمّوه وكماله وتهذيبه، كما أنّ الأخلاق من أوثق الأسباب في بقاء الأمم ودوام حضاراتها؛ ولذلك اعتنت الشريعة الإسلامية بالأخلاق، واهتمّت بتهذيب النفوس وتربيتها بالنزعة الخيرة، وكذلك نرى أهل البيت عليهم السلام قد اهتمّوا بهذا الجانب واعتنوا به أشدّ الاعتناء، كجدّهم المصطفى صلى الله عليه وآله، لإدراكهم ووعيمهم أنّ الأخلاق أساس مهم في بناء الحضارة البشرية ودوامها، بل هي من أقوى العلل في ظهور الشرائع السماوية.

بعد هذه المقدّمة المختصرة نذكر جانباً من البُعد الأخلاقي في شخصية الإمام الحسن عليه السلام، فقد ورد أنّ من أبرز صفاته وأكثرها جلاءً من بين أخلاقه السامية، هو سخاؤه وكرمه<sup>(٢)</sup>. فقد كان عليه السلام يرى أنّ هدف المال هو أن يكسو به عرياناً أو يغيث به ملهوفاً، أو يفني به دين راغب، أو يسد به جوع جائع، وقد قيل له مرةً: بأيّ شيء لا نراك تردّ سائلاً؟ قال عليه السلام: «إني لله سائل، وفيه راغب، وأنا أستحيي أن أكون سائلاً وأرد سائلاً، وإن الله عودني عادةً أن يفيض نعمه عليّ، وعودته أن أفيض نعمه على الناس، فأخشى إن قطعت العادة أن يمنعي العادة»<sup>(٣)</sup>.

وحُلق السخاء لدى الإمام عليه السلام يكشف عن كبير ثقته بالله وطيب قلبه، مضافاً

(١) مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ١٨٠.

(٢) أنظر: الأنوار البهية: ص ٨٧، فصل في مناقب الإمام الحسن عليه السلام.

(٣) شرح إحقاق الحق: ج ١١، ص ١٥١.

إلى رحمته ورأفته، ومن الطبيعي أن يكون الإنسان كذلك فيما إذا بذل المال بداعي الخير والمعروف، لا بداعي السمعة والمديح والثناء وغير ذلك من الدواعي التي لا تمت إلى الإحسان بصلة.

ومن نماذج كرمه وسخائه عليه السلام، ما ورد في بعض كتب السيرة أن الإمام عليه السلام اشترى بستاناً من الأنصار بأربعمائة ألف درهم، ثم بلغه أنهم احتاجوا إلى ما في أيدي الناس، فردّ البستان إليهم دون مقابل<sup>(١)</sup>.

وفي مورد آخر اجتاز الإمام عليه السلام على غلام أسود بين يديه رغيف يأكل منه لقمة ويدفع لكلب كان عنده لقمة أخرى، فقال له الإمام عليه السلام: «ما حملك على ذلك؟» فقال الغلام: «إني لأستحي أن آكل ولا أطعمه. رأى الإمام عليه السلام في هذا الغلام الأسود أن فيه خصلة من أحبّ الخصال عنده، فأحبّ أن يجازيه على صنعه، ويقابل إحسانه بإحسان، لتنتشر الفضيلة وتعمّ النزعات الخيرة في دنيا الإسلام، فقال له: «لا تبرح حتى آتيك»، ثم انطلق فاشتراه من مولاه، واشترى الحائط الذي هو فيه، فأعتقه وملّكه الحائط<sup>(٢)</sup>، ونرى في هذا الأمر الذي صدر من الإمام عليه السلام ما يدل على عظم هذه النفس الملكوتية.

### عفو الإمام الحسن عليه السلام

روي أن الإمام الحسن عليه السلام كان يعفو عمّن أساء إليه، بل كان يقابله بالإحسان، حتى روي أن شامياً رآه راكباً فجعل يلعنه والحسن لا يرد، فلما فرغ أقبل الحسن عليه السلام فسلم عليه وضحك، فقال: «أيها الشيخ أظنك غريباً، ولعلك شبهت، فلو استعبتنا

(١) سبل الهدى والرشاد: ج ١١، ص ٦٨، ب ١١.

(٢) البداية والنهاية: ج ٨، ص ٤٢. سبل الهدى والرشاد: ج ١١، ص ٦٨، ب ١١.

أعتبنك، ولو سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا أحملناك، وإن كنت جائعاً أشبعناك، وإن كنت عرياناً كسوناك، وإن كنت محتاجاً أغنيك، وإن كنت طريداً آويناك، وإن كان لك حاجة قضيناها لك، فلو حركت رحلك إلينا، وكنت ضيفنا إلى وقت ارتحالك كان أعود عليك، لأنّ لنا موضعاً رحباً وجاهاً عريضاً ومالاً كثيراً».

فلما سمع الرجل كلامه، بكى، ثم قال: أشهد أنك خليفة الله في أرضه، الله أعلم حيث يجعل رسالته، وكنت أنت وأبوك أبغض خلق الله إليّ والآن أنت أحب خلق الله إليّ. وحول رحله إليه، وكان ضيفه إلى أن ارتحل، وصار معتقداً لمحبتهم<sup>(١)</sup>.



# الخطبة الثامنة والعشرون

## الأخلاق والسياسة في المدرسة العلوية

بتاريخ: ٥ / ١١ / ٢٠٠٤ م

وفيها المحاور التالية:

- منهجان في التعاطي مع الأخلاق والسياسة
- ملامح المنهج السياسي العلوي
- الأسس الأخلاقية في سياسة الإمام علي عليه السلام
- أسس السياسة الثقافية للإمام علي عليه السلام
- أسس السياسة الاجتماعية عند الإمام علي عليه السلام



## مقدمة الخطبة

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على سيّدنا ونبيّنا أبي القاسم محمّد وآل بيته الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

سبحانك ربّنا ولك الحمد، أنت الله القائم على عرشك أبداً، أحاط بصرك بجميع الخلق، وخلق كلّهم على الفناء، وأنت الباقي الكريم القائم، الدائم بعد فناء كلّ شيء، الحي الذي لا يموت، بيدك ملكوت السماوات والأرض أبد الأبدين ودهر الدهرين، أنت الذي قصمت بعزّتك الجبارين، وأطبقت في قبضتك الأرضين، وأغشيت بضوء نورك الناظرين، وأشبعْتَ بفضل رزقك الآكلين، وعلوت بعرشك على العالمين، وأعمرت سماءاتك بالملائكة المقربين، وعلمت تسبيحك الأوّلين والآخريين، وانقادت لك الدنيا والآخرة بأزمّتها، وحفظت السماوات والأرضين بمقاليدها، وأذعنت لك بالطاعة ومن فوقها<sup>(١)</sup>.

اللهم صلّ على محمّد عبدك ورسولك ونبيّك، وعلى أهل بيته، كما سبقت به رحمتك، وقرب إلينا به هداك.

أوصيكم عباد الله بالثبات على الهدى والطاعة والعفة والسداد، واجتناب ما يكرهه الله تعالى ويغضه، واقتفاء هدي نبيّه المصطفى ﷺ وآل بيته الأطهار؛ فإنّ ذلك مفتاح الكمال والسعادة في الدارين.

---

(١) مصباح التهجد: ص ٤٥١.

## منهجان في التعاطي مع الأخلاق والسياسة

ما أحوجنا في هذه الأيام - وأتباع أهل البيت عليه السلام يعيشون ظروفًا وفرت لهم المشاركة في العملية السياسية والإدارية لبلد أمير المؤمنين عليه السلام؛ أعني به العراق الجريح المظلوم - إلى دراسة منهج أمير المؤمنين عليه السلام لنجعل منه منهجاً وقواعد لحياتنا السياسية والاجتماعية والإدارية، بل في كل شأن من حياتنا؛ لأنّ منهج الإمام علي عليه السلام كان هو القرآن بعينه <sup>(١)</sup>.

ومن الضروري - هنا - أن نميّز بين مدرستين، تميزت إحداهما بالصلاح والإصلاح والهداية نحو الرشاد والصواب، وأخرى كان ديدنها اللعب بالدين والقيم، وسمتها المراوغة والخديعة والكذب، كلّ ذلك من أجل الوصول لغايتها وأهدافها، وهذا التمييز تشدد الحاجة إليه، حتى لا نضيع وسط أجواء السعي لتحقيق الطموحات والأهداف في خضم المعترك السياسي فنفقد أعزّ ما نملك، ألا وهو سمتنا الأصيلة، المتمثلة بالتمسك بمنهج أهل البيت عليه السلام وأخلاقهم؛ لذا علينا أن نعي ونشخص ملامح السياسة العلوية، وما هو منهج الإمام علي عليه السلام السياسي، حتى نبقى الخط المحمّدي الأصيل هو السمة التي تطبع حياتنا السياسية.

## ملامح المنهج السياسي العلوي

وأبّين لكم - بصورة موجزة - ملامح المنهج السياسي العلوي، ولامح المنهج المقابل له؛ أعني المنهج الأموي، وماذا تعني السياسة لدى المدرسة الأموية.

---

(١) كان ألقاء هذه الخطبة في يوم الحادي والعشرين من شهر رمضان المبارك؛ ذكرى شهادة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وبهذه المناسبة خصّص سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي (دامت بركاته) موضوع الخطبة للحديث عن سيرة الإمام عليه السلام ومسيرته، وبدأها بقوله: «تقرّ في هذا اليوم ذكرى المصاب الحزين لفقد مولى المتّقين، وإمام الموحّدين، أبي الحسن والحسين عليه السلام؛ علي بن أبي طالب عليه السلام، ولا يسعنا في هذه المناسبة إلا أن نقول: رحمك الله يا أبا الحسن، كنت أوّل القوم إسلاماً، وأخلصهم إيماناً، وأشدّهم يقيناً، وأخوفهم الله، وأعظمهم عناء».

إنّ المدرسة الأموية تنظر إلى السياسة على أنّها معرفة الهدف والغاية وتشخيصه وبلوغه بأيّ طريق ممكن، وهذا المعنى بعينه يجري في الأنظمة السياسية والمتعاطين للسياسة في الماضي والحاضر.

يقول أحد منظّري السياسة العالمية (شينغلر) - الذي يتوافق مبناه مع ما ذكرنا من مبنى السياسة الأموية -: « لا شأن للسياسي المحترف في أن تكون الأمور حقّاً أم باطلاً »<sup>(١)</sup>.

أمّا السياسة في المدرسة العلوية فتعني معرفة الأدوات السياسية المشروعة، وتوظيفها لإدارة المجتمع، لتأمين الرفاه المادّي والمعنوي للناس. وفي المدرسة العلوية لا يجوز التوسّل بأيّ وسيلة لبلوغ السلطة أو الحفاظ عليها، بل لا يجوز استعمال الأدوات السياسية غير الشرعية، حتى لو كلّ ذلك فقدان السلطة نفسها. ومن خلال هذه الرؤية نفهم أنّ السياسات غير الشرعية؛ كاستعمال المكر والخدعة والشيطنة لا تستحق لقب السياسة في المنهج العلوي، بل لا بدّ أن تُعنون بعنوانها الحقيقي، وهو الكذب والخدعة والشيطنة.

وعلى هذا الفهم للسياسة المحمّدية الأصيلة؛ وعلى نهجها وخطاها انطلق الإمام علي عليه السلام - بعد أن بايعه الناس وسُلّم زمام السلطة السياسية - ليبدأ حركة إصلاح حكومية؛ والتي كان شعارها العدالة الاجتماعية والاقتصادية.

ومن جهة أخرى، كان الإمام عليه السلام يعلم أنّ منهجه الإصلاحي النابع من المنهج الإصلاحي المحمدي لا يتفق مع مزاج أصحاب المصالح والمطامع، وسيلقى معارضة شديدة، خصوصاً في ظل الأوضاع السياسية التي كانت سائدة.

إنّ إصلاحات الإمام علي عليه السلام تركّزت على مواجهة جانبيين مهمّين من جوانب الحياة؛ مواجهة الفساد الإداري والاقتصادي، ومواجهة الانحرافات الثقافية.

---

(١) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب: ج ٤، ص ١١.

## المواجهة الصارمة مع الفساد والمفسدين

بدأ الإمام عليه السلام من دون أيّ توانٍ بتطبيق برنامجه، ومواجهة الفساد والمفسدين، وهو يعلم أنّ الشخصيات الفاسدة والمفسدة - التي ستتضرّر مصالحها الدنيوية والمالية وتحسر مواقعها ومناصبها - سترفع شعار المعارضة، وتقف له بالمرصاد، وتواجه خططه وبرامجه الإصلاحية بحملات من الفتن والمؤامرات والدسائس، بل والحروب العسكرية، ولكنه عليه السلام كان نتاج تربية القرآن والنبي الأعظم صلّى الله عليه وآله، فقد أعلن وبكلّ صراحة ووضوح ولجميع الأمة أنّه لن يتراجع عن منهجه مهما كلف الأمر، فقال عليه السلام في أوّل خلافته: «اعلموا أنّي إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب»<sup>(١)</sup>.

ثم أعلن بوضوح منهجه في بسط العدالة الاجتماعية والاقتصادية، وبيّن أنّه لن يسمح لأحد - ومن دون استثناء - باستغلال المال العام، وأنّ أولئك الذين ضاعفوا ثرواتهم من خلال سرقة المال العام، وحصلوا - من خلال الطرق غير الشرعية، ومن خلال ما يتمتعون به من مناصب - على الأراضي الخصبة والخيول المسوّمة والجواري، سيعمد إلى مصادرتها، وردّها إلى بيت المال؛ لأنّها ثروات مغمصوبة من الشعب، فأعلن عليه السلام منهجه الإصلاحية المالي بقوله: «ألا إنّ كلّ قطيعة قطعها عثمان، وكلّ مال أعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال، فإنّ الحقّ القديم لا يبطله شيء، ولو وجدته وقد تزوّج به النساء، وفُرق في البلدان، لرددته إلى حاله، فإنّ في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل، فالجور عليه أضيق»<sup>(٢)</sup>.

لقد كانت الإصلاحات الإدارية والمالية التي نهض بها الإمام علي عليه السلام بمنزلة الصاعقة على رؤوس أولئك القوم الذين بنوا رصيدهم في السنين السابقة من

(١) نهج البلاغة (خطب الإمام علي): ج ١، ص ١٨١.

(٢) أنظر: نهج البلاغة (خطب الإمام علي): ج ١، ص ٤٦.

أموال الناس، وتبوؤوا ما لا يستحقّون من المواقع الإدارية. وهنا انطلقت شرارة المعارضة والمواجهة للإمام عليه السلام، حتى من أولئك الصحابة المعروفين لدى عامّة الناس؛ لأنّهم علموا وأدركوا أنّ المنهج العلوي سوف يقضي على مصالحهم الدنيوية التي استحوذوا عليها بالباطل؛ لذا رفعوا شعار المطالبة بدم عثمان، وبدأوا بحياكة المؤامرات.

وأنا لا أبغي عرض المنهج الإصلاحى للإمام عليه السلام فحسب، وإنّما أريد أن أبيّن أنّ التاريخ يعيد نفسه في كلّ عصر، ففي عصرنا ومصرنا نجد من يدّعي الإيمان والالتزام بخط أهل البيت، ولكنه يحمل الحملات الشعواء في وجه الإصلاح ووجه من يريد الإصلاح والتغيير وإعادة الحق إلى أصحابه، ومنع استغلال الأموال، هذه الحملات المتمثلة في الافتراء والكذب وتشويه السمعة ونحو ذلك، لا شيء إلّا لأنّ صاحب المنهج الإصلاحى قد حرمهم ما ليس بحقّ لهم.

### الأسس الأخلاقية في سياسة الإمام علي عليه السلام

يمكن أن نستخلص الأصول والأسس الأخلاقية والإدارية في منهج الإمام الإصلاحى في الأمور التالية:

#### أولاً: الصدق في السياسة

إنّ الصدق السياسى هو الحد الفاصل بين السياستين؛ العلوية والأموية، وهو رمز النفوذ الخلاق، والجاذبية الخالدة للحكم العلوي. أمّا السياسة الأموية فلا معنى للصدق ولا مكان له في قاموسها؛ لأنّها سياسة بُنيت على الكذب، وجعلت منه الأداة الأساسية في ضروب الفعالية السياسية عند السياسيين المحترفين. يقول أحد العلماء - حينما كان في السجن - إنّ أحد المسؤولين الحكوميين زاره، وقال له:

«إنَّ السياسة خُبٌّ وكذبٌ وخداعٌ، وهي بلاءٌ سيءٌ، فاتركوا لنا ذلك»<sup>(١)</sup>، وقد علّق هذا العالم الربّاني على كلام المسؤول الحكومي، قائلاً: «صحيحٌ ما يقوله، فلئن كانت السياسة لا تعني إلاّ هذه الأمور فهي من شؤونهم لا من شؤوننا».

إذا ما حذف الكذب من قاموس السياسة فلن يبقى منها شيء من وجهة نظر سياسة اليوم، أمّا من وجهة نظر السياسة العلوية فإنّ الصدق هو أوّل شروط الحكم والتأهّل السياسي، فإذا لم يكن ثمة وجود للصدق السياسي فلن يكون هناك معنى لسيادة الحقّ وحاكمية القانون، وحقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية. إنّ من أبرز معالم نهج السياسة العلوية هو عدم جواز توظيف الحيل السياسية إلاّ في مورد واحد؛ وهو الحرب<sup>(٢)</sup>.

### ثانياً: محورية الحق

يُعدّ هذا المحور مظهراً للصدق السياسي في الحكم العلوي، ولقد كان الإمام عليه السلام يرى أنّ إقامة الحقّ وإحقاقه هو عماد فلسفة حكمه؛ وعلى هذا الأساس واجه الإمام عليه السلام بشدّة أسلوب المداينة والتلون في إدارة شؤون المجتمع فيما كانت تمثّله السياسة الأموية<sup>(٣)</sup>.

(١) القيادة في الإسلام: ص ٢٠٨.

(٢) من كلام لأمر المؤمنين عليه السلام: «والله، ما معاوية بأدهى مني، ولكنّه يغدر ويفجر. ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس، ولكن كل غدره فجرة، وكل فجرة كفره. ولكل غادر لواء يُعرف به يوم القيامة. والله، ما أستغفل بالمكيدة، ولا أستغمر الشديدة». نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام: ج ٢، ص ١٨١.

(٣) قال علي عليه السلام في خطبة له: «ولعمري، ما عليّ من قتال من خالف الحق وخابط الغي من إدهان ولا إيهان، فاتقوا الله عباد الله وفروا إلى الله من الله. وامضوا في الذي نهجه لكم، وقوموا بما عصبه بكم. فعليّ ضامن لفلجكم آجلاً، وإن لم تمنحوه عاجلاً». نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام: ج ١، ص ٦٣.

إنَّ السَّائرين على الخط الإسلامي في يومنا هذا أشدَّ احتياجاً إلى تجسيد هذا المنهج في تعاملهم السياسي، ومن الخطورة بمكان أن تغيب عنّا مفردات المنهج العلوي؛ لأنَّ نسيانها، وعدم العمل بها قد يكون سبباً في وقوع البعض ضحية المنزلاقات السياسية<sup>(١)</sup>.

### ثالثاً: سيادة القانون

لقد بلغ من احترام الإمام علي عليه السلام للقانون أنّه لم يكن يرى لنفسه خاصيّة أمام القانون، وكان يؤمن أنّه ليس هناك شخص فوق القانون، ولن يستطيع أحد - ولا ينبغي له - أن يكون مانعاً عن تنفيذ القانون الإلهي<sup>(٢)</sup>.

(١) ذكر الشيخ الكربلائي (دامت بركاته) شاهداً ونموذجاً على أنّ المصالح السياسية وغيرها قد تكون سبباً لمداينة البعض، فقال: «نقل لي أحد الإخوة المعمّمين - الذي هو عضو في المجلس الوطني المؤقّت - أنّه عقد اجتماعاً لهذا المجلس لغرض حجب الثقة عن أحد الوزراء في هذه الأيام، فلو حظ أحد الأعضاء المنتمي لأحد التيارات الإسلامية قد خرج من المجلس قبل عقد الجلسة؛ لأنّ لا يتعرّض إلى موقف حرج مع الحكومة الوزارية الحالية، مع أنّ هذه الشخصية كانت تعرف جيداً مثالب هذا الوزير وسياسته المرفوضة».

(٢) يتجلّى ذلك في مساواته عليه السلام بين الناس في العطاء، وعدم اعتناؤه بكل الاعتبارات الأخرى، فقد روى الشيخ الكليني بسنده عن أبي مخنف الأزدي، قال: «أتى أمير المؤمنين صلوات الله عليه رهطاً من الشيعة، فقالوا: يا أمير المؤمنين لو أخرجت هذه الأموال ففرقتها في هؤلاء الرؤساء والأشراف وفضلتهم علينا، حتى إذا استوسقت الأمور عدت إلى أفضل ما عودك الله من القسم بالسوية والعدل في الرعية؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أتأمروني ويحكم أن أطلب النصر بالظلم والجور فيمن وليت عليه من أهل الإسلام؟! لا والله، لا يكون ذلك ما سمر السمر، وما رأيت في السماء نجاة، والله، لو كانت أموالهم مالي لساويت بينهم فكيف وإنما هي أموالهم!». الكافي: ج ٤، ص ٣١، باب وضع المعروف موضعه، ح ٣.

وقوله: «ولا أفعله ما سمر السمر». أي: ما اختلف الليل والنهار. القاموس المحيط: ج ٢، ص ٥١ - مادة (السمة).

#### رابعاً: الانضباط الإداري

لقد كان الإمام عليه السلام يحث العاملين معه على الدوام والاستمرار في العمل، وأن لا يغفلوا عن الانضباط الإداري في ممارسة العمل، وأن يبذلوا جهدهم لإنجاز كل واجب في وقته المحدد له<sup>(١)</sup>.

#### خامساً: اختيار الأكفاء

ومن جملة أسس السياسة الإدارية للإمام علي عليه السلام هو انتخاب الأشخاص الكفؤين للعمل، واعتماد الجدارة والكفاءة في ذلك، لا المحسوبية والمنسوبية.

#### سادساً: تأمين الاحتياجات الاقتصادية والمالية للعاملين

حرص الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أشد الحرص على تأمين الاحتياجات الاقتصادية والمالية للعاملين؛ لكي يؤمن لهم الحياة الكريمة، فلا يطمعوا بالمال العام، ومن ثم تتفني في حياتهم دوافع الاتجاه نحو الفساد والخيانة والرشوة.

#### أسس السياسة الثقافية للإمام علي عليه السلام

تتبنى السياسة الثقافية عند الإمام علي عليه السلام على الأسس التالية:

#### الأساس الأول: التنمية الثقافية والتربوية

وهذا الأساس يتقدم على التنمية الاقتصادية في النظام العلوي؛ والسبب في ذلك أن التنمية الاقتصادية غير ممكنة من دون التنمية الثقافية، فإن حاجة الروح إلى التربية والتعليم أشد من حاجة الجسد إلى الطعام والشراب.

---

(١) جاء في وصية أمير المؤمنين للحسن والحسين عليه السلام: «أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ونظم أمركم». نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام: ج ٣، ص ٧٦.

## الأساس الثاني: تصحيح الثقافة العامة

لقد كان الإمام عليه السلام يدافع عن السنن والتقاليد الاجتماعية البناءة، وكان يهاجم بعنف الأعراف والتقاليد الخاطئة، ولم يكن يسمح أن تواصل التقاليد الخاطئة والأعراف الضارة حضورها في المجتمع الإسلامي.

## الأساس الثالث: النقد البناء

من أسس السياسة الثقافية عند الإمام علي عليه السلام هو النقد البناء بدلاً من الإطراء والتملق، فقد حث عليه السلام الولاة والعاملين معه على أن يقربوا الأجراً في قول الحق، والأكثر صراحةً في الجهر به، وأن يربّوا من حولهم على عدم التملق والتزلف إليهم والإطراء عليهم أكثر من الاستحقاق<sup>(١)</sup>.

## الأساس الرابع: معيارية الحق في اتباع الرجال

إنّ هذا المبدأ يعني أنّه ليس من الصحيح أن تتحوّل الشخصيات - مهما عظمت ولا حظها الناس بلحاظ الحب والتقدير والإجلال - إلى معيار للحق والباطل، بل أن توزن الشخصيات الكبيرة بمعيار الحق، لا أن يوزن الحق بمعيار الرجال<sup>(٢)</sup>؛ كما يحصل هذا كثيراً.

---

(١) جاء في عهد الإمام علي عليه السلام إلى مالك الأشتر: «ثمّ ليكن أثرهم [أي: الخاصة] عندك أقولهم بمُرّ الحقّ لك، وأقلّهم مساعدةً فيما يكون منك ممّا كره الله لأوليائه واقعاً ذلك من هواك حيث وقع، وألصق بأهل الورع والصدق، ثمّ رُضهم على ألاّ يُطروك ولا ييجحوك بباطل لم تفعله، فإنّ كثرة الإطراء تُحدث الزهو، وتُذني من العزّة». نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام: ج ٣، ص ٨٨.

(٢) روى الشيخ الطوسي في أماليه بسنده عن أبي بكر الهذلي، قال: «دخل الحارث بن حوط الليثي على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال: يا أمير المؤمنين، ما أرى طلحة والزبير وعائشة احتجوا إلاّ على حق؟ فقال: يا حارث، إنك إن نظرت تحتك ولم تنظر فوقك جزت عن الحق، إنّ الحق والباطل لا يُعرفان بالناس، ولكن اعرف الحق باتباع من اتبعه، والباطل باجتنب من اجتنبه». الأمالي (الشيخ الطوسي): ص ١٣٤.

## أُسس السياسة الاجتماعية عند الإمام علي عليه السلام

تتمثل أسس السياسة الاجتماعية عند الإمام علي عليه السلام في الأمور التالية:

### الأساس الأول: العدالة الاجتماعية

وذلك بحرص القادة على التعاطي مع العدالة كمنهج يُتبع في سياسة الدولة وتقديمها على جميع المصالح، فليست هناك مصلحة أعلى من مصلحة إقامة الحق.

### الأساس الثاني: احترام الحقوق المتبادلة بين الدولة والأمة

فلا يمكن أن يدوم بقاء الدول إلا إذا احترمت النظام الحاكم حقوق الشعب، وأبدى الشعب - في الطرف الآخر - احترامه لحقوق النظام الحاكم عليه، ورعاية هذا الأمر عملية شاقّة، ففي دائرة الكلام يحترم الجميع الحق، لكن في دائرة العمل يتضاءل أهل الحق وينحسر عددهم.

### الأساس الثالث: سياسة الرفق بالأمة ومداواة الناس

لقد أوصى الإمام علي عليه السلام قاداته وولاته بأن يتعاملوا مع الناس بمودة وعطف، وأن تكون لهم صلة مباشرة بالشعب، بحيث يلتقون مع أفرادهم وجهاً لوجه، ويصغون إلى مشاكلهم مباشرة من دون واسطة، وأن يتحمّلوا منهم سوء الخلق، ويصبروا على ما يبدر منهم من ممارسات وتصرفات غير لائقة<sup>(١)</sup>.

---

(١) جاء في عهده عليه السلام إلى مالك الأشتر: «وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم. ولا تكوننّ عليهم سبعا ضارياً تغتنم أكلهم، فإنّهم صنفان؛ إمّا أخٌ لك في الدين، وإمّا نظيرٌ لك في الخلق، يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحبّ أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنّك فوقهم، ووالي الأمر عليك فوقك، والله فوق من ولاك. وقد استكفأك أمرهم وابتلاك بهم». نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام: ج ٣، ص ٨٤.

إنّ هذا الأساس عام لكلّ شخص إداري يتولّى إدارة مجموعة من الناس، وليس خاصّاً بالحكّام والقادة؛ فإنّ وصيّة الإمام عليه السلام إلى القادة والولاة لا تختص بهم، بل هي لكلّ شخص يتولّى إدارة مجموعة من الناس، سواء أكان مدير مدرسة، أم مدير دائرة، أم رئيس مؤسسة، بل حتى في الشؤون الأهليّة والأسرية.

ومن النقاط المهمّة - الأخرى - التي حرص الإمام عليه السلام على إيضاء الولاة بها في سياق سياسة الرفق بالناس ضرورة إبلاغ الولاة بالتوضيحات اللازمة في كلّ ما يمكن أن يكون باعثاً لسوء ظن الشعب، وسبباً في اتهام الولاة بغمط حق الجمهور والتجاوز عليه؛ ففي منهج الإمام عليه السلام لا يجوز الاستخفاف بحالة سوء الظن التي تبرز لدى الجمهور، بل ينبغي للولاة والمسؤولين أن يخدموا الشعب بصدق وتواضع وأن يكون ذلك واضحاً أمام الناس؛ لأنّه بالنتيجة سيصب في مصلحة الناس.

نعم، منهج أمير المؤمنين هو الوضوح والصدق والدقّة في العمل وأن يكون بمرأى من الناس.



# الخطبة التاسعة والعشرون

## التوبة أمل وعمل

بتاريخ: ٢٦ / ١١ / ٢٠٠٤ م

وفيها المحاور التالية:

➤ دعوة إلى التعجيل بالتوبة

➤ التوبة أمل العاصين

➤ مباحث التوبة

المبحث الأول: تعريف التوبة

المبحث الثاني: حكم التوبة من جهة العقل والشرع

المبحث الثالث: أضرار المعاصي على آخرة الإنسان ودنياه

المبحث الرابع: حقيقة التوبة وأركانها

المبحث الخامس: الثمار المترتبة على التوبة

➤ التوبة النصوح في كلام الإمام علي عليه السلام

المبحث السادس: التعامل مع العبد التائب



## مقدمة الخطبة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الأول بلا أول كان قبله، والآخر بلا آخر يكون بعده، الذي قصرت عن رؤيته أبصار الناظرين، وعجزت عن نعته أوهام الواصفين، ابتدع بقدرته الخلق ابتداءً، واخترعه على مشيئته اختراعاً، ثم سلك بهم طريق إرادته، وبعثهم في سبيل محبته، لا يملكون تأخيراً عما قدّمهم إليه، ولا يستطيعون تقدماً إلى ما أخرهم عنه، وجعل لكلّ روح منهم قوتاً معلوماً مقسوماً من رزقه، لا ينقص من زاده ناقص، ولا يزيد من نقص منهم زائد، ثم ضرب له في الحياة أجلاً موقوتاً، ونصب له أمداً محدوداً، يتخطى إليه بأيام عمره، ويرهقه بأعوام دهره، حتى إذا بلغ أقصى أثره، واستوعب حساب عمره، قبضه إلى ما ندبه إليه من موفور ثوابه، أو محذور عقابه، ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾<sup>(١)</sup>، عدلاً منه تقدّست أسماؤه، وتظاهرت آلاؤه<sup>(٢)</sup>.

اللهم صلّ على سيدّ خلقك ورسلك أبي القاسم محمد وعلى آل بيته الطاهرين، وأصحابه الذين اتبعوه بإحسان.

---

(١) النجم: آية ٣١.

(٢) الصحيفة السجادية: ص ٢٨.

## دعوة إلى التعجيل بالتوبة

أيها الإخوة<sup>(١)</sup> المذنبون العاصون الغارقون في بحارٍ من الذنوب والآثام والمعاصي والجرائم والموبقات، أوصيكم وأوصي نفسي بأن نتدارك أنفسنا، هذه الأنفس الغارقة في بحار الذنوب والمعاصي، ونحاسبها قبل أن نُحاسب، ونزنها قبل أن نوزن.

أيها الإخوة والأخوات، توبوا إلى بارئكم قبل أن يأتي يوم الحسرة والندامة، حيث يقول أحدكم: ﴿يَحْشَرُنِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ السَّخِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

أيها الأخ العاصي المذنب، أيتها الأخت العاصية المذنبة، ارحم نفسك بالتوبة قبل أن تراها صريعةً على الفراش، تقلبها أيدي الأُحبة فلا يستطيعون لها شيئاً.

أيها الأخ العاصي المذنب، أيتها الأخت العاصية المذنبة، تفضل على نفسك بالعودة إلى الله تعالى قبل أن ترى نفسك ممدوداً على المغتسل تقلبك أيدي الأُحبة والأهل والجيران.

أيها الأخ العاصي المذنب، أيتها الأخت العاصية المذنبة، تحنّ على نفسك بالاستغفار قبل أن ترى نفسك محمولاً على الجنازة، وقد تناول الأقرباء والأُحبة أطرافها.

أيها الأخ المذنب العاصي، أيتها الأخت المذنبة العاصية، جد على نفسك بالعودة إلى ساحة الرحمة الإلهية قبل أن تنزل وحيداً غريباً في قبرك الموحش ولحدك

---

(١) قال سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي (دامت بركاته) قبل أن يبدأ بالعبارات أعلاه التي وجّه فيها العصيان والقصور إلى الجمهور، والتي لم يعتد على مخاطبة جمهوره بهذه الطريقة: «سأخاطبكم إخواني وأخواتي بنداءٍ في بدء هذه الخطبة ليس متعارفاً عندكم من قبل، وسأخاطبكم في نهاية الخطبة بخطاب آخر هو الذي اعتدتم عليه، وإنّما هذا الاختلاف في نوع الخطاب والنداء من أجل مناسبة المقام، حيث إنّ الحديث في هذه الخطبة عن التوبة».

(٢) الزمر: آية ٥٦.

الضيق، ومهد فراش بيتك الحديد بالتوبة النصوح.

أيها الأخ العاصي المذنب، أيتها الأخت العاصية المذنبة، استر فضائحك وعيوبك ومعاصيك بالتوبة، قبل أن تخرج يوم النشور عرياناً ذليلاً حاملاً أثقال خطاياك على ظهرك، تنظر مرةً عن يمينك وأخرى عن شمالك، فلا تجد أحداً يستر فضائحك وعيوبك ومعاصيك، إذ الخلائق في شأن غير شأنك، ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾<sup>(١)</sup>.

أيها الأخ الغارق في بحار الذنوب والمعاصي، أيتها الأخت الغارقة في بحار الذنوب والمعاصي، أدخل السرور على قلبك، وبيّض وجهك بالتوبة، قبل أن يكون وجهك مسوداً مع الوجوه المسودة التي ﴿عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴾﴾<sup>(٢)</sup> وذلة، وأنت ترى وجوه إخوتك وأصدقائك وجيرانك مستبشرة ضاحكة مسفرة.

أيها الأخ الغارق في الموبقات والجرائم، أيتها الأخت الغارقة في الموبقات والجرائم، إياك على ذنوبك وجرائمك ومعاصيك، قبل أن تبكي حينما ترى أجنحة الموت تحفق عند رأسك، ثم تبكي أكثر لخروجك إلى ظلمة قبرك وضيق لحذك وسؤال منكروك ونكير.

أيها الأخ الغارق في بحار الذنوب والمعاصي، أيتها الأخت الغارقة في بحار الموبقات والجرائم، ارحم نفسك العاصية بالتوبة من ذنوبها قبل أن تلقى ناراً تذر العظام رمياً، وتسقي أهلها حميماً، لا تبقي على من تصرّع إليها، ولا ترحم من استعطفها، تلقى سكانها بأحرّ ما لديها من أليم النكال وشديد الوبال.

أيها الأخ العاصي، أيتها الأخت العاصية، تعوّد بالله تعالى بتوبتك النصوح،

(١) عبس: آية ٣٧.

(٢) عبس: آية ٤٠-٤١.

قبل أن تأتي عليك نار جهنم بعقاربها، وحياتها الصالقة<sup>(١)</sup> بأنبيائها وشرابها الذي يقطع أمعاء سكانهم وأفئدتهم وينزع قلوبهم، أليس في هذا ما يكفي للبكاء والتذلل والخشوع والخضوع لله تعالى بالتوبة النصوح والإنابة والعودة إلى جادة الصواب والاستقامة؟!

### التوبة أمل العاصين

لقد حثّ المولى سبحانه وتعالى في محكم كتابه وفصل خطابه ووضح بيانه على التوبة، وأمر بها، ودعا إلى تعجيل العودة إليه سبحانه، فقال: ﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقبل الشروع في مبحث التوبة لا بدّ من مقدّمة تسبق ما نصبو إليه من بحوث عالية وجليّة ترتبط بمبحث التوبة والعودة إلى الله تبارك وتعالى.

وحاصل هذه المقدمة: إنّ الدين الإسلامي هو دين واقعي لا يعيش عالم الوهم والخيال والنظريات المجردة التي لا جدوى من ورائها، بل ينظر إلى واقع الحياة وواقع الإنسان بنظرته الواقعية؛ لذا جعل للإنسان فكراً وتشريعات ومنهجاً، وأمره أن يسير عليها لتلبي له حاجاته المعنوية والمادية.

ومن الأشياء التي يعيشها الإنسان في واقعه هو وجود الدوافع والنوازع والإرادات والميول في داخله، وهذه الميول والنوازع على نوعين؛ نوازع تدفعه نحو

(١) صلق: الصَّلَقة والصَّلَق والصَّلَق: الصياحُ والْوَلُولُ والصوت الشديد، وقد صَلَقُوا وَأَصْلَقُوا. وفي الحديث: «ليس مِنَّا مَنْ صَلَقَ أَوْ حَلَقَ شعره». لسان العرب: ج ١٠، ص ٢٠٥ - مادة: (صلق).

(٢) النور: آية ٣١.

الخير والفضيلة، وأخرى تدفعه نحو الشر والرديلة<sup>(١)</sup>، قال تعالى: ﴿وَفَسِّرْ وَمَا سَوَّيْنَاهَا ۖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾<sup>(٢)</sup>.

ولما كان الإنسان يعيش تنازع الميول والإرادات وتضادها؛ لذا فقد يقع صريعاً لقوى الشهوة، وقد ينحرف به الشيطان عن النمرقة الوسطى، فتزل قدمه عن الصراط، وينحرف عن جادة الاستقامة والصواب، ويتبع هواه، فيضله عن السبيل، ويهوي به إلى وادي اليأس من روح الله، فينغمس في بحر الشر والرديلة، ويزيد في عصيانه؛ لذا لا بد من سبيل يبعث الأمل واسعاً في قلب العاصي؛ الذي ارتكب المخالفة الشرعية للشرائع السماوية والقوانين الإلهية، فإذا عاش العاصي الأمل، ووجد باب العودة مفتوحاً، فإنه سوف يفكر بالعودة، وهذا التفكير قد يهديه إلى التوبة النصوح، فيكون هذا السبيل - أعني: التوبة - قد وقى العاصي من ذنوب المستقبل، ومنع من استمراره في غيّه وزدليلته وشرّه وعصيانه، قال تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۖ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾<sup>(٣)</sup>.

إن الله سبحانه وتعالى فتح بمقتضى عظيم لطفه وواسع رحمته وفيض جوده باباً أسماه (التوبة)، وهو باب يحتاجه كل فرد في كل لحظة.

(١) لقد بعث الله سبحانه وتعالى الأنبياء بالرسالات السماوية، بها تحمل من أحكام وقوانين ومناهج؛ لكي يوجه ميول الإنسان نحو الخير والفضيلة، وبالتالي يطهر الإنسان من الضلال والعصيان ويُبَعِّده عن ارتكاب الموبقات والجرائم.

(٢) الشمس: آية ٨٧.

(٣) الزمر: آية ٥٣.

## مباحث التوبة

بعد هذه المقدمة ندخل في بيان مجموعة من البحوث المتعلقة بالتوبة من قبيل: معناها، وبيان حقيقتها، وحكمها من ناحية الشرع والعقل، والآثار النفسية والاجتماعية والروحية المترتبة عليها، والطريقة التي ينبغي أن يتعامل بها المؤمن الرسالي مع العاصي التائب.

### المبحث الأول: تعريف التوبة

التوبة: هي رجوع عن المعصية إلى الطاعة بقصد القربة المطلقة لله تعالى<sup>(١)</sup>. فلا يكون الباعث لترك المعصية أمراً دنيوياً.

والمعصية التي قصدها العلماء في تعريفهم للتوبة هي الأعم من المعصية اللسانية؛ كالغيبة، والنميمة، والفحش، والسب، والشتم، والأعم من معصية الفعل؛ كالسرقة، والزنا، وشرب الخمر، بل الأمر أوسع من ذلك، فهي تشمل حتى الأفكار والمعتقدات والمشاعر والأحاسيس والمواقف والأقوال والأفعال والسلوك. فالإنسان الذي يعتقد بفكر باطل مخالف للفكر الصحيح إذا رجع عن هذا الفكر نقول عنه: تائب، والإنسان الذي يحمل مشاعر العداء والحقد والبغض للمؤمنين حينما يعود إلى مشاعر المحبة والمودة إلى الإنسان المؤمن، نقول: إنه تاب، والإنسان الذي يحمل مشاعر المودة والمحبة والولاء للكافر والعاصي والمنافق لا بد أن يترك هذه المشاعر ويستبدلها بالمشاعر التي حثنا القرآن الكريم على أن نتعامل بها

---

(١) التوبة لغة: «الرجوع، وتُنسب إلى العبد وإلى الله سبحانه، ومعناها على الأول: الرجوع عن المعصية إلى الطاعة، وعلى الثاني: الرجوع عن العقوبة إلى اللطف. وفي الاصطلاح قيل: هي الندم عن الذنب لكونه ذنباً. فخرج الندم على شرب الخمر - مثلاً - لإضراره بالجسم، وقد يزداد مع العزم على ترك المعادة أبداً، والظاهر أن هذا لازم لذلك الندم غير منفك عنه». مرآة العقول: ج ١١، ص ٣٢٥، شرح الدعاء التاسع.

مع العاصي والمنافق والكافر، فإن هو فعل ذلك قلنا عنه: إنه تائب.  
وهكذا الإنسان الذي يتخذ موقفاً ضد الحق وينصر الباطل، فإنه إنسانٌ مجرم مخالف لشرائع السماء، ولا بدّ له من العودة، وحينما يعود نقول: إنه تائب، والإنسان الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر - والعياذ بالله - أو يتفوّه بكلام مخالف لما جاء في الأحكام الإلهية؛ من غيبة، أو نميمة، أو سب، أو فُحش، أو جدال، أو غير ذلك من الأمور لا بدّ أن يعود، وحينما يعود نقول عنه: إنه تائب.  
فتحصّل: أن التوبة هي الرجوع عن المعصية؛ والمعصية تشمل هذه الدائرة الواسعة من أقوال، وأفعال، وأفكار، ومشاعر، وأحاسيس، ومواقف، وعواطف.

### المبحث الثاني: حكم التوبة من جهة العقل والشرع

بعد أن عرفنا معنى التوبة، نشرع في بيان حكمها من جهة العقل والشرع، فنقول: لتتصوّر أنفسنا ونحن نعيش في بيئة لم تنزل فيها الرسالات السماوية، ولم نبلّغ بحكم وجوب التوبة - الذي دلّ عليه القرآن الكريم والسنة النبوية - فهل يمكن لعقل الإنسان أن يحكم بمثل ما يحكم به الشرع أم لا؟  
إنّ العقل يحكم بوجوب التوبة على الإنسان العاصي، حتى وإن لم يكن هناك قرآن ولا سنة مطهّرة تدل على حكم الوجوب؛ ومعنى ذلك أنّ العقل - بما أودع فيه من أحكام وقواعد - يستقل بالوجوب، مع قطع النظر عن الدليل الوارد في القرآن الكريم والسنة النبوية.

توضيح ذلك: هناك الكثير من الأضرار التي تطال الفرد والمجتمع جرّاء ارتكاب المعاصي والذنوب، وهذه الأضرار والمفاسد تهدّد الأمن الاجتماعي والأخلاقي، بل تهدّد استقرار الكيان الاجتماعي بكامله، كما تساهم في سقوط الحضارات العريقة؛ فالعاصي لا يشكل خطراً على نفسه فقط، وإنّما يشكل خطراً على مجتمعه أيضاً.

والعقل حينما يلاحظ الأضرار الكبيرة والكثيرة التي تلحق بالفرد والمجتمع بسبب ارتكاب الذنوب والمعاصي، ومخالفة المولى سبحانه وتعالى، ويلاحظ - من جهة أخرى - المصالح الفردية والاجتماعية التي تحققها التوبة يحكم بوجوبها. إذاً فالعقل يدرك أمرين:

الأمر الأول: الأضرار الناجمة عن ارتكاب المعاصي والذنوب والآثام، وانعكاساتها السلبية على الفرد والمجتمع. الأمر الثاني: المصالح الفردية والاجتماعية التي تحققها العودة إلى ساحة المولى سبحانه وتعالى.

لذا؛ فإنه يحكم بوجوب التوبة على الإنسان العاصي؛ ليدفع بها الأضرار، ويجلب من خلالها المصالح والمنافع، وأضرار المعاصي على نوعين: دنيوية، وأخروية.

### المبحث الثالث: أضرار المعاصي على آخرة الإنسان ودنياه

ذكر النقل الشريف مخاطر الذنوب والمعاصي وضررها على آخرة الإنسان ودنياه نذكرها فيما يلي:

#### أضرار المعاصي على آخرة الإنسان

إن العاصي والمخالف يُعرض نفسه إلى عقوبة عظيمة وشديدة؛ لا تقاس بعقوبات الحياة الدنيا، فمهيّتها وكيفها يختلفان عن ماهية عقوبات نشأة الحياة الدنيا وكيفيتها، فهو عذاب عظيم، أليم، مهين، يبقى فيه الإنسان أحقاباً، وربّما يخلد فيه. فقد يذنب الإنسان ذنباً فيحكم عليه بألف سنة في سجون نار جهنم التي تذر العظام رميماً، وتسقي أهلها حميماً، والتي قال عنها القرآن الكريم: ﴿نَزَاعَةٌ لِّلشَّوْىِٕ﴾<sup>(١)</sup>.

---

(١) المعارج: آية ١٦.

## أضرار المعاصي على دنيا الإنسان

ذكرت الروايات الشريفة الواردة عن النبي المصطفى ﷺ والأئمة الأطهار آثار المعاصي وأضرارها على دنيا العاصي؛ منها:

١ - قسوة القلب، فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، أنه قال: «ما جفت الدموع إلا لقسوة القلوب، وما قست القلوب إلا لكثرة الذنوب»<sup>(١)</sup>.

٢ - زوال النعم وأجواء السعادة، وحلول الشقاء وأجواء التعاسة؛ فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «فما زالت نعمة ولا نضارة<sup>(٢)</sup> عيش إلا بذنوب اجتروحوا، إن الله ليس بظلام للعبيد»<sup>(٣)</sup>، زوال النعمة مسبب لا بد أن يكون له سبب؛ لأن الله لا يصدر منه ظلم، وسبب زوال النعم هو اقتراف الذنوب والمعاصي، وارتكاب الموبقات والمخالفات.

٣ - الخسارة والخذلان؛ فعن الرسول الأكرم ﷺ أنه قال: «اتقوا الذنوب فإنها ممحقة للخيرات، إن العبد ليذنب الذنب فينسى به العلم الذي كان قد علمه»<sup>(٤)</sup>.

٤ - عدم التوفيق للطاعات وفعل الخيرات؛ فعن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، أنه قال: «إن الرجل ليذنب الذنب فيحرم صلاة الليل، وإن العمل السيئ أسرع في صاحبه من السكين في اللحم»<sup>(٥)</sup>، إن البعض من الناس - ممن اعتادوا على قيام الليل والتهجد في الأسحار - يشعر في بعض الليالي بعدم الرغبة لقيام الليل وأداء صلاة الليل، ويشعر بالكسل، فيبقى راقداً أو راقماً في فراشه، ولو بحث هذا

(١) علل الشرائع: ج ١، ص ٨١، باب ٧٤: علّة جفاف الدموع وقسوة القلوب ونسيان الذنوب.

(٢) نضر: النّضرة: النّعمة والعيش والغنى. لسان العرب: ج ٥، ص ٢١٢ - مادة: (نضر).

(٣) الخصال: ص ٦٢٤، حديث الأربعمئة.

(٤) عدّة الداعي: ص ١٩٧.

(٥) المحاسن: ج ١، ص ١١٥، ب ٥٦، عقاب الذنب، ح ١١٩.

الإنسان عن سبب عدم الرغبة والتكاسل للقيام بين يدي المولى سبحانه وتعالى في سحر الليالي، لعرف أنّ السبب هو ذنب صدر منه في نهاره، فسلبه توفيق القيام والتهجد.

٥ - نزول البلايا والأمراض على الناس؛ فعن الإمام الصادق عليه السلام، أنّه قال: «أما إنّه ليس من عرق يضرب ولا نكبة ولا صداع ولا مرض إلّا بذنب»<sup>(١)</sup>. فالمرض الذي يمرضه الإنسان لعلّه مسبّب عن ذنب ومعصية ارتكبتها فابتلاه الله تعالى بالمرض. وعن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام أنّه قال: «كلّما أحدث العباد من الذنوب ما لم يكونوا يعملون، أحدث الله لهم من البلاء ما لم يكونوا يعرفون»<sup>(٢)</sup>.

٦ - حرمان الرزق والبركة؛ فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، أنّه قال: «احذروا الذنوب، فإنّ العبد ليذنب فيحبس عنه الرزق»<sup>(٣)</sup>.

إنّ ما ذكرناه من آثار للذنوب على دنيا الإنسان هو قليل من كثير، وما نشاهده ونعاينه يشهد بحجم الأضرار والمفاسد والمخاطر التي يولّدها ارتكاب المعصية، وشيوع الفاحشة.

وعوداً على بدء، نقول: إنّ العقل عندما يدرك حجم الأضرار التي تنشأ من ارتكاب المعصية، يحكم بوجوب التوبة دفعاً ورفعاً لأضرارها الوخيمة. أمّا من جهة الشرع الحنيف، فقد ورد في الأحاديث والآيات الحثّ على التوبة وعلى وجوبها وعلى فوريتها وعدم تأجيلها، وسيأتي ذكر بعض تلك الروايات في المباحث القادمة.

(١) الكافي: ج ٢، ص ٢٦٩، باب الذنوب، ح ٣.

(٢) روضة المتقين: ج ١٣، ص ١٦١.

(٣) الخصال: ص ٦٢٠، حديث الأربعائة.

### المبحث الرابع : حقيقة التوبة وأركانها

بعد أن اتضح معنى التوبة وحكمها من جهة العقل والشرع، نشرع في بيان حقيقتها، فنقول: من خلال ما يردنا من أسئلة، ومن خلال مخالطتنا الميدانية، واحتكاكنا بالناس، نلاحظ أنّ أغلب التائبين تكون توبتهم صورية وشكلية، وليست حقيقية، وليست هي التوبة النصوح التي أمر بها المولى سبحانه وتعالى في كتابه الكريم، والتي يترتب عليها دفع الضرر، وجلب المنفعة والمصلحة.

إنّ التوبة الحقيقة التي أمر بها الخالق عباده، ودعا إليها النبي الكريم ﷺ وأهل بيته الأطهار عليهم السلام لها مراحل وأركان:

#### الركن الأول: الاعتراف بالذنب

في كثير من الأحيان عندما يُقال لشخص ارتكب معصية قولية أو فعلية: إنّ ما فعلته معصية يجب عليك أن تتوب منها إلى الله تعالى وتستغفره؛ إنّ ما قلته، غيبة، أو نيممة، أو بهتان، أو سخرية، وإنّ ما فعلته، رشوة، أو سرقة، أو تعدّياً على حقوق الغير، فإنّه لا يقبل النصيحة، ولا يعترف بأنّه ارتكب ذنباً، وأسخط خالقه بهذه المخالفة.

وإذا لم يحصل الاعتراف بالذنب، والشعور بالتقصير، فلا يمكن أن تتحقّق التوبة من الأساس، وهذا يعني أنّ أول خطوة في طريق التوبة هي الاعتراف بالذنب والتقصير.

#### الركن الثاني: الندم على ارتكاب الذنب

لو أنّ أحداً ارتكب مخالفة وضعية، وعصى قانوناً وضعياً لحاكم ظالم جائر، فصدرت العقوبة في حقّه بالسجن المؤبّد، وحُرم من الحرية، وملذّات الحياة الدنيا، وانتهت كل آماله وطموحاته وأمنيّاته، فلا ريب أنّه سوف يعيش الألم والحسرة وحرقة القلب في ليله ونهاره، ويتمنّى لو أنّ الزمان يعود به إلى الوراء لكي يمتثل

ولا يعصي.

وهكذا نحن في حياتنا الاجتماعية نتعرض لمواقف مختلفة، وتأخذنا حالة العصبية وعدم ضبط النفس، فتكلم بكلمة أو نفعل فعلاً، وبعد ساعة نتمنى لو أننا لم نقل تلك الكلمة، ولم نفعل ذلك الفعل، ويبقى الإنسان يعيش ألم ردة فعله وحرقتها فعله؛ لما يرى من آثار ونتائج وخيمة ترتبت على ذلك الفعل أو ذلك القول.

إذا عرفت هذا نقول: إنَّ من أركان التوبة أن يعيش العاصي الندم والألم وحرقة القلب وحسرتة؛ لما ارتكب من ذنب واقترب من معصية، وفرط في واجب، فإذا حصل الألم والندم والحرقة والحسرة يكون الإنسان قد تقدّم خطوة أخرى باتجاه تحقيق التوبة النصوح التي تدفع الأضرار وتجلب المنافع. فعن النبي الأكرم ﷺ أنه قال: «كفارة الذنب الندامة»<sup>(١)</sup>.

إنَّ النبي الأكرم ﷺ أراد أن يبين الباعث النفسي الذي يجب أن يتحقق - أولاً - في داخل القلب؛ وهو عبارة عن الندم وحرقة القلب، ثم يأتي اللسان ليرز هذا الندم بقوله: «أستغفر الله ربّي وأتوب إليه»؛ لتبدأ الخطوات الأخرى من خطوات التوبة النصوح.

### الركن الثالث: العزم على عدم العود

من أركان التوبة النصوح الإقلاع عن المعاصي والسيئات وتركها، ووجود عزم نفسي ورغبة نفسية صادقة بعدم العودة إلى هذه المعاصي والسيئات.

إنَّ البعض من الناس حينما يُنبّه ويُذكر بأنَّ ما فعله معصية، فإنّه يقول: «أستغفر الله»، ولكن لو بحث هذا الشخص في أعماق ذاته وقلبه، فربّما يجد فيه ميلاً ورغبة في

(١) مسند أحمد: ج ١، ص ٢٨٩.

العودة إلى تلك المعصية وذلك الذنب؛ ومعنى ذلك أنه لم يكن صادقاً في قوله: «أستغفر الله»، فلا تتحقق التوبة النصوح، وإذا لم تتحقق التوبة النصوح، فلا يمكن أن ترتفع الآثار السلبية التي يخلّفها ارتكاب المعصية على دنيا الإنسان وآخرته.

#### الركن الرابع: تدارك ما فات من واجبات

من أركان التوبة النصوح هو أن يتدارك الإنسان العاصي ما فاتته من واجبات ويؤدّي منها ما يمكنه أدائها، وهذه عملية تحتاج إلى جهد كبير وكثير، فإذا كان إنسان يعصي الله سبحانه وتعالى بتركه للصلاة، فيجب عليه قضاؤها، وإذا كان يعصي الله سبحانه وتعالى بترك الصيام، فيجب عليه قضاؤه، ولو كان مستطيعاً لحج بيت الله الحرام ولم يحج، فيجب عليه أن يؤدّي الحج، ولو كان لم يؤدّ الحقوق المالية كالخمس والزكاة والكفّارات وغير ذلك؛ يجب عليه أدائها.

#### الركن الخامس: أن يؤدي إلى المخلوقين حقوقهم المادية والمعنوية

إنّ من مراحل التوبة النصوح هو ما يرتبط بالحقوق الاجتماعية، فلو أنّ إنساناً اغتاب شخصاً فعليه أن يطلب منه براءة الذمّة، وإذا حصل من شخص إفساد بين شخصين فعليه أن يصلح بينهما، وإذا حصل منه افتراء أو كذب أو تشويه سمعة لإنسان مؤمن، فعليه أن يتدارك هذا الأمر بإصلاحه، كأن يبيّن كذب تلك الادعاءات والافتراءات والأباطيل، وأنها ليست بحق.

فلا يكفي الإنسان المفترى على الآخرين، أو المغتاب أو التّام، أو الذي سبّ مؤمناً، أو الذي شتم مؤمناً، أو الذي طعن مؤمناً، أن يقول: «أستغفر الله ربّي وأتوب إليه»، بل عليه أن يذهب إلى ذلك الإنسان ويطلب منه براءة الذمّة، ولو سرق منه مالا فعليه أن يعيده إليه، ولو اعتدى على أرضه أو غصب منه شيئاً فلا بد من إرجاع ما اغتصبه مع التعويض أو يرضي صاحب الحق.

## تبصرتان

التبصرة الأولى: إذا كان في الإخبار وطلب التحليل وبراءة الذمة مفسدة أعظم، ففي مثل هذه الصورة يمكن أن يُنجز له بعض الأعمال التي تدخل السرور على قلبه، أو يقضي له بعض حوائجه، وفي يوم القيامة يقول له: أنا فعلت لك كذا، من أجل أن تبرأ ذمته، فربما يعفو عنه.

التبصرة الثانية: إذا كان الإنسان المعتدى عليه ميتاً، كما لو أن شخصاً اغتاب آخر في حياته، وقبل أن ينوي التوبة وطلب براءة الذمة منه مات ذلك الشخص، أو كان ميتاً من الأساس، فحينئذٍ يمكن للشخص أن يتدارك ذلك الفعل - الذي جنى به على ذلك الميت - بأن يتصدق عنه، ويهدي له بعض الثوابات، ويؤدّي عنه بعض الأعمال الخيرية أو العبادية نيابةً، عسى أن يذكره يوم القيامة بهذه الأفعال العبادية وما ناله من الثواب بسببها، فيعفو عنه.

## التوبة النصوح في كلام الإمام علي عليه السلام

أشار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى حقيقة التوبة، وبين أنها ليست مجرد قول في اللسان، فقد روي أن شخصاً قال بحضرته: «أستغفر الله»، وعرف الإمام عليه السلام أن هذا الاستغفار ليس توبة حقيقة، فأراد أن ينبّهه ويُعرّفه التوبة الحقيقية النصوح، فقال له: «ثكلتك أمك، أتدري ما الاستغفار؟ إنه درجة العلّيين، وإنه اسم يقع على ستة معانٍ؛

أولها: الندم على ما مضى.

والثاني: العزم على ترك العود إليه أبداً.

والثالث: أن تؤدّي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله تعالى أملس عليك

تبعة.

والرابع: أن تعمد إلى كل فريضة عليك ضيعتها تؤدّي حقّها.

والخامس: أن تعتمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتذنيه بالأحزان حتى يلصق الجلد بالعظم، وينشأ بينهما لحمٌ جديد.

والسادس: أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية؛ فعند ذلك تقول: أستغفر الله<sup>(١)</sup>.

إنَّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يبيِّن للشخص التائب المُستغفر أنَّ التوبة لا بدَّ أن تحدث تغييراً في السلوك؛ لا في السلوك الخارجي فحسب، بل تغييراً جذرياً في أعماق القلب، بمعنى أنَّ القلب يعيش ألم ارتكاب المعصية وحرقته، ثم يعزم بإرادة صلبة قويّة، ورغبة نفسية ملحة على عدم العود.

فإذا أراد شخصٌ أن يتوب عن المعاصي؛ من الغيبة، والنميمة، والافتراء والسخرية، والسرقة، والرشوة، والزنا، وشرب الخمر، وغير ذلك من المعاصي فعليه أن يعزم - بإرادة داخلية قويّة صلبة - أن لا يعود إلى هذا الذنب والمعصية ثم يؤدّي إلى المخلوقين حقوقهم، فإذا سرق من أحد شيئاً فعليه أن يُعيده له وإذا تعامل معاملة محرّمة ودخله من تلك المعاملة مالاً حراماً، فلا بدَّ أن يعيد المال إلى صاحبه، وهكذا حتى تلقى الله أملس ليس عليه تبعة. ثم يعتمد إلى اللحم الذي نبت على الربا، وعلى المعاملات المحرّمة، وعلى أخذ المال بغير حق، فيذيه؛ لأنَّ التوبة الصادقة - عادةً - تكون مصحوبة بالحزن والغم، فيقلّ معها الأكل والشرب، حتى يذوب الشحم واللحم الذي نبت على الحرام، وينشأ لحم جديد نابت على الحلال الطيّب، ثم كما كنت - قبل التوبة - تسهر على موائد شرب الخمر، وموائد المعصية، وتنظر وتستمتع إلى ما حرّم الله تعالى، عليك حين التوبة وبعدها أن تسهر الساعات الطوال في الليل مناجياً ربّك، وتذيق هذا الجسد ألم الطاعة من الصلاة والصوم

(١) نهج البلاغة: ج ٤، ص ٩٧، رقم ٤١٧.

والعبادات الأخرى، وبعد كل ذلك تقول: «أستغفر الله ربّي وأتوب إليه». وفي حديث آخر يبيّن الإمام عليه السلام فيه حقيقة التوبة، فيقول: «التوبة على أربعة دعائم: ندم بالقلب، واستغفار باللسان، وعمل بالجوارح، وعزمٌ على أن لا يعود»<sup>(١)</sup>.

### المبحث الخامس: الثمار المترتبة على التوبة

هناك الكثير من الثمار والمعطيات النفسية والروحية والتربوية التي تترتب على توبة العبد ورجوعه إلى ربه سبحانه وتعالى؛ منها:

#### ١. فتح باب الأمل أمام العاصي

إنّ باب التوبة الذي فتحه المولى سبحانه وتعالى لعباده العاصين يمثل أحد أسباب ردع الإنسان ومنعه عن المعصية؛ باعتبار أنّ التوبة تبعث الأمل في نفس العاصي، فلو فرضنا أنّ باب التوبة مغلق، ولا يسمح للعاصي بالتوبة والعودة إلى الله سبحانه وتعالى، فإنّ هذا المرتكب للجرائم والذنوب والموبقات سيتهدى في غيّه ومعاصيه وجرائمه؛ لأنّه يجد الباب أمامه مسدوداً. من هنا فإنّ الله تعالى فتح له الباب، ليبقى الأمل.

#### ٢. الستر على الجاني

إنّ يوم القيامة هو يوم الخزي الأكبر؛ بمعنى أنّ العبد إذا وقف بين يدي مولاه في يوم لقياه، فسوف يؤتى بكتابه مكتوباً فيه ما فعل من جرائم ومعاصٍ وموبقات ومخالفات، وهذه المعاصي التي سترها عن الناس في دنياه سوف تنكشف في أخرها، وسوف يُفتضح أمام الخلائق، وسوف يتمنّى أنّه لم يوجد؛ لما يشاهد من فضيحة نفسه، وعيوبه التي تكشّفت أمام الخلائق.

(١) بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ٨١، ح ٧٤.

إخوتي في الله، إنّ في داخل قلب كلّ واحد منّا من العواطف والمشاعر والأحاسيس، ما لو تكاشفنا بها لما تدافنا، ولافتضحنا، مضافاً إلى ما نعرفه في قرارة أنفسنا ونعلم به من معاصي ارتكبتها وذنوب اقترفناها، لا يعلم بها إلاّ الله تعالى والملائكة الموكّلون، وهذه المشاعر والأحاسيس والذنوب والمعاصي لو تكشّفت فإنّها سوف تفضحنا في ساحة المحشر أمام الخلائق.

إنّ ثمار التوبة ومعطياتها على مستوى الحياة الدنيا شيء جيّد ومهم، ولكنّ الأهمّ هو ثمارها على مستوى الحياة الآخرة؛ لأنّ الإنسان يعيش في الدنيا أياماً معدودات، تقدّر بعشرات السنوات على أحسن التقديرات، وبعدها تنتهي هذه السنون ويتّهي معها كلّ شيء، فلو أفتضح الإنسان - لا سمح الله - فإنّ الفضيحة تكون محدودة بزمنٍ محدّدٍ وأمام مجموعة محدّدة، ولكن في الآخرة وفي يوم القيامة تكون الفضيحة أمام الخلائق؛ أمام مليارات من البشر!! بل أمام عدد لا يعلم به إلاّ الخالق سبحانه وتعالى حين تكشف جرائمنا، ويرفع الستار عن معاصينا، وتبلى سرائرنا.

إنّ الطريق الوحيد الذي نستتر به حالنا يوم لقاء الخالق وأمام الخلائق هو طريق التوبة وسبيلها، ودونها تكون الفضيحة والعار والخزي الأكبر.

إنّ التوبة - كما نصّت على ذلك العديد من الروايات الشريفة - تستر ذنوبنا ومعاصينا التي اقترفناها في ساعات الخلوة وساعات الوحدة التي لا يعلم بها إلاّ نحن، فعن معاوية بن وهب، قال: سمعت أبا عبد الله يقول: «إذا تاب العبد توبة نصوحاً، أحبه الله فستر عليه في الدنيا والآخرة»، فقلت: وكيف يستر عليه؟ قال: «ينسي ملكه ما كتب عليه من الذنوب، ويوحى إلى جوارحه: اكتمى عليه ذنوبه، ويوحى إلى بقاع الأرض اكتمى ما كان يعمل عليك من الذنوب، فيلقى الله حين

يلقاه، وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب»<sup>(١)</sup>.

إخوتي في الله، إنّ ما ذكره الإمام عليه السلام شيء عظيم، الإمام يقول: إنّ العبد إذا تاب أحبه الله سبحانه وتعالى، وإذا أحبه ستر عليه ما يكره أن يُفتضح به أمام طفل صغير، فكيف لو افتضح به أمام الخالق والخالق؟!!

أليس في محبة الخالق، والستر أمام الخلائق كفاية في أن نعترف بذنوبنا، ونندم عليها، ونعزم على عدم العود إليها مرة ثانية، ونتدارك ما فاتنا من واجبات، ونؤدّي حقّ المخلوقين، ثم نرفع أيدينا إلى السماء، ونقول: «استغفرك ربّي وأتوب إليك»، «يا محسن قد أتاك المسيء فتجاوز عن سوء ما عندي بجميل ما عندك»، «يا غافر الذنب اغفر ذنبي»، «يا ستار العيوب استر عيبي».

#### المبحث السادس: التعامل مع العبد التائب

على المؤمن الرسالي أن يتعامل مع المذنب العاصي بالخلق الإلهي، فما ذكرته من عفو إلهي عن المذنب، وغفران له، وستر إلهي لعيوبه إذا تاب، ينبغي أن يعيشه المؤمن الرسالي في تعامله مع العاصين العائدين، فكما أنّ الله سبحانه وتعالى يستر عن الناس عصيان العبد إذا تاب، كذلك ينبغي على المؤمن أن يستر عليه معصيته وذنبه.

ولكن أسفاً أقول: إنّ المجتمع الإسلامي يتعامل مع التائب معاملة تختلف تماماً عن المعاملة الإلهية له، وعن الخلق الذي يتعامل به ربّ العزة مع عبده الأبق إذا تاب.

إنّ المؤمن الصادق الحقيقي المخلص في إيمانه هو الذي يتخلّق بأخلاق الله، ويترجمها إلى شعور وإحساس قلبي حقيقي، وسلوك خارجي، فالله تعالى رحيم،

(١) الكافي: ج ٢، ص ٤٣٠-٤٣١، باب التوبة، ح ١.

وعلى المؤمن أن يكون رحيماً، والله تعالى عادل وعلى المؤمن أن يكون عادلاً، والله تعالى رؤوف بعباده، وينبغي أن يكون المؤمن رؤوفاً بعباد الله، والله تعالى ساتر، وينبغي أن يكون المؤمن ساتراً لذنوب إخوانه ومعاصيهم وموبقاتهم، فعن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام، أنه قال: «إن الله تعالى أشدّ فرحاً بتوبة عبده من رجل أضلّ راحلته وزاده في ليلة ظلماء فوجدها»<sup>(١)</sup>.

إنّ الإمام عليه السلام جاء بتعبير: (ليلة ظلماء)، وبتعبير: (زاده وراحلته) ليبين أنّ الإنسان إذا كان في صحراء وفي ليلة ظلماء وفقد راحلته وزاده، فإنّه سوف يتألم كثيراً؛ لأنّ مصير حياته مرتبط بوجود هذه الراحلة، فلو وجدها بعد الفقدان فلا ريب أنّ فرحته سوف تكون كبيرة جداً.

من خلال هذا المثال يُريد أن يقرب لنا الإمام عليه السلام فرحة المولى سبحانه وتعالى بعودة عبده العاصي، فهو أشدّ فرحاً بعودة عبده العاصي من الرجل الذي أضلّ راحلته وزاده في ليلة ظلماء ثم وجدها.

هذا هو الخلق الذي يواجه به المولى سبحانه وتعالى عبده الآبق إذا عاد إليه، وهكذا ينبغي أن يكون خلقنا مع العاصي إذا تاب.

## خاتمة البحث

ليكن مسك ختام هذه الخطبة في بيان الآلية التي ينبغي أن يسير عليها الإنسان؛ لكي لا يقع في المعصية، أو يتوب عنها على الفور، وهذه الآلية تتكوّن من ثلاث مراحل؛ المشاركة والمراقبة، والمحاسبة<sup>(٢)</sup>.

توضيح ذلك: ينبغي على الإنسان بعد أن يصلّي صلاة الفجر، أن يجلس مع

(١) الكافي: ج ٢، ص ٤٣٥، باب التوبة، ح ٨.

(٢) جامع السعادات: ج ٣، ص ٧٣-٨٧.

نفسه ويتحدث إليها، ويقول لها: إنَّ رأس مالي هو العمر القصير الذي أنعم به المولى عليّ، وهذا يوم جديد قد أمدني الله به، ولا أدري لعلّه آخر أيام حياتي.. ثم يشترط على نفسه أن يستثمر ساعات النهار، فلا يعصي فيها ربّه، يمثل الطاعات ويتجنب المعاصي.

وإذا أشرقت شمس النهار، وبدأت ساعات العمل، سواء كنت في سوق، أم دائرة، أم مدرسة، أم جامعة... تبدأ مرحلة المراقبة، فتقول لنفسك: إنّ الله تعالى يُراقبني، وهو يعلم كلّ شيء يصدر منّي، وكلّما أردت أن ترتكب معصية أستحضر حضور المولى ومراقبته لك.

وفي آخر اليوم تكون المحاسبة، فتجلس مع نفسك، كما هو الحال مع أصحاب المحلات والتجار الذين يجلسون في آخر يوم العمل ويحاسبون أنفسهم أو شريكهم، ويسألون أنفسهم: لماذا لم نستثمر هذه الصفقة؟ لماذا لم أبع هذه الحاجة بسعر أعلى؟ لماذا لم نستثمر رأس المال هذا بطريق يدرّ عليّ أرباحاً أكثر؟ فيبدأ بحساب نفسه، وتوبيخها وتأنيبها؛ لأنّه قصّر في تجارته، فذلك تحاسب نفسك على تقصيرها، وعلى كلّ مخالفة صدرت منها، فإذا كنت تركت واجباً تداركته واستغفرت الله، وإذا كنت فعلت معصية ندمت عليها، وعقدت العزم على عدم العود إليها، ثم تستغفر الله تعالى<sup>(١)</sup>؛ فتكون ونكون - إن شاء الله - من التائبين، وحينها أخاطبكم وأخاطب نفسي بنداء جديد يختلف عن النداء الذي خاطبتكم به في أوّل الخطبة، فأقول: «يا أيّها الإخوة المؤمنون التائبون، العائدون إلى ساحة الرحمة الإلهية، سلامٌ عليكم من ربّ رحيمٍ غفورٍ ودودٍ ورحمة منه وبركات».

(١) هذه مراحل ثلاث يذكرها صاحب (جامع السعادات) العالم الرباني والحكيم المتأله الشيخ النراقي رحمته الله وهي مفيدة كثيراً: مرحلة المشاركة، مرحلة المراقبة، مرحلة المحاسبة، أرجو أن تجربوها ولو بشيء بسيط في تطبيق هذه المراحل. منه (دامت بركاته).

# الخطبة الثلاثون

## الدور العلمي

للإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام

بتاريخ: ١٠ / ١٢ / ٢٠٠٤ م

وفيها المحاور التالية:

- معالم عصر الإمام الصادق عليه السلام
- المعلم الأول: التفاعل الحضاري والعلمي بين الثقافات المختلفة
- المعلم الثاني: الأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية
- المعلم الثالث: نشوء المذاهب الفقهية الإسلامية
- المعلم الرابع: التزييف لمضامين الآيات القرآنية والأحاديث
- خطوات ساهمت في التحريف والتزييف
- تشويه القداسة الروحية لشخص المعصوم
- اصطناع التيارات الباطلة
- منع تدوين الحديث
- دور الإمام الصادق عليه السلام



## مقدمة الخطبة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على سيّدنا ونبيّنا أبي القاسم محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

سبحانك ربّنا ولك الحمد، أنت الله القائم على عرشك أبداً، أحاط بصرك بجميع الخلق، والخلق كلّهم على الفناء، وأنت الباقي الكريم القائم، الدائم بعد فناء كلّ شيء، الحي الذي لا يموت، بيدك ملكوت السماوات والأرض أبد الأبدين ودهر الدهرين، أنت الذي قصمت بعزّتك الجبارين، وأطبقت في قبضتك الأرضين، وأغشيت بضوء نورك الناظرين، وأشبعْتَ بفضل رزقك الآكلين، وعلوت بعرشك على العالمين، وأعمرت سمواتك بالملائكة المقرّبين، وعلمت تسبيحك الأوّلين والآخرين، وانقادت لك الدنيا والآخرة بأزمّتها، وحفظت السماوات والأرضين بمقاليدها، وأذعنت لك بالطاعة ومن فوقها<sup>(١)</sup>.

أوصيكم - إخواني وأخواتي - بالثبات على الهدى والطاعة والعفّة والسداد، واجتناب ما يكرهه الله تعالى ويبغضه، واقتفاء هدي نبيّه المصطفى صلّى الله عليه وعلى آل بيته الأطهار، فإنّ ذلك مفتاح الكمال والسعادة في الدارين.

---

(١) مصباح التهجد: ص ٤٥١.

## معالم عصر الإمام الصادق عليه السلام<sup>(١)</sup>

نشرع في بيان الدور العلمي الذي قام به الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في إعادة الأصالة والنقاء والجوهر والحقيقة إلى الإسلام المحمّدي بعد أن غطّته قشور التحريف والتزييف والضلال والإلحاد خلال الفترة التي عاث فيها الحكّام الجائرون فساداً وتحريفاً وتزييفاً للإسلام.

وحتى يتضح لنا دور الإمام عليه السلام في المجال العلمي لا بدّ أن نرسم - بوضوح - الملامح والمعالم العلمية والثقافية والسياسية التي سادت في عصر الإمام الصادق عليه السلام؛ وهي أربعة:

### المعلم الأول: التفاعل الحضاري والعلمي بين الثقافات المختلفة

اتسم عصر الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام بالتفاعل الحضاري والعلمي بين ثقافة الإسلام ومعارفه، وثقافات الأمم الأخرى وعلومها ومعارفها وخاصةً الأمتين؛ اليونانية والفارسية، والسبب في ذلك هو ازدهار علم الترجمة ونموّه، حيث تُرجمت الكثير من معارف الأمم الأخرى وثقافتها إلى اللغة العربية، وخاصةً ما يرتبط منها في حقل الطب والفيزياء والكيمياء والفلك والرياضيات والفلسفة والعقائد.

---

(١) كان إلقاء هذه الخطبة بعد يومين من ذكرى شهادة الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، أي: في يوم (٢٧) شوال عام ١٤٢٥هـ، لذا بدأ سباحته بالتحية والسلام على الإمام الهام؛ صادق أهل البيت عليه السلام بقوله: «في مقامي هذا أبدأ بالتحية والسلام على شهيد العلم والعرفان، من تشرف بالانتساب إليه، الذي مرّت ذكرى استشهاده الأليمة في يوم الأربعاء الماضي، فأقول في تحيتي وسلامي هذا: السلام عليك يا خازن علم الله، السلام عليك يا ترجمان وحي الله، السلام عليك يا علم الهدى، السلام عليك يا علم التقى، السلام عليك أيها الصادق المصدّق في القول والفعل ورحمةً منه وبركات».

ولهذه الترجمة أثران: إيجابي وسلبى. أمّا الأثر الإيجابي فيكمن في أنّ هناك الكثير من العلوم التي تساهم في توفير الازدهار والرخاء المادّي والاقتصادي للبشرية قد نقلت إلى العربية.

وأما الأثر السلبي فيكمن في أنّ هناك الكثير من العلوم التي كانت بعيدة عن روح تعاليم السماء - وخاصةً ما يرتبط منها في مجال الفلسفة والعقائد - قد تُرجمت إلى العربية، ممّا ترك أثراً سلبياً في الحياة العلمية للأمة الإسلامية، حيث نشأت التيارات الإلحادية المشكّكة، وظهرت آراء شاذة ومنحرفة؛ باعتبار أنّ تلك الأمم - التي نُقلت منها تلك المعارف والعلوم - لم تكن تدين بالشرعية الإسلامية، فتركت هذا الأثر السلبي<sup>(١)</sup>.

كان لا بدّ من التصدّي لهذا الأثر السلبي الذي خلفته الترجمة المتمثّل بالتيارات الفكرية الضالّة المنافية لروح الإسلام وجوهره بقوة فكرية وعلمية قائمة على الرأي الحق، الصائب والدقيق، مع البرهان البليغ، والحجّة الدامغة. ومن خلال هذا التصدّي الواقعي والفعلّي سوف لا يكون هناك أثر للعقائد الفاسدة والفلسفة الباطلة التي جاءت من الحضارات الأخرى<sup>(٢)</sup>.

### المعلم الثاني: الأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية

اتسم عصر الإمام الصادق عليه السلام بوقوع أحداث اقتصادية واجتماعية وسياسية ساخنة ومستحدثة، مع الأخذ بعين الاعتبار وجود مذاهب فقهية إسلامية لا تعتمد

(١) يمكن وصف ذلك التفاعل بأنّه أشبه بما نعبر عنه في الوقت الحاضر بالغزو الحضاري والثقافي من الأمم الأخرى للأمة الإسلامية. منه (دامت بركاته).

(٢) سوف يبيّن سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي (دامت بركاته) في الصفحات القادمة دور الإمام جعفر الصادق عليه السلام العلمي والفكري في مجال التصدّي للأثر السلبي الذي خلفته حركة الترجمة.

المنهج الصحيح في فهم الشريعة ووقائعها المستحدثة؛ من هنا اقتضت الضرورة تصدّي الإمام الصادق عليه السلام لبيان الحكم الشرعي الصحيح لتلك الوقائع؛ باعتباره العَلَم الوحيد الذي يملك الفهم الصحيح والجواب والحكم الشرعي الحق لتلك الوقائع.

### المعلم الثالث: نشوء المذاهب الفقهية الإسلامية

نشأت في زمن الإمام الصادق عليه السلام مذاهب فقهية إسلامية لم تكن تعتمد المنهج الصحيح في استنباط الحكم الشرعي، وإنّما كانت تعتمد - كما هو معروف - على مناهج باطلة؛ كمنهج القياس عند أبي حنيفة؛ وقد وصف الإمام الصادق عليه السلام القياس بأنّه محقّ وطمسٌ للدين من الداخل.

وهذا هو مكمّن الخطورة؛ لأنّ الغزو الثقافي تارة يكون من الخارج، وأخرى من الداخل، وهو الذي يهدد الدين والإسلام بشكل جدّي.

في زمن الإمام الصادق عليه السلام نشأت وازدهرت المذاهب الفقهية التي تعتمد منهجاً باطلاً وتبنّي فهماً خاطئاً؛ بحيث يؤدّي ذلك الفهم إلى عدم إصابة الحقّ والواقع من خلال الحكم الشرعي المستنبط.

من هنا كان لا بدّ من التصدّي لتلك المناهج الباطلة وذلك الفهم الخاطئ من خلال بيان المناهج والطرق الصحيحة في استنباط الحكم الشرعي.

هذا مضافاً إلى التيارات التشكيكية الإلحادية التي راجت وانتشرت في عصر الإمام جعفر الصادق عليه السلام؛ فكان لا بدّ من التصدّي لها لكي يُحفظ للإسلام نقاوته وأصالته وجوهره وحقيقته.

### المعلم الرابع: تزيف مضامين الآيات القرآنية والأحاديث

من معالم عصر الإمام الصادق عليه السلام وجود التزيف - المتعمّد - لمضامين الآيات

## القرآنية والأحاديث الشريفة.

توضيح ذلك: منذ يوم السقيفة وإلى زمن الإمام الصادق عليه السلام؛ أي: خلال أكثر من مائة سنة اتّبع الخلفاء الذين اغتصبوا الخلافة وحكّام بني أمية وملوكهم سياسة ثابتة قائمة على ترويج الفهم الخاطئ، والتفسير الباطل لمضامين الآيات القرآنية؛ بمعنى أنّ التلاعب بالنص القرآني تارة يكون على مستوى الألفاظ، وهذا المعنى غير ممكن، وغير متاح لأحد، وأخرى يكون التلاعب بمضمون النص القرآني ومداليله وفقهه، وهذا ممكن، بل واقع.

فقد بدأ التلاعب بمضمون ومدلول الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، في حادثة الغدير وحديثها في يوم السقيفة؛ أي: بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله إلى عالم الملكوت مباشرة، ثم بدأ الخط البياني لتحريف النص القرآني والنبوي بالتصاعد في العصر الأموي، حيث افتُعلت الكثير من الأحاديث، وزُيِّفت الكثير من الأخبار، وصُرفت الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية عن مضامينها الحقيقية الواقعية، واستُبدلت المضامين الحقّة بمضامين تتناسب مع أهواء الحكّام وأطماعهم في ذلك الوقت.

إنّ هذا التراكم الهائل لتزييف الحقائق والنصوص وما رافقه من تزييف وتحريف كبير في المحتوى الفكري الإسلامي؛ على المستوى السياسي، والعقائدي، والفقهية، والاجتماعي، كان السبب في تطويق وتحجيم الإسلام الأصيل عن واقع الحياة في ذلك الوقت.

## خطوات ساهمت في التحريف والتزييف

لقد اعتمدت سياسة التزييف للحقائق القرآنية والأحاديث النبوية على خطوات عديدة، يمكن أن نذكر منها ما يلي:

## تشويه القداسة الروحية لشخص المعصوم

إنَّ التحريف والتزييف الذي تحدثنا عنه - أعلاه - كان قد سبقه تحريف وتشويه في القداسة الروحية لشخص المعصوم عليه السلام؛ فبنو أمية لم يبدأوا - مباشرة - بالتحريف والتزييف للآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، بل بدأوا بمرحلة تمهيدية لهذا التزييف والتحريف؛ وهي: تحطيم الكيان المعنوي والروحي والقدسي لأهل البيت عليه السلام، وبدأوا بشخص الإمام علي عليه السلام، فقد أمر معاوية بن أبي سفيان الكثير من الصحابة والتابعين بأن يرووا في الإمام علي عليه السلام ما يحط من شأنه المعنوي ومن مقامه القدسي في الإسلام، حتى قال ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة: «إنَّ معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلاً يُرغب في مثله»<sup>(١)</sup>؛ أي: جعل أموالاً طائلة لمن يروي في الإمام علي عليه السلام رواية يريد بها شينه.

ومن استجاب لمعاوية - كما يذكر ذلك ابن أبي الحديد -: «أبو هريرة، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير»<sup>(٢)</sup>.

وتشويه قداسة الإمام عليه السلام له تأثير كبير على تحريف وتزييف الإسلام؛ لأنَّ القصد الأساسي هو عزل الإمام عليه السلام عن الساحة العلمية الشرعية والساحة السياسية، وإيجاد فواصل نفسية بين المعصوم والقواعد الشعبية، وهذا الحاجز المعنوي النفسي يحول بين الإمام وبين إيصال أفكاره ومعتقداته إلى قواعد الأمة، فلا يُتَّبَع كقائد، ولا يؤخذ بقوله في فهم الإسلام. أو قل: إذا وضع الحاجز النفسي والمعنوي، فحينئذٍ لا يكون هناك تواصل وتلاقٍ بين قواعد الأمة والمعصوم،

(١) شرح نهج البلاغة: ج ٤، ص ٦٤.

(٢) المصدر السابق.

وحينئذٍ يجب فكر الإمام، وفقه الإمام، وفلسفة الإمام عن قواعد الأمة؛ حينها يحصل فراغ في عقل الفرد وفي نفسه، ثم يملأ هذا الفراغ بمحتوى عقائدي وفكري وفقهي وسياسي - بما يتناسب مع منهج الحكّام الظالمين - يؤخذ من شخصيات تُوجد السلطات لها مقاماً روحياً ومعنوياً ونفسياً في نفوس الأمة.

وهذه سياسة ثانية لحكّام بني أمية تمثّلت في الرفع المعنوي والنفسي والروحي للأشخاص الذين كانوا ينهجون نهج الخلفاء والحكّام، فوضعت أحاديث مزيفة في فضائل بعض الصحابة، كما في الحديث الذي ينقله ابن أبي الحديد أيضاً: «إنّ الله ائتمن على وحيه ثلاثاً: أنا - يعني النبي صلى الله عليه وآله -، وجبرئيل، ومعاوية»<sup>(١)</sup>.

وقال ابن أبي الحديد المعتزلي - أيضاً -: «إنّ معاوية كتب كتاباً إلى عمّاله جاء فيه: «أن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وفي كل ناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا، فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين»<sup>(٢)</sup>.

والغرض من هذا الرفع ليس دينياً رسالياً وإنّما هو غرض سياسي، وهو إيجاد استعداد نفسي وقبول معنوي وروحي لفكر هؤلاء؛ لأنّه عندما تأتي الأحاديث في فضائل فلان وفلان من الصحابة والخلفاء، فسوف يكون لهم الموقع المعنوي والروحي المقدّس، وحينئذٍ يتوفّر الاستعداد النفسي والروحي لقبول أفكارهم، هذه هي السياسة الثانية التي انتهجها معاوية.

وبعد إبعاد القواعد الشعبية عن الأئمة وإيجاد الحواجز النفسية، وإيجاد القرب النفسي والمعنوي بين هؤلاء الحكّام والصحابة والخلفاء الغاصبين للخلافة، وبين قواعد الأمة حتى تتقبّل فكرهم ومعتقدهم وفقههم وسياستهم، وبعد حصول استعداد نفسي ومعنوي وروحي وعقلي لقبول هذه الأفكار؛ بدأت حملة واسعة

(١) الغدير: ج ٥، ص ٣٠٨، ح ٢٢، نقلاً عن شرح نهج البلاغة.

(٢) شرح نهج البلاغة: ج ١١، ص ٤٥.

لتزييف وتحريف مضامين الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة.

### اصطناع التيارات الباطلة

من معالم تلك الفترة أن بني أمية - وما تزال هذه السياسة قائمة لحد الآن - اصطنعوا وأوجدوا الفرق التي تبدو من حيث الظاهر فرقاً دينية ولكنها في الحقيقة فرقاً باطلة بعيدة عن الإسلام، وكان الهدف من اصطناعها هو هدف سياسي، كفرقة المجبرة<sup>(١)</sup> الذين كانوا يفسرون بعض الآيات القرآنية بما يتناسب ويتناغم مع المنهج السياسي لبني أمية.

لقد كانت الأمة الإسلامية تُدرك ظلم وابتعاد الخط الأموي السياسي والاقتصادي والتربوي عن الخط الإسلامي الأصل النقي، من هنا كان على بني

---

(١) الجبرية: بإسكان الباء خلاف القدرية، وفي عرف أهل الكلام يُسمَّون المجبرة والمرجئة؛ لأنهم يؤخرون أمر الله ويرتكبون الكبائر. والمفهوم من كلام الأئمة عليهم السلام أن المراد من الجبرية الأشاعرة، ومن القدرية المعتزلة.

وقال علي بن إبراهيم: المجبرة الذين قالوا: ليس لنا صنع ونحن مجبرون يحدث الله لنا الفعل عند الفعل، وإنها الأفعال منسوبة إلى الناس على المجاز لا على الحقيقة، وتأولوا في ذلك بآيات من كتاب الله لم يعرفوا معناها؛ مثل قوله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]، وقوله: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَمْشَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَبْحًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥].

وغير ذلك من الآيات التي تأولوها على خلاف معانيها، وفيما قالوه بإبطال الثواب والعقاب، وإذا قالوا ذلك ثم أقروا بالثواب والعقاب نسوا إلى الله الجور وأنه يعذب على غير اكتساب وفعل، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً أن يعاقب أحداً على غير فعل وبغير حجة واضحة عليه، والقرآن كله رد عليهم، قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦] فقوله: ﴿لَهَا﴾، ﴿وَعَلَيْهَا﴾، هو الحقيقة لفعلها، وقوله: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧-٨]، وقوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهينٌ﴾ [المدثر: ٣٨]. تفسير القمي: ج ١، ص ٢٢. وعنه: مجمع البحرين: ج ٣، ص ٢٤١ - ٢٤٢ - مادة: (الجبرية).

أمية أن يصوروا حركتهم وأهدافهم بصورة دينية وبغطاء ديني، ويبينوا أن المنهج السياسي لبني أمية هو المنهج المقبول في الإسلام والمبرر كذلك. فكانت فرقة المرجئة تفسر بعض الآيات القرآنية بما ينسجم مع المنهج السياسي لبني أمية، وكانت تقول: إن الإنسان مجبور في أفعاله، فما يفعله من خير أو شر إنما هو بإرادة الله تعالى ولا دخل لاختيار الإنسان وإرادته في ذلك، والهدف الذي كانوا يسعون إليه هو إفهام الناس - من خلال هذا المذهب العقائدي - أن حكّام بني أمية غير مسؤولين عن الجرائم التي ارتكبوها في حق الأمة طوال تاريخهم الأسود.

ومن جملة معتقداتهم أن الإيمان عمل قلبي خالص لا يحتاج إلى تصديق بواسطة فعل الجوارح، ومهما ارتكب الإنسان من الكبائر - طالما أن هناك إيمان قلبي - فإنها مغفورة له، كل ذلك ليبينوا أن بني أمية مؤمنون مهما ارتكبوا من الكبائر، بل يريدون - من خلال هذا التضليل الديني - إطفاء روح الجهاد والثورة والمقاومة في نفوس المسلمين؛ لأن النبي صلى الله عليه وآله ربى أمته على موقف المقاومة والرفض للحكّام الظالمين والجائرين والطواغيت، وبنو أمية يريدون من خلال هذا التضليل الديني إطفاء جذوة هذه الروح وإماتها، وأن تستبدل بروح الخنوع والخضوع للظالمين.

وفي حاضرنا هناك فرق دينية؛ هي بظاهرها دينية، ولكن في واقعها لها أهداف سياسية تنخر في جسد الأمة الإسلامية؛ ومنهم الوهابيون، أصحاب الفكر التكفيري، الذين يعبثون بمقدّرات الأمة.

وهناك فرق أخرى سادت في تلك الفترة؛ منها فرقة المجسّمة، والاعتزال، وما يزيد الأمر خطورة أن حكومات ذلك الزمن؛ أعني: حكومات بني أمية، تبنت هذه الفرق ودعمتها وأحاطتها بكل أنواع الدعم، وفي نفس الوقت كانت تحارب الخط الفكري المناهض لسياستها، فكانت النتيجة انتشار هذه الفرق بين الناس؛ لأن الناس يخافون سياسة الظلم والاضطهاد والسجون والتقتيل والتشريد والتجويع،

مضافاً إلى العطاء الكثير لَمَن يتبع تلك المناهج والفرق، فكان الناس ينتهجون نهج تلك الفرق التي تتبنّاها الحكومات.

وهذا يشكّل خطورة كبيرة على محتوى الإسلام في نقاوته وأصالته؛ لأنّه سوف يسود في الساحة السياسية الإسلامية الإسلامية الإسلام المزيّف، بل سوف يسود في الساحة الإسلامية الفقه المزيّف، والنظرية الاجتماعية الباطلة، والمنهج التربوي المنحرف... إلى غير ذلك.

فكان لا بدّ من وقفة جادّة من الإمام عليه السلام، يقوم من خلالها بحركة إصلاحية كبيرة لمواجهة هذه التيارات المنحرفة التي كانت تهدّد الإسلام.

### منع تدوين الحديث

لقد مُنع تدوين الحديث في تلك الفترة، إلى أن جاء عمر بن العزيز<sup>(١)</sup> فرفع الحظر، وسمح بتدوينه.

وحيث إنّ المؤسسات الإعلامية؛ من منابر إعلامية وغيرها كانت بيد بني أمية، لذا كانوا يدوّنون الأحاديث المزيّفة، ومضامين الآيات القرآنية المحرّفة عن واقعها ومسارها الصحيح.

بعبارة أخرى: إنّ المؤسسة الثقافية المعرفية التي تغذّي الأمّة بثقافة الإسلام،

---

(١) هو عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم الأموي، ثامن حكام بني أمية، ولد سنة ٦١هـ في المدينة المنورة، وفي سنة ٨٧هـ، ولّاه الوليد بن عبد الملك على إمارة المدينة المنورة، ثم ضمّ إليه ولاية الطائف سنة ٩١هـ، فصار والياً على الحجاز كلها، ثم عُزل عنها وانتقل إلى دمشق. فلما تولى سليمان بن عبد الملك الخلافة قرّبه وجعله وزيراً ومستشاراً له، ثم جعله ولي عهده، فلما مات سليمان سنة ٩٩هـ تولى عمر الخلافة.

أعاد - حين توليه الخلافة - العمل بالشورى، كما اهتمّ بالعلوم الشرعية، وأمر بتدوين الحديث النبوي الشريف. استمرت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام، حتى وفاته سنة ١٠١هـ.

سيكون مصدرها ومنبعها هذه الفرق الضالة والمنحرفة، ومن خلال هذا ندرك كم هو الخطر الثقافي والمعرفي والعقائدي الذي كان يهدّد الأمة الإسلامية؛ ليس على مستوى العقيدة والسياسة والاقتصاد فحسب، بل على المستوى الفقهي أيضاً، وهذا خطر كبير على الأمة الإسلامية.

إنّ المنهج الفقهي السائد كان - أيضاً - منهجاً يعتمد على القياس والرأي والاستحسان وهي مناهج وقواعد باطلة، الأمر الذي كان يهدد المحتوى الفقهي للإسلام المحمّدي الأصيل، فكان لا بد من حركة إصلاحية جذرية كبيرة.

### دور الإمام الصادق عليه السلام

لقد بدأ الإمام الصادق عليه السلام إمامته في ظروف كانت تُنبئُ بانحلال وانهيار الدولة الأموية، وبالفعل انهارت هذه الدولة، وذهب ملكها في فترة إمامته عليه السلام. وبدأ حكم بني العباس، وحيث إنّ الدولة العبّاسية في فترة إمامة الإمام كانت دولة جديدة وفتية، وكانت مشغولة بتثبيت دعائمها، ومتابعة خصومها من البيت الأموي؛ لذا غابت المراقبة والمتابعة من قبل الأجهزة الأمنية للحكومة العبّاسية للإمام عليه السلام، فاستفاد الإمام من هذه الظروف، واستطاع أن يتحرّك بحريّة أكثر.

إنّ هذا الظرف الذي عاشه الإمام، مضافاً إلى طول فترة إمامته؛ ساهم في تمكين الإمام عليه السلام من فتح الكثير من المدارس الفقهية والسياسية والعقائدية والفلسفية التي تنبع من جذور الإسلام المحمّدي الأصيل.

لقد بدأ التأسيس لهذه المدارس من قبل الإمام محمد الباقر عليه السلام، واستمر الإمام الصادق عليه السلام في منهج أبيه في توسيع المدارس العلمية، فأخذ من شيعة أهل البيت مَنْ فيهم الاستعداد العقلي والفكري والنضوج الذهني، وبدأ يلقي عليهم الكثير من علوم النبي صلى الله عليه وآله، ويخلق الجماعة الصالحة في وسط الأمة، والذين بإمكانهم أن

يقودوا حركة الإصلاح والتغير في ذلك المجتمع.

ونتيجةً لهذا النشاط العلمي من الإمام الصادق عليه السلام وتربيته للجماعة الصالحة، وإعداده للكوادر الرسالية، أطلق عليه أستاذ الفقهاء، وأستاذ المفسرين، وأستاذ المحدثين، وأستاذ أهل الكلام، وأستاذ أهل الفلسفة منذ بداية الغيبة الكبرى وإلى يومنا، وإلى يوم القيامة، وكل فقيه وكل محدث وكل مفسر وكل متكلم وكل فيلسوف، وكل متكلم بالحق وكل فيلسوف يؤمن ويدين بالفلسفة الحق يدين للإمام عليه السلام بالفضل الكبير، لما قدّمه الإمام عليه السلام في سبيل رفد تلك المدرسة بالأفكار والآراء والنظريات في مختلف حقول المعرفة.

لقد تصدّى الإمام عليه السلام للتيارات الإلحادية والتشكيكية، والتيارات الدينية الباطلة، التي كانت سائدة ورائجة في زمانه، من خلال البرهان البليغ والحجة القاطعة التي يمكن من خلالها أن يدحض تلك النظريات المنحرفة، ويمكن أن يبين فسادها وزيفها وبطلانها.

## مصادر الكتاب

✽ القرآن الكريم.

✽ نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، تحقيق وشرح: الشيخ محمد عبده، دار الذخائر، قم - إيران، ١٤١٢هـ، ط: ١.

✽ نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، تحقيق: صبحي الصالح، بيروت - لبنان، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م، بيروت. لبنان، ط: ١.

✽ الصحيفة السجادية، الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، نشر الهادي، قم إيران، ١٤١٨هـ، ط: ١.

١- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م، ط: ١.

٢- ابن السكيت الأهوازي، ترتيب إصلاح المنطق، تحقيق: الشيخ محمد حسن بكائي، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد - إيران، ١٤١٢هـ، ط: ١.

٣- ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد، دار صادر، بيروت - لبنان.

٤- ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف - العراق، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م.

٥- ابن طاووس، علي بن موسى، مقتل الحسين عليه السلام المسمى اللهوف في قتلى الطفوف، أنوار الهدى، قم - إيران، ١٤١٧هـ، ط: ١.

٦- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، تاريخ دمشق، تحقيق:

عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

٧- ابن كثير، الحافظ أبي الفداء إسماعيل الدمشقي، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ط: ١.

٨- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، نشر: أدب الحوزة، ١٤٠٥ هـ.

٩- أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم، ديوان أبي العتاهية، الناشر: دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

١٠- أبو حبيب، سعدي، القاموس الفقهي، دار الفكر، دمشق ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ط: ٢.

١١- الأحسائي، محمد بن علي، عوالي اللآلئ العزيزية في الأحاديث الدينية، تحقيق: آقا مجتبی العراقي، مطبعة سيد الشهداء، قم - إيران، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، ط: ١.

١٢- الأشتياني، ميرزا محمد حسن - بحر الفوائد في شرح الفرائد.

١٣- الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، دار إحياء التراث العربي.

١٤- آل كاشف الغطاء، محمد الحسين، المثل العليا في الإسلام لا في بحدون، دار الوعي الإسلامي، بيروت - لبنان، بدون تاريخ، بدون عنوان.

١٥- الأمين، محسن، أعيان الشيعة، تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان.

١٦- الأمين، محسن، لواعج الأشجان، منشورات مكتبة بصيرتي، قم - إيران، ١٣٣١ هـ.

١٧- الأميني النجفي، عبد الحسين، الغدير في الكتاب والسنة والأدب، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م، ط: ٤.

١٨- الأندلسي، شهاب الدين، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت -

لبنان، ١٤٠٤هـ، ط: ١.

١٩- البحراني الأصفهاني، عبد الله، العوالم، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام قم - إيران، ١٤٠٧هـ - ١٣٦٥ ش.

٢٠- البرقي، أحمد بن محمد بن خالد، المحاسن، تحقيق: جلال الدين الحسيني المحدث، دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران، ١٣٧٠هـ - ١٣٣٠ ش.

٢١- البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف، تحقيق: الدكتور محمد حميد الله، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالاشتراك مع دار المعارف بمصر، ١٩٥٩م.

٢٢- البيهقي، أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، دار الفكر، بيروت - لبنان.

٢٣- التبريزي، الميرزا جواد، الأنوار الإلهية في المسائل العقائدية، دار الصديقة الشهيدة عليها السلام، ١٤٢٢هـ، ط: ١.

٢٤- الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الفكر.

٢٥- التستري، محمد تقي، قاموس الرجال، تحقيق ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم - إيران، ١٤١٩هـ، ط: ١.

٢٦- الجوهرى، إسماعيل بن حماد، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ط: ٢.

٢٧- الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم - إيران.

٢٨- الحرّاني، الحسن بن علي بن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم - إيران، ١٤٠٤هـ، ط: ٢.

- ٢٩- الحسيني القزويني، محمد (وآخرون)، موسوعة الإمام العسكري عليه السلام، مؤسسة ولي العصر عليه السلام للدراسات الإسلامية، قم- إيران، ١٤٢٦ هـ، ط: ١.
- ٣٠- الحلي، أحمد بن فهد، عدّة الداعي ونجاح الساعي: تصحيح وتعليق: أحمد الموحيدي القمي، مكتبة وجداني، قم- إيران.
- ٣١- الخميني، روح الله، صحيفه إمام (صحيفة الإمام)، مؤسسة تنظيم ونشر آثار إمام خميني، طهران- إيران، ١٣٧٨ هـ، ش، بدون عنوان.
- ٣٢- الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث، ١٤١٣ هـ- ١٩٩٢ م.
- ٣٣- الخوئي، أبو القاسم، منهاج الصالحين، مهر، قم- إيران، ١٤١٠ هـ، ط: ٢٨.
- ٣٤- الخوئي، ميرزا حبيب الله، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، تحقيق: إبراهيم الميانجي، المكتبة الإسلامية، طهران- إيران، ١٤٠٠ هـ، ط: ٤.
- ٣٥- الدينوري، أحمد بن داود، الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربي، منشورات الشريف الرضي، ١٩٦٠ م، ط: ١.
- ٣٦- الراوندي، ضياء الدين، النوادر، تحقيق: سعيد رضا علي عسكري، دار الحديث، قم- إيران، ١٣٧٧ ش، ط: ١.
- ٣٧- الريشهري، محمد، القيادة في الإسلام، ترجمة: علي الأسدي، مؤسسة دار الحديث الثقافية، قم- إيران، ط: ١.
- ٣٨- الريشهري، محمد، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ، تحقيق: مركز بحوث دار الحديث، دار الحديث للطباعة والنشر، ١٤٢٥ هـ، ط: ٢.
- ٣٩- الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، تحقيق ونشر: دار الحديث، ط: ١.
- ٤٠- الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ١٩٩٤ م- ١٤١٤ هـ.

- ٤١- الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ١٩٨٠م، ط: ٥.
- ٤٢- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق: عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ١٤١٢ - ١٩٩٢م، ط: ١.
- ٤٣- الشامي، محمد بن يوسف الصالحي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ط: ١.
- ٤٤- شرف الدين الموسوي، عبد الحسين، المراجعات، تحقيق: حسين الراضي، ١٤٠٢ - ١٩٨٢م.
- ٤٥- شمس الدين، محمد مهدي، أنصار الحسين عليه السلام، الدار الإسلامية، بدون مكان، ١٤٠١هـ، ط: ٢.
- ٤٦- الصدر، مهدي، أخلاق أهل البيت، دار الكتاب الإسلامي.
- ٤٧- الصدوق، محمد بن علي، الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، قم - إيران، ١٤١٧هـ، ط: ١.
- ٤٨- الصدوق، محمد بن علي، الخصال، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم - إيران، ١٤٠٢هـ.
- ٤٩- الصدوق، محمد بن علي، ثواب الأعمال، تحقيق: محمد مهدي الخرسان، منشورات الشريف الرضي، قم - إيران، ١٣٦٨ش، ط: ٢.
- ٥٠- الصدوق، محمد بن علي، علل الشرائع، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف - العراق، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م.
- ٥١- الصدوق، محمد بن علي، فضائل الأشهر الثلاثة، تحقيق: غلام رضا

عرفانيان، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، ط: ٢.

٥٢- الصدوق، محمد بن علي، كمال الدين وتمام النعمة، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم - إيران.

٥٣- الصدوق، محمد بن علي، معاني الأخبار، تحقيق: علي أكبر الغفاري مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم - إيران، ١٤٠٣ هـ ط: ١.

٥٤- الصدوق، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم - إيران ط: ٢.

٥٥- الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج، تحقيق: محمد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف - العراق، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م.

٥٦- الطبرسي، الحسن بن الفضل، مكارم الأخلاق، منشورات الشريف الرضي، قم - إيران، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م، ط: ٦.

٥٧- الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي / فضل الله اليزدي الطباطبائي، دار المعرفة، لبنان ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ط: ٢.

٥٨- الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: نخبة من العلماء مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، ط: ٤.

٥٩- الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، تحقيق: أحمد الحسيني، منشورات المكتبة المرتضوية، طهران، ١٣٩٥ هـ، ط: ٢.

٦٠- الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، قم - إيران، ١٤١٤ هـ ط: ١.

٦١- الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام، تحقيق: محمد جواد الفقيه

- دار الأضواء، بيروت - لبنان، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ط: ٢.
- ٦٢- الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت - لبنان، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ط: ١.
- ٦٣- العاملي، زين الدين (الشهيد الثاني)، كشف الريبة عن أحكام الغيبة، انتشارات مرتضوي، ط: ٤.
- ٦٤- فتح الله، أحمد، معجم ألفاظ الفقه الجعفري، مطابع المدوخل، الدمام - السعودية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ط: ١.
- ٦٥- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- ٦٦- الفيض الكاشاني، المولى محسن، المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مكتب النشر التابع لجامعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم - إيران، ط: ٢.
- ٦٧- الفيض الكاشاني، المولى محسن، الوافي، تحقيق: ضياء الدين الحسيني، مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام العامة، أصفهان - إيران، ١٤٠٦هـ، ط: ١.
- ٦٨- القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسين بن علي عليه السلام، مطبعة الآداب، النجف الأشرف - العراق، ١٩٧٤م، ط: ١.
- ٦٩- القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ٧٠- القمي، جعفر بن محمد بن محمد بن قولويه، كامل الزيارات، تحقيق: جواد القيومي، مؤسسة نشر الفقاهة، ١٤١٧هـ، ط: ١.
- ٧١- الكاشاني، الملا فتح الله، زبدة التفاسير، تحقيق ونشر: مؤسسة المعارف الإسلامية، قم - إيران، ١٤٢٣هـ، ط: ١.

٧٢- كحالة، عمر، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، بدون تاريخ، بدون عنوان.

٧٣- الكلباسي، أبو الهدى، سماء المقال في علم الرجال، تحقيق: محمد الحسيني القزويني، مؤسسة ولي العصر عليه السلام للدراسات الإسلامية، قم- إيران، ١٤١٩هـ، ط: ١.  
٧٤- الكليني، محمد بن يعقوب، أصول الكافي، تحقيق: محمد جواد الفقيه، دار الأضواء، بيروت ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م، ط: ١.

٧٥- الكوراني العاملي، علي، جواهر التاريخ، نشر: باقيات، ١٤٣٠هـ، ط: ١.  
٧٦- اللاري، مجتبی، دراسة في المشاكل النفسية والأخلاقية، دار الصفوة، بيروت- لبنان، ١٩٩٢م، ط: ١.

٧٧- الليثي الواسطي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ، تحقيق: حسين الحسيني اليرجندي، دار الحديث، ط: ١.

٧٨- المازندراني، المولى محمد صالح، شرح أصول الكافي، تحقيق: الميرزا أبو الحسن الشعراني، ضبط وتصحيح: علي عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٤٢١هـ، ط: ١.

٧٩- المالكي الاشتري، ورّام بن أبي فراس، تنبيه الخواطر ونزهة النواظر، دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٨ش.

٨٠- المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة الوفاء، بيروت- لبنان، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م، ط: ٣.

٨١- المجلسي، محمد باقر، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول صلّى الله عليه وآله، تحقيق: مرتضى العسكري، دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٤هـ، ط: ٢.

٨٢- المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، الاختصاص، تعليق: علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم- إيران.

- ٨٣- المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، الإرشاد، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لتحقيق التراث، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.
- ٨٤- المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، الأمالي، تحقيق: حسين استادولي، علي أكبر الغفاري، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، ط: ٢.
- ٨٥- المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، المزار، تحقيق: محمد باقر الأبطحي، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ١٩٩٣ م، ط: ٢.
- ٨٦- المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، المسائل العكبرية، تحقيق: علي أكبر الإلهي الخراساني، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، ط: ٢.
- ٨٧- مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، قم - إيران، ١٤٢١، ط: ١.
- ٨٨- الموصلي، أبو يعلى إسماعيل بن محمد، مسند أبو يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث.
- ٨٩- النراقي، المولى محمد مهدي، جامع السعادات، تحقيق: محمد كلانتر، دار النعمان للطباعة والنشر.
- ٩٠- النعمان المغربي، دعائم الإسلام، تحقيق: آصف فيضي، دار المعارف، القاهرة - مصر، ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م.
- ٩١- النمازي الشاهرودي، علي النمازي، مستدرك سفينة البحار، تحقيق: حسن بن علي النمازي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم - إيران.
- ٩٢- النمازي الشاهرودي، علي، مستدركات علم رجال الحديث، نشر: ابن المؤلف على نفقة حسينية عماد زاده، أصفهان - إيران، ١٤١٢ هـ، ط: ١.

- ٩٣- النوري، الميرزا حسين، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم ١٤٠٧هـ، ط: ١.
- ٩٤- النيسابوري، محمد بن الفتال، روضة الواعظين، تحقيق: محمد مهدي الخرسان، منشورات الشريف الرضي، قم - إيران.
- ٩٥- الوحيد البهبهاني، محمد باقر، الفوائد الرجالية.

## المحتويات

|         |                                                   |
|---------|---------------------------------------------------|
| ٧.....  | كلمة سماحة المتولي الشرعي للعتبة الحسينية المقدسة |
| ٩.....  | المقدمة                                           |
| ١١..... | منهجنا في العمل                                   |

### الخطبة الأولى

#### دور الصلاة في بناء الشخصية الإيمانية

##### القسم الأول

|         |                                       |
|---------|---------------------------------------|
| ١٧..... | مقدمة الخطبة                          |
| ١٨..... | الوعد الإلهي للشخصية الإيمانية        |
| ١٨..... | مقومات الشخصية الإيمانية              |
| ١٩..... | الأول: المقوم العبادي                 |
| ١٩..... | الثاني: المقوم الأخلاقي               |
| ١٩..... | الثالث: المقوم الاقتصادي              |
| ٢٠..... | موقع الصلاة بالنسبة للشخصية الإيمانية |

### الخطبة الثانية

#### دور الصلاة في بناء الشخصية الإيمانية

##### القسم الثاني

|         |                    |
|---------|--------------------|
| ٢٥..... | مقدمة الخطبة       |
| ٢٧..... | أهمية عبادة الصلاة |

|    |                                                              |
|----|--------------------------------------------------------------|
| ٢٨ | معطيات عبادة الصلاة .....                                    |
| ٢٩ | العطاء الأول: بلورة الإنسان مع العالم الغيبي .....           |
| ٣٠ | آلية الارتباط بالغيب .....                                   |
| ٣١ | صعوبات التعامل مع عالم الغيب .....                           |
| ٣١ | الأولى: صعوبة ناشئة من طبيعة النفس البشرية .....             |
| ٣١ | الثانية: صعوبة ناشئة من عالم الشهادة .....                   |
| ٣٢ | الثالثة: صعوبة ناشئة من عالم الغيب نفسه .....                |
| ٣٣ | العطاء الثاني: توفير الدوافع النفسية الداعية للاستقامة ..... |
| ٣٤ | علاقة الصلاة بالسلوك .....                                   |
| ٣٥ | خاتمة الخطبة .....                                           |

### الخطبة الثالثة

#### دور الصلاة في بناء الشخصية الإيمانية

##### القسم الثالث

|    |                                               |
|----|-----------------------------------------------|
| ٣٩ | مقدمة الخطبة .....                            |
| ٤٠ | الصلاة المعراجية مفتاح السعادة الأبدية .....  |
| ٤١ | دور الخشوع في تحصيل معطيات الصلاة .....       |
| ٤١ | الإقبال في الصلاة .....                       |
| ٤٢ | الأمر التي يتقوّم بها الإقبال في الصلاة ..... |
| ٤٢ | الأمر الأول: الجدّة في السلوك .....           |
| ٤٣ | الأمر الثاني: فهم الصلاة .....                |
| ٤٣ | الأمر التي تشكّل روح الصلاة .....             |
| ٤٣ | الأول: الإخلاص والقربة .....                  |
| ٤٥ | الثاني: حضور القلب أثناء الصلاة .....         |

|                                                   |     |
|---------------------------------------------------|-----|
| المحتويات .....                                   | ٤٣٥ |
| الطريق لتحقيق حضور القلب .....                    | ٤٩  |
| الثالث: التفكير في ألفاظ الصلاة .....             | ٥٠  |
| الرابع: استشعار عظمة الله أثناء الصلاة .....      | ٥٠  |
| الخامس: استشعار الحياء من الله أثناء الصلاة ..... | ٥٢  |

## الخطبة الرابعة

### معنى الإعراض عن اللغو ومصاديقه

#### القسم الأول

|                                                                      |    |
|----------------------------------------------------------------------|----|
| مقدمة الخطبة .....                                                   | ٥٥ |
| المدرسة الأخلاقية الإسلامية وفرقها عن المدارس الأخلاقية الأخرى ..... | ٥٧ |
| العلاقة بين الأخلاق والتربية .....                                   | ٦٠ |
| الإعراض عن اللغو .....                                               | ٦٢ |
| معنى اللغو .....                                                     | ٦٢ |
| مصاديق اللغو .....                                                   | ٦٣ |
| الكذب .....                                                          | ٦٤ |
| معنى الكذب .....                                                     | ٦٤ |
| ذم الكذب .....                                                       | ٦٥ |
| أنواع الكذب .....                                                    | ٦٧ |
| النوع الأول: الكذب على الله ورسوله والإمام .....                     | ٦٧ |
| النوع الثاني: اليمين الكاذبة .....                                   | ٦٨ |
| النوع الثالث: شهادة الزور .....                                      | ٦٩ |
| أضرار اليمين الكاذبة وشهادة الزور .....                              | ٧٠ |

## الخطبة الخامسة

### أخلاقيات النقد والتعبير عن الرأي

|    |                                                |
|----|------------------------------------------------|
| ٧٣ | مقدمة الخطبة .....                             |
| ٧٥ | حرية التعبير عن الرأي .....                    |
| ٧٦ | ضوابط النقد والتعبير عن الرأي .....            |
| ٨٠ | عودة إلى أنواع الكذب .....                     |
| ٨٠ | النوع الرابع: خلف الوعد .....                  |
| ٨١ | النوع الخامس: ما كان بدافع المزاح والهزل ..... |
| ٨٢ | مساوئ الكذب .....                              |

## الخطبة السادسة

### الغيبة.. أكل لحوم الأحياء

#### القسم الأول

|    |                         |
|----|-------------------------|
| ٨٥ | مقدمة الخطبة .....      |
| ٨٦ | الإعراض عن اللغو .....  |
| ٨٦ | مفردة الغيبة .....      |
| ٨٨ | معنى الغيبة ودمها ..... |
| ٨٨ | لفت نظر .....           |
| ٨٩ | موارد الغيبة .....      |

## الخطبة السابعة

### الغيبة .. أكل لحوم الأحياء

### القسم الثاني

|     |                                            |
|-----|--------------------------------------------|
| ٩٥  | مقدمة الخطبة .....                         |
| ٩٦  | تتمة الحديث في مفردة الغيبة .....          |
| ٩٧  | مناشئ الغيبة ودوافعها .....                |
| ٩٧  | الدافع الأول: الحقد والحسد والعداء .....   |
| ٩٨  | الدافع الثاني: السخرية والاستهزاء .....    |
| ٩٨  | الدافع الثالث: المزاح .....                |
| ٩٩  | الدافع الرابع: الافتخار .....              |
| ٩٩  | الدافع الخامس: المجارة للآخرين .....       |
| ٩٩  | آثار الغيبة ومساوؤها .....                 |
| ١٠٠ | علاج الغيبة .....                          |
| ١٠٤ | مستثنيات الغيبة .....                      |
| ١٠٥ | المورد الأول: التظلم .....                 |
| ١٠٦ | المورد الثاني: الفسق .....                 |
| ١٠٦ | المورد الثالث: نصيح المستشير .....         |
| ١٠٧ | المورد الرابع: القدح في مرافعة باطلة ..... |
| ١٠٧ | تبصرة .....                                |

## الخطبة الثامنة

### مخاطر اللسان

### على دنيا الإنسان وآخرته

- ١١١ ..... مقدمة الخطبة
- ١١٢ ..... مخاطر اللسان على دنيا الإنسان وآخرته
- ١١٢ ..... رذيلة النميمة
- ١١٣ ..... تعريف النميمة
- ١١٤ ..... الوشاية
- ١١٥ ..... بواعث النميمة
- ١١٦ ..... الآثار السيئة للنميمة
- ١١٧ ..... قصة وعبرة
- ١١٨ ..... النميمة في الآيات والروايات
- ١١٨ ..... الآيات
- ١١٩ ..... الروايات
- ١٢٠ ..... كيف نتعامل مع النمام؟
- ١٢١ ..... أولاً: أن تكذب التام ولا تصدّقه
- ١٢٢ ..... ثانياً: أن لا تظنّ بأخيك سوء
- ١٢٢ ..... تبصرة
- ١٢٣ ..... ثالثاً: أن لا ترضى لنفسك ما نهيت التام عنه
- ١٢٣ ..... رابعاً: أن تنهاه عن النميمة

## الخطبة التاسعة

### الثورة الحسينية... الأسباب والنتائج

#### القسم الأول

|                                                                                                       |     |
|-------------------------------------------------------------------------------------------------------|-----|
| مقدمة الخطبة .....                                                                                    | ١٢٧ |
| ملامح الثقافة الحسينية .....                                                                          | ١٢٨ |
| الإمام الحسين <small>عليه السلام</small> ووراثته للأئبياء .....                                       | ١٢٩ |
| الجدور التاريخية للثورة الحسينية .....                                                                | ١٢٩ |
| الثورات النبوية على الواقع الجاهلي .....                                                              | ١٢٩ |
| النوع الأول: الثورة على العادات الجاهلية .....                                                        | ١٣٠ |
| النوع الثاني: ثورة النبي <small>صلى الله عليه وآله</small> على المواقع القيادية لأعيان الجاهلية ..... | ١٣٠ |
| النوع الثالث: الثورة على تركيبة الهرم الاجتماعي السائد .....                                          | ١٣٢ |
| ردود الفعل تجاه الثورات النبوية .....                                                                 | ١٣٣ |

## الخطبة العاشرة

### الثورة الحسينية... الأسباب والنتائج

#### القسم الثاني

|                                                                                 |     |
|---------------------------------------------------------------------------------|-----|
| مقدمة الخطبة .....                                                              | ١٣٧ |
| تتمّة البحث في ملامح الثورة الحسينية .....                                      | ١٣٨ |
| خلاصة التغيرات النبوية للمجتمع الجاهلي .....                                    | ١٣٩ |
| انقلاب الأمة على الأعقاب بعد وفاة النبي <small>صلى الله عليه وآله</small> ..... | ١٣٩ |
| ملامح سياسة حكام بني أمية .....                                                 | ١٤١ |
| أولاً: النزعة الإلحادية .....                                                   | ١٤١ |

٤٤٠ ..... المواعظ الحسنة، مواضيع أخلاقية من خطب الجمعة الدينية: الجزء الأول

- ١٤٢ ..... ثانياً: الخلاعة والمجون
- ١٤٣ ..... ثالثاً: سياسة الإذلال
- ١٤٣ ..... رابعاً: إحياء النزعة القومية
- ١٤٤ ..... خامساً: اتخاذهم مال الله دولاً
- ١٤٥ ..... سادساً: وضع الأحاديث
- ١٤٥ ..... سابعاً: نصب العداء لأهل بيت النبوة
- ١٤٥ ..... دور الثورة الحسينية في تحجيم العنجهية الأموية

### الخطبة الحادية عشرة

#### الثورة الحسينية... الأسباب والنتائج

##### القسم الثالث

- ١٤٩ ..... مقدمة الخطبة
- ١٥٠ ..... تتمّة البحث في ملامح الثورة الحسينية
- ١٥١ ..... خلفيات الثورة الحسينية
- ١٥٣ ..... مراحل المواجهة الحسينية للطغيان الأموي
- ١٥٤ ..... أسباب الثورة الحسينية

### الخطبة الثانية عشرة

#### الثورة الحسينية... الأسباب والنتائج

##### القسم الرابع

- ١٦١ ..... مقدمة الخطبة
- ١٦٢ ..... استذكار مضامين الخطبة السابقة
- ١٦٢ ..... نتائج ثورة الإمام الحسين عليه السلام

## الخطبة الثالثة عشرة

### دور المرجعية الدينية في حياة الأمة

|     |                                                                  |
|-----|------------------------------------------------------------------|
| ١٧١ | مقدمة الخطبة .....                                               |
| ١٧٢ | المرجعية الدينية ومواجهة الفتن .....                             |
| ١٧٣ | المسالك المطروحة في التعاطي مع الفتن .....                       |
| ١٧٤ | صفات المرجع الديني .....                                         |
| ١٧٥ | الضابطة في تحديد الأعلمية .....                                  |
| ١٧٦ | تبصرة .....                                                      |
| ١٧٦ | دور المرجعية في حياة الأمة .....                                 |
| ١٧٦ | الدور الأول: نشر العلوم والثقافة الإسلامية .....                 |
| ١٧٧ | الدور الثاني: التصدي للتحديات الفكرية .....                      |
| ١٧٧ | الدور الثالث: الدفاع عن المقدّسات الدينية والكرامة الوطنية ..... |
| ١٧٧ | المرجعية والسياسة .....                                          |
| ١٧٧ | معنى السياسة .....                                               |
| ١٧٨ | معنى الديانة .....                                               |
| ١٨٠ | المرجعية الدينية حصن الأمة .....                                 |
| ١٨٠ | تبصرتان .....                                                    |
| ١٨٠ | التبصرة الأولى: .....                                            |
| ١٨٠ | التبصرة الثانية: .....                                           |

## الخطبة الرابعة عشرة

### الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) .. السيرة والمسيرة

|           |                                                  |
|-----------|--------------------------------------------------|
| ١٨٥ ..... | مقدمة الخطبة                                     |
| ١٨٦ ..... | في رحاب شهادة الإمام العسكري (عليه السلام)       |
| ١٨٧ ..... | نشأة الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)          |
| ١٨٨ ..... | الإمام العسكري ومواجهة الظالمين                  |
| ١٨٩ ..... | السلطة العباسية تحد من حركة الإمام (عليه السلام) |
| ١٩٠ ..... | الإعداد الرسالي لمرحلة الغيبة                    |
| ١٩٠ ..... | الإعداد لقبول الإمامة الغائبة                    |
| ١٩١ ..... | النوع الأول: الإعداد الفكري                      |
| ١٩٢ ..... | النوع الثاني: الإعداد النفسي                     |
| ١٩٢ ..... | سلبات الاحتجاب عن القواعد الشعبية                |
| ١٩٣ ..... | تبصرة                                            |

## الخطبة الخامسة عشرة

### الجهاد مواجهة وأخلاق

|           |                                                      |
|-----------|------------------------------------------------------|
| ١٩٧ ..... | مقدمة الخطبة                                         |
| ١٩٧ ..... | فريضة الجهاد                                         |
| ١٩٨ ..... | شروط الجهاد في سبيل الله                             |
| ٢٠٠ ..... | الشرط الأول: إذن الفقيه الجامع للشرائط               |
| ٢٠١ ..... | الشرط الثاني: وجود مصلحة للإسلام في العملية الجهادية |
| ٢٠١ ..... | الشرط الثالث: الشخص القائد                           |

|           |     |
|-----------|-----|
| المحتويات | ٤٤٣ |
|-----------|-----|

|       |     |
|-------|-----|
| تبصرة | ٢٠١ |
|-------|-----|

|               |     |
|---------------|-----|
| مقدمات الجهاد | ٢٠٢ |
|---------------|-----|

|                                            |     |
|--------------------------------------------|-----|
| المقدمة الأولى: الاستعداد النفسي للمجاهدين | ٢٠٢ |
|--------------------------------------------|-----|

|                                                   |     |
|---------------------------------------------------|-----|
| المقدمة الثانية: اليأس من جدوائية الأساليب الأخرى | ٢٠٢ |
|---------------------------------------------------|-----|

|                                                           |     |
|-----------------------------------------------------------|-----|
| المقدمة الثالثة: دراسة حجم الأضرار المتوقعة في جانب العدو | ٢٠٣ |
|-----------------------------------------------------------|-----|

|                                         |     |
|-----------------------------------------|-----|
| المقدمة الرابعة: رسم استراتيجية المعركة | ٢٠٣ |
|-----------------------------------------|-----|

|                                                        |     |
|--------------------------------------------------------|-----|
| المقدمة الخامسة: اختيار الطريقة الأنسب في مواجهة العدو | ٢٠٣ |
|--------------------------------------------------------|-----|

|                                        |     |
|----------------------------------------|-----|
| المقدمة السادسة: الالتزام بأخلاق الحرب | ٢٠٤ |
|----------------------------------------|-----|

## الخطبة السادسة عشرة

### ثمار إحياء المناسبات الدينية ومعطياتها

|              |     |
|--------------|-----|
| مقدمة الخطبة | ٢١١ |
|--------------|-----|

|                                      |     |
|--------------------------------------|-----|
| حكمة التجمّع في بعض المناسك العبادية | ٢١١ |
|--------------------------------------|-----|

|                           |     |
|---------------------------|-----|
| التجمّع في الصلاة نموذجاً | ٢١٢ |
|---------------------------|-----|

|                                            |     |
|--------------------------------------------|-----|
| الثمرة الأولى: إبراز الولاء والطاعة للخالق | ٢١٢ |
|--------------------------------------------|-----|

|                                                  |     |
|--------------------------------------------------|-----|
| الثمرة الثانية: تعميق الشعور بالانتظام في الحياة | ٢١٣ |
|--------------------------------------------------|-----|

|                                                       |     |
|-------------------------------------------------------|-----|
| الثمرة الثالثة: إشباع حاجة النفس في الاجتماع مع الآخر | ٢١٣ |
|-------------------------------------------------------|-----|

|                                          |     |
|------------------------------------------|-----|
| الثمرة الرابعة: توثيق الأواصر الاجتماعية | ٢١٤ |
|------------------------------------------|-----|

|                                                   |     |
|---------------------------------------------------|-----|
| الثمرة الخامسة: تعزيز روح الاقتداء بالإمام العادل | ٢١٤ |
|---------------------------------------------------|-----|

|                                                       |     |
|-------------------------------------------------------|-----|
| الثمرة السادسة: الشعور بالروح الجماعية والكيان الموحد | ٢١٥ |
|-------------------------------------------------------|-----|

|              |     |
|--------------|-----|
| خلاصة المقال | ٢١٦ |
|--------------|-----|

## الخطبة السابعة عشرة

### أسماء الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام

- ٢٢١ ..... مقدمة الخطبة
- ٢٢٢ ..... في رحاب ذكرى شهادة السيدة الزهراء عليها السلام
- ٢٢٢ ..... أسماء السيدة الزهراء عليها السلام
- ٢٢٣ ..... الأول: اسم (فاطمة)
- ٢٢٥ ..... الثاني: اسم (الصديقة)
- ٢٢٥ ..... الثالث: اسم (المباركة)
- ٢٢٦ ..... الرابع: اسم (الطاهرة)
- ٢٢٦ ..... الخامس: اسم (الزكية)
- ٢٢٦ ..... السادس: اسم (الراضية)
- ٢٢٧ ..... السابع: اسم (المرضية)
- ٢٢٧ ..... الثامن: اسم (المحدثة)
- ٢٢٩ ..... التاسع: اسم (الزهراء)

## الخطبة الثامنة عشرة

### ظاهرة الاقتراء على الآخر

- ٢٣٣ ..... مقدمة الخطبة
- ٢٣٣ ..... تحري الحقيقة
- ٢٣٥ ..... مسائل تمهيدية لمبحث الاقتراء على الآخر
- ٢٣٥ ..... المسألة الأولى: سبب نزول آية الإفك
- ٢٣٦ ..... المسألة الثانية: كيفية تعامل القرآن مع هذه الظاهرة
- ٢٣٧ ..... الأصناف التي أشارت لهم الآية

|                                                    |     |
|----------------------------------------------------|-----|
| المحتويات .....                                    | ٤٤٥ |
| الصف الأول: المنافقون أصحاب الإشاعات الكاذبة ..... | ٢٣٧ |
| الصف الثاني: المتلقون للإشاعات والمروجون لها ..... | ٢٣٨ |
| الصف الثالث: الصادقون للإشاعات الباطلة .....       | ٢٣٩ |
| حساب صنّاع الشائعات ومروجيها .....                 | ٢٤٠ |
| السر في تكرار اللوم في الآية .....                 | ٢٤١ |
| المنهج القرآني في التعامل مع ظاهرة الافتراء .....  | ٢٤٣ |
| تبصرة .....                                        | ٢٤٥ |

## الخطبة التاسعة عشرة

### رابطة الأخوة الإيمانية

|                                                                                          |     |
|------------------------------------------------------------------------------------------|-----|
| مقدمة الخطبة .....                                                                       | ٢٤٩ |
| رابطة الأخوة الإيمانية .....                                                             | ٢٥٠ |
| سبل تعميق روح الأخوة بين أفراد المجتمع الإيماني .....                                    | ٢٥١ |
| أسس الارتقاء إلى رابطة الأخوة الإيمانية .....                                            | ٢٥٢ |
| الأساس الأول: استشعار محبة الإخوان في مجتمع الإيمان .....                                | ٢٥٣ |
| الأساس الثاني: تخلية القلب من الأحقاد والضغائن .....                                     | ٢٥٣ |
| الأساس الثالث: الشعور المشترك .....                                                      | ٢٥٣ |
| مظاهر الأخوة الإيمانية .....                                                             | ٢٥٤ |
| الأمر الأول: أداء الحقوق الواجبة على المؤمن لأخيه المؤمن .....                           | ٢٥٥ |
| الأمر الثاني: الحقوق حسب ما جاءت في رواية الإمام الصادق <small>عليه السلام</small> ..... | ٢٥٧ |
| الأمر الثالث: الابتعاد عن الهجران والتباغض .....                                         | ٢٦٠ |
| الأمر الرابع: إصلاح ذات البين وإدامة المودة بين المؤمنين .....                           | ٢٦٠ |
| الأمر الخامس: زيارة الإخوان وتفقد أحوالهم .....                                          | ٢٦١ |
| الأمر السادس: السعي في قضاء الحاجات .....                                                | ٢٦٢ |

٤٤٦ ..... المواعظ الحسنة، مواضيع أخلاقية من خطب الجمعة الدينية: الجزء الأول

الأمر السابع: التحلي بسعة الصدر ..... ٢٦٢

الأمر الثامن: حسن الأدب عند التلاقي ..... ٢٦٣

عاقبة الأمة التي تستهين بالحقوق الاجتماعية للجماعة المؤمنة ..... ٢٦٣

## الخطبة العشرون

### عباد الرحمن في القرآن الكريم

#### القسم الأول

مقدمة الخطبة ..... ٢٦٩

عباد الرحمن في القرآن الكريم ..... ٢٦٩

المحور الأول: منشأ النسبة إلى الرحمن سبحانه ..... ٢٧٠

المحور الثاني: الإشارات التي تضمنتها وصف (عباد الرحمن) ..... ٢٧١

المحور الثالث: صفات عباد الرحمن ..... ٢٧٢

الصفة الأولى: التواضع ..... ٢٧٣

السبيل لتخليية القلب من التكبر ..... ٢٧٣

نماذج للصفات الحسنة والسيئة ..... ٢٧٦

الأول: نموذج المستكبر ..... ٢٧٦

الثاني: نموذج المتواضع ..... ٢٧٧

الآثار التربوية للتواضع ..... ٢٧٩

الأثر الأول: المحبة المتبادلة بين أفراد المجتمع ..... ٢٧٩

الأثر الثاني: الاحترام المتبادل بين أفراد المجتمع ..... ٢٧٩

الأثر الثالث: تجسيده للطاعة والشكر لله ..... ٢٨٠

الصفة الثانية: الترقيع عن خطاب الجاهلين ..... ٢٨٠

نموذج من حياة المتغافلين عن خطاب الجاهلين ..... ٢٨١

## الخطبة الحادية والعشرون

### عباد الرحمن في القرآن الكريم

#### القسم الثاني

|     |                                        |
|-----|----------------------------------------|
| ٢٨٧ | ..... مقدمة الخطبة                     |
| ٢٨٨ | ..... صفات عباد الرحمن                 |
| ٢٨٨ | ..... الجانب العبادي عند عباد الرحمن   |
| ٢٩١ | ..... الجانب الاقتصادي عند عباد الرحمن |
| ٢٩٢ | ..... الاعتدال وعدم الإسراف            |
| ٢٩٣ | ..... الجانب العقدي عند عباد الرحمن    |
| ٢٩٥ | ..... صفة أخرى لعباد الرحمن            |

## الخطبة الثانية والعشرون

### عباد الرحمن في القرآن الكريم

#### القسم الثالث

|     |                                             |
|-----|---------------------------------------------|
| ٢٩٩ | ..... مقدمة الخطبة                          |
| ٢٩٩ | ..... تتمّة الكلام في بيان صفات عباد الرحمن |
| ٣٠٠ | ..... الحفاظ على حياة الآخرين               |
| ٣٠١ | ..... العفة وتجنّب الشهوات                  |
| ٣٠٢ | ..... جزاء التحلي بصفات عباد الرحمن         |
| ٣٠٣ | ..... تبصرة                                 |

## الخطبة الثالثة والعشرون

### عباد الرحمن في القرآن الكريم

#### القسم الرابع

|     |                                                       |
|-----|-------------------------------------------------------|
| ٣٠٧ | مقدمة الخطبة .....                                    |
| ٣٠٧ | تمة الكلام في صفات عباد الرحمن .....                  |
| ٣٠٨ | سبل الالتحاق بعباد الرحمن .....                       |
| ٣٠٩ | أركان تبدل السيئات حسنات .....                        |
| ٣١٠ | التوبة النصوح .....                                   |
| ٣١١ | التفسيرات المطروحة لتبدل السيئات إلى حسنات .....      |
| ٣١٦ | دور الإيمان والعمل الصالح في تبدل السيئات حسنات ..... |

## الخطبة الرابعة والعشرون

### عباد الرحمن في القرآن الكريم

#### القسم الخامس

|     |                                           |
|-----|-------------------------------------------|
| ٣١٩ | مقدمة الخطبة .....                        |
| ٣١٩ | صفات أخرى لعباد الرحمن .....              |
| ٣٢٠ | الابتعاد عن قول الزور .....               |
| ٣٢١ | فلسفة النهي عن حضور مجالس الباطل .....    |
| ٣٢٢ | امتلاك الهدف الإيجابي في الحياة .....     |
| ٣٢٤ | امتلاك العين الباصرة والأذن السامعة ..... |
| ٣٢٧ | أمانى عباد الرحمن .....                   |
| ٣٢٩ | أمانى عباد الرحمن للقودة والقيادة .....   |

المحتويات ..... ٤٤٩

جزاء عباد الرحمن ..... ٣٣٠

تبصرة ..... ٣٣١

## **الخطبة الخامسة والعشرون**

### **الإنفاق ومعالجة الطبقة في الإسلام**

مقدمة الخطبة ..... ٣٣٧

الطبقة في المجتمع ..... ٣٣٨

مشاكل ينتجها الفقر ..... ٣٣٨

فوائد التفاوت الطبقي ..... ٣٣٩

الفائدة الأولى: توفير الاحتياجات المختلفة للمجتمع ..... ٣٤٠

الفائدة الثانية: الخير يكون أحياناً في تقدير النعم ..... ٣٤٠

قوانين معالجة التفاوت الطبقي ..... ٣٤١

قانون الضرائب المالية ..... ٣٤٢

قانون الإنفاق المستحب في ظل آية الإنفاق ..... ٣٤٢

المحور الأول: سبب نزول الآية ..... ٣٤٣

سؤال وجواب ..... ٣٤٤

تنبيه ..... ٣٤٤

المحور الثاني: الوجه في تقديم الإنفاق في السر ..... ٣٤٥

المحور الثالث: العلاقة بين الإنسان والمال ..... ٣٤٥

## **الخطبة السادسة والعشرون**

### **في رحاب الخطبة النبوية الرمضانية**

مقدمة الخطبة ..... ٣٥١

سُبُل تحصيل التقوى ..... ٣٥٢

٤٥٠ ..... المواعظ الحسنة، مواضيع أخلاقية من خطب الجمعة الدينية: الجزء الأول

الصوم وسيلة لتحقيق التقوى ..... ٣٥٢

نكات وعظات من الخطبة النبوية الرمضانية ..... ٣٥٥

١ - معطيات إضافة الشهر إلى الله ..... ٣٥٥

٢ - شهر رمضان موسم لتطهير النفوس ..... ٣٥٦

٣ - استذكار العذاب الأخروي ..... ٣٥٧

٤ - تعزيز العلاقات الاجتماعية ..... ٣٥٨

٥ - تهذيب اللسان ..... ٣٥٩

٦ - غض البصر ..... ٣٦١

٧ - التحنن على الأيتام ..... ٣٦١

### الخطبة السابعة والعشرون

#### في رحاب المدرسة الأخلاقية للإمام الحسن عليه السلام

مقدمة الخطبة ..... ٣٦٥

أدوار القادة الإلهيين بعد رحيل النبي ﷺ ..... ٣٦٦

معطيات الحديث عن سيرة الإمام الحسن عليه السلام ومسيرته ..... ٣٦٧

القدوة في الجانب العبادي للإمام الحسن عليه السلام ..... ٣٦٨

القدوة في الجانب الأخلاقي للإمام الحسن عليه السلام ..... ٣٦٩

عفو الإمام الحسن عليه السلام ..... ٣٧٠

### الخطبة الثامنة والعشرون

#### الأخلاق والسياسة في المدرسة العلوية

مقدمة الخطبة ..... ٣٧٥

منهجان في التعاطي مع الأخلاق والسياسة ..... ٣٧٦

|     |                                                                |
|-----|----------------------------------------------------------------|
| ٣٧٦ | ..... ملامح المنهج السياسي العلوي                              |
| ٣٧٨ | ..... المواجهة الصارمة مع الفساد والمفسدين                     |
| ٣٧٩ | ..... الأسس الأخلاقية في سياسة الإمام علي عليه السلام          |
| ٣٧٩ | ..... أولاً: الصدق في السياسة                                  |
| ٣٨٠ | ..... ثانياً: محورية الحق                                      |
| ٣٨١ | ..... ثالثاً: سيادة القانون                                    |
| ٣٨٢ | ..... رابعاً: الانضباط الإداري                                 |
| ٣٨٢ | ..... خامساً: اختيار الأكفاء                                   |
| ٣٨٢ | ..... سادساً: تأمين الاحتياجات الاقتصادية والمالية للعاملين    |
| ٣٨٢ | ..... أسس السياسة الثقافية للإمام علي عليه السلام              |
| ٣٨٢ | ..... الأساس الأول: التنمية الثقافية والتربوية                 |
| ٣٨٣ | ..... الأساس الثاني: تصحيح الثقافة العامة                      |
| ٣٨٣ | ..... الأساس الثالث: النقد البناء                              |
| ٣٨٣ | ..... الأساس الرابع: معيارية الحق في اتباع الرجال              |
| ٣٨٤ | ..... أسس السياسة الاجتماعية عند الإمام علي عليه السلام        |
| ٣٨٤ | ..... الأساس الأول: العدالة الاجتماعية                         |
| ٣٨٤ | ..... الأساس الثاني: احترام الحقوق المتبادلة بين الدولة والأمة |
| ٣٨٤ | ..... الأساس الثالث: سياسة الرفق بالأمة ومداواة الناس          |

## الخطبة التاسعة والعشرون

### التوبة أملٌ وعملٌ

|     |                                |
|-----|--------------------------------|
| ٣٨٩ | ..... مقدمة الخطبة             |
| ٣٩٠ | ..... دعوة إلى التعجيل بالتوبة |
| ٣٩٢ | ..... التوبة أمل العاصين       |

|     |                                                                    |
|-----|--------------------------------------------------------------------|
| ٣٩٤ | مباحث التوبة .....                                                 |
| ٣٩٤ | المبحث الأول: تعريف التوبة .....                                   |
| ٣٩٥ | المبحث الثاني: حكم التوبة من جهة العقل والشرع .....                |
| ٣٩٦ | المبحث الثالث: أضرار المعاصي على آخرة الإنسان ودنياه .....         |
| ٣٩٦ | أضرار المعاصي على آخرة الإنسان .....                               |
| ٣٩٧ | أضرار المعاصي على دنيا الإنسان .....                               |
| ٣٩٩ | المبحث الرابع: حقيقة التوبة وأركانها .....                         |
| ٣٩٩ | الركن الأول: الاعتراف بالذنب .....                                 |
| ٣٩٩ | الركن الثاني: الندم على ارتكاب الذنب .....                         |
| ٤٠٠ | الركن الثالث: العزم على عدم العود .....                            |
| ٤٠١ | الركن الرابع: تدارك ما فات من واجبات .....                         |
| ٤٠١ | الركن الخامس: أن يؤدي إلى المخلوقين حقوقهم المادية والمعنوية ..... |
| ٤٠٢ | تبصرتان .....                                                      |
| ٤٠٢ | التوبة النصوح في كلام الإمام علي عليه السلام .....                 |
| ٤٠٤ | المبحث الخامس: الثمار المترتبة على التوبة .....                    |
| ٤٠٤ | ١ - فتح باب الأمل أمام العاصي .....                                |
| ٤٠٤ | ٢ - الستر على الجاني .....                                         |
| ٤٠٦ | المبحث السادس: التعامل مع العبد النائب .....                       |
| ٤٠٧ | خاتمة البحث .....                                                  |

## الخطبة الثلاثون

### الدور العلمي للإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام

|     |                                                                   |
|-----|-------------------------------------------------------------------|
| ٤١١ | مقدمة الخطبة .....                                                |
| ٤١٢ | معالم عصر الإمام الصادق عليه السلام .....                         |
| ٤١٢ | المعلم الأول: التفاعل الحضاري والعلمي بين الثقافات المختلفة ..... |

|                                                         |     |
|---------------------------------------------------------|-----|
| المحتويات                                               | ٤٥٣ |
| المعلم الثاني: الأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية | ٤١٣ |
| المعلم الثالث: نشوء المذاهب الفقهية الإسلامية           | ٤١٤ |
| المعلم الرابع: تزيف مضامين الآيات القرآنية والأحاديث    | ٤١٤ |
| خطوات ساهمت في التحريف والتزيف                          | ٤١٥ |
| تشويه القداسة الروحية لشخص المعصوم                      | ٤١٦ |
| اصطناع التيارات الباطلة                                 | ٤١٨ |
| منع تدوين الحديث                                        | ٤٢٠ |
| دور الإمام الصادق عليه السلام                           | ٤٢١ |
| مصادر الكتاب                                            | ٤٢٣ |
| المحتويات                                               | ٤٣٣ |